

التحفة

في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القطراني

(توفي ٦٧١ هـ)

المجلد الأول

اعلم بآثار العقيدة وفهم أسرارها العلمية

فيسر التحقيق بالذم

محمد بن فتح محمد السهلي

يا شراف / فتتحى نور الدلائل

لا الضميمة للشرائط بطنظا

كتاب قد حوى درراً بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهاً

حقوق الطبع محفوظة
لِلناشر

دار الصحابة للتراث بطنطا

الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هـ . ١٩٩٤ م .

المراسلات / دار الصحابة للتراث بطنطا
طنطا ش. المديرية بجوار محطة بنزين التعاون
ص ب / ٤٧٧ ت : ٣٣١٥٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم كلمة الناشر

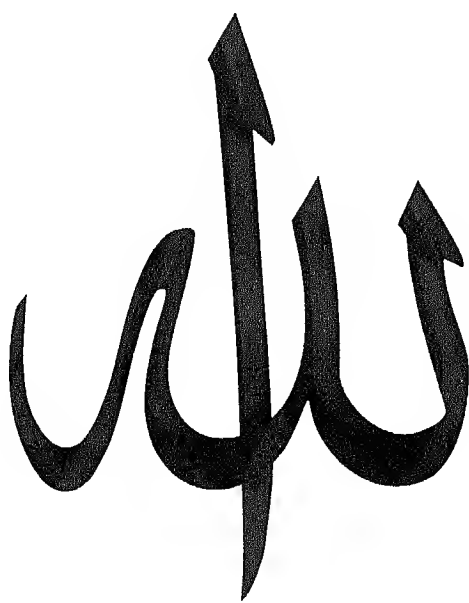
كان من فضل الله علينا أن هدانا إلى العمل على إعادة طبع ونشر أمهات الكتب التي لا يستغنى عنها القارئ المسلم ، مثل كتاب السيرة النبوية لابن هشام ، وكتاب جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي وكتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي وكتاب رياض الصالحين للإمام النووي وشرحه إلخ من تلك الأمهات . وإذا كان غيرنا قد طبعها فقد كان أملنا منذ أمد بعيد لو حققت هذه الأمهات تحقيقاً علمياً يبين الصحيح من الضعيف ، فقد أصبحت الحاجة ملحة لكي يعرف القارئ المسلم بل كل مسلم الصحيح من غيره مما ذكر في هذه الكتب ...

وسوف تجد -أخي القارئ- الفارق الكبير بين هذه الطبعة-التي نقدمها للمسلمين كافة ولطلبة العلم خاصة-وبين الطبعات التي نشرت من قبل.

والآن وقد أصبح الحلم حقيقة ، بعد أن ظهرت هذه الكتب وهي من أمهات المراجع الإسلامية في طبعها الجديدة ، والتي عكفت دار الصحابة للتراث بطنطا على تحقيقها وطباعتها بالصورة المرجوة منها ، لا يسعنا إلا أن نتوجه إلى الله سبحانه بالشكر الجزيل والثناء الجميل على هذه المنحة العظمى التي أولانا بها، ونسأله سبحانه مزيداً من التوفيق والتقدم، ولا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة القراء الذين أولونا ثقتهم فكان هذا دافعاً لنا إلى المضى قدماً نحو غايتنا، وكذلك فريق العمل بقسم التحقيق بدار الصحابة للتراث من مراجعين وباحثين فجزى الله خيراً كل من ساهم في إخراج هذا السفر الطيب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . أبو حفيفة

إبراهيم محمد الشناوي



مقدمة الكتاب

- ١- تقدير
- ٢- بين يدي الكتاب
- ٣- الإيمان بالدار الآخرة عقيدة إسلامية
- ٤- ترجمة المصنف
- ٥- أهمية الكتاب ومحتوياته
- ٦- وصف نسخ الكتاب المخطوطة وتوثيقها
- ٧- عملنا في الكتاب
- ٨- صور من المخطوط الأصل

[١] تقطير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستهديه ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(١)
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾^(٢)

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾^(٣)
أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى نبينا محمد ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل
ضلالة في النار .

(١) سورة آل عمران : ١٠٢

(٢) سورة النساء : ١

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

[٢] بين يطي الكتاب

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد ...
 إن الله - عز وجل - خلق آدم عليه السلام وذريته من الأرض ،
 وأمشاهم على ظهرها فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لا
 محالة تنزل المنية بهم ، ثم يعيدهم إلى الأرض التي منها خلقهم .
 وذلك حتى تؤكل لحومهم ، كما أكلوا من ثمارها ، وتشرب
 دماؤهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها .
 ولذا فالقبر أول منزل من منازل الدار الآخرة ، وآخر منزل من منازل
 الدنيا .

قال الله تعالى : ﴿ فيها يحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ ^(١) .
 وقال جل شأنه : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
 تارة أخرى ﴾ ^(٢) .

فطوبى لمن مهد في دنياه قبره ، وعمره قبل أن يسكنه ، وأرضى ربه
 قبل أن يلقاه لينال رضاه .
 فالحذر الحذر ، والبدار البدار فإن الموت قادم لا محالة في ذلك .
 ومتى أيقن العبد المؤمن بالموت ، وعلم أنه نازل به لا محالة ، فلا بد
 له من الاستعداد بالأعمال الصالحة ، وبالاكتساب عن الأعمال الخبيثة ، فإنه
 لا يدري متى ينزل به .

(١) سورة الأعراف : ٢٥ .

(٢) سورة طه : ٢٠ .

- المقدمة

فالموت هو الحقيقة الكبرى في الدنيا والموعظة العظمى ، والدليل الصادق البين على قدرة الله تعالى ، والبرهان الناطق على انفراده تعالى بالوحدانية المطلقة ، وأنه تعالى المحيي المميت ، والأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، لا يقف أمام جبروته ملك مهما كانت سطوته ، ولا سلطان مهما كان بأسه وقدرته .

فالعاقل العاقل ، والفطن الفطن من دان نفسه في الدنيا ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، وتزود من التقوى لما بعد الموت .

أما العبد الشقي فهو الذي يتمنى على الله الأمانى الغرور ، وتخدعه الدنيا بقشور ، فيحيا دائماً في غرور.

فالعبد منا مهما طال عمره ، وكثر ماله ، ومهما تعددت كنوزه ، ومهما عظم جاهه سيعود إلى ربه الكريم ، كما قال عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهٖ ۚ ﴾ (١)

فلا بد لك يا عبد الله ، وأنت يا أمة الله أن تعمل على مهل ، وأن تكونا من الله تعالى على وجل ، ولا تغترا بطول الأمل واحذرا من نسيان الأجل ، ولا تركنا إلى الدنيا وآمالها .

ورضى الله عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذي قال يوماً واعظاً:

يا عباد الله ...

الموت الموت ليس منه فوات ، إن أقمت له أخذكم ، وإن فررت منه أدرككم ، الموت معقود بنواصيكم ، فالنجاة النجاة ، فإن وراءكم طالباً حثيثاً وهو القبر ، ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم فيقول :

(١) الانشقاق : ٦ .

– المقدمة –

أنا بيت الظلمة

أنا بيت الوحشة

أنا بيت الدود

ألا وإن وراء ذلك اليوم يوماً أشد من ذلك اليوم، يوم يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

ألا وإن وراء ذلك اليوم ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وماؤها صديد، ليس لله فيها رحمة.

أَشْهَدُ الْمُسْلِمَ... أَشْهَدُ الْمُسْلِمَةَ...

أما آن لنا أن نعود إلى مولانا، ولا نغتر بدنيانا؟

لقد كان سلفنا الصالح في سالف الأزمان على ما كانوا من تقوى وزهد، وعلم وعمل، يخافون من الله خوفاً شديداً، حتى تساقطت منهم الدموع وتورمت أقدامهم من طول الوقوف في طاعة الرحمن.

فقد أتاحوا لأنفسهم الفرصة حتى يفوزوا فوزاً عظيماً، فلم يتلهو بالدنيا وأنى لدنيا حقيرة، وساعات قليلة أن تلهيهم عن أزمان طويلة في القبر بما فيه، والحشر بأهواله؟؟

لقد علموا أن كل ما هو آت آت.. وأن البعيد ما ليس بآت.

آت الموت بسكراته.

آت القبر بأهواله.

(١) سورة ق: ٢٢

– المقدمة

آت البعث بأحواله .
 آت يوم القيامة بشدائده .
 وعندئذ فقط يتذكر كل مسلم كيف أن الناجين إنما نجوا بالخوف من
 الله تعالى ، وأن الخاسرين خسروا بغفلتهم عن الله تعالى .
 لقد كشف الحجاب عن أبصارهم ، فرأوا سوء أعمالهم ، وعندما
 ينادى كل واحد منا بقوله تعالى :
 ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
 حديد﴾ (١)

كان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى يقول لنفسه :
 ويحك يا يزيد من ذا الذي يصلى عنك بعد الموت ؟
 من ذا الذي يترضى عنك بعد الموت ؟
 أيها الناس ... أتبكون على أنفسكم باقى حياتكم ؟
 من الموت طالبه ، والقبر بيته ، والثراء فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع
 هذا ينتظر الفرع الأكبر كيف يكون حاله ؟
 أخى المسلم ...
 أختى المسلمة
 لقد أصبح أهل الإسلام فى يومنا هذا عند ما يستمعون إلى ذكر
 الموت ، والقبر ، والآخرة ، لا يتفكرون ولا ينزعجون ، ولا يتعظون ، إلا من
 رحم ربى !!

(١) سورة ق . الآية : ٢٢ .

لقد صارت كلمتا « الجنة والنار » لا تسترعيان منهم الانتباه ، وما ذلك إلا لذهاب الخوف من الله تعالى من القلوب ، وتراكم الذنوب بعد الذنوب ، ولقد صارت الدنيا أكبر همهم ، فاغثروا بها ، وساروا خلفها ، فهلكوا ، وخسروا وذلك هو الخسران المبين .

ولكن الخير سيبقى فى هذه الأمة إلى يوم الدين ، ولا تزال طائفة قابضة على هذا الدين القويم .

فيالى الأمة الإسلامية أقدم هذا الكتاب ليزداد الذين آمنوا إيماناً مع إيمانهم ، وثقة فوق ثقتهم ، أما أولئك الحيارى الذين غرتهم الحياة الدنيا ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ، فلعلهم يوعظون مما ذكر فى هذا السفر ، فتتكشف لهم الحقائق التى طالما جهد الشيطان فى تزيينها وهى - فى الحقيقة - ليست سوى سراب كاذب ومحض أوهام ، فالآن الآن ندعوكم يا من غرقتم فى بحر الذنوب ، إلى التذكر بأن الحياة مهما طال أمدّها ، فإن الموت آت بسكراته ، والقبر مدخول وإن تكاثفت ظلماته ، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، فهيا بنا مع كلام رب العالمين عن الدار الآخرة .
ومع كلام النبى ﷺ عن الدنيا والآخرة .

ومع آثار السلف الصالح الداعية إلى ترك الطغيان ، والبكاء على الذنوب وإصلاح العيوب وطاعة علام الغيوب ، وجلاء الران عن القلوب أترككم سائلاً ربى المزيد من التوفيق والسداد .
والحمد لله رب العالمين .

[٣] الإيمان بالدار الآخرة

عقيدة إسلامية

من صفات أهل الإيمان كما ورد في آيات الرحمن : الإيمان بالغيب بدءاً من الإيمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وجنته وناره ولقائه ، والحياة بعد الموت وهو البعث والنشور فهذا غيب كله .
فالغيب ما غاب عن العباد من أمر الآخرة ، والجنة والنار وماسواها ينبغي التصديق بها ، وهذا التصديق يقتضى منا العمل لتحصيل ما نؤمن ، وللنجاة مما نحذر ونخاف .

قال الله تعالى : ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾ (١)

فالغيب فى كلام العرب ، كل ما غاب عنك يقال : غابت الشمس تغيب ، والغيبه معروفة ، وأغابت المرأة فهى مغيبة إذا غاب عنها زوجها ، وقعنا فى غيبة وغيابة ، أى هبطة من الأرض .
قد اختلف المفسرون فى تأويل الغيب هنا ، وخلاصة أقوالهم :
الغيب : كل ما جاء فى القرآن وأخبر به الرسول الأمين ﷺ مما لا تهتدى العقول إليه من الغيوب

فالإيمان بالله تعالى غيب من الغيبات
والإيمان بأشراط الساعة الكبرى غيب من الغيبات
والإيمان بنعيم القبر وعذابه غيب من الغيبات
والإيمان بالحشر والنشر غيب من الغيبات
والإيمان بالصراط والميزان غيب من الغيبات
والإيمان بالجنة والنار غيب من الغيبات

(١) سورة البقرة : الآيات : ١ - ٣ .

فالغيب يقع عليها جميعا والإيمان بها عقيدة إسلامية، فأهل التقوى حقاً هم أهل الإيمان بالغيب، وأصحاب الهدى والفلاح هم أهل الإيمان بالغيب .
والإيمان هو عدة المؤمن فى أوقات الفتن والشدائد .
والإيمان بالغيب هو عمدة أهل الإيمان فى صد أهل المادية والطغيان فى العصر الذى طغت الماديات على القلوب ، وصارت العقول مرتبطة بكل ما تراه وتحسه فى الواقع الملموس ، صار الإيمان من مقومات المسلم المعاصر لكى لا ينزلق إلى هاوية المادية وإنكار الغيبيات .
وعندما ينظر المسلم إلى الإيمان بالدار الآخرة الذى هو بدوره فرع من فروع الإيمان بالغيب يجد أن هذا الإيمان من أجل ما يعين المرء على طاعة الله سبحانه وتعالى ، فعند ما يعلم المرء أنه مقبور ، وبالتالى إما أن يقبر فى روضة من روضات الجنات، أو حفرة من حفر النيران، حتما سيسعى جاهداً فى إعداد الزاد الصالح لكى يسكن فى روضة من روضات الجنات .
ومن ناحية أخرى سيعمل جاهداً على تخطي كل ما يسبب له السكن فى حفرة من حفر النيران .
لذا فهو مطيع، وصاحب كل خير يقرب من الملك العلام ، وفى نفس الآن فهو خائف ، ومبتعد عن كل شر يقرب من غضب الملك الجبار .
فصار الإيمان بالقبر بنعيمه وعذابه من أسباب نجاة المسلم فى الآخرة ومن عوامل صلاح حاله فى الدنيا واستقامته .
وعندما يؤمن المرء بالبعث بعد الموت سيجد أنه لا مفر من إعداد الزاد الصالح الذى ينجى المرء بعد موته ، ويهون عليه الحساب
وعندما يؤمن المرء بأنه موقوف بين يدى الله تعالى ، ومسئول عما بدر منه من إساءات ، فسوف يعد لهذا الموقف الزاد الصالح .
وعندما يؤمن المرء بالجنة والنار سيعمل بكل حوله وقوته لكى ينال

مرامه الأكبر ألا وهو الفوز بالجنة ، والنجاة من النار .
وكل ذلك بطبيعة الأمور يحتاج منه إلى إعداد العمل الصالح ، النافع
للوصول إلى هذا الهدف الأعظم ، وتلك الأمنية الكبرى ،
ومن خلال كل ذلك نستطيع أن نتفهم لماذا كان الإيمان بالدار الآخرة
عقيدة إسلامية .

لذا لا يستطيع المرء أن يرى أمامه من يحيا عابثاً لاهياً إلا ويتيقن المرء
أن ذلك العابث قد خفت في قلبه حرارة الإيمان بالدار الآخرة ..
هذا إن لم يكن قد مات في قلبه معنى الإيمان بالدار الآخرة
إذ كيف يليق بمن يؤمن بنعيم القبر وعذابه أن يترك الصلاة؟
بل كيف يليق بمن يؤمن بالبعث والنشور أن يحيا عابثاً لاهياً؟
بل كيف يليق بمن يعلم أن القبر بيته ألا يعمره ؟
بل كيف يليق بمن يعلم أن الوقوف بين يدي الله موقفه ألا يعد له ؟
بل كيف يليق بمن يخاف من النار أن يقوم بما يغضب الجبار ؟
بل كيف يليق بمن يؤمل في دخول الجنة إلى ترك فعل الخيرات ؟
ومن هنا نستطيع أن نستخلص العبرة التالية :

يجدر بكل مسلم ومسلمة السعى الحثيث ، والعمل المتواصل لكي
يحيا على الدوام مع حرارة الإيمان بالدار الآخرة فهي المحرك الأساسي للقيام
بجمل الخيرات ، والمعول الأساسي الذي به تتحطم شبهات وشبهات
الماديات .

فما أحوج المسلم المعاصر إلى أن يعيش مع كل ما يذكره بالموت
والدار الآخرة ، ولعل من الكتب الجديرة بالمطالعة في هذا الباب :-
«التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»
للعلامة أبي عبد الله القرطبي .

- المقدمة

وفى خاتمة تلك المقدمة أحذر كل مسلم ومسلمة من الخوض بالعقل فى تلك الغيبيات ، أو إنكارها فهذا يؤدى بالمرء إلى الوقوع فيما ينقض معنى الإسلام ويعطل معنى الإيمان .

وقد ظهر فى زماننا بعض من ينكر تلك الغيبيات أو بعضها ، وهذه الدعاوى من آثار التأثير بالمنهج العقلانى الأوربى الذى لا يبالى بما ورد فى النصوص الإلهية للانفكاك بين العلم والشرع عندهم .

ولقد حاول علماء الإسلام توضيح تلك الشبهات ، والرد على منكرى الغيبيات ، وتلك بعض المراجع الإسلامية التى تناولت الرد على منكرى الغيبيات .

١- «الحجة فى بيان المحجة» لشيخ الإسلام إسماعيل الأصبهاني رحمه الله :- (١ / ٤٤٩ - ٤٥٥ ، ٤٥٩ - ٤٦٧ ، ٤٧٥ - ٤٩٧) .

٢- السنة للحافظ ابن أبى عاصم رحمه الله (٢ / ٣٢١ - ٣٤١ ، ٣٩٨ - ٤١٢ ، ٤٢١ - ٤٢٥)

٣- «الشرعة» للإمام الآجرى رحمه الله :-

(ص / ٣٣١ - ٣٤٩ ، ٣٥٢ - ٣٦٥)

٤- «الإيمان» للحافظ ابن منده رحمه الله :-

(٢ / ٩٥٨ - ٩٦٢ ، ٩٧٤ - ٩٧٨) .

٥- «الاعتقاد» للحافظ البيهقي رحمه الله :-

(ص / ١١١ - ٢٠٥ ، ٢١٩ - ٢٢٤)

[٤] ترجمة المصنف

١- نسبه ونشأته العلمية

هو الإمام ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح ، الأنصاري ، الخزرجي ، الأندلسي القرطبي ، المفسر .
بدأ في تلقي العلم صغيراً على عادة أهل عصره ، فبدأ بالسماع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم في شرح صحيح مسلم .

ثم أخذ يسمع من محدثي عصره ، وفقهاء وقته ، فسمع من أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي . .
وسمع من الحافظ أبي علي الحسن بن محمد البكري ، وغيره .
ولما استكمل ما ينبغي لمن هو في سنه معرفته من علوم الشريعة رحل إلى الشرق ، ثم أخذ بعد ذلك في التعبد ، فكانت كل أوقاته معمورة مشغولة ما بين عبادة ومدارسة للعلم الشرعي .

٢- تصانيفه العلمية

كثرت تصانيفه ، وسارت بكتبه الركبان ، وفي هذا يقول مؤرخ الإسلام الذهبي : له تصانيف مفيدة ، تدل على كثرة اطلاعه ، ووفور عقله وفضله ، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان .
ولقد وصل إلينا بعض تلك المؤلفات ، والبعض الآخر لا زال في عداد المفقود ، وهذه قائمة بما وصلنا من مؤلفاته المطبوع منا والمخطوط .
١- « الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان » .
وهو تفسير جليل ، عظيم المنفعة ، أسقط منه في الأعم الأغلب ما يتصل بالجانب القصصي ، والتاريخي مما شجن به بعض أهل التفسير تفاسيرهم .

- المقدمة -

وبدلاً من ذلك أخذ يفيض ويتوسع باستفاضة طويلة في جانب الأحكام القرآنية، فأخذ في استنباط الأدلة المقررة في الآية، وما ورد فيها من القراءات، والإعراب، والناسخ والمنسوخ. ومن محاسنه: أنه صانه عن كثير من الإسرائيليات، فإن ذكر بعضها فإنما لكي يدحضها، ويبين بطلانها.

هذا وإن لم يكن قد خلا منها تفسيره بالكلية. وقد طبع الكتاب عدة طبعات وآخرها طبعة نشرتها دار الكتب العلمية ببغروت، ولكنها لم تضيف شيئاً. فلا يزال الكتاب في حاجة إلى خدمة حديثة، وفقهية ولغوية، والله المستعان به.

٢- «الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» في مجلدين. وكان في عداد المخطوطات، ولكن بتوفيق الله وفضله قامت دار الصحابة للتراث بطنطا على تحقيقه تحقيقاً علمياً وطبعه للمرة الأولى. ٣- «قمع الحرص بالزهد والقناعة»، ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة.

قال ابن فرحون: لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه. وقد طبع بتحقيقى على نسخة مخطوطة عثرت عليها بدار الكتب المصرية وأصدرته محققاً «دار الصحابة للتراث بطنطا». ٤- «التذكار في أفضل الأذكار».

في فضل القرآن وقارئه، ومستمعه، والعامل به، وحرمة القرآن، وكيفية تلاوته.

وقد طبع عدة طبعات، ولكن لا يزال يحتاج إلى طبعة محققة تحقيقاً علمياً يسر الله تعالى ذلك.

وهذا الكتاب كأنه هو الأصل لكتاب النووى التبيان فى آداب حملة القرآن .

٥- « شرح التقصى »

وهو شرح مطول لكتاب التقصى لما فى الموطأ من حديث رسول الله ﷺ لأبى عمر يوسف بن عبد الله ، والمعروف بابن عبد البر ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .

٦- « أرجوزة » جمع فيها أسماء النبى ﷺ .

٧- الانتهاز فى قراء أهل الكوفة والبصرة ، والشام ، وأهل الحجاز .

٨- « التقيب لكتاب التمهيد » .

مخطوط فى مجلدين ضخمين - يوجد فى خزانة القرويين بفاس تحت رقم (٨٠ / ١١٧) .

٩- الإعلام بما فى دين النصارى ، وإظهار محاسن دين الإسلام .

١٠- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة . وهو كتابنا هذا .

٣- شيوخه :-

جل ما ذكر فى ترجمته عن شيوخه القليل ، فمن هؤلاء : الحافظ أحمد بن عمر القرطبى صاحب المفهم .

ومن شيوخه : أبو على الحسن بن محمد البكرى ، وأبو الحسن

على بن محمد بن على اليحصبى وغيرهما .

٢- ثناء العلماء عليه :

* قال العلامة الذهبى رحمه الله -

« إمام متقن ، متبحر فى العلم ، له تصانيف مفيدة ، تدل على كثرة

اطلاعه ووفور عقله وفضله ، وقد سارت بتفسيره الركبان ، وله أشياء تدل

– المقدمة

على إمامته وذكائه ، وكثرة اطلاعه .

* وقال الكتبي في تاريخه :

« كان شيخاً فاضلاً ، وله تصانيف مفيدة ، تدل على كثرة اطلاعه ، ووفور علمه ، منها « تفسير القرآن » مليح إلى الغاية اثنا عشر مجلداً .

* وقال الحافظ عبد الكريم رحمه الله -

« كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين الورعين ، الزاهدين في الدنيا ، المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة ، وكان مطرحاً للتكلف .

* وقال ابن العماد الحنبلي رحمه الله :-

« كان إماماً عالماً ، من الغواصين على معاني الحديث ، حسن التصنيف جيد النقل .

* وقال العلامة الذهبي رحمه الله أيضاً :

« رحل وكتب وسمع ، وكان يقظاً ، فهماً ، حسن الحفظ ، مليح النظم ، حسن المذاكرة ، ثقة ، حافظاً .

Δ - مَا أَخَذَ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِ .

ليس من عالم إلا ويؤخذ من قوله ، ويرد عليه إلا المعصوم ﷺ .

وكما أنه لكل جواد كبوة ، فكل عالم له كذلك زلة ، والكمال لله وحده ، لذا فلقد أخذ أهل العلم من سلفنا الصالحين المتأخرين بعض المآخذ على العلامة القرطبي منها على سبيل المثال في كتابنا التذكرة ما يلي :

- ١- يورد الكثير من الأحاديث التي لا أصل لها، أو هي في عداد الموضوعات ، والواهيات من غير أن ينص على ذلك أو يوردها بأسانيدها .
- ٢- يؤمن أهل السنة والجماعة بصفة العلو للعلی الغفار ، وينكر ذلك العلامة القرطبي ، ويتهم من يؤمن بصفة العلو بأنه محدد ، وذلك بزعم أن

- المقدمة

العلو علو الغلبة لا علو الذات !!

وفى هذا مخالفة لعقيدة السلف الصالح ، ويكفيك أن تقرأ ما كتبنا فى موضعه ، أو تنظر فى كتاب «صفة العلو» لابن قدامة المقدسى رحمه الله .
٣- ينكر نزول ربنا إلى السماء الدنيا على ما يليق بجلاله ، ويدعى أن النازل هو ملك من الملائكة ، وفى هذا خروج بمقتضى الأحاديث النبوية عما اعتقده السلف الصالح من نزول يليق بجلال الله من غير خوض فى الكيفية وقد أثبتنا ذلك فى موضعه .

٤- يؤول أن ينادى خلقه يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، ويقول القرطبي : إن ملكاً من الملائكة هو الذى يناديهم !! هذا مع أن عقيدة السلف الصالح أن الله تعالى متكلم بكلام أزلى ولم يزل يتكلم بحرف وصوت بكلام يسمعه من شاء من خلقه ، وسمعه موسى عليه الصلاة والسلام من غير واسطة ، ومن أذن له من ملائكته .
وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة ويكلمونه .
وقد أوضحت ذلك فى موضعه ، من باب الدين النصيحة ، وأن الحق أحب إلى مما سواه .

٦- وفاته

بعد رحله عامرة بالتدريس ، والتصنيف ، صعدت روح القرطبي لتقابل بارئها ، وكانت وفاته فى سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وذلك فى مدينة منية ابن خصب (١) ودفن بها فى ليلة الاثنين التاسع من شوال .
ولمزيد من التفصيل والإيضاح يمكنك الرجوع إلى المراجع والمصادر

(١) منية بنى خصب : هى مدينة من أعمال الصعيد ، وعرفت بمنية بنى الخصب نسبة إلى الخصب ابن عبد الحميد صاحب خراج مصر من جهة هارون الرشيد ، وهى الآن محافظة المنيا .

- المقدمة

التالية :

- ١- نفع الطيب: (٢ / ٤١٣ - ٤١٤) للمقرى .
 - ٢- الديباج : (٣١٧ ، ٣١٨) لابن فرحون .
 - ٣- شذرات الذهب : (٥ / ٣٣٥) لابن العماد الحنبلي .
 - ٤- إيضاح المكنون : (٣ / ٨١) ، (٤ / ٢٤١) للبغدادى .
 - ٥- هدية العارفين : (٦ / ١٢٩) للبغدادى .
 - ٦- معجم المؤلفين : (٨ / ٢٤٠) لكحالة .
 - ٧- الأعلام للزركلى : (٥ / ٣٢٢) .
- وغيرها مما دون به ترجمة المصنف .

٥- أهمية الكتاب ومحتوياته

فحوى هذا الكتاب هو الحديث عن أمر الموت ودار الآخرة وبالنظر إلى أهمية الموضوع نجد أنه لا يخلو أى كتاب من كتب السنة من ذكر باب بعنوان « ذكر الموت » أو بعنوان « الفتن وأشرط الساعة » يذكر فيه الأحاديث التى تدور فى إطار التذكير بالموت وسكراته ، وكذا يذكر فى الأبواب الأخرى ما جاء فى أشرط الساعة الكبرى والصغرى فهذا البخارى رحمه الله عندما نتأمل سوياً فى صحيحه نجد ما يلى :

« فى كتاب الجنائز » (١٣ / ٢٣١) ما جاء فى عذاب القبر ، ويليهِ : التعوذ من عذاب القبر و (٣ / ٢٤٢ - ٢٤٤ فتح) نجد : عذاب القبر من الغيبة والبول ، والميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى .

وقبل كل ذلك نجد كل الكتاب يدور حول الميت وأحكامه ، والقبر وما ورد فيه هذا من جانب ، ومن جانب آخر إذا وصلنا إلى آخر صحيح البخارى نجد ما يلى فى « كتاب الرقاق » (١١ / ٣٣٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٧٧ ، ٣٩٥ ، ٤١٤) الأعمال بالخصواتيم ولا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، وسكرات الموت ، ونفخ الصور ، وكيف الحشر ، والقصاص يوم القيامة ، صفة الجنة والنار .

وبتطبيق تلك الأمثلة على كتب السنة نجد نفس الأمثلة تكرر .

وعلى هذا المنوال سار علماء السلف الصالح عند التصنيف ، أكثروا من الكلام عن الموت والقبر ، والآخرة وأهوالها .

بل منهم من خصص لتلك الموضوعات تصانيف خاصة كابن أبى الدنيا ، والبيهقى ، وابن القيم ، وابن رجب الحنبلى رحمهم الله تعالى .

والمراد من هذا أن موضوع « الموت » و « الدار الآخرة » لأهميته

الكبرى أخذ بأنظار الباحثين على اختلاف مذاهبهم ، بل إن من الأدباء من خصص أبواباً في مصنفاتهم للحديث عن هذا الموضوع خذ مثلاً كتاب «بهجة المجالس» لابن عبد البر فقد تكلم عن الموت والآخرة، وكذا فعل ابن عبد ربه في «العقد الفريد» .

وما أهمية كتاب «التذكرة» بالنسبة لغيره ؟

تفرد العلامة القرطبي في هذا الكتاب بأنه أول من جمع شتات ما كتب عن «الموت والدار الآخرة» من مشرقه إلى مغربه في كتاب واحد ، هو «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» .

فكانت تلك الصفحات التي حوت كل ما ورد في هذا الموضوع صبح أو لم يصبح وهنا تظهر أمام القارئ أهمية الكتاب من حيث اشتماله على كل ما ورد في هذا الباب ، مما كان منشوراً في بطون الكتب وقد جاء من بعد القرطبي فنسجوا على منواله واستفادوا منه استفادة جمة .

فهذا العلامة السيوطي ينسج على منوال التذكرة كتابه «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» .

ثم يأتي ابن طولون ويصنف كتابه «التحرير المرسخ في أحوال البرزخ» طبع في «دار الصحابة للتراث بطنطا» .

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن التذكرة في مواضع مختلفة من كتابه «فتح الباري» انظر : فتح الباري (١١ / ٣٥٤) ، (١١ / ٣٦٩) ، (١١ / ٣٧٦) ، (١١ / ٣٨٤) ، (١١ / ٣٩١) ، (١١ / ٣٩٤) ، (١١ / ٣٩٦) ، (١١ / ٤٠٢) ، (١١ / ٤٢٠) ، (١١ / ٤٢١) ، (١١ / ٤٢٧) ، (١١ / ٤٥٠) وغيرها .

وتلك النقول عن كتاب «التذكرة» توضح لنا من غير ريب قدر ما

– المقدمة

فيه من علم نافع .

أما الحديث عن محتويات الكتاب فيطول ، ويطول ، ويبدو ذلك جلياً من موضوعات الكتاب التي في الفهرست في مؤخرة الكتاب .

ولكن بالنظر إلى عنوان « التذكرة »

« في أحوال الموتى وأمور الآخرة » .

فمحتويات الكتاب تدور في إطارين :

الأول : أحوال الموتى ، وهذا بدوره يستدعي الحديث عن سكرات الموت وشدها والأعمال التي تهون منها والحديث عن خروج الروح ومجيء ملك الموت .

ويستدعي الكلام عن أحوال الموتى الحديث عن القبور ونعيمها وعذابها وما ينجي من شدائدھا ويذهب غربتها .

ويستدعي الكلام عن أحوال الموتى الحديث عما ينفع الميت بعد وفاته، وما يجلب له المضرة .

ويستدعي الكلام عن أحوال الموتى الحديث عن زيارة القبور وفضل ذلك على الزائر ومن يزوره .

هذا بالنسبة للشق الأول من عنوان ذلك الكتاب ، أما الكلام عن الشق الثاني وهو « أمور الآخرة » .

يقتضى هذا الشق التحدث عن أشراط الساعة الكبرى والصغرى ، ويستدعي التحدث عن البعث والنشور والصراط ولقاء الجبار جل جلاله ، ويستدعي التحدث عن الجنة والنار وما فيهما من أنواع النعيم وأصناف العذاب وقد استوعبها المصنف رحمه الله في براعة فائقة ونظام بديع ، وأسلوب ميسر وترتيب متسلسل بدءاً من سكرات الموت وانتهاء بقيام

الساعة مما ينبئ عن علو كعب المصنف في مجال التأليف والتصنيف ، ولا غرو فالمصنف رحمه الله كما بينا سابقاً في ترجمته من كبار علماء التفسير وأحد العلماء الكبار الذين يشار إليهم بالبنان ، وإذا كان المثل يقول : على قدر أهل العزم تأتي العزائم . فهذا كتاب « التذكرة » أحد عزائم هذا العالم الجليل الإمام القرطبي رحمه الله .

أما الحديث عن نسخ مخطوطات الكتاب فقد خصصنا لها فصلاً مستقلاً وهو الفصل التالي :

٦- وصف نسخ الكتاب المخطوطة وتوثيقه

حظى هذا الكتاب بكثير من الاهتمام على مر العصور ومما يدل على ذلك بأن له العديد من النسخ المخطوطة التي كتبت في أزمان مختلفة .
يكفى المرء أن يتأمل في دار الكتب المصرية بذخائر التراث لكي يجد أكثر من عشر نسخ لهذا الكتاب كالتالي :

- ١- تحت رمز « غيبيات تيمور » برقم (٥) تجد نسخة مكونة من (٤٥١) ورقة، وقد كتبت في سنة (٧٤٨هـ)
وتكاد تكون أقدم النسخ، وأكبرها في عدد الأوراق .
- ٢- تحت رمز (تصوف) رقم (٨٨٤) تجد نسخة مكتوبة من (٣٥١) ورقة، وقد كتب سنة (٧٤٨هـ) .
فهى صنو السابقة من الناحية التاريخية .
- ٣- تحت رمز (تصوف) رقم (٩٩١) تجد نسخة مكونة من (١٥٧) ورقة، وقد كتبت كالسابقة في سنة (٧٤٨هـ) .
- ٤- تحت رمز « تصوف » رقم (٨٨٣) تجد نسخة مكونة من (٢٣٩) ورقة، وقد كتبت سنة (١١١٩هـ) فهى حديثة بعض الشيء .

- ٥- تحت رمز « تصوف ا » برقم (١) تجد نسخة مكونة من (٣٢٨) ورقة ، كتبت في سنة (١٢٢٠هـ) فهي أحدث من السابقة .
- ٦- تحت رمز « تصوف ق » رقم (٩٩) تجد نسخة مكونة من (٢٧٥) ورقة وقد كتبت سنة (١١٣٥ هـ) فهي أقدم من السابقة .
- ٧- تحت رمز « تصوف طلعت » برقم (١٢١٧) تجد نسخة مكونة من (٤٧٨) ورقة ، وقد كتبت سنة (١١٧٢) هـ فهي أحدث من السابقة .
- ويلى ذلك عدة نسخ غير مؤرخه ، آثرنا جمعها مع بعضها البعض وهي كالتالى :-
- ٨- تحت رمز « تصوف » برقم (١٠٠٤) تجد نسخة مكتوبة من (٢٩١) ورقة .
- ٩- تحت رمز « تصوف » برقم (١٤٩٤) تجد نسخة مكونة من (٣٤٧) ورقة .
- ١٠- تحت رمز « تصوف حليم » برقم (٧٧) تجد نسخة مكونة من (٢٣٧) ورقة .
- ١١- تحت رمز « تصوف طلعت » برقم (١٥٧٠) تجد نسخة مكونة من جزئين ، الأول فى (٢٤٦) ورقة ، والثانى فى (١٧٤) ورقة .
- ١٢- تحت رمز « تصوف » برقم (٩٩٦) تجد نسخة مكونة من جزء واحد ، وهو الجزء الثانى فى (١٤١) ورقة .
- ١٣- تحت رمز « تصوف » برقم (١٤٦١) توجد نسخة تكون الجزء الثالث فى (١٤٩) ورقة .
- ١٤- تحت رمز « تصوف مصطفى فاضل » برقم (٢) تجد نسخة مكونة للجزء الأول فى « ٢٧٨ » ورقة .

- المقدمة

ومن خلال تعدد تلك النسخ يتضح لك اهتمام النساخ على مدار العصور في استنساخ نسخة جديدة من هذا الكتاب حتى لا يفقد على ممر الأزمان ، ولا يتعرض للأكلة .

وقد اعتمدنا في هذا المجال على جعل النسخة التي تحمل البيانات التالية هي الأصل في هذا الكتاب مع مقارنتها على الطبعة التي طبعت في أصلها الأول على عدة نسخ مخطوطة ، ولقد ذكر في نسختنا الكثير من الزيادات التي يجدها القارئ في موضعها ، وإليك بياناتها .

١- الرمز أو الفن : «تصوف»

٢- رقم المخطوط : «٨٨٤»

٣- رقم الميكروفيلم : ٢١٩٤

٤- عدد الأوراق : «٣٥١»

٥- عدد الصفحات : «٧٠٢»

٦- المقاس : من الحجم الكبير ففي الصفحة بها ست وعشرون سطر والسطر فيه حوالي عشر كلمات .

٧- نوع الخط :

كتب على الصفحة الأولى من الغلاف ما نصه :-

وكتب على الصفحة الأخيرة من الكتاب ما نصه :-

أما عن صحة نسبة الكتاب إلى مصنفه ، فلا غرو أنه من مصنفات الإمام القرطبي ، فلقد ذكره ضمن مؤلفاته أغلب من ترجم له .

ونقل عنه ابن حجر في الفتح كثيراً مع تسميته للكتاب ، وكذا فعل السيوطي وابن طولون وغيرهما .

٨- عملنا في الكتاب

بعد توفيق الله تعالى في الوصول إلى أجود نسخة مخطوطة لهذا الكتاب تم عمل التالي :

١- تم مقارنة ذلك المخطوط على المطبوعة بحيث تم إفراز الزيادات وهي كثيرة ، وتم وضعها بين معكوفتين .

٢- تم ترقيم الأحاديث والآثار ، والمواضع التي وردت في الكتاب إلى فقرات بأرقام متسلسلة ليسهل وضوح مادة الكتاب أمام القارئ ، ولتنسيق المادة العلمية للكتاب ، ولكي يسهل تخريجها من ناحية أخرى .

٣- تم تخريج الأحاديث النبوية ، والآثار السلفية الواردة في الكتاب متوسعاً في ذلك بعض الشيء أحياناً ، مع ذكر درجة كل حديث وأثر .

٤- تم تخريج الآيات القرآنية ، بعزو الآيات إلى سورها ومواضعها في تلك السور .

٥- تم التعليق على الكلمات الغامضة ، والعبارات التي قد يصعب على بعض القراء الوصول إلى المراد منها .

٦- تم إعداد مقدمة للكتاب تدور حول الكتاب ومؤلفه ، ووصف نسخه المخطوطة ، وتوثيق نسبتها .

٧- أعدت الفهارس العلمية التي تخدم القارئ في الوصول إلى مراده .

وبعد ...

فالحمد لله أولاً وآخراً .

وحسبى أن الله تعالى يعلم ما في الصدور ، إن أريد إلا الإصلاح ما

- المقدمة

استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .
وهذا جهد المقل ، فإن أصبنا الصواب والسداد ، فمن الله وحده
بفضله وكرمه ، وإن كانت الأخرى فمن أنفسنا والشيطان ، وإن الدين
النصيحة .

فمن وجد خيراً فليدع لنا بمزيد من التوفيق والسداد ، ومن وجد غير
ذلك فإن الأذن له صاغية ، والقلب مستمع والنفس مستنصحة .
ورحم الله رجلاً أهدى إلينا عيوبنا ، ولكن طوبى لمن شغلته عيوبه عن
عيوب الناس .

أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يجعل هذا العمل خالصاً
لوجهه الكريم وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله
بقلب سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو مرير مجدى فتحى السيد

طنطا - مصر



ينقطع كله في جميع افقار الارض حتى لا يبقى منه شيء لانه قد ثبت عن النبي صلى الله
 عليه وسلم ان الاسلام يستفي ثقباء الساعة الا انه يصفى ويعود غريباً
 كما نذاه روي عن ابن مسعود عن قتادة عن مطرف عن عمران بن حصية قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي يقابلون على احوى حتى يقابلوه
 اخبرهم المسيح الدجال وكان مطرف يقوم ثم اهل الشام قال الشيع
 رضى الله عنه من ان الدين لا ينقطع وان الاسلام يبقى الى قيام الساعة يرويه
 عاتية وعبد الله بن عمرو ونادى كثره من حديث عمران بن حصية وقد تقدم
 ان عيسى عليه الصلاة والسلام يقتل اندحار ويخرج يا جرح وما جرح ويموتون
 ويبقى عيسى عليه الصلاة والسلام ودين الاسلام يعبد في الارض غير الله
 قد تقدم والله في صحبة اصحاب الكهف فيما ذكرنا منفسون وقد تقدم
 انه حواره اذا نزل فاذا توفي عيسى عليه الصلاة والسلام بعث الله عنده
 رجلاً باردة من قبل الشام فنادت اباهم فتقبض روح كل مؤمن وكل
 مسلم وصلى في شرا الناس بينها رجون فيها راجح اعم فعلهم تقوى الساعة
 كذلك في حديث النورين سفيان الطوري في تقدمه وفي حديث عبد
 ابن عمرو ثم رسل الله رجلاً باردة من قبل الشام فلا يبقى في الارض احد
 في قلبه شئ من خير ايمان الا قبضته حتى لو دخل احدكم كسرة
 جل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
 الحديث وقد تقدم بكما له وقته ذكر النفي والنفق والبعث وهذا
 غاية في البيان في كيفية القراض هذا الخلق وهذه الايمان فلا تقوم
 الساعة وفي الارض من يعرف الله هو من لا يقول الله و ذكر الوهم
 عن ابي الزاهرية عن كعب الا جاره قال سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خروج يا جرح وما جرح في الرخاء والخضك الدقة عشرين سنة حتى ان الرخاء
 ليجلان الزمانة الواحدة بينهما ويجلان الغنقود الواحد من الغنق
 فيكون على ذلك عشرين سنة ثم تبعث الله نعاير محاطية فلا تدع مؤمناً
 ولا مؤمنة الا قبضت روحه ثم يبعث في الناس بعد ذلك يتهارجون يتهارج



في المروح حق ياتنهم امر الله والساعة ونعم على ذلك ٥

كل كتاب

الذي كثر بحمد الله تعالى وكونه
وصلى الله على محمد وآله
وآله وصحبه وسلم
والله العظيم رب العرش العظيم ان يتوفنا مسلمين وان يجمعنا بالشهد والمصابين
وان يجعلنا من عباده المتقين المتقين الفايدين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
تفعل الله ما يشاء

و غفر لنا ذنوبنا وذنوب آبائنا وذنوب اولادنا
كتبه وقرأه وسمعه امين
امين آمين انه سمع
لدينا قريب
امين

وصلى الله على محمد وآله
والله العظيم رب العرش العظيم
الحي القيوم الذي لا يئس ولا يمل
و غفر لنا ذنوبنا وذنوب آبائنا وذنوب اولادنا

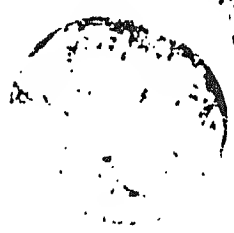
والله العظيم رب العرش العظيم
الحي القيوم الذي لا يئس ولا يمل
و غفر لنا ذنوبنا وذنوب آبائنا وذنوب اولادنا

امين
امين
امين

عدد اوراقه

٣٥١

٥٦



التكملة

في أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري البغدادي

(توفي ٦٧١ هـ)

المجلد الأول

اعداد مكتبة النعوت وفهارسة العلمية

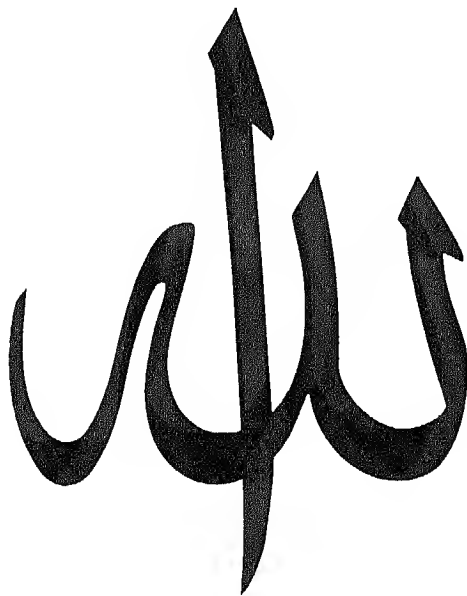
مفسر التحقيق بالدر

بإشراف د. فتحي نور الدين

تحقيق ورئاسة

محمد بن فتح السبي

دار الضميمة للتراث بطنطا



بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

(اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

يقول العبد الفقير إلى ربه . المتنصل (1) من ذنبه ، الراجي رحمة ربه :
محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي ،
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين : آمين .

الحمد لله العلي الأعلى ، الولي المولى الذي خلق فأحيا ، وحكم على
خلقه بالموت والفناء ، والبعث إلى دار الجزاء ، والفصل والقضاء ،
﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ (2) . كما قال في كتابه جل وعلا : ﴿ إنه من
يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى * ومن يأت مؤمنا قد
عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * جنات عدن تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ (3) .

وبعد : فإنني رأيت أن أكتب كتاباً وجيزاً ، يكون تذكرة لنفسي ،
وعملاً صالحاً بعد موتي ، في ذكر الموت ، وأحوال الموتى ، وذكر الحشر
والنشر ، والجنة والنار ، والفتن والأشرار ، نقلته من كتب الأئمة ، وثقات
أعلام هذه الأمة حسب ما رأيته ورويته ، وسترى ذلك منسوباً مبيناً ، إن شاء
الله تعالى . وسميته : (كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) وبوبته
باباً باباً ، وجعلت عقب كل باب فصلاً أو فصولاً ، نذكر فيه ما يحتاج إليه ،
من بيان غريب ، أو فقه في حديث ، أو إيضاح مشكل ، لتكمل فائدته ،
وتعظم منفعته ، إذ التفقه في حديث رسول الله ﷺ هو المعنى المقصود ،

1- المتنصل : تنصل من ذنبه أي خرج ، وتبرأ منه ، واسم الفاعل : المتنصل .

2- سورة طه من الآية : ١٥ .

3- سورة طه الآيات : ٧٤ - ٧٦ .

والرأى المحمود ، والعمل الموجود في المقام المحمود واليوم المشهود ، جعله الله خالصاً لوجهه ، ومقرباً من رحمته ، بمنه وكرمه . لا رب سواه ولا معبود إلا هو سبحانه .

باب النهي عن تمنى الموت والدعاء به لنزل في المال والجسد

١- (روى) مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي « أخرجه البخاري (أيضاً) .

٢- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت ، ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً » .

٣- (وقال) البخاري : « لا يتمنين أحدكم الموت : إما محسناً فله أن يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فله أن يستعيب » .

٤- (اليزار) عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تمنوا

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٥٦٧١) ، (٦٣٥١) ، ومسلم (٢٦٨٠) ، وأحمد (٣ / ١٠١ ، ١٩٥ ، ٢٠٨ ، ٢٨١) ، وابن أبي شيبة (١٠ / ٢٦٥) في مصنفه ، وأبو داود (٣١٠٨) ، (٣١٠٩) ، والترمذي (٩٧٠) ، والنسائي (٤ / ٣) وابن ماجه (٤٢٦٥) ، وابن حبان (٢ / ١٥٧ - ١٥٨) ، والبيهقي (٣ / ٣٧٧) في سننه الكبرى .

(٢) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٨٢) ، وأحمد (٢ / ٢١٦) ، وابن حبان (٥ / ٨) وعبد الرزاق (٢٦٣٦) في مصنفه ، والبيهقي (٣ / ٢٧٧) في سننه الكبرى .

(٣) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٧٢٣٥) وأحمد (٢ / ٣٠٩ ، ٥١٤) والنسائي (٤ / ٢) والدارمي (٢ / ٣١٣) في سننه وعبد الرزاق (٢٦٣٤) في مصنفه . والبيهقي (٣ / ٣٧٧) في سننه الكبرى .

(٤) حديث حسن : أخرجه أحمد (٣ / ٣٣٢) ، والبيهقي (١٠٥٨٩) في الشعب ، وابن عدى في الكامل (٦ / ٦٩) من طريق كثير بن زيد عن الحارث بن زيد أبي يزيد عن جابر

به

الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة .

٥- (فصل) قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار ، وهو من أعظم المصائب ، وقد سماه الله تعالى مصيبة ، في قوله (تعالى) ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ (٤) ﴾ فالمتوفى هو المصيبة العظمى والرزق الكبري . قال علماؤنا : وأعظم منه الغفلة عنه ، والإعراض

= مرفوعاً . قال الهيثمي : إسناده حسن ، انظر المجموع (١٠ / ٢٠٣ ، ٣٣٤) ، وكذا المنذرى في الترغيب (٤ / ٢٥٧) .

لكن في سنده الحارث بن أبي يزيد ، قال الألباني كما في الضعيفة (٨٨٥) : هذا إسناد ضعيف ، الحارث هذا لم يوثقه غير ابن حبان ، وقد اضطرب في اسمه ، فالسند ضعيف عندى . قلت : أخرجه ابن عدى (٦ / ٦٨) من طريق كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة عن جابر به .

وفي نسخة يرويه عن كثير بن أبي حازم ، وسليمان بن بلال وسفيان بن حمزة كما قال ابن عدى .

وابن رباح ، صدوق ، كما قال البخارى : حسن الحديث فالحديث لا ينزل عن درجة الحسن ، إن لم يرتق إلى الصحة ، والله أعلم .

(٥) حديث ضعيف . أخرجه البيهقي (٦ / ٣٤) في دلائل النبوة من حديث أبي سعيد الخدرى ، وفيه عطية العوفى من الضعفاء ، وابن طهمان ، صدوق اختلط لذا فقد قال الزبيدى كما في الإتحاف (١٠ / ٢٢٧) سند فيه ضعفاء .

٢- وأخرجه البيهقي (١٠٥٥٧) في شعب الإيمان ، والقضاعى فى مسند الشهاب كما فى الإتحاف (١٠ / ٢٢٧) من حديث أم حبيبة الجهنية .

وفى سنده عبد الله بن سلمة بن أسلم ، ضعفه الدار قطنى وغيره ، وقال أبو نعيم : متروك ، كما فى الميزان (٢ / ٤٣١) .

٣- وفى الباب مرسل الحسن بن صالح ، أخرجه ابن المبارك كما فى زوائد الزهد (١٥٢) ، ومعضل سفيان الثورى ، أخرجه أبو نعيم (٦ / ٣٩٢) فى الحلية .

4- سورة : المائدة الآية : ١٠٦ .

عن ذكره ، وقلة التفكير فيه ، وترك العمل له ، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر ، وفي خبر يروى عن النبي ﷺ : « لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمياً » .

٦- ويروى أن أعرابيا كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتاً ، فنزل الأعرابي عنه ، وجعل يطوف به ويتفكر فيه ، ويقول : مالك لا تقوم ؟ مالك لا تنبعث ؟ ، هذه أعضاؤك كاملة ، وجوارحك سالمة ، ما شأنك ؟ ما الذي كان يحملك ؟ ما الذي كان يبعثك ؟ ما الذي صرعت ؟ ما الذي عن الحركة منعتك ؟ ثم تركه وانصرف متفكراً في شأنه ، متعجباً من أمره ، وأنشدوا في بعض الشجعان مات حتف أنفه :

جاءته من قبل المنون (5) إشارة	فهوى صريعاً لليدين وللنم
ورمى بمحكم درعه وبرمحه	وامتد ملقى كالفنيق (6) الأعظم
لا يستجيب لصارخ إن يدعه	أبدأ ولا يرجي لخطب معظم
ذهبت بسالته ومر عرامه	لما رأى حبل المنية يرتقي (7)
يا ويحه من فارس ما باله	ذهبت مروته ولما يكلم
هذي يده وهذه أعضاؤه	ما منه من عضو غداً بمثل
هيهات ما حبل الردى محتاجة	للمشرفي ولا اللسان للهزم (8)
هي ويحكم أمر الإله وحكمه	والله يقضي بالقضاء المحكم

5- المنون والمنية: الموت وانقضاء الأجل من المن وهو القطع .

6- الفنيق : الجمل العظيم الجنة .

7- بسالته : شجاعته ، وإقدامه .

عرامه : شدته وقوته .

8- الردى : الهلاك والموت .

للمشرفي : الرمح وهو أداة من أدوات الحرب .

اللسان للهزم : المراد به السيف القاطع في جملته ، وقيل للهزيمة كل شيء قاطع .

يا حسرتا لو كان يقدر قدرها ومصيبة عظمت ولما تعظم
خبر علمنا كلنا بمكانه وكأننا في حالنا لم نعلم
٧- وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله في نواذر الأصول : حدثنا
قتيبة بن سعيد والخطيب بن سالم ، عن عبد العزيز الماجشون ، عن محمد بن
المنكدر قال : مات ابن لآدم عليه (الصلاة و) السلام فقال : يا حواء ، قد مات
ابنك ، فقالت : وما الموت ؟ قال : لا يأكل ولا يشرب ، ولا يقوم ولا يقعد ،
فَرُئْتُ* ، فقال آدم عليه السلام : عليك الرنة وعلى بناتك أنا وبنى منها
برآء .

٨- (فصله) : قوله : فلعله أن يستعتب . الاستعتاب : طلب العتبي ،
وهو الرضى ، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب ، قال
الجوهري : استعتب : طلب أن يعتب ، تقول : استعبتته فأعتبني ، أى
استرضيته فأرضاني ، وفي التنزيل فى حق الكافرين : ﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا
مِنْهُمْ مِنَ الْمَعْتَبِينَ ﴾ (٩) .

٩- وروى عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال : لا يتمنى أحدكم
الموت إلا ثلاثة : رجل جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى
عليه ، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل .

(٧) إسناده صحيح . والخبر من الإسرائيليات .

وأخرجه أبو نعيم (٣ / ١٤٨) فى الحلية من طريق محمود بن خدّاش عن الماجشون عن
ابن المنكدر رجّاله ثقات إلى ابن المنكدر ، والخبر من المقاطيع المروية عن بنى إسرائيل .
* فرئت : فصاحت صيحة حزينة .

٩- سورة : فصلت من الآية : ٢٤ .

(٩) انظر : شرح الصدور (ص / ١٦) للسيوطى .

١٠- وروى أن ملك الموت عليه (الصلاة و) السلام جاء إلى إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام خليل الرحمن عز وجل ليقبض روحه ، فقال : إبراهيم : يا ملك الموت هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله ؟ فعرج ملك الموت عليه الصلاة والسلام إلى ربه فقال : قل له : هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله ؟ فرجع فقال يقبض روحى الساعة .

١١- وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : ما من مؤمن إلا والموت خير له فمن لم يصدقنى فإن الله تعالى يقول : ﴿ وما عند الله خير للأبرار ﴾ (10) وقال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما على لهم خيراً لأنفسهم إنما على لهم ليزدادوا إثماً ﴾ (11)

١٢- وقال حيان بن الأسود : « الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب » .

(١٠) الخبر من الإسرائيليات . وصح بنحوه .

(١)- أخرجه أبو نعيم (٤ / ٢٧٨) فى الحلية من قول ابن جبير ، وأبو الشيخ فى العظمة (٤٥٠) من قول ابن المنكدر ، وأبو نعيم (٥ / ٣٧٥) ، وأبو الشيخ (٤٤٩) من قول كعب ، وأورده السيوطى فى شرح الصدور (ص / ١٦) بلفظه ، وعزاه إلى أحمد فى الزهد ، وأخرجه أبو نعيم (١٠ / ٩-٨) عن دكين الفزارى ، وسنده ضعيف ، والخلدى فى الفوائد (١٧) بتحقيقى عن ابن عباس ، ولكن سنده ضعيف جداً .

(١١) إسناده ضعيف . وصح عن ابن مسعود .

١- أخرجه ابن جرير (٤ / ١٤٦) فى تفسيره وفى سنده فرج بن فضالة ، وهو مدلس ، وقد رواه بالنعنة ، وعزاه السيوطى فى شرح الصدور (ص / ١٦) إلى سعيد بن منصور فى تفسيره .

٢- وأخرجه ابن أبي شيبة (١٣ / ٣٠٣) فى مصنفه ، وغيره عن ابن مسعود بسند صحيح بمثله ، وانظر : شرح الصدور (ص / ١٧) .

10- سورة : آل عمران من الآية : ١٩٨ .

11- سورة : آل عمران من الآية : ١٧٨ .

(١٢) أورده السيوطى فى شرح الصدور (ص / ١٦) ، وفى بشرى الكتيب (ص / ٢٠)

باب جواز تمنى الموت والطعام به خوف ذهاب الطين

قال الله عز وجل مخبراً عن يوسف عليه (الصلاة و) السلام: ﴿توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾⁽¹²⁾ وعن مريم عليها السلام في قولها: ﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾⁽¹³⁾.

١٣- وعن مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه ».

١٤- (فصله): قلت: لا تعارض بين هذه الترجمة والتي قبلها لما نبينه، أما يوسف عليه (الصلاة و) السلام. فقال قتادة: لم يتمن الموت أحد: نبي ولا غيره إلا يوسف عليه (الصلاة و) السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل، اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني﴾⁽¹⁴⁾ الآية، فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل، وقيل إن يوسف عليه (الصلاة و) السلام لم يتمن الموت وإنما تمنى (الوفاة) على الإسلام، أي إذا جاء أجلى توفني مسلماً. وهذا هو القول المختار في تأويل الآية عند أهل التأويل، والله أعلم.

12- سورة: يوسف من الآية: ١٠١.

13- سورة: مريم من الآية: ٢٣.

(١٣) حديث صحيح أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (٢٩٠٧) وأحمد (٢ / ٢٣٦، ٥٣٠)، وعبد الرزاق (٢٠٧٩٣)، وابن ماجه (٤٠٣٧)، والخطيب (٣ / ٣٤)، (١٠ / ٣٣) في تاريخه، وابن حبان (٨ / ١٠٩).

(١٤) خبر صحيح. أخرجه ابن جرير (١٣ / ٤٨) في تفسيره، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٩) إلى أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم في تفسيره.

14- سورة: يوسف من الآية: ١٠١.

وأما مريم عليها السلام فإنما تمتت الموت لوجهين :
أحدهما : أنها خافت أن يظن بها السوء في دينها وتعير ، فيفتنها
ذلك .

الثاني : لئلا يقع قوم بسببها في البهتان والزور ، والنسبة إلى الزنا ،
وذلك مهلك لهم ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى عز وجل في حق من افتري على عائشة رضي الله
عنها : ﴿ والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ (15) وقال :
﴿ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ (16) وقد اختلف في مريم عليها
السلام : هل هي صديقة لقوله تعالى : ﴿ وأمه صديقة ﴾ (17) أو نبيه لقوله
تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ (18) وقوله : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن
الله اصطفاك ﴾ (19) الآية ، وعليه فيكون الافتراء عليها أعظم والبهتان في
حقها أشد ، وفيه يكون الهلاك حقاً ، فعلى هذا الحد الذى ذكرناه من
التأويلين يكون تمنى الموت في حقها جائزاً ، والله أعلم .

وأما الحديث فإنما هو خبر : أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس ، من
فساد الحال في الدين ، وضعفه وخوف ذهابه ، لا لضر ينزل بالمرء في جسمه
أو غير ذلك ، من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطايا .

١٥ - ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله عليه (الصلاة و) السلام : « اللهم

15- سورة:النور من الآية : ١١ .

16- سورة:النور من الآية : ١٥ .

17- سورة:المائدة من الآية : ٧٥ .

18- سورة:مريم من الآية ١٧ .

19- سورة:آل عمران من الآية : ٤٢ .

(١٥) حديث صحيح أخرجه أحمد (١ / ٣٦٨) ، (٥ / ٢٣٤) ، والترمذى
(٣٢٣٣) ، (٣٢٣٥) ، ومالك (٥٠٩) فى الموطأ ، وابن أبى عاصم (١ / ٢٠٤) فى السنة ،
والطبرى (٧ / ١٦٢) فى تفسيره ، والطبرانى (٨١١٧) فى الكبير .
=

إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت - ويروى أدت - في الناس فتنة فاقبضني (20) إليك غير مفتون . رواه مالك .
١٦- ومثل هذا قول عمر رضى الله عنه : « اللهم قد ضعفت قوتي وكبرت سنى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقصر » فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رحمه الله ، رواه مالك أيضاً .

١٧ - وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد والاستذكار من حديث

= من حديث ابن عباس ، ومعاذ ، وأبى أمامة رضى الله عنهم ، وقد قام بشرحه وأبى ابن رجب الحنبلى فى كتابه « اختصار المألا الأعلى » ، وفى الباب عن ابن عايش ، وثوبان .

20 - اقبضنى إليك : أى أمتنى ، وخذنى إليك فهذا أفضل من الفتنة .

(١٦) خبر صحيح . أخرجه مالك (١٦٠١) فى الموطأ ، وأبو نعيم (١ / ٥٤) فى الحلية ، وابن سعد (٣ / ٣٣٥) فى الطبقات الكبرى ، وابن الأثير (٤ / ١٧٣) فى أسد الغابة ، من رواية عثمان بن أبى العاص ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصرى .
وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٢٠٦٣٨) عن سعيد بن أبى العاص ، وبرقم (٢٠٦٣٩) عن ابن المسيب .

(١٧) حديث صحيح . له طرق عديدة .

١- أخرجه أحمد (٣ / ٤٩٤) ، والطبرانى (١٨ / ٣٦) فى الكبير ، وابن عبد البر ، وابن مندة ، وأبو نعيم كما فى أسد الغابة (٣ / ١١٠) .

كلهم من طريق شريك عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عليم عن عابس به .
وفى سنده شريك وفى حفظه شىء ، وابن عمير من الضعفاء .

٢- وأخرجه البخارى (٧ / ٨٠) فى التاريخ الكبير ، والطبرانى (١٨ / ٣٦) فى الكبير من طريق ليث عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس به .

وفيه ليث حسن فى المتابعات ، ولكن ابن عمير الضعيف لازال فى الرواية .

٣- وأخرجه الطبرانى (١٨ / ٣٥) فى الكبير ، من طريق ابن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن عابس وابن زحر عن ابن يزيد عن القاسم نسخة ضعيفة .

٤- وأخرجه الطبرانى (١٨ / ٣٧) فى الكبير ، وابن شاهين كما فى الإصابة (٤ / ٢) من طريق عيسى بن يونس عن موسى الجهنى عن زاذان عن عابس به .

قال الهيثمى فى المجمع (٤ / ١٩٩) ، (٥ / ٢٤٥) : إسناد الكبير رجاله رجال الصحيح قلت : وهذا سند حسن وللحديث شواهد تراجع فى السلسلة الصحيحة (٩٧٨) .

زاذان (بن) عمر عن عليم الكندي قال : كنت جالساً مع عابس الغفاري على سطح فرأى ناساً يتحملون (21) من الطاعون فقال : يا طاعون ، خذني إليك (يقولها ثلاثاً) فقال عليم : لم تقول هذا ؟ ألم يقل رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعقب » فقال عابس : (إنما) سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بادروا بالموت ستاً : إمرة (22) السفهاء ، وكثرة الشرط * ، وبيع الحكم ، واستخفافاً بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشأ يتخذون القرآن مزامير * ، يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقهاً » .

وسياتي لهذا مزيد بيان في الفتن ، إن شاء الله تعالى » .

باب ذكر الموت [وفصله] والاستعداد له

١٨- النسائي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر هادم اللذات » يعني الموت ، أخرجه ابن ماجه ، والترمذي أيضاً .

21- يتحملون : يرتحلون ، ويغادرون وطنهم إلى غيره .

22- إمرة السفهاء : حصول السفهاء على الولاية العامة ، والسفيه هو : الذي لا يحسن تدبير أمر نفسه ، فكيف يحسن تدبير أمر غيره .

* الشرط : الجند .

* مزامير : جمع مزار ، وهو من آلات الغناء وتحسين الصوت .

(١٨) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) ، والنسائي (٤ / ٤) ، وابن ماجه (٤٢٥٨) ، وأحمد (٢٩٣ / ٢) ، وابن المبارك كما في زوائد الزهد (٣٧) ، وابن حبان (٤ / ٢٨٢ ، ٢٨٣) ، وأحمد في الزهد (ص / ٢٣) ، والحاكم (٤ / ٣٢١) وصححه على شرط مسلم ، وأقره الذهبي وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٥٩) ، (١٠٥٦٠) .

وفي الباب عن أنس ، أخرجه أبو نعيم (٩ / ٢٥٢) في الحلية ، والبيهقي (٨٢٦) ، (٨٢٧) في الشعب ، وعن ابن عمر أخرجه البيهقي (١٠٥٥٨) في الشعب ، وعن أبي سعيد الخدري (٨٢٨) في الشعب وغيرهم .

١٩- وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد (عن سعيد) بن المسيب عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات» قلنا يا رسول الله: وما هادم اللذات؟ قال: «الموت».

٢٠- ابن ماجه عن ابن عمر أنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار، فسلم على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أى المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً» قال: فأى المؤمنين أكيس (23)؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس» أخرجه مالك أيضاً، وسيأتى فى الفتن، إن شاء الله تعالى.

٢١- الترمذى عن شدداد بن أوس قال: قال النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله».

(١٩) حديث صحيح. انظر السابق.

(٢٠) حديث حسن. أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩)، وابن أبى الدنيا فى المكارم (٣) بتحقيقى، والطبرانى (١٣٥٣٦) فى الكبير، وفى الصغير (٢ / ٨٧). وقد جمع أحد الباحثين، وهو الشيخ محمد بن عمرو، بارك الله فى عمره، رسالة فى هذا الحديث بعنوان «القسطاس المستقيم» ذكر كل شواهد الحديث، ومتابعاته فليرجع إليها.

23- أكيس: أفطن، وأعقل.

(٢١) حديث ضعيف. أخرجه أحمد (١٢٤ / ٤) والترمذى (٢٥٧٧)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وابن أبى الدنيا (١) فى محاسبة النفس بتحقيقى، وابن المبارك (٥٦) فى الزهد، والحاكم (١ / ٥٧)، (٤ / ٢٥١)، والبغوى (١٤ / ٣٠٨، ٣٠٩) فى شرح السنة، وأبو نعيم (١ / ٢٦٧)، (٨ / ١٧٤)، والبيهقى (٣ / ٣٦٩) فى سننه الكبرى، وابن عدى (٢ / ٤٧٢) فى الكامل، والطبرانى (١ / ٧١٤١)، (٧١٤٣)، وفى مسند الشاميين (٤١٣)، (١٤٨٥) كلهم من حديث شدداد بن أوس، وفى سننه أبو بكر بن أبى مريم وهو من الضعفاء، وفى رواية للطبرانى وأبى نعيم عن إبراهيم السكسكى عن أبيه، وهو متهم بالوضع.

- ٢٢- وروى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثرُوا ذكر الموت ، فإنه يمحص الذنوب ، ويزهد في الدنيا » .
- ٢٣- وروى عنه عليه (الصلاة و) السلام أنه قال : « كفى بالموت واعظاً وكفى بالموت مفرقاً » .
- ٢٤- وقيل له : يا رسول الله : هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال : « نعم ، من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة » .
- ٢٥- وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليلبثكم أيكم أحسن عملاً ﴾ (٢٤) أي أكثركم للموت ذكراً ، وله أحسن استعداداً ، ومنه أشد خوفاً وحذراً .

(٢٢) حديث صحيح . انظر رقم (١٧) .

(٢٣) حديث ضعيف مرفوع . صحيح موقوف .

١- أخرجه الطبراني كما في المجموع (١٠ / ٣٠٨) ، والبيهقي (١٠٥٥٦) في الشعب ، وابن عساكر في التعزية (٦٣) بتحقيق كلهم من حديث عمار مرفوعاً به . وفي سننه الربيع بن بدر ، وهو من المتروكين .

أخرجه البيهقي (١٠٥٥٤) ، (١٠٥٥٥) مرسلًا عن الربيع بن أنس ، والحارث بن أبي أسامة مرسلًا عن عراك بن مالك كما في المطالب العالية (٢٧١٩) .

٣- أخرجه موقوفاً على ابن مسعود ابن المبارك كما في زوائد الزهد (٣٧) ، وعن عمار موقوفاً أخرجه أحمد (ص / ٢١٩) في الزهد ، وابن أبي الدنيا (٣١) في اليقين ، ومن قول الفضيل بن عياض أخرجه ابن عساكر في التعزية (٦٤) .

(٢٤) حديث ضعيف . رواه الطبراني في الأوسط كما في المجموع (٥ / ٣٠١) وقال الهيثمي : فيه من لم أعرفهم .

وقال العراقي كما في (٤ / ٢٩٠) المغني : لم أقف له على إسناد .

وكذا قال ابن السبكي كما في الإنحاف (٣٧٢١) .

(٢٥) خبر حسن أخرجه البيهقي (١٠٧٨٨) في الشعب ، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت كما في الدر المنثور (٦ / ٢٤٧) ، وشرح الصدور (ص / ١٦) ، وقد رواه البيهقي من طريقه .

24- سورة : الملك من الآية : ٢ .

٢٦- (فصله): قال علماؤنا رحمة الله عليهم: قوله عليه (الصلاة و) السلام: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات الموت» كلام مختصر وجيز قد جمع التذكيرة وأبلغ في الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه تمنيتها في المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففى قوله عليه الصلاة والسلام: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات» مع قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (25) ما يكفل السامع له، ويشغل الناظر فيه، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودى المال والولد (26)
لم تغن عن هرمرز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له	والإنس والجن فيما بينهما ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كل أوب (27) إليها وافد يفد؟
حوض هنالك مورود بلا كذب	لا بد من ورده يوماً كما وردوا

٢٧- (فصله): إذا ثبت ما ذكرناه، فاعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار

25- سورة: آل عمران من الآية: ١٨٥، والعنكبوت: من الآية: ٧٥.

26- يودى: يهلك ويفنى، والمراد: أن كل شيء إلى زوال ما خلا الله، فإنه سبحانه وتعالى

باق على الدوام.

27- من كل أوب: من كل اتجاه ومكان.

الآخرة الباقية ، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة ، ونعمة ومحنة ، فإن كان في حال ضيق ومحنة . فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه ، فإنه لا يدوم ، والموت أصعب منه ، أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها ، والسكون إليها ، لقطعه عنها . ولقد أحسن من قال :

اذكر الموت هادم اللذات وتجهز لمصرع سوف يأتي
وقال غيره :

واذكر الموت تجد راحة في اذكار الموت تقصير الأمل
٢٨- وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ، ولا زمن معلوم ، ولا مرض معلوم ، وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك ، مستعداً لذلك ، وكان بعض الصالحين ينادى بليل على سور المدينة : الرحيل ، الرحيل . فلما توفي فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه ، فقيل : إنه قد مات فقال :

ما زال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمال (28)
فأصابه متيقظاً متشمرأ ذا أهبة لم تلهمه الآمال

٢٩- وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : ويحك يا يزيد ، من ذا يصلي عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك ربك (بعد) الموت ؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ من الموت طالبه والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو

28- يلهج : يردد كلمة ما ، وأناخ : أى برك واستقر .

(٢٩) أخرجه أبو نعيم (٣ / ٥١) في الحلية من طريق سريج بن يونس عن أبي معاوية عن أبي إسحاق الحميس به .

وكذا أخرجه ابن الجوزي كما في صفة الصفوة (٣ / ٢٨٩) ، وفي سلوة الأحران (١٥٠) بتحقيقى ، وانظر : العاقبة (ص / ٣٣ - ٣٤) ، لعبد الحق الإشبيلي . وفي سننه الحميس ، وهو خازم بن حسين من الضعفاء .

مع هذا ينتظر الفرع الأكبر كيف يكون حاله ؟ ثم ييكي حتى يسقط مغشياً عليه .

٣٠- وقال التيمي : شيان قطعاً عنى لذة الدنيا : ذكر الموت ، وذكر الموقف بين يدي الله تعالى . وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت ، والقيامة ، والآخرة ، فيكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

٣١- وقال أبو نعيم : كان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً فإن سئل عن شيء قال : لا أدري لا أدري .

٣٢- وقال (ابن) أسباط : ذكر عند النبي ﷺ رجل فأثنى عليه ، فقال عليه (رسول الله عليه) السلام : « كيف ذكره للموت ؟ » فلم يذكر ذلك عنه ، فقال : « ما هو كما تقولون » .

(٣٠) الإحياء (٤ / ٤٣٥) والعاقبة (ص / ٣٣) لعبد الحق الإسميلي ، السير (٥ / ١٣٨) للذهبي .

(٣١) خير صحيح . أخرجه ابن أبي حاتم (١ / ٨٥) في الجرح والتعديل ، وأبو نعيم في الحلية (٧ / ٥٨) وأورده الذهبي (٧ / ٢٧٦) في السير ، والمناوي (ص / ٤٤) في مناقب الثوري .

(٣٢) حديث ضعيف . له طرق كالتالي :
١- حديث أنس ، أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » كما في المغني (٣٨٩٩) للعراقي ، وقال : سنده ضعيف .

ورواه البزار كما في المجمع (١٠ / ٣٠٩) وقال الهيثمي : فيه يوسف بن عطية وهو متروك حديث سهل بن سعد أخرجه الطبراني (١ / ٥٩٤١) في الكبير ، وفيه حاتم بن عباد في عداد المجهولين .

وقد حسنه الهيثمي في المجمع (١ / ٦١) مع أنه قال في الحديث الذي يليه : فيه حاتم بن عباد لم أر من ذكر له ترجمة ، وقال أيضاً (١ / ١٠٩) : حاتم بن عباد لم أعرفه .

٣٣- وقال الدقاق : من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء :
تججيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة
أشياء : تسويف التوبة* ، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة .
فتفكر يا مغرور فى الموت وسكراته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فيا
للموت من وعد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعدله ، وكفى بالموت مقرباً ،
ومبكياً للعيون ، ومفرقاً للجماعات ، وهادماً للذات ، وقاطعاً للأمنيات ، فهل
تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من
سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ،
وأخذت من فراشك ، وغطائك إلى عرر (29) ، وغطوك من بعد لين لحافك
بتراب ومدر (30) ، فيا جامع المال ، والمجتهد فى البنيان ، ليس لك والله من
مال إلا الأكفان ، بل هى والله للخراب والذهاب ، وجسمك للتراب
والمآب ، فأين الذى جمعه من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا ، بل
تركته إلى من لا يحمذك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك ، ولقد
أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة (31)﴾ أى : اطلب

= ٣- أخرجه ابن أبى شيبة (١٣ / ٢٢٦) فى مصنفه مرسلأ عن ابن سابط ، وابن المبارك فى
الزهد (٩٠) وأحمد (٤٧٢) فى الزهد معضلاً عن مالك بن مغول ، وأحمد (٢٤) فى الزهد ،
وأبو نعيم (٧ / ٢٩٩) فى الحلية معضلاً عن سفيان بن عيينة .
(٣٣) أورده السيوطى فى شرح الصدور (ص / ٢٠) نقلاً عن التذكرة للقرطبي .
* تسويف التوبة : تأخيرها .

29- العرر : القود ، والعرر أيضاً القتال والشدة فى الحرب ، فشتان بين الحرب والنوم فى
الفراش .

30- المدر : الطين أو الحجارة ، والمراد : تذكر يا ابن آدم الموت ، واعمل له من قبل أن يفجعك .

31- سورة : القصص من . الآية : ٧٧ .

فيما أعطاك الله في الدنيا ، الدار الآخرة وهي الجنة ، فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة ، لا في الطين ، والماء ، والتجبر ، والبغى ، فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن ، ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله : رداءان تلوى فيهما ، وحنوط^٢
وقال الآخر :

هي القناعة لا تبغى بها بدلاً فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن ؟

٣٤- (فصل) : وقوله عليه الصلاة والسلام : « الكيس من دان نفسه » دان : حاسب . وقيل : ذل . قال أبو عبيد : دان نفسه أى أذلها واستعبدها ، يقال : دنته أدينه ، إذا ذلته فيذل نفسه في عبادة الله سبحانه وتعالى ، عملاً يعده لما بعد الموت ، ولقاء الله تعالى ، وكذلك يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ، ويستعد لعاقبة أمره بصالح عمله ، والتنصل من سالف زلله ، وتذكر الله تعالى وطاعته في جميع أحواله ، فهذا هو الزاد ليوم المعاد ، والعاجز ضد الكيس ، والكيس : العاقل ، والعاجز : المقصر في الأمور ، فهو مع تقصيره في طاعة ربه ، واتباع شهوات نفسه متمن على الله أن يغفر له ، وهذا هو الاغترار فإن الله تعالى أمره ونهاه .

٣٥- وقال الحسن البصري : « إن قوماً ألتهتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول أحدهم : إني أحسن الظن بربي . وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل » وتلا قوله تعالى : ﴿ وذكركم ظنكم الذي

^٢ الحنوط : كل ما يطيب به الميت ، من مسك وغيره .

٣٩- وعن ابن ماجه ، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال :
« كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها ترهّد في الدنيا وتذكر
الآخرة » .

٤٠- (فصله) : زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء ،
مختلف فيه للنساء ، أما الشواب فحرام عليهن الخروج ، وأما القواعد فمباح
لهن ذلك ، وجائز ذلك لجميعهن إذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف
في هذا إن شاء الله تعالى ، وعلى هذا المعنى يكون قوله عليه الصلاة
والسلام : « زوروا القبور » عاماً ، وأما موضع أو وقت يخشى فيه الفتنة من
اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل ، فيينا الرجل يخرج ليعتبر فيقع
بصره على امرأة فيفتن ، وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال والنساء
مأزوراً (غير مأجور) وهذا واضح . والله أعلم .

٤١- وقد رأى بعض أهل العلم : أن لعن النبي ﷺ زوارات القبور
كان قبل أن يرخص في زيارة القبور ، فلما رخص دخل في رخصته الرجال
والنساء وما ذكرناه لك أولاً أصح ، والله أعلم .

(٣٩) حديث صحيح :

١- أخرجه ابن ماجه (١٥٧١) ، والحاكم (٣٧٥ / ١) ، والبيهقي (٧٧ / ٤) في سننه
الكبرى ، وفيه عن عنة ابن جريح ، وهو مدلس ، وأيوب بن هاني ، صدوق فيه لين ، وللحديث
شواهد .

١- حديث بريدة ، أخرجه مسلم (٩٧٧) ، (١٩٧٧) ، وأحمد (٣٥٥ / ٥) ، (٣٥٦ ،
٣٥٧) ، وابن أبي شيبه (٣ / ٣٤٢) ، والترمذي (١٠٥٤) ، والنسائي (٨ / ٣١١) ،
والحاكم (١ / ٣٧٦) ، والبيهقي (٧٣٤٢) ، (٩٢٨٧) في شعب الإيمان .

٢- وفي الباب عن أبي هريرة وأبي ذر ، وأنس ، وعائشة ، وأبي سعيد الخدري .
(٤١) يراجع أحكام الجنائز (ص / ١٧٨) للألباني ففيه بحث لطيف ، أجاد ، وأفاد فيه ،
جزاه الله خيراً .

٤٢- وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه خرج إلى المقبرة، فلما أشرف عليها قال: يا أهل القبور أخبرونا عنكم، أو نخبركم، أما خبر من قبلنا: فالمال قد اقتسم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا: لم نر زاداً خيراً من التقوى.

٤٣- ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم وأبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها فإتما الدنيا لهم معبر
لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخر
عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفجر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره فى كل ما يقضى وما يقدر

٤٤- «فصل»: قال العلماء رحمة الله عليهم: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها: الإقلاع⁽³³⁾ عما هى عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ (والتذكير)، والتخويف والترغيب، وأخبار الصالحين، إن ذلك مما

(٤٢) أوردته الشريف الرضى فى نهج البلاغة (ص / ٣٨٣).

(٤٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت كما فى شرح الصدور (ص / ٢٢)، وانظر الإحياء (٤ / ٤٣٦)، والعاقبة (ص / ٣٥).

33- الإقلاع: ألق عن الشيء تركه إلى غيره، والمراد العمل على تغيير طبيعتها.

يلين القلوب وينجع فيها .

الثاني : ذكر الموت ، فيكثر من ذكر هادم اللذات ، ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات ، كما تقدم فى الباب قبل ، يروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها ، فقالت لها : أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ، ففعلت ذلك فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها ، قال العلماء : تذكر الموت يردع عن المعاصى ، ويلين القلب القاسى ، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها .

الثالث : مشاهدة المحتضرين ، فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ، ونزعاته ، وتأمل صورته بعد مماته ، ما يقطع عن النفوس لذاتها ، ويطرد عن القلوب مسراتها ، ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ، ويعت على العمل ، ويزيد فى الاجتهاد والتعب .

٤٥- يروى أن الحسن البصرى دخل على مريض يعود فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله ، بغير اللون الذى خرج به من عندهم ، فقالوا له : الطعام يرحمك الله ، فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

فهذه ثلاثة أمور ينبغى لمن قسا قلبه ، ولزمه ذنبه ، أن يستعين بها على دواء دائه ، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه ، فإن انتفع بها فذاك ، وإن عظم عليه ران القلب ، واستحكمت فيه دواعى الذنب ، فزيارة قبور الموتى تبلغ فى دفع ذلك ما لا يبلغه الأول ، والثانى ، والثالث ، ولذلك قال

(٤٥) خبر حسن . أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (ص / ٣٣٠) ، وعنه أخرجه ابن الجوزى (٣ / ٣٤٥) فى الحقائق ، وانظر : العاقبة (ص / ٣٧) .

عليه (الصلاة والسلام) : « زوروا القبور فإنها تذكر الموت والآخرة ، وترهده في الدنيا » ، فالأول : سماع بالأذن ، والثاني : إخبار للقلب بما إليه المصير ، وقائم له مقام التخويف والتحذير في مشاهدة من احتضر ، وزيارة قبر من مات من المسلمين معانية ، فلذلك كانا أبلغ من الأول والثاني .

٤٦- قال عليه السلام : « ليس الخبر كالمعاينة » رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره إلا أن الاعتبار بحال المحتضرين غير ممكن في كل الأوقات ، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات ، وأما زيارة القبور : فوجودها أسرع ، والانتفاع بها أليق وأجدر ، فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ، ويحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداث⁽³⁴⁾ فقط ، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة ، ونعوذ بالله من ذلك ، بل يقصد بزيارته : وجه الله تعالى ، وإصلاح فساد قلبه ، أو نفع الميت مما يتلوه عنده من القرآن ، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . ويجتنب المشي على المقابر ، والجلوس عليها إذا دخل المقابر ، ويخلع نعليه . كما جاء في أحاديث ، ويسلم إذا دخل المقابر ، ويخاطبهم خطاب الحاضرين ، فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » ، وكذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول ، وكنى بالدار عن عمارها وسكانها ، ولذلك خاطبهم بالكاف والميم لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله ، وإذا وصل إلى قبر ميتة الذي يعرفه سلم عليه أيضاً فيقول : عليك السلام .

(٤٦) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١ / ٢١٥ ، ٢٧١) ، وابن حبان (٨ / ٣٢) ، وأبو الشيخ (٥) في الأمثال ، والحاكم (٢ / ٣٢١ ، ٣٨٠) وصححه ، وأقره الذهبي ، والطبراني (١٢٤٥١) في الكبير ، والأوسط كما في المجمع (١ / ١٥٣) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

وفي الباب عن أبي هريرة ، وأنس بن مالك رضي الله عنهما .

34- الأجداث : جمع جدث ، وهو القبر .

٤٧- روى الترمذى فى جامعه: أن رجلاً دخل على النبى ﷺ ، فقال: عليك السلام ، فقال ﷺ : « لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الميت » وليآته من تلقاء وجهه فى زيارته كمخاطبته حياً ، ولو خاطبه حياً لكان الأدب استقباله بوجهه ، فكذلك ههنا ، ثم يعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ، ونافس الأصحاب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ، فجاء الموت فى وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ، ودرج من أقرانه ، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترت فى القبور أجزاؤهم ، وترمل بعدهم نساؤهم ، وشمل ذل اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم .

٤٨- ولتذكر ترددهم فى المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ،

(٤٧) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (٤٠٨٤) ، (٥٢٠٩) ، والترمذى (٢٧٢٢) ، وأحمد (٤٨٢ / ٣ - ٤٨٣) ، وابن أبى شيبه (٨ / ٢٠٤ ، ٤٢٩) فى مصنفه ، والحاكم (٤ / ١٨٦) وصححه ، وأقره الذهبى ، والطياسى (١٢٠٨) مختصراً والطبرانى (٦٣٨٦) ، (٦٣٨٧) فى الكبير ، وانظر السلسلة الصحيحة (٣ / ١٠٠)

فائدة :

قال ابن القيم : كان من هدى النبى ﷺ أن يقول فى الابتداء : السلام عليكم ، ويكره أن يقول : عليكم السلام ، وأشكل هذا الحديث على طائفة وظنوه معارضاً لحديث أبى هريرة وعائشة وليس كذلك .

وإنما معنى قوله : « عليك السلام تحية الموتى » إخبار عن الواقع لا عن الشرع ، أى أن الشعراء ونحوهم يحيون الموتى به ، فكره النبى ﷺ أن يحيى بتحية الأموات وقال عياض : كانت عادة العرب فى تحية الموتى تأخير الاسم كقوله : عليه لعنة الله ، وغضبه عند الذم .
ونعقب بأن النص فى الملاعنة ورد بتقديم اللعنة والغضب على الاسم .
وانظر لتمام الفائدة : زاد المعاد لابن القيم ، وفتح البارى (١١ / ٥) .

وانخداعهم لمؤاتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب ، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردداً في أغراضه ، وكيف تهدمت رجلاه ، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه ، ويصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه ، ويضحك لمؤاتاة دهره وقد أبلت التراب أسنانه ، وليتحقق أن حاله كحاله ، ومآله كماله ، وعند هذا التذكر والاعتبار ، يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد في دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخضع جوارحه ، والله أعلم .

٤٩- (فصله) : جاء في هذا الباب : حديث يعارض حديث هذا الباب . وهو ما أخرجه أبو بكر أحمد بن علي الخطيب في كتاب « السابق واللاحق » وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب « الناسخ والمنسوخ » له في الحديث بإسناديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : « حج النبي ﷺ حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون* ، وهو باك حزين ، مغتم فبكيت لبكائه ﷺ ثم إنه طفر أي : وثب فنزل فقال : « يا حميراء استمسكي » فاستندت إلى جنب البعير . فمكث عني طويلاً ثم (إنه) عاد إلي وهو فرح مبتسم ، فقلت

(٤٩) حديث منكر ، وإسناده موضوع . أخرجه ابن شاهين ، والخطيب كما في اللآلئ المصنوعة (١ / ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

١- وأخرجه ابن عساكر في غرائب مالك كما في لسان الميزان (٤ / ٣٠٥) وقال : هذا الحديث منكر ، وحكم عليه بالوضع ابن الجوزي كما في الموضوعات (١ / ٢٨٣) ومدار الحديث عن عائشة على أحمد بن يحيى ، ورماه الدارقطني بالوضع .

٢- وقال ابن كثير في البداية (٢ / ٣٨١) حديث منكر جداً ، وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى ، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه ، والله أعلم .
* الحجون : جبل مشرف بمكة .

له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ، ثم إنك عدت إلي وأنت فرح مبتسم فغن ماذا يا رسول الله ؟ فقال : « مررت بقبر أمي آمنة فسألت الله ربي أن يحييها فأحيها فأمنت بي - أو قال - فأمنت وردها الله عز وجل » لفظ الخطيب ، وقد ذكر السهيلي في الروض الأنف بإسناد فيه مجهولون « أن الله تعالى أحيها له أباه وأمه وآمنابه » .

٥٠ - قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ولا تعارض والحمد لله ، لأن إحياءهما متأخر عن النهي بالاستغفار لهما ، بدليل حديث عائشة رضي الله عنها : أن ذلك كان في حجة الوداع وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار .

٥١ - قلت : وبينه حديث مسلم عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله ،

(٥٠) انظر : اللآلئ المصنوعة (١ / ٢٦٨) ، وتنزيه الشريعة (١ / ٣٣٣) لابن عراق ، فكلهما نقله عن القرطبي من التذكرة .

(٥١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٣٤٧) ، وأبو داود (٤٧١٨) ، وأحمد (٣ / ١١٩ ، ٢٦٨) والبيهقي (١ / ١٩١) في الدلائل وفي سننه الكبرى (٧ / ١٩٠) والطحاوي (٣ / ٢١٤) ، وأبو عوانة (١ / ٩٩) في مسنده ، وفي الباب عن حصين بن عتبة ، وعمران بن حصين .

قال البيهقي : (١ / ١٩٢) في الدلائل كيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة ، وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا ، ولم يدينوا دين عيسى عليه السلام ، وأمرهم لا يقدر في نسب رسول الله ﷺ لأن أنكحة الكفار صحيحة ، ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتهم إذا كان مثله يجوز في الإسلام .

** وقال النووي في شرح مسلم (٣ / ٧٩) : فيه أن من مات على الكفر فهو في النار ، ولا تنفعه قرابة المقرين .

وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار ، وليس هذا مواخذة قبل بلوغ الدعوة ، فإن هؤلاء كانت قد بلغت دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

وقوله ﷺ : « إن أبي وأباك في النار » هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة .

أين أبى؟ قال: «فى النار» فلما قفا دعاه قال: «إن أبى وأباك فى النار».

٥٢- وحديث سلمة بن يزيد الجعفى وفيه: فلما رأى ما دخل علينا قال: «وأمى مع أمكما» هذا إن صح إحيائهما، وقد سمعت: أن الله تعالى أحيأ له عمه أبا طالب وآمن به. والله أعلم.

٥٣- وقد قيل: إن الحديث فى إيمان أمه وأبيه موضوع يرد القرآن العظيم والإجماع، قال الله العظيم ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ (35) فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعاينة لم ينتفع فكيف بعد الإعادة؟.

٥٤- وفى التفسير أنه عليه (الصلاة والسلام) قال: ليت شعرى ما فعل أبواي؟ فنزل ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ (36).

(٥٢) قال أبو الطيب العظيم آبادى فى عون المعبود (٦ / ٣٢٤): كل ما ورد بإحياء والديه ﷺ وإيمانهما ونجاتهما أكثره موضوع مكذوب مفترى، وبعضه ضعيف جداً لا يصح بحال، لاتفاق أئمة الحديث على وضعه وضعفه كالدارقطنى، والجوزقانى وابن شاهين والخطيب وابن عساكر وابن ناصر الدين وابن الجوزى، والسهيلى، والقرطبى، والحب الطبرى، وابن سيد الناس، وإبراهيم الحلبي.

وقد بسط الكلام فى عدم نجا الوالدين العلامة إبراهيم الحلبي فى رسالة مستقلة له، والعلامة على القارى فى شرح الفقه الأكبر، فى رسالة مستقلة، ويشهد لصحة هذا المسلك هذا الحديث الصحيح.

(٥٣) انظر السابق.

35- سورة: النساء من الآية: ١٨.

(٥٤) حديث ضعيف. أخرجه ابن جرير فى تفسيره (١ / ٤٠٩) عن وكيع وعبد الرزاق الأول عن موسى بن عبيدة، والثانى عن الثورى عن ابن عبيدة عن محمد بن كعب به. فى سننه ابن عبيدة من الضعفاء، وإرسال ابن كعب.

وأورده السيوطى فى الدر المنثور مرسلأ عن ابن كعب، وعزاه إلى وكيع، وسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

وقال السيوطى: هذا مرسل، ضعيف الإسناد.

=

36- سورة: البقرة من الآية: ١١٩.

٥٥- قال المؤلف : ذكره الحافظ أبو الخطاب (محمد) بن دحية وفيه نظر ، وذلك أن فضائل النبي ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته ، فيكون هذا مما فضله الله تعالى وأكرمه به .

(و) ليس إحياءهما وإيمانهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه (الصلاة و) والسلام يحيى الموتى ، وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى وإذا ثبت هذا فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون ذلك خصوصاً فيمن مات كافراً ، وقوله: فمن مات كافراً إلى آخر كلامه مردود بما روى في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه عليه (الصلاة و) والسلام بعد مغيبها، ذكره أبو جعفر الطحاوي وقال: إنه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس

= ٢- أخرجه ابن جرير (١ / ٤٠٩) عن داود بن أبي عاصم معضلاً، وقال السيوطي معضل الإسناد ضعيف لا تقوم به حجة .

قال ابن جرير (١ / ٤٠٩) : فإن ظن ظان أن الخبر الذي روى عن محمد بن كعب صحيح فإن في استحالة الشك من الرسول ﷺ في أن أهل الشرك من أهل الجحيم ، وأن أبويه كانا منهم ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب إن كان الخبر عنه صحيحاً .

قال ابن كثير (١ / ١٦٢) : ولا يلزم ما ذكره ابن جرير ، والله أعلم .

(٥٥) انظر : تفسير القرطبي (٢ / ٦٤) .

قال أبو الطيب (٦ / ٣٢٤) في عون المعبود : الشيخ السيوطي قد خالف الحفاظ والعلماء المحققين وأثبت لهما الإيمان والنجاة ، فصنف الرسائل العديدة في ذلك .
والعلامة السيوطي متساهل جداً ، ولا عبرة بكلامه في هذا الباب ما لم يوافق كلام الأئمة النقاد .

وقال السندی : من يقول بنجاة والديه ﷺ يحمله على العم ، فإن اسم الأب يطلق على العم مع أن أبا طالب قد ربي رسول الله ﷺ فيستحق إطلاق اسم الأب . من تلك الجهة .
وهذا أيضاً كلام ضعيف باطل .

وقال بعض العلماء : التوقف في الباب هو الأسلم ، وهو كلام حسن ، والله أعلم .

نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه ، فكذلك يكون إحياء أبوى النبی ﷺ نافعاً لإيمانهما وتصديقهما بالنبي ﷺ وقد قبل الله (تعالى) إيمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب فيما ذكر في بعض الأقوال وهو ظاهر القرآن ، وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما وكونهما في العذاب . والله بغيبه أعلم وأحكم .

باب منه ، وما يقال عند دخول المقابر وجواز البكاء عندها

٥٦- أبو داود عن بريدة بن خصيب قال : قال رسول الله ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإن في زيارتها تذكيرة » ، وذكر النسائي عن بريدة أيضاً عن النبي ﷺ قال : « من أراد أن يزور قبراً فليزره ، ولا تقولوا « هجراً » بمعنى سوءاً .

٥٧- وذكر أبو عمر من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه ، فسلم عليه إلا رد عليه السلام » روى هكذا موقوفاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « فإن لم يعرفه وسلم ، رد عليه السلام » .

(٥٦) حديث صحيح . سبق تخريجه برقم (٣٧) .

(٥٧) حديث ضعيف مرفوع لا بأس به موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه .

حديث ابن عباس :

١- أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار (١ / ٢٣٤) والتمهيد كما في شرح الصدور (ص / ٢٠٢) والأهوال (ص / ٨٢) من طريق الربيع بن سليمان المؤذن عن بشر بن بكر عن الأوزاعي عن عطاء عن عبيد بن عمير عن ابن عباس به - :
وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢ / ٤٢٩) .

قال ابن رجب في أهوال القبور (ص / ٨٢) : أخرجه ابن عبد البر ، وقال الإشبيلي : إسناده صحيح ، يشير إلى أن رواه كلهم ثقات ، وهو كذلك إلا أنه غريب ، بل منكر . =

٥٨- مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : كيف أقول إذا دخلت المقابر ؟ قال : « قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمتأخرين ، ولنا إن شاء الله بكم لاحقون » أخرجه مسلم من حديث بريدة أيضاً ، وزاد : « أسأل الله لنا ولكم العافية » .

= وضعفه الألوسى فى الآيات البيئات (ص / ٧٠) وقال : ضعيف ، بل منكر ، وأقره الألبانى من حديث عائشة .

١- أخرجه ابن أبى الدنيا فى « القبور » كما فى الأهوال (ص / ٨٣) لابن رجب ، وقال العراقي (٤ / ٤٩١) فى المغنى : فى سنده ابن سمعان لم أقف على حاله ، وصححه عبد الحق . وقال ابن حجر فى اللسان (٣ / ٢٩٧) : يجوز أن يكون هو المخرج له فى بعض الكتب ، وهو عبد الله بن زياد بن سمعان ، ينسب إلى جده كثيراً ، وهو أحد الضعفاء . وقال الزبيدى فى الإتحاف (٤٠٣١) : إن كان هو عبد الله بن محمد بن أبى يحيى ، واسم أبيه سمعان ، فهو ثقة وهو الظاهر .

ويحتمل أن يكون هو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان ، أحد الضعفاء المشهورين ، اتهمه أبو داود بالكذب ، وهذا هو الذى استقر عليه السيوطي فى أمالى الدرة .

وقال ابن رجب فى الأهوال (ص / ٨٣) : ابن سمعان متروك . وقد أخرجه الديلمى كما فى الفردوس (٦٠٥٥) من حديث عائشة أيضاً حديث أبى هريرة .

١- أخرجه الخطيب (٦ / ١٢٧) فى تاريخه من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء عن أبى هريرة به مرفوعاً . وسنده ضعيف وهو شاذ ، فإن عبد الرحمن بن أسلم من الضعفاء وخالفه هشام بن سعد ، كما أخرجه البيهقى (٩٢٩٦) فى الشعب موقوفاً على أبى هريرة .

وهشام بن سعد يعد فى مرتبة صدوق له أو هام ، فمثله حسن الحديث .

(٥٨) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٧٤) ، وأحمد (٦ / ٧١ ، ٧٦ ، ١١١) ، (٢٢١ ، ١٨٠) والنسائى (٤ / ٩٣) ، وابن ماجه (١٥٤٧) ، وعبد الرزاق (٦٧٢٢) ، وابن أبى شيبه (٤ / ١٣٨) ، والبغوى (١٥٥٦) فى شرح السنة والبيهقى (٤ / ٧٩) فى سننه الكبرى .

وفى الباب عن أبى هريرة ، وبريدة رضى الله عنهما ، وكلاهما عند مسلم (٢٤٩) ، (٩٧٥) .

٥٩- وفي الصحيحين أنه عليه السلام مر بامرأة تبكي عند قبر لها فقال لها: « اتقى الله واصبري » الحديث .

٦٠- (فصل) : هذه الأحاديث تشتمل على فقه عظيم ، وهو جواز زيارة القبور للرجال والنساء والسلام عليها ، ورد الميت السلام على من يسلم عليه ، وجواز بكاء النساء عند القبر ، ولو كان بكاءهن وزيارتهم حراماً لنهى النبي ﷺ المرأة ولزجرها زجراً يزر مثله من أتى محرماً وأرتكب نهياً وما روى من نهى النساء عن زيارة القبور فغير صحيح ، والصحيح ما ذكرت لك من الإباحة ، إلا أن عمل النساء في خروجهن مما لا يجوز لهن من تبرج أو كلام أو غيره فذلك المنهى عنه . وقد ذكرت لك في الباب قبل الفرق بين المتجالة والشابة ، فتأمل ، وقد أبيح لك أن تبكي عند قبر ميتك حزناً عليه أو رحمة له مما بين يديه ، كما أبيح لك البكاء عند موته . والبكاء عند العرب يكون البكاء المعروف وتكون النياحة ، وقد يكون معهما الصياح ، وضرب الحدود وشق الجيوب . وهذا محرم بإجماع العلماء ، وهو الذي ورد فيه الوعيد من قوله عليه السلام : « أنا بريء ممن حلق و سلق ⁽³⁷⁾ و خرق » أخرجه مسلم .

(٥٩) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٩٣ / ٢) ، (٨١ / ٩) ، ومسلم (٦٢٦) وأحمد (١٤٣ / ٣) ، والترمذي (٩٨٧) ، (٩٨٨) ، والنسائي (٢٢ / ٤) ، وعبد الرزاق (٦٦٦٧) في مصنفه ، وابن أبي شيبة (٣ / ٣٨٨) ، والبيهقي (١٥٣٩) في شرح السنة ، والبيهقي (٤ / ٦٥ ، ٧٨) في سننه الكبرى .

(٦٠) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٠٤) ، والنسائي (٤ / ٢٠) ، وابن ماجه (١٥٨٦) ، وأحمد (٤ / ٣٩٧ ، ٤٠٤) ، وابن حبان (٥ / ٦١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤ / ٦٤) .

أما أثر عمر فقد أخرجه البخاري (١٢٩١) .

37- سلق : صاح ، ورفع صوته بالصراخ عند المصيبة .

وأما البكاء من غير نياحة فقد ورد فيه الإباحة عند القبر ، وعند الموت ، وهو بكاء الرأفة والرحمة التي لا يكاد يخلو منها إنسان ، وقد بكى النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم ، وقال عمر : دعهن يكين على أبي سلمان ما لم يكن نفع أو لقلقة » النفع : ارتفاع الصوت : والقلقة : تنابع ذلك . وقيل : النفع : وضع التراب على الرأس . والله أعلم .

باب المؤمن يموت بعرق الجبين

٦١- ابن ماجه عن بريده أن النبي ﷺ قال : « المؤمن يموت بعرق الجبين » أخرجه الترمذى وقال فيه : حديث حسن .

٦٢- وروى عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ارقبوا للميت عند موته ثلاثاً : إن رشح جبينه ، وذرفت عيناه ، وانتشر منخراه ، فهي رحمة من الله قد نزلت به ، وإن غط (38) غطيظ البكر الخنوق وخمد لونه . وازيد شذقاها . فهو عذاب من الله تعالى قد حل به » أخرجه أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى (نوارد الأصول) له .

٦٣- وقال : قال عبد الله : إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطايا

(٦١) حديث صحيح . أخرجه الترمذى (٩٨٢) ، والنسائى (٤ / ٦) ، وابن ماجه (١٤٥٢) ، وأحمد (٥ / ٣٥٧ ، ٣٦٠) ، والحاكم (١ / ٣٦١) وصححه وأقره الذهبى ، وأبو نعيم (٩ / ٢٢٣) فى الخلية ، والطيالسى (٨٠٨) كلهم عن بريده ، وكذا البيهقى (١٠٢١٣) فى الشعب وفى الباب عن سلمان ، وابن مسعود وغيرهما . (٦٢) حديث ضعيف . أخرجه الحكيم الترمذى (١٢٥) فى النوادر ، وقال العراقى فى المغنى (٤ / ٤٥٠) : لا يصح .

وقال الزبيدى فى الإتحاف (٣٩٥٥) : وكذلك رواه الخليلى فى مشيخته .

وأورده الإشبلى فى العاقبة (ص / ٧٩) بصيغة التضعيف يروى فى الخبر .

38- غط : ردد النفس فى خياشيمه .

(٦٣) صحيح موقوف . أخرجه الحكيم فى النوادر (ص / ١٢٥) .

فيجازف بها عند الموت أى يجازى ، فيعرق لذلك جبينه . وقال بعض العلماء :
إنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترف من مخالفته ، لأن ما سفلى منه قد مات ،
وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا ، والحياء فى العينين ، وذلك وقت
الحياء والكافر فى عمى عن هذا كله ، والموحد المعذب فى شغل عن هذا
بالعذاب الذى قد حل به . وإنما العرق الذى يظهر لمن حلت به الرحمة ، فإنه
ليس من ولي ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحى من ربه ، مع البشرى
والتحف والكرامات .

قلت : وقد تظهر العلامات الثلاث ، وقد تظهر واحدة وتظهر اثنتان ،
وقد شاهدنا عرق الجبين وحده ، وذلك بحسب تفاوت الناس فى الأعمال ،
والله أعلم .

٦٤- وفى حديث ابن مسعود : « موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه
البقية من الذنوب فيجازف بها عند الموت » أى يشدد لتمعص عنه ذنوبه .



- ١- أخرجه البيهقى بنحوه فى الشعب (١٠٢١٥) مرفوعاً وموقوفاً ، والموقوف أصح .
- ٢- أورده البغوى (٢٩٨ / ٥) فى شرح السنة موقوفاً على ابن مسعود .
- ٣- وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه ، والمروذى فى الجناز موقوفاً على ابن مسعود ، كما
فى شرح الصدور (ص / ٢٩) .
- (٦٤) حديث صحيح لغيره .
- ١- أخرجه أبو نعيم (٥ / ٥٩) فى الحلية ، والبزار كما فى المجمع (٢ / ٣٢٥) وقال
الهيثمى : فيه القاسم بن مطيب وهو متروك .
- ٢- وأخرجه البيهقى (١٠٢١٥) فى الشعب من طريق آخر ، وفيه ابن المصلى وهو ضعيف
يكاد أن يترك ، وأبو معشر فى عداد الضعفاء .
- ٣- ومن طريق آخر ، رواه الطبرانى فى الأوسط ، والكبير نحوه من حديث طويل ورجاله
ثقات ورجال الصحيح ، قاله الهيثمى فى المجمع (٢ / ٣٢٥) .
- ٤- فى الباب عن بريدة ، وسلمان ، وغيرهما ، انظر رقم (٦١) .

باب منه في خروج نفس المؤمن والكافر

٦٥- خرج أبو نعيم من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن نفس المؤمن تخرج رشحاً ، وإن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار ، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه ، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها » .

باب ما جاء أن للموت سكرات

وفي تسليم الأعضاء بعضها على بعض وفيما يطر الإنسان إليه

٦٦- وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت في أربع آيات :

(٦٥) صحيح موقوف . منكر مرفوع .

١- أخرجه مرفوعاً أبو نعيم في الحلية (٥ / ٥٩) ، والطبراني (١٠١٥) في الكبير من طريق القاسم بن مطيب عن الأعمش عن إبراهيم بمثله .
وفي سنده ابن مطيب ، قال الهيثمي في المجمع (٢ / ٢٢٦) : هو ضعيف وأخرجه الطبراني (١٠٠٤٩) في الكبير ، وفي الأوسط كما في المجمع (٢ / ٣٢٥) من طريق حسام بن مصك عن أبي معشر عن إبراهيم بمثله .

وقال الهيثمي : فيه حسام بن مصك ، وهو ضعيف .

٢- وأخرجه ابن أبي شيبه (٣ / ٢٤٨) عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود موقوفاً وسنده صحيح .

وأخرجه الطبراني (٨٨١٦) في الكبير ، من طريق عارم عن ابن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود موقوفاً ، وسنده حسن .

وأخرجه البيهقي (١٠٢١٦) في الشعب من طريق قبيصة عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن ابن زيد عن علقمة به موقوفاً .

(٦٦) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٥ / ٩) ، (٦ / ١٦) ، (٨ / ١٣٣) ، وعبد الرزاق (٩٧٥٤) في مصنفه ، والترمذي (١٠٨٧) ، والبيهقي (٧ / ٢٠٦) في دلائل النبوة .

الأولى : قوله الحق ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ (39).

الثانية: قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ (40).

الثالثة : قوله تعالى : ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ (41).

الرابعة (قوله) : ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ (42).

(روى) البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء . فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول « لا إله إلا الله، إن للموت سكرات » ثم نصب يديه فجعل يقول : « فى الرفيق الأعلى » حتى قبض ومالت يده .
٦٧- وخرج الترمذى عنها قالت : « ما أغبط أحدا بهون موت . بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ » .

٦٨- وفى البخارى عنها قالت : « مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى .

فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبى ﷺ. الحاقنة : المطمئن بين الترقوة والحلق ، والذاقة : نقرة الذقن . وقال الخطابى : الذاقة : ما تناله الذقن من الصدر .

39- سورة : ق من الآية : ١٩ .

40- سورة : الأنعام من الآية : ٩٣ . وغمرات الموت : شدائده .

41- سورة : الواقعة الآية : ٨٣ .

42- سورة : القيامة الآية : ٢٦ .

(٦٧) صح بنحوه أخرجه البخارى (٦ / ١٤) ، وأحمد (٤ / ٦٤) ، والنسائى (٤ / ٦ ، (٧) ، والترمذى (٩٨٦) ، والبيهقى (١٤٦٦) فى شرح السنة كلهم بلفظ « لا أكره شدة الموت لأحد أبداً » والباقي سواء والترمذى أخرجه بلفظ « ما أغبط .. » .
(٦٨) حديث صحيح . انظر السابق .

٦٩- وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «تحدثوا عن بني إسرائيل، فإنه كانت فيهم أعاجيب»، ثم أنشأ يحدثنا قال: «خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله (تعالى) يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت قال: فافعلوا، فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه بيضاء، أسود اللون خلا شيء، بين عينيه أثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم إلي؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن. فادعوا الله أن يعيدني كما كنت».

٧٠- وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال: حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله

(٦٩) حديث ضعيف. أخرجه وكيع (٥٦) في الزهد، وابن أبي شيبة (٦ / ٢٣٥) في مصنفه مختصراً، وأحمد في الزهد (ص / ٢٣)، والبخاري كما في مجمع الزوائد (١ / ١٩١)، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت كما في الأوهال (ص / ٦٩)، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن منيع والضياء في المختارة كما في الكنز (٤٢٧٥٧).

ومن طريق ابن أبي الدنيا أخرجه ابن الجوزي (٨٦) في الملقق بتحقيقى.

كلهم عن الربيع بن سعد الجعفى عن ابن سابط عن جابر.

والجعفى فى عداد المجهولين كما فى الجرح والتعديل (٣ / ٤٦٢)، والميزان (٢ / ٤٠).

وقال ابن كثير فى البداية (٢ / ١٣٣): حديث غريب، وقال ابن رجب (ص / ٧٠) فى الأوهال: القصة إنما هى حكاية ابن سابط عن النبي ﷺ كذا روى ابن عينة عن الربيع عن ابن سابط من قوله.

تنبيه: التحديث عن بنى إسرائيل قد صح من حديث أبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى، وابن عمرو.

(٧٠) حديث موضوع. أخرجه القشيرى (ص / ١٥٠) فى الرسالة، وأبو الفضل الطوسى فى «عيون الأخبار»، والديلمى كما فى شرح الصدور (ص / ٣٤)، والعراقى فى «الأربعين» كما فى المغنى (٤ / ٤٤٨) وقال «أبو هذبة هالك».

قلت: فى سنده إبراهيم بن هذبة، كذبه أبو حاتم، وعلى بن ثابت، وابن معين وغيرهم، وقال أحمد: لا شيء، وقال النسائى وغيره: متروك، انظر: الميزان (١ / ٧١-٧٢) وانظر: تذكرة الموضوعات (٢١٤)، تنزيه الشريعة (٣٧٥)، والإتحاف (٣٩٤٣).

ليسلم بعضها على بعض تقول : عليك السلام ، تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة .

٧١- وذكر المحاسبى فى « الرعاية » : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : « يا خليلي كيف وجدت الموت ؟ » قال : كسفود⁽⁴³⁾ محمى جعل فى صوف رطب ، ثم جذب قال : « أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم » .

٧٢- وروى أن موسى عليه (الصلاة و) السلام لما صار روحه إلى الله (تعالى) . قال له ربه . « يا موسى كيف وجدت الموت ؟ » قال : وجدت نفسى كالصفور الحى حين يقل على المقل لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وروى عنه أنه قال : وجدت نفسى كشاة تسليخ بيد القصاب وهى حية .

٧٣- وقال عيسى ابن مريم عليه (الصلاة و) السلام : « يا معشر الحوارين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة » يعنى سكرات الموت .

(٧١) إسناده حسن . والخبر من الإسرائيليات .

١- أخرجه أحمد (ص / ١٠٠) فى الزهد بسند حسن ، والمروزي فى الجنائز كما فى شرح الصدور (ص / ٣١) وابن أبي الدنيا فى ذكر الموت كما فى الإحياء (٤ / ٤٤٧) .

٢- أورده المحاسبى فى الرعاية (ص / ١٤٠ - ١٤١) ، وعبد الحق (ص / ٥٦) فى العاقبة والكافى فى منازل الأرواح (ص / ٣٧) بتحقيقى .

٤٣- كسفود : السفود : عود من حديد ذو شعب معقف فإذا أدخل فى الصوف المبلل تلبد به واستمسك وصعب تخليصه منه .

(٧٢) إسناده ضعيف . والخبر من الإسرائيليات .

١- أخرجه ابن أبي الدنيا فى « ذكر الموت » كما فى شرح الصدور (ص / ٣٢) أورده بصيغة التضعيف ، وأورده المحاسبى فى الرعاية (ص / ١٤١) ، وانظر : الإحياء (٤ / ٤٤٧) ، والعاقبة (ص / ٥٦) .

وفى الباب عن موسى عليه السلام بصيغة وصفة أخرى ، أخرجه أبو الشيخ (٤٧٦) فى العظمة بتحقيقى ، ولكن بسند ضعيف أيضاً .

(٧٣) أورده المحاسبى (ص / ١٤١) فى الرعاية ، وانظر : الإحياء (٤ / ٤٤٦) والعاقبة (ص / ٥٥) ، والحدائق (٣ / ٤٣٦) لابن الجوزى .

٧٤- وروى : أن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ،
وقرض بالمقاريض .

٧٥- وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب « الحلية » من حديث مكحول ،
عن وائلة بن الأسقع عن النبي ﷺ أنه قال : « والذى نفسى بيده لمعينة ملك
الموت أشد من ألف ضربة بالسيوف » وسيأتى بكماله إن شاء الله تعالى .

٧٦- وفى الخبر من حديث حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن
النبي ﷺ « أن الملائكة تكتنف العبد ، وتحبسه ، ولولا ذلك لكان يعدو فى
الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت » وجاءت الرواية بأن ملك
الموت عليه (الصلاة و) السلام : إذا تولى الله قبض نفسه بعد موت الخلائق
يقول : « وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن »
ذكره القاضى أبو بكر بن العربى .

(٧٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى « ذكر الموت » من قول شداد بن أوس ، ووهب بن منبه
كما فى شرح الصدور (ص / ٣٣) ، وانظر : الإحياء (٤ / ٤٤٧) ، والإتحاف (٣٩٣٣) .
(٧٥) حديث ضعيف أخرجه أبو نعيم (٥ / ١٨٦) فى الحلية وقال : غريب من حديث
مكحول فى سنده أحمد بن أبى الطيب ، صدوق له أغلاط ، ضعفها بسببها أبو حاتم وانظر :
الميزان (١ / ١٠٢) ، والتقريب (ص / ٨٠) .

وفى سنده ابن عباس ، وهو صدوق فى روايته عن أهل بلده ، مخلط فى غيرهم وشيخه فى
هذا الحديث بصرى ، وابن عياش حمصى كما هو معروف .

وفى سنده عتبة بن حميد ، قال أبو حاتم : صالح الحديث ، وضعفه أحمد ، فهو فى مرتبة
الصدوق صاحب الأوهام ، انظر : الميزان (٣ / ٢٨) التقريب (ص / ٣٨٠) وفيه انقطاع ،
فإن مكحولاً لم يسمع من وائلة كما قال أبو حاتم فى المراسيل (ص / ١٦٥ - ١٦٦) ،
وأخرجه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده مرسل عن ابن يسار كما فى شرح الصدور (ص /
٣٤) ، وفى الباب عن أبى حسين البرجمى ولا يصح الإتحاف (٣٩٥٤) (٧٦) .
(٧٦) حديث ضعيف : تفرد به أحمد فى « الزهد » كما فى إتحاف السادة .

٧٧- وعن شهر بن حوشب قال : سئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته ؟ فقال : « إن أهون الموت بمنزلة حسكة (44) كانت في صوف ، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف » ؟ .

٧٨- قال شهر : ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه : يا أبتاه، إنك لتقول لنا : ليتني كنت ألقى رجلاً عاقلاً لبياً عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد ، وأنت ذلك الرجل ، فصف لي الموت ، فقال : يا بني والله كأن جنبي في تخت (45) . وكأني أتنفس من سم إبرة . وكأن غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي . ثم أنشأ يقول :

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في تلال الجبال أرعى الوعولاً

٧٩- وعن أبي ميسرة رفعه قال : « لو أن ألم شعرة من الميت وضع على أهل السماء والأرض ماتوا جميعاً » وأنشدوا :

(٧٧) حديث ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » مرسلًا عن شهر بن حوشب كما في المغني للعراقي (٤ / ٤٤٧) ، وشرح الصدور (ص / ٣٢) للسيوطي . وقال ابن السبكي (٦ / ٣٨٢) : لم أجده إسناداً ، قلت : لعله يقصد مرفوعاً .
44 - الحسكة : نبات ذو شوك يعلق بالصوف وغيره .

(٧٨) الخبر صحيح ، وإسناده ضعيف . أخرجه ابن سعد (٤ / ٢٦٠) في طبقاته ، وفي سننه ابن الكلبي من الضعفاء ، وأورده ابن الجوزي (٣ / ٤٤٣) في الحقائق ، والذهبي (٣ / ٧٥) في السير ، والذي أورده المصنف فيه شهر بن حوشب ، وهو من الضعفاء ، وله طريق آخر عن أبي عاصم عن حيوة بن شريح عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماس ، وسنده جيد ، كما في الإتحاف (١٤ / ٨٤) .

45- تخت : وعاء كبير تحفظ فيه الثياب .

الوعول : ذكر الأروى وهو الشاة الجبلية .

(٧٩) حديث ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » عن أبي ميسرة مرسلًا كما قال العراقي (٤ / ٤٤٧) ، وكذا عن مكحول الشامى . قال ابن السبكي (٦ / ٣٨٢) : لم أجده إسناداً . وعزه السيوطي في شرح الصدور (ص / ٣٢) للمروزي في الجنائز . وأخرجه ابن الجوزي معضلاً في المقلق (١٠١) بسند ضعيف .

التذكيرة

باب ما جاء أنَّ للموت سكرات،

أذكر الموت ولا أرهبه
أطلب الدنيا كأني خالد
وكفى بالموت فاعلم واعظا
والمنايا حوله ترصده
٨٠- وقال آخر:

بيننا الفتى مرح الخطا فرح بما
إذ قيل: بات بليلة ما نا مها
إذ قيل: أصبح شاخصاً وموجها
يسعى له إذ قيل: قد مرض الفتى
إذ قيل: أصبح مثخناً⁽⁴⁶⁾ ما يرتجى
ومعللاً إذ قيل: أصبح قد قضى

٨١- (فصله) أيها الناس: قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه، وحن
للغافل أن يتنبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة (كؤوسه)، وقبل سكون
حركاته، وخمود أنفاسه، ورحلته إلى قبره، ومقامه بين أرماسه.

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أناس من أصحابه يوصيهم
فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم:

«أما بعد: فإنني أوصيكم بتقوى الله العظيم، والمراقبة له، واتخذوا
التقوى والورع زاداً، فإنكم في دار عما قريب تنقلب بأهلها، والله في
عرصات القيامة وأهوالها. يسألكم عن الفتيل والنكير، فالله الله عباد الله،
اذكروا الموت الذي لا بد منه، واسمعوا قول الله (سبحانه وتعالى): ﴿كل
نفس ذائقة الموت﴾⁽⁴⁸⁾. وقوله عز وجل: ﴿كل من عليها فان﴾⁽⁴⁹⁾.

وقوله عز وجل: ﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم﴾

46- يقفو الأثر: يتبع الأثر، والمراد أن الموت سائر على أثره يتبعه حتى إذا جاء الأجل أدركه.

47- مثخناً: المثخن من أعياء المرض ووهنه فهو مغلوب من المرض، مثقل منه.

48- سورة: آل عمران من الآية: ١٨٥.

49- سورة: الرحمن الآية: ٢٦.

وأدبارهم⁽⁵⁰⁾ فقد بلغنى - والله أعلم - أنهم يضربون بسياط من نار .
وقال جل ذكره : ﴿ قد يتوفاكم ملك الموت الذى وكد بكم ثم إلى ربكم ترجعون⁽⁵¹⁾ ﴾ .

٨٢- وقد بلغنى - والله أعلم وأحكم - أن ملك الموت رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض وأن الدنيا كلها فى يد ملك الموت كالقصة بين يدي أحدكم يأكل منها .

وقد بلغنى - والله أعلم وأحكم - أن ملك الموت ينظر فى وجه كل آدمى ثلاثمائة نظرة وستاً وستين نظرة ، وبلغنى أن ملك الموت ينظر فى كل بيت تحت ظل السماء ستمائة مرة ، وبلغنى أن ملك الموت قائم وسط الدنيا فينظر الدنيا كلها برها وبحرها وجبالها وهى بين يديه كالبيضة بين رجلى أحدكم ، وبلغنى أن لملك الموت أعواناً الله أعلم بهم ليس منهم ملك إلا لو أذن له أن يلتقم السماوات والأرض فى لقمة واحدة لفعل ، وبلغنى أن ملك الموت تفرغ منه الملائكة أشد من فرع أحدكم من السبع . وبلغنى أن حملة العرش إذا قرب ملك الموت من أحدهم ذاب حتى يصير مثل الشعرة من الفزع منه ، وبلغنى أن ملك الموت ينتزع روح بنى آدم من تحت عضوه وظفره وعروقه وشعره ولا تصل الروح من مفصل إلى مفصل إلا كان أشد عليه من ألف ضربة بالسيف . وبلغنى أنه لو وضع وجع شعرة من الميت على السماوات والأرض لأذابها ، حتى إذا بلغت الحلقوم ولى القبض ملك

50- سورة: محمد من الآية : ٢٧ .

51- سورة: السجدة الآية : ١١

(٨٢) انظر العظمة لأبى الشيخ (٤٣٢) إلى (٤٧٧) بتحقيقى ، وشرح الصدور (ص /

٤١-٥٢) ، الحياثك (ص / ٣٥-٤٨) وكلاهما للسيوطى .

الموت، وبلغنى أن ملك الموت إذا قبض روح المؤمن جعلها فى حريرة بيضاء ومسك أذفر⁽⁵²⁾، وإذا قبض روح الكافر جعلها فى خرقة سوداء فى فخار من نار أشد نتنا من الجيف .

٨٣- وفى الخبر: أنه إذا دنت منية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة : ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى (وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى)، والنفس تنسل انسلال القطرة من السقاء وهم يجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع. والكافر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبتل . ذكره أبو حامد فى : «كشف علوم الآخرة» فمثل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات ، فمن قائل يقول : إن فلاناً قد أوصى ، وماله قد أحصى ، ومن قائل يقول : إن فلاناً ثقل لسانه ، فلا يعرف جيرانه ، ولا يكلم إخوانه ، فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب ، ولا تقدر على رد الجواب، ثم تبكى ابتك وهى كالأسيرة ، وتتضرع وتقول : حبيبى أبى من ليتمى من بعدك ؟ ومن حاجتى ؟ وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب وأنشدوا :

وأقبلت الصغرى تمرغ خدها على وجنتى حيناً وحيناً على صدرى
وتخمش خديها وتبكى بحرقة تنادى : أبى إمنى غلبت على الصبر
حبيبى أبى «من لليتامى تركتهم كأفراخ زغب فى بعيد من الوكر»⁽⁵³⁾ .

٨٤- فخيّل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك ، إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل ، وألبست الأكفان ، وأوحش منك الأهل

52- أذفر : شديد الرائحة طيبها .

(٨٣) انظر السابق .

53- زغب : صغار الريش من الفرخ وغيره ، والوكر : العش أو البيت .

والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل أين زوجة فلان تحالله ؟ وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبداً ؟ وأنشدوا :
 ألا أيها المغرور مالك تلعب تؤمل آمالاً وموتك أقرب
 وتعلم أن الحرص بحر مبعده سفينته الدنيا فيايك تعطب
 وتعلم أن الموت ينقض مسرعاً عليك يقيناً طعمه ليس يعذب
 كأنك توصى واليتامى تراهم وأمهم الثكلى تنوح وتندب
 تغص بحزن ثم تلطم وجهها يراها رجال بعد ما هي تحجب
 وأقبل بالأكفان نحوك قاصد ويحشى عليك التراب والعين تسكب

٨٥- (فصله) : قول عائشة رضي الله عنها : « كانت بين يديه ركوة أو علبة » العلبة : قدح من خشب ضخمة يحلب فيه ، (قاله) ابن فارس في « المجلد » وقال الجوهري في « الصحاح » العلبة محلّب من جلد ، والجمع : علب وعلاب ، والمعلّب الذي يتخذها .
 قال الكميت يصف خيلاً :

سقيناً دماً القوم طوراً ، وتارة صبوحاً لإقتار الجلود المعلّب
 وقيل : أسفله جلد وأعلاه خشب مدور مثل إطار الغربال ، وهو الدائر به ، وقيل : هو عس يحلب فيه ، والعس : القدح الضخم ، وقال اللغوي أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري في كتاب « التلخيص » له :
 والعلبة : قدح للأعراب مثل العس ، والعس يتخذ من جنب جلد البعير والجمع : علاب ، وقوله : « إن للموت سكرات » أي شدائد ، وسكرة الموت شدته .

٨٦- (فصله) : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فما لنا عن ذكره مشغولين ؟

وعن الاستعداد له متخلفين؟ ﴿قد هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون﴾⁽⁵⁴⁾ قالوا : وما جرى على الأنبياء صلوات الله (وسلامه) عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته ، فله فائدتان :

إحداهما : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً ، ويرى سهولة خروج روحه ، فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه ؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم : شدة ألمه ، مع كرامتهم على الله تعالى وتهوينه على بعضهم ، قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه ، ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما يأتى ذكره .

٨٧- الثانية : ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء : أحباب الله ، وأنبياءه ورسله ، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة ؟ وهو سبحانه قادر أن يخفف عنهم أجمعين ، كما قال فى قصة إبراهيم : « أما إنا قد هونا عليك » . فالجواب : « أن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » كما قال نبينا عليه (الصلاة و) السلام . خرج البخارى ، وغيره ، فأحب الله أن يبتليهم تكميلاً لفضائلهم لديه ، ورفعة لدرجاتهم عنده ، وليس ذلك فى حقهم نقصاً ، ولا عذاباً ، بل هو كما قال ، كمال رفعة ، مع رضاهم بجميل ما يجرى الله عليهم ، فأراد الحق ، سبحانه ، أن يختتم لهم بهذه الشدائد ، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ، ليرفع منازلهم ، ويعظم أجورهم قبل موتهم .

(٨٦) انظر شرح الصدور (ص / ٣٥) نقلاً عن القرطبي .

54- سورة : ص الآيتان : ٦٧- ٦٨ .

(٨٧) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٦ / ٣٦٩) ، وابن سعد (٨ / ٣٢٥) فى =

كما ابتلى إبراهيم بالنار ، وموسى بالخوف والأسفار ، وعيسى بالصحارى والقفار ، ونبينا محمداً ﷺ بالفقر فى الدنيا ومقاتلة الكفار ، كل ذلك لرفعة فى أحوالهم ، وكمال فى درجاتهم ، ولا يفهم من هذا أن الله شدد عليهم أكثر مما شدد على العصاة المخلطين فإن ذلك عقوبة لهم ، ومؤاخذه على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا .

٨٨- (فصله) : إن قال قائل : كل المخلوقات تجد هذه السكرات ؟ قيل له : قال بعض العلماء : قد وجب بحكم القول الصدق ، والكلمة الحق ، أن الكأس مر المذاق ، وإن قد ذيق ويذاق ولكن ثم فريقان ، وتقديرات وأوزان ، وإن الله سبحانه وتعالى لما انفرد بالبقاء وحده لا شريك له وأجرى سنة الهلاك والفناء على الخلق دونه ، خالف فى ذلك جل جلاله بين المخلوقات ، وفرق بين المحسوسات ، بحسب ما خالف بين المنازل والدرجات ، فنوع أراضى حيوانى ، إنسانى وغير إنسانى وفوقه عالم روحانى وملاً علوانى رضوانى ، كل يشرب من ذلك الكأس جرعته ، ويغتص منه غصته ، قال الله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٥٥) .

=طبقاته ، والحاكم (٤ / ٤٠٤) ، وابن الأثير فى أسد الغابة (٧ / ٢٣٣) ، والضياء (٩) فى الطب النبوى بتحقيقى .

وفى سنده أبو عبيدة بن حذيفة ، وهو مقبول ، كما فى التقريب (٢ / ٤٤٨) فقد وثقه ابن حبان فقط .

وله شاهد من حديث سعد ، أخرجه أحمد (١ / ١٧٢ ، ١٧٤) ، والترمذى (٢٥٠٩) ، وابن ماجه (٢٠٢٣) ، والدارمى (٢ / ٣٢٠) ، وابن حبان (٢٩١٠) والحاكم (١ / ٤٠) ، (٤١) .

وفى الباب عن أبى سعيد وأبى هريرة راجع الطب النبوى للضياء (ص / ٢٦) .
55- سورة : آل عمران من الآية : ١٨٥ .

٨٩ - قال أبو حامد في كتاب « كشف علوم الآخرة » : وثبت ذلك في ثلاثة مواضع من كتابه ، وإنما أراد سبحانه بالموتات الثلاث للعالمين : فالمتحيز إلى العالم الدنيوي يموت ، والمتحيز إلى العالم الملكوتي يموت ، والمتحيز إلى العالم الجبروتي يموت .
فالأول آدم وذريته وجميع الحيوان على ضروبه (الثلاث) ، والملكوتي وهو الثاني : أصناف الملائكة والجن ، وأهل الجبروت وهم المصطفون من الملائكة .

قال الله تعالى: ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾⁽⁵⁶⁾ فهم كروبيون وحملة العرش وأصحاب سر دقات الجلال وصفهم الله (تعالى) في كتابه وأثنى عليهم حيث يقول : ﴿ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾⁽⁵⁷⁾ وهم أهل حضرة القدس المعنيون بقوله تعالى : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذنا من لدنا إنا كنا فاعلين ﴾⁽⁵⁸⁾ وهم يموتون على هذه المكانة من الله تعالى والقربة ، وليس زلفاهم بمانع لهم من الموت .

٩٠ - قال ابن قسي : وكما تفرقت الطرق بهذه العوالم كذلك تفرقت طرق الإحساسات في اجتراع الغصص والمرارات ، فإحساس روحاني للروحانيات كما يجده النائم في سنته ، أو الغصة الوجيعة تغصه

56 سورة : الحج من الآية : ٧٥ .

57 - سورة : الأنبياء الآيتان : ١٩ ، ٢٠ .

58 - سورة : الأنبياء الآيتان : ١٧ .

في نومته فيغص منها في حال رقدته ، ويتململ ذلك إلى حين يقظته ، حتى إذا استيقظ لم يجده شيئاً ووجد الأنس عنده فأزال ألمه ، ووافاه أمانه ونعمه ، وإحساس علوى قدسى كما يجده الوسنان من الروحانية ، وهو ما لا يدركه العقل البشرى إلا توهماً ولا يبلغه التحصيل إلا تخيلاً وتوسماً وإحساس بشرى سفلى ، إنسى وجنى ، وهو ما لا يكاد أن توصف شدائده ، وغصبه ، فكيف وقد قالوا بالغصة الواحدة منه كألف ضربة بالسيف فما عسى أن ينعت ويوصف هذا الذي لا يمكن أن يعرف ؟ والخلق أيضاً في هذا الإحساس فرق ، يختلفون باختلاف المنازل والطرق ، فالفرقة الإسلامية في نفسها لا تجد منه ما تجد غير الإسلامية ، ثم الإسلامية نفسها لا تجد منه النبوية ، كما تجد التبعية ، ثم النبوية في ذاتها ومقامات إحساساتها تختلف على حكم الكلمة وصدق القيل باختلاف التقديم والتفضيل ، قال الله تعالى: ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كمل الله ورفع بعضهم درجات ﴾⁽⁵⁹⁾ الآية وقد نبهت الخلة الذاتية عزت سبحانه ، وتقدس صفاتها ، على خفة ذلك عن إبراهيم وأشارت إلى تهوين الأمر عليه ، وتبين ما خفف عنه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : « أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم » وما وصفه الحق جل جلاله بالهون فلا أهون منه ، كما (أن) ما كبره وعظمه ، فلا أكبر ولا أعظم منه ، ولا فرق بين أن قال : موتاً هيناً و(يسيراً) وملكاً عظيماً كبيراً ، وقال في نعيم الجنة : ﴿ وإذا رأيت ثمر رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾⁽⁶⁰⁾ فكما أنه لا أكبر من ملك الجنة . كذلك لا أهون من موت الخلة ، والله أعلم .

95- سورة: البقرة من الآية ٢٥٣ .

60- سورة : الإنسان الآية : ٢٠ .

٩١- (فصله) : إذا ثبت ما ذكرناه ، فاعلم : أن الموت هو الخطب الأفطع ، والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأبشع ، وأنه الحارث الأهدم للذات ، والأقطع للراحات ، والأجلب للكريهات ، فإن أمراً يقطع أوصالك ، ويفرق أعضائك ، ويهدم أركانك ، لهو الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، وإن يومه لهو اليوم العظيم .

٩٢- (فصله) أن الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً وأمر أن يعرض عليه مأؤه أى : بوله مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء ، فجعل يستعرض القوارير ، حتى رأى قارورة الرشيد فقال : قولوا لصاحب هذا الماء يوصى ، فإنه قد انحلت قواه ، وتداغت بنيته ، ولما استعرض باقى المياه أقيم فذهب ، فيئس الرشيد من نفسه (وأنشد) :

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع نحب⁽⁶¹⁾ قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوى ، والمداوى والذى جلب الدواء وباعه ومن اشترى
٩٣- (فصله) أن الناس أرجفوا بموته ، فاستدعى حماراً وأمر أن يحمل عليه فاسترخت فخذه ، فقال : أنزلونى ، صدق المرجفون ودعا بأكفان فتخير منها ما أعجبه ، وأمر فشق له قبر أمام فراشه ثم اطلع فيه فقال : ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيه . فمات من ليلته ، فما ظنك - رحمك الله - بنازل ينزل بك فيذهب رونقك وبهاك ويغير منظرك ورؤياك ، ويمحو صورتك وجمالك ، ويمنع من اجتماعك واتصالك ، ويردك بعد النعمة والنصرة ، والسطوة والقدرة ، والنخوة والعزة إلى حالة

(٩٢) انظر : العاقبة (ص / ٧١) .

61- النحب : الأجل « الموت » .

(٩٣) انظر : الإحياء (٤ / ٤٦٥) ، والعاقبة (ص / ٧١) ، ومنازل الأرواح (ص /

(٤٣) .

يبادر فيها أحب الناس إليك ، وأرحمهم بك ، وأعطفهم عليك ، فيقذفك في حفرة من الأرض قريبة أنحاؤها ، مظلمة أرجاؤها ، محكم عليك حجرها وصيدانها ، فتحكم فيك هوامها وديدانها ، ثم بعد ذلك تمكن منك الأعدام وتختلط بالرغام ، وتصير تراباً توطأ بالأقدام ، وربما ضرب منك إناء فخار ، أو أحكم بك بناء جدار ، أو طلى بك محس ما^{*} ، أو موقد نار . ٩٤- كما روى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه أتى بإناء ماء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه وقال : الله أعلم كم فيك من عين كحيل ، وخذ أسيل .

٩٥- و(يونس) أن رجلين تنازعا وتخاصما في أرض فأناطق الله عز وجل لبنه من حائط من تلك الأرض فقالت : يا هذان فيم تنازعان ؟ وفيم تتخاصمان ؟ إني كنت ملكاً من الملوك ملكت كذا وكذا سنة ثم مت وصرت تراباً ، فبقيت كذلك ألف سنة ثم أخذني خزاف - يعنى : فخارا فعمل منى إناء فاستعملت حتى تكسرت ، ثم عدت ترابا فبقيت ألف سنة . ثم أخذني رجل فضرب منى لبنه ، فجعلني في هذا الحائط ، ففيم تنازعكما وفيم تخاصمكما ؟

٩٦- قلت : (قد ذكرنا أبو محمد عبد الحق في هذا المعنى حكايات كثيرة في كتاب «العاقبة») والوجود شاهد بتجديد ما دثر ، وتغيير ما غير وعن ذلك يكون الحفر والإخراج ، واتخاذ الأواني وبناء الأبراج ، ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيرى ننقل التراب على الدواب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة وقد اختلط بعظام من هناك وعظمهم ولحومهم وشعورهم وأبشارهم إلى الذين يصنعون القرمد للشقف^{*} .

(*) كذا بالأصل ولعلها صحفت عن : حوض ماء ، أو بر ماء .

(*) القرمد : الطوب الأحمر

الشقف : الخزف المكسر .

٩٧- « قال » علمنا أننا رضوان الله عليهم : وهذا التغيير إنما يحل بجسدك ، وينزل بيدك لا بروحك ، لأن الروح لها حكم آخر ، وما مضى منك فغير مضاع ، وتفرقة لا تمنع من الاجتماع ، قال الله تعالى : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾⁽⁶²⁾ وقال : ﴿ فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ﴾⁽⁶³⁾.

باب الموت كفارة لكل مسلم

٩٨- أبو نعيم ، عن عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « الموت كفارة لكل مسلم » .

ذكره القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين له ، وقال فيه :

حديث صحيح حسن .

62- سورة : ق الآية : ٤ .

63- سورة : طه الآيتان : ٥١ ، ٥٢ .

(٩٨) حديث ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً ، وله طرق من حديث أنس .

أخرجه أبو نعيم (٣ / ١٢١) فى الحلية ، والخطيب (١ / ٣٤٧) فى تاريخ بغداد ، وابن عساكر فى تعزية المسلم (٥٦) بتحقيقى ، وابن حجر فى اللسان (١ / ٢١١) وفى سننه أحمد السقطى ، قال الذهبى كما فى الميزان (١ / ١١٦) : شيخ لا يعرف إلا من جهة المفيد ، ذكر خبراً موضوعاً .

ومن هذا الطريق أخرجه البيهقى (٩٨٨٦) فى شعب الإيمان .

وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات (٣ / ٢١٩) وقال : هذا حديث لا يصح ، وسبقه إلى ذلك ابن طاهر فبالغ فى إنكاره كما فى تذكرة الموضوعات (٥ / ٢) .

قال ابن حجر فى اللسان (١ / ٢١١) : وقد رواه عن يزيد بن هارون أيضاً مفرج عن شجاع الموصلى ، ومن طريقه أخرجه الدار قطنى فى المؤتلف والمختلف ، والدينورى فى المجالسة كلاهما عن أبى على بن الصواف عنه ، وهو فى فوائد أبى على المذكور .

قال الخطيب : مفرج مجهول .

٢- أخرجه العقيلي (٤ / ٢٩٩) فى الضعفاء الكبير ، من طريق نصر بن جميل عن =

٩٩- (فصل) : إنما كان الموت كفارة ، لكل ما يلقاه الميت في مرضه من الآلام والأوجاع ، وقد قال ﷺ : « ما من مسلم يصيبه أذى ، من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » خرجه مسلم .

== حفص بن عبد الرحمن عن عاصم الأحول به .

قال العقيلي : نصر بن جميل عن حفص بن عبد الرحمن مجهولين بالنقل ، حديثهما غير محفوظ ، ولا يتابع عليه إلا من طريق فيه ضعف .
وانظر لسان الميزان (٦ / ١٥١ - ١٥٢) .

٣- أخرجه ابن عساكر في التعزية (٥٧) من طريق الحسن بن عمر بن شقيق عن أصرم بن غياث عن حميد عن أنس به .

وسنده ضعيف جداً ، في سنده أصرم قال البخاري وأحمد ، والدارقطني : منكر الحديث وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال ابن معين : ليس بثقة .
انظر الميزان (١ / ٢٧٣) .

وقال ابن عساكر ، وروى عن حميد عن أنس موقوفاً .

٤- أخرجه البيهقي (٩٨٨٥) في شعب الإيمان من طريق محمد بن صالح بن شعيب عن نصر بن علي عن يزيد بن هارون عن عاصم به ، وكذا أخرجه ابن حجر في اللسان (٥ / ٢٠١) محمد بن صالح ، وهو التمار ، كما في الشعب ، تركه الدارقطني كما في الميزان (٣ / ٥٨٣) .

وقال ابن حجر : محمد بن صالح بن شعيب ، تفرد بالحديث ، ورواته أثبات إلا هذا فما علمت حاله .

وقال الخطيب : ليس بمحفوظ عن نصر بن علي طريق أخرى .

وانظر : الفوائد المجموعة (٢٦٨) للشوكاني ، ضعيف الجامع (٦ / ١٢) ، تنزيه الشريعة (٢ / ٣٦٤) وغيرها .

(٩٩) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٥٦٤٧) ، (٥٦٤٨) ، ومسلم (٢٥٧١) ، وأحمد (١ / ٣٨٣) وابن حبان (٤ / ٢٦٠) ، والبيهقي (٥ / ٢٤٢) في شرح السنة ، والبيهقي (٣ / ٣٧٢) في سننه الكبرى ، والضياء (٨) في الطب النبوي .

١٠٠- « وفي الموطأ » عن أبي هريرة (قال : قال) رسول الله ﷺ :
« من يرد الله به خيراً يصيب منه » .

١٠١- وفي الخبر المأثور يقول الله تعالى : « إني لا أخرج أحداً من الدنيا ، وأنا أريد أن أرحمه ، حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها ، سقماً في جسده ، ومصيبة في أهله وولده ، وضيقاً في معاشه ، وإقتاراً في رزقه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت ، حتى يفضى إلى كيوم ولدته أمه » .

قلت : وهذا بخلاف من لا يحبه ولا يرضاه كما في الخبر يقول الله تعالى : « وعزتي وجلالي لا أخرج من الدنيا عبداً أريد أن أعذبه ، حتى أوفيه بكل حسنة عملها بصحة في جسده ، وسعة في رزقه ، ورغد في عيشه ، وأمن في سربه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقي له شيء هونت عليه الموت ، حتى يفضى إلى وليس له حسنة يتقى بها النار » .

١٠٢- قلت : وفي مثل هذا المعنى ما أخرجه أبو داود بسند صحيح فيما ذكر أبو الحسن بن الحصار عن (عبيدة) بن خالد السلمي وكانت له صحبة عن النبي ﷺ : « موت الفجأة أخذة أسف للكافر » ، ورواه أيضاً مرسلًا .

(١٠٠) حديث صحيح . أخرجه مالك (٣ / ١٢٠) في الموطأ ، والبخاري (٥٦٤٥) ، وأحمد (٢ / ٢٣٧) ، وابن حبان (٤ / ٢٤٩) ، والبيهقي (١٤٢٠) في شرح السنة ، والضياء (٣) في الطب النبوي .

(١٠١) الخبر من الإسرايليات . وأخرجه الدينوري في « المجالسة » كما في شرح الصدور (ص / ٢٨) من كلام وهيب بن الورد ، والدينوري اتهم بالكذب .

(١٠٢) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (٣١١٠) ، وأحمد (٣ / ٤٢٤) ، (٤ / ٢١٩) والبيهقي (٣ / ٣٧٨ ، ٣٧٩) في سننه الكبرى ، وابن عدي (٢ / ٢٣٢) في الكامل ، وفي الباب عن عائشة وهو التالي ، وابن مسعود ، وأنس .

١٠٣- (وروى) الترمذى عن عائشة رضى الله عنها : « إنها راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ».

١٠٤- (وروى) عن ابن عباس (رضى الله عنه) أن داود عليه (الصلاة والسلام) مات فجأة يوم السبت

١٠٥- وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة ، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً في الدنيا ، هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار » . ذكره أبو محمد عبد الحق .

(١٠٣) . حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٦ / ٢٣٦) عن وكيع ، والبيهقى (١٠٢١٨) في شعب الإيمان ، وفي سننه الكبرى (٣ / ٣٧٩) عن أبي إسحاق كلاهما عن عبيد الله بن الوليد عن عبيد الله بن عبيد بن عمير به . وفي سننه أبو إسحاق وهو مدلس ، وقد رواه بالنعنة ، ولكن تابعه وكيع كما في رواية أحمد .

وفي سننه ابن الوليد من الضعفاء . وقال البيهقى : رواه الثورى عن عبيد الله موقوفاً على عائشة . وقال الهيثمى فى الجمع (٢ / ٣١٨) : رواه أحمد ، والطبرانى فى الأوسط ، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ، وهو متروك .

٢- وأخرجه عبد الرزاق (٦٧٨١) ، وابن الجوزى (٢ / ٤١٢) فى العلل المتناهية من طريق يحيى بن العلاء عن ابن سابط عن حفصة ابنة عبد الرحمن عن عائشة به مرفوعاً . وفى سننه ابن العلاء روى بالوضع ، واتهم بالكذب .

٣- أخرجه البيهقى (٣ / ٣٧٩) فى سننه الكبرى عن عائشة وابن مسعود موقوفاً ، ولكن فى سننه الأعمش ، وهو مدلس ، وقد رواه بالنعنة .

(١٠٤) أخرجه البيهقى (١٠٢٢١) بنحوه من قول أبى السكن الهجرى فى شعب الإيمان .

(١٠٥) أخرجه ابن أبى الدنيا فى « ذكر الموت » كما فى شرح الصدور (ص / ٢٩) من

١٠٦- (وخرج) أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « نفس المؤمن تخرج رشحاً ، وإن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار ، وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه ، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها » ذكره أبو محمد عبد الحق .

١٠٧- وذكر ابن المبارك أن أبا الدرداء - رضي الله عنه - قال : « أحب الموت اشتياقاً إلى ربي ، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي ، وأحب الفقر تواضعاً لربي عز وجل » .

باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالظن بالله وفيه الخوف من الله تعالى

١٠٨- مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » أخرجه البخاري .

=من قول ابن أسلم . وقد أورده عبد الحق في العاقبة (ص / ٥٥) ، وانظر الإحياء (٤ / ٤٤٧) فجعله عن أسلم والد زيد .

(١٠٦) سبق تخريجه برقم (٦٥) .

(١٠٧) خبر صحيح . أخرجه ابن المبارك (٢٦٢) ، (٢٧٦) في الزهد وأحمد (ص / ١٧١ ، ١٨٧ ، ٢١٧) في الزهد ، وابن سعد (٧ / ٣٩٢) في طبقاته ، وأبو نعيم (١ / ٢١٧) في الحلية ، وأورده الذهبي في السير (٢ / ٣٤٩) من طرق عديدة عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

(١٠٨) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٨٧٧) ، وأحمد (٣ / ٣١٥ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠ ، ٣٩٠) ، وأبو داود (٣١١٣) بمعناه ، وابن ماجه (٤١٦٧) ، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (١) بتحقيقه ، والبغوي (١٤٥٥) في شرح السنة ، وأبو نعيم (٥ / ٨٧) في الحلية ، وابن حبان (٢ / ١٦) ، والبيهقي (٣ / ٣٧٨) في سننه الكبرى .

١٠٩- (وذكره) ابن أبي الدنيا في كتاب (حسن الظن بالله تعالى) ، وزاد : فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (64) .

١١٠- « ابن ماجه » ، عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال : « كيف تجدك ؟ » فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف » . ذكره ابن أبي الدنيا أيضاً ، وخرجه الترمذی ، وقال : هذا حديث حسن غريب . (وقد روى) بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلأ .

١١١- (وذكر) الترمذی الحكيم في الأصل السادس والثمانين من (نوارد الأصول) : حدثنا يحيى بن حبيب عن عدى قال : حدثنا بشر

* فائدة : قال الخطابي : إنما يحسن بالله ظن من حسن عمله ، فكأنه قال : أحسنوا أعمالكم يحسن بالله ظنكم ، فإن من ساء عمله ساء ظنه ، وقد يكون حسن الظن أيضاً من ناحية الرجاء ، وتأميل العفو والله جواد كريم .
انظر : شرح السنة (٥ / ٢٧٢) للبغوي .

(١٠٩) إسناده ضعيف . وأخرجه ابن أبي الدنيا (٤) في حسن الظن ، وفي سنده النظر ابن إسماعيل ليس بالقوي ، وابن أبي ليلى صدوق سيء الحفظ جداً .
64- سورة : فصلت الآية : ٢٣ .

(١١٠) حديث حسن . أخرجه الترمذی (٩٨٨) ، وابن ماجه (٤٢٦١) ، وابن أبي الدنيا (٣١) في حسن الظن ، وأبو نعيم (٦ / ٢٩٢) في الحلية ، والبيهقي (١٠٠١) ، (١٠٠٢) في شعب الإيمان ، وأخرجه البغوي (١٤٥٦) في شرح السنة عن ثابت مرسلأ .
وفي الباب عن عبيد بن عمير ، وعمر بن الخطاب ، ووائل بن الأسقع .
(١١١) حديث حسن ، وإسناده مرسل .

١- أخرجه ابن المبارك (١٥٧) في الزهد ، وابن أبي الدنيا في « الخائفين » كما في الإتحاف (٣٥٠٢) ، والبخاري في المجمع (١٠ / ٣٠٨) كلهم عن الحسن مرسلأ . =

المفضل عن عوف عن الحسن أنه قال : بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال : قال ربكم عز وجل: « لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمين، فمن خافني في الدنيا أمنت في الآخرة ومن آمنني في الدنيا أخفته في الآخرة».

١١٢- حدثنا أبو بكر بن سابق الأموي : قال: (حدثنا) أبو مالك الجنبي عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يذكر من مناجاة موسى عليه (الصلاة و) السلام أنه قال : « يا موسى ، إنه لن يلقاني عبد لي في حاضر القيامة إلا فتشته عما في يديه إلا ما كان من الورعين فإني أستحيهم وأجلهم فأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب» فمن استحيى من الله تعالى في الدنيا مما صنع استحيى الله تعالى من تفتيشه وسؤاله ، ولم يجمع عليه حياءين ، كما لا يجمع عليه خوفين .

١١٣- (فصله): حسن الظن بالله تعالى ، ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة ، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى: « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» .

٢- ومن حديث أبي هريرة ، أخرجه ابن المبارك (١٥٨) في الزهد ، وابن حبان (٦٣٩) ، والبيهقي (٧٧٧) في شعب الإيمان ، والبخاري كما في المجموع (١٠ / ٣٠٨) وسنده حسن .

٣- من حديث ، شدد بن أوس ، أخرجه أبو نعيم (٦ / ٩٨) في الحلية .

(١١٢) إسناده ضعيف جداً ، إن لم يكن موضوعاً .

في سنده أبو مالك الجنبي ، وهو عمرو بن هاشم ، لين الحديث وفي سنده جوير عن المتروكين ، واتهمه بعضهم .

وفي سنده الضحاك لم يلق ابن عباس ، ولم يسمع منه !! .

وأخرجه الترمذي الحكيم (٢٦١) في نوادر الأصول ، وكذا عزاه له الزيد في الإنحاف (١٥٢٩) .

(١١٣) حديث صحيح . أخرجه ابن المبارك (٩٠٩) في الزهد ، وأحمد (٣ / ٤٩١) ، (٤ / ١٠٦) ، وابن أبي الدنيا (٢) في حسن الظن بالله ، وابن حبان (٢ / ١٥ - ١٧) ، والحاكم (٤ / ٢٤٠) وصححه ، وأقره الذهبي ، والطبراني (٢٢ / ٨٧ - ٨٨) في الكبير ، وقال الهيثمي في المجموع (٢ / ٣١٨) رجال أحمد ثقات .

١١٤- (وروى حماد بن سلمة) ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله (تعالى) ثمن الجنة » .

١١٥- (وروى) عن ابن عمر أنه قال : « عمود الدين وغاية معجده وذروة سنامه : حسن الظن بالله ، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله (تعالى) دخل الجنة مدلاً » أى منبسطاً لا خوف عليه .

١١٦- (وقال) عبد الله بن مسعود : « والله الذى لا إله غيره ، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده » .

١١٧- وذكر ابن المبارك قال أخبر سفيان : أن ابن عباس قال : « إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان حياً فخوفوه » .

(١١٤) حديث ضعيف جداً . أخرجه ابن جميع (ص / ٣٠١) فى معجمه ، والخطيب فى تاريخ بغداد (١ / ٣٩٦) ، وابن عساكر كما فى الإتحاف (٣٤٤٣) من طريق محمد بن إبراهيم بن كثير عن أبى نواس الشاعر عن حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشى ، وثابت البناني كلاهما عن أنس .

فى سنده ابن كثير ، لا يعرف كما فى الميزان (٣ / ٤٤٨) .

وفى سنده أبو نواس ، قال الذهبى : فسقه ظاهر ، وتهتكه ، فليس بأهل أن يروى عنه كما فى الميزان (٤ / ٥٨١) .

(١١٦) لا بأس به . أخرجه ابن أبى الدنيا (٨٣) فى حسن الظن بالله .

(١١٧) إسناده منقطع ، وهو من أنواع الضعيف .

أخرجه ابن المبارك (٤٤١) فى الزهد ، عن سفيان عن ابن عباس ، وفيه انقطاع .

- ١١٨- وقال الفضيل : « الخوف أفضل من الرجاء ، ما كان العبد صحيحاً فإذا نزل به الموت ، فالرجاء أفضل من الخوف » .
- ١١٩- وذكر ابن أبي الدنيا : قال : حدثنا يحيى بن عبد الله البصري . قال : حدثنا سوار بن عبد الله قال : حدثنا المعتمر ، قال : قال أبي حين حضرته الوفاة : « يا معتمر ، حدثني بالرخص لعلني ألقى الله وأنا حسن الظن به » .
- ١٢٠- قال : وحدثنا عمرو بن محمد الناقد ، قال : حدثنا خلف بن خليفة عن حصين عن إبراهيم قال : « كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت ، حتى يحسن ظنه بربه عز وجل » .
- ١٢١- وقال ثابت البناني : كان شاب به رهق^١ فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهي تقول : يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا ، قال : يا أماه إن لي رباً كثير المعروف ، وإنني لأرجو اليوم أن لا يعدمني بعض معروفه ، فقال ثابت : فرحمه الله بحسن ظنه بالله في حاله تلك .

-
- (١١٨) خبر صحيح . أخرجه أبو نعيم (٨٩٨ /) في الحلية عن الفضيل ، وأخرجه البيهقي (١٠١٠) في شعب الإيمان عن السري بن المجلس .
- (١١٩) خبر صحيح . أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٩) في حسن الظن بالله ، وأبو نعيم (٣ / ٣١) في الحلية ، والبيهقي (١٠٠٨) في شعب الإيمان .
- وأخرجه ابن الجوزي (٣ / ٢٢٣) في الحقائق ، وفي صفة الصفوة (٣ / ٢٩٩) .
- (١٢٠) خبر حسن . أخرجه ابن أبي الدنيا (٣٠) في حسن الظن بالله ، والبيهقي (١٠٠٧) في شعب الإيمان .
- (١٢١) خبر حسن . أخرجه ابن أبي الدنيا (٣٤) في حسن الظن بالله ، وأبو نعيم (٢ / ٣٢٦) في الحلية ، والبيهقي (٧١١٤) في الشعب ، وأورده الذهبي (٦ / ١٩٩) في السير .
- ^١ رهق : الرهق بفتح الحاء أي : الخفة والعريضة

١٢٢- وقال عمر بن ذر يوماً في كلامه - وعنده ابن أبي داود وأبو حنيفة - أتعذبنا وفي أجوافنا التوحيد؟ لا أراك تفعل، اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة في الساعات التي غفرت لهم، فإنهم قالوا: ﴿أما رب العالمين﴾⁽⁶⁵⁾ فقال أبو حنيفة: رحمك الله، القصص بعدك حرام.

١٢٣- وكان يحيى بن زكريا إذا لقي عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام: عبس⁽⁶⁶⁾، وإذا لقيه عيسى، تبسم، فقال له عيسى: «تلقاني عابساً كأنك آيس»؟ فقال له يحيى: «تلقاني ضاحكاً كأنك آمن»؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما: «إن أحبكما إلى أحسنكما ظناً بي» ذكره الطبري.

١٢٤- وقال زيد بن أسلم: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: انطلقوا به إلى النار فيقول: يا رب فأين صلاتي وصيامي؟ فيقول الله تعالى: «اليوم أقنطك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي من رحمتي».

(١٢٢) إسناده منقطع. وأخرجه ابن أبي الدنيا (١٧) في حسن الظن بالله.

** فائدة قوله مثل حال السحرة، يقصد سحرة فرعون، عندما آمنوا بالله رباً، وبموسى عليه السلام نبياً، أخذهم من الخوف من الله تعالى ما أخذهم، حتى إنهم من شدة خوفهم هان عليهم عذاب فرعون، وجنده، مع ما كان فيه من تهديد بالقتل والصلب، وتقطيع، كما قال سبحانه وتعالى على لسانهم: ﴿إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾. سورة طه: ٧٣.

65- سورة الشعراء الآية: ٤٧.

(١٢٣) الخبر من الإسرائيليات.

66- عبس: كشر في وجهه.

(١٢٤) إسناده صحيح. والخبر من الإسرائيليات.

أخرجه عبد الرزاق (٢٠٥٦١) في مصنفه، وعن طريق أبو نعيم (٢٢٢ / ٣) في الحلية، والبيهقي (١٠٥٢) في شعب الإيمان.

وفى التنزيل : ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾⁽⁶⁷⁾
وسياتى لهذا الباب مزيد بيان فى باب سعة رحمة الله وعفوه يوم القيامة ،
إن شاء الله تعالى .

باب تلقين الميت : لا إله إلا الله

١٢٥- مسلم عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« لقنوا موتاكم » لا إله إلا الله .

١٢٦- وذكر ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال : قال عثمان بن
عفان (رضى الله عنه) : قال رسول الله ﷺ : « إذا احتضر الميت فلقنوه : لا
إله إلا الله ، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة .
١٢٧- وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « احضروا موتاكم ،
ولقنوههم : لا إله إلا الله وذكروهم ، فإنهم يرون ما لا ترون » .
67- سورة : الحجر الآية : ٥٦ .

(١٢٥) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩١٦) ، وأبو داود (٣١١٧) والترمذى
(٩٨٣) ، والنسائى (٤ / ٥) ، وابن ماجه (١٤٤٥) وابن أبى شيبة (٣ / ٢٣٧) ، وابن
حبان (٥ / ٣) ، والبغوى (١٤٦٥) فى شرح السنة ، وأحمد (٣ / ٣) ، والبيهقى (٩٢٣٣)
فى شعب الإيمان ، وأبو نعيم (٩ / ٢٢٤) فى الحلية ، وفى الباب عن أبى هريرة ، وأم سلمة ،
وعائشة وجابر ، وامرأة طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم .

(١٢٦) إسناده منقطع . وهو من أنواع الضعيف . لكن له شواهد كالحديث السابق .

وقد ورد فى الإحياء (٤ / ٤٥٠) من كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(١٢٧) إسناده منقطع . أخرجه ابن أبى شيبة (٣ / ١٢٥) فى مصنفه ، وفيه انقطاع

بين الحسن وعمر وانظر : الإحياء (٤ / ٤٥٠) ، والعاقبة (ص / ٨٠) كلاهما عن ابن أبى
الدنيا فى كتاب « المحتضرين » .

وأخرجه عبد الرزاق (٦٠٤٣) فى مصنفه ، وفيه انقطاع ، بين ابن جريج وعمر .

١٢٨- وذكر أبو نعيم من حديث مكحول عن إسماعيل بن عياش بن أبي معاذ عتبة بن حميد عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ: «احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة ، فإن الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصارع وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصارع . والذي نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، والذي نفسى بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله » . غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل .

١٢٩- (فصل) : قال علماءنا : تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون ، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة ، وليدخل في عموم قوله عليه السلام : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، وصححه أبو محمد عبد الحق ، ولينبه المحتضر على ما يدفع به

(١٢٨) حديث ضعيف . سبق تخريجه برقم (٧٥) .

(١٢٩) حديث صحيح لغيره . أخرجه أبو داود (٣١١٦) ، وأحمد (٥ / ٢٣٣) ، والحاكم (١ / ٣٥١) وصححه ، وأقره الذهبي وفي سننه ابن أبي غريب ، وهو في مرتبة لا بأس به .

انظر الكلام على الحديث في إرواء الغليل (٦٨٧) ، وأحكام الجنائز (٣٤) وكلاهما للألباني ، والإتحاف (٣٩٥٨) ، (٣٩٥٩) فقد ذكرا هنالك الشواهد .

الشیطان، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته ، على ما يأتي .
 ١٣٠- فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا
 يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين ، والإلحاح عليه إذا هو
 تلقنها أو فهم ذلك عنه ، قال ابن المبارك : « لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا
 قالها فدعوه » قال أبو محمد عبد الحق : وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لج
 عليه بها أن يتبرم ويضجر ، ويثقلها الشيطان عليه ، فيكون سبباً لسوء
 الخاتمة . وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به . قال الحسن بن عيسى : قال
 لى ابن المبارك : لقنى - يعنى الشهادة - ولا تعد على إلا أن أتكلم بكلام
 ثان ، والمقصود أن يموت الرجل وليس فى قلبه إلا الله عز وجل ، لأن المدار
 على القلب ، وعمل القلب هو الذى ينظر فيه ، وتكون النجاة به ، وأما
 حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها ، ولا
 عبر عندها .

١٣١- قلت : وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم
 كما ذكر أبو نعيم أن أبا زرعة كان فى السوق وعنده أبو حاتم ، ومحمد
 ابن سلمة . والمنذر بن شاذان ، وجماعات من العلماء ، فذكروا حديث

(١٣٠) انظر : شرح السنة (٥ / ٢٩٦) للبغوى ، والعاقبة (ص / ٨١) للإشبلى
 والسير (٨ / ٤١٨) للذهبي .

(١٣١) خبر صحيح . أخرجه الخطيب (١٠ / ٣٣٥) فى تاريخه ، والبيهقى
 (٩٢٣٧) فى شعب الإيمان ، والحاكم كما فى السير (١٣ / ٧٦) للذهبي ، وابن الجوزى
 فى الثبات بعد المات - وهو مطبوع - كما فى الإتحاف (٣٩٥٩) ، والسيوطى فى أمالى
 الدرر الفاخرة كما فى الإتحاف (٣٩٥٩) .

التلقين فاستحيوا من أبي زرعة فقالوا : يا أصحابنا تعالوا نتذاكر الحديث . فقال محمد بن سلمة : حدثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم ، قال حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي غريب ولم يجاوزه . وقال أبو حاتم : حدثنا بندار ، حدثنا أبو عاصم ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبي غريب ولم يجاوزه والباقون سكوت ، فقال أبو زرعة ، هو في السوق : حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبي غريب ، عن كثير بن مرة الحضرمي ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وفي رواية « حرمه الله على النار » وتوفي رحمه الله .

١٣٢- ويروى عن عبد الله بن شبرمة أنه قال : دخلت مع عامر الشعبي على مريض نعوذه فوجدناه لما به ، ورجل يلقيه الشهادة ويقول له : قل لا إله إلا الله وهو يكثر عليه فقال له الشعبي : ارفق به ، فتكلم المريض وقال : إن تلقني أو لا تلقني . فإني لا أدعها ثم قرأ ﴿ وألهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ (68) فقال الشعبي : الحمد لله الذي نجى صاحبنا هذا ، وقيل للجنيد رحمه الله عند موته : قل : لا إله إلا الله ، فقال : ما نسيته فأذكره .

(١٣٢) انظر : العاقبة (ص / ٩١) للإسبيلي .

68- سورة : الفتح من الآية : ٢٦ .

١٣٣- قلت : لابد من تلقين الميت ، وتذكيره الشهادة ، وإن كان على غاية من التيقظ ، فقد ذكر أبو نعيم الحافظ من حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ : « احضروا موتاكم ولقنوههم : لا إله إلا الله ، وبشروهم بالجنة ، فإن الحكيم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ، وإن الشيطان أقرب من ابن آدم عند ذلك المصرع والذي نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، والذي نفسى بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عضو منه على حياله . »

١٣٤- وروى عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حضر ملك الموت (عليه الصلاة والسلام) رجلاً ، قال : فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئاً ، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فغفر له بكلمة الإخلاص »

ذكر ابن أبي الدنيا فى كتاب (المحتضرين) بإسناده ، وخرجه الطبرانى بمعناه وسيأتى فى آخر أبواب الجنة إن شاء الله تعالى .

(١٣٣) سبق تخريجه برقم (٧٥) .

(١٣٤) حديث ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا فى « المحتضرين » كما فى المغنى (٤ / ٤٥٠) للعراقى ، والبيهقى (١٠١٥) ، (٩٢٣٥) فى شعب الإيمان ، والخطيب (٩ / ١٢٥) فى تاريخ بغداد ، وابن لال فى مكارم الأخلاق ، والديلمى فى مسنده كما فى الإنحاف (٣٩٥٧) . فى سنده جهالة أحد رواته .

وقال العراقى : إسناده جيد إلا أن فى رواية البيهقى رجلاً لم يسم ، وسمى فى رواية الطبرانى إسحاق بن يحيى بن طلحة ، وهو ضعيف .

باب من حضر الميـت فلا يلغو وليتكلم بخير وكيف الدعاء للميـت إذا مات وفيه تغميـضه

١٣٥- مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » .

قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبی ﷺ فقلت يا رسول الله « إن أبا سلمة قد مات فقال : « قولى : اللهم اغفر لى وله وأعقبنى منه عقبى حسنة » قالت فقلت : فأعقبنى الله من هو خير منه : رسول الله ﷺ .

١٣٦- وعنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله ، فقال : « لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال : « اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديـن ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره . ونور له فيه » .

-
- (١٣٥) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩١٩) ، وأحمد (٦ / ٢٩١ ، ٣٠٦) ، وأبو داود (٣١١٥) ، والترمذى (٩٧٧) ، والنسائى (٤ / ٥٤) ، وابن ماجه (١٤٤٧) ، وعبد الرزاق (٦٠٦٦) فى مصنفه ، وابن أبى شيبه (٣ / ٢٣) ، وابن حبان (٥ / ٤) ، والـبغوى (١٤٦١) فى شرح السنة ، والبيهقى (٣ / ٣٨٤) ، (٤ / ٦٥) فى سننه الكبرى .
- (١٣٦) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٢٠) ، وأبو داود (٣١١٨) ، وأحمد (٦ / ٢٩٧) ، وابن ماجه (١٤٥٤) ، وابن سعد (٣ / ١ / ١٧٢) فى طبقاته ، وابن حبان (٩ / ٩٣) ، والـبغوى (١٤٦٧) فى شرح السنة ، والبيهقى (٣ / ٣٨٤) فى سننه الكبرى .
-

١٣٧- (فصل) : قال علماؤنا : قوله عليه (الصلاة و)السلام : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً » أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت ، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك ، ولهذا استحب العلماء : أن يحضر الميت الصالحون ، وأهل الخير حالة موته ليذكروه ، ويدعوا له ولمن يخلفه ويقولوا خيراً فيجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة فينتفع بذلك الميت ومن يصاب به ومن يخلفه .

باب منه وما يقال عند التغميض

١٣٨- ابن ماجه . عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح ، وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت » .

١٣٩- وذكر الخرائطي أبو بكر محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا :

(١٣٨) حديث حسن . أخرجه أحمد (٤ / ١٢٥) ، وابن ماجه (١٤٥٥) ،

والطبراني (٧١٦٨) في الكبير ، وابن حبان (٢ / ٢١٦) في المجروحين ، وابن عدى (٢ /

٦٨٧) في الكامل ، والحاكم (١ / ٣٥٢) وصححه وأقره الذهبي .

قال الشيخ حمدى السلفى : هذا من أوامهمما ، فإن قرعة ضعيف كما قال الحافظ ،

ولكن له شاهد فى صحيح مسلم وغيره من حديث أم سلمة ، فهو به حسن .

(١٣٩) خبر صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٣ / ١٢٤) فى مصنفه ، وعبد الرزاق

فى مصنفه (٦٠٥٢) .

إسماعيل بن علية عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم الحسن قالت : كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال : فلان بالموت ، فقالت لها انطلقى فإذا احتضر فقولى السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

١٤٠- وخرج من حديث سفيان الثوري عن سليمان التيمي عن بكر ابن عبد الله المزني قال : إذا غمضت الميت فقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ وسبح . ثم تلا سفيان ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ (٦٩) قال أبو داود: تغمض الميت إنما هو بعد خروج الروح . سمعت محمد بن أحمد المقرئ قال سمعت أبا ميسرة ، وكان رجلاً عابداً يقول : غمضت جعفر المعلم وكان رجلاً عاقلاً في حالة الموت فرأيت في منامي يقول: أعظم ما كان على تغمضك قبل أن أموت .

باب ما جاء أن [الشيطان] يحضر [الميت] عند موته وجلساؤه في الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة

١٤١- روى عن النبي ﷺ أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله ، فالذى عن يمينه على صفة أبيه ، يقول له : يا بني إني كنت عليك شقيقاً ولك محباً ، ولكن مت على دين النصرانية فهو خير الأديان ، والذي على شماله على صفة أمه ، تقول له :

(١٤٠) خير صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٣ / ١٧٣ ، ٢٥٩) في مصنفه ، وعبد

الرزاق (٦٠٥١) في مصنفه ، والبيهقي (٣ / ٣٨٥) في سننه الكبرى .

69- سورة : الشورى من الآية : ٥ .

(١٤١) حديث ضعيف . أورده بصيغة التضعيف كما نقل ابن مفلح في مصائب الإنسان

(ص / ١٥٠-١٥١) .

يا بني إنه كان بطنى لك وعاء، وتديى لك سقاء، وفخذى لك وطاء، ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان، ذكره أبو الحسن القابسي فى شرح رسالة ابن أبى زيد له، وذكر معناه أبو حامد فى كتاب «كشف علوم الآخرة»، وإن عند استقرار النفس فى التراقى والارتفاع تعرض عليه الفتن وذلك أن إبليس قد أنفذ أعوانه إلى هذا الإنسان خاصة واستعملهم عليه ووكلمهم به، فيأتون المرء وهو على تلك الحال فيتمثلون له فى صورة من سلف من الأحباب الميتين الباغين له النصيح فى دار الدنيا، كالأب والأم والأخ والأخت والصدىق الحميم، فيقولون له: أنت تموت يا فلان ونحن قد سبقناك فى هذا الشأن فمت يهودياً فهو الدين المقبول عند الله تعالى، فإن انصرم عنهم وأبى، جاءه آخرون وقالوا له: مت نصرانياً فإنه دين المسيح وقد نسخ الله به دين موسى ويذكرون له عقائد كل ملة، فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغته وهو معنى قوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة﴾⁽⁷⁰⁾ أى لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل هذا زماناً، فإذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتاً جاءته الرحمة، وقيل: هو جبريل عليه (الصلاة و) السلام فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشحوب عن وجهه فيتسم الميت لا محالة، وكثير من يرى متبسماً فى هذا المقام فرحاً بالبشير الذى جاءه من الله تعالى فيقول: يا فلان أما تعرفنى؟ أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشريعة (الخليلية) فما شئ أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك، وهو قوله تعالى: ﴿وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ ثم يقبض عند الطعنة على ما يأتى.

70- سورة: آل عمران من الآية: ٨.

١٤٢- وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حضرت وفاة أبي أحمد ، ويبدى الخرقه لأشد لحية ، فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده : لا بعد لا بعد ، فعل هذا مراراً فقلت له : يا أبت ، أى شىء ما يبدو منك ؟ فقال : إن الشيطان قائم بحذائي عاض على أنامله يقول : يا أحمد فتنى وأنا أقول لا . بعد لا ، حتى أموت .

١٤٣- قلت : وقد سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي بثر الإسكندرية يقول : حضرت أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احتضر ، فقيل له : قل : لا إله إلا الله ، فكان يقول : لا . لا . فلما أفاق ذكرنا له ذلك فقال : أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي ، يقول أحدهما : مت يهودياً فإنه خير الأديان ، والآخر يقول : مت نصرانياً فإنه خير الأديان ، فكنت أقول لهما : لا ، لا إلى تقولان هذا ؟ وقد كتبت بيدي في كتاب الترمذى والنسائي عن النبي ﷺ « إن الشيطان يأتي أحدكم عند موته فيقول : مت يهودياً مت نصرانياً » فكان الجواب لهما لا لكما .

قلت : ومثل هذا عن الصالحين كثير يكون الجواب للشيطان لا لمن يلقيه الشهادة ، وقد تصفحت كتاب الترمذى أبى عيسى ، وسمعت جميعه ، فلم أقف على هذا الحديث فيه ، فإن كان فى بعض النسخ ، فالله أعلم .

(١٤٢) أخرجه أبو نعيم (٩ / ١٨٣) في الحلية ، وعنه ابن الجوزى (ص / ٤٠٨) فى مناقب الإمام أحمد ، وفى صفة الصفوة (٢ / ٣٥٧) ، وأورده الذهبى (١١ / ٣٤١) فى السير ، وقال : هذه حكاية غريبة ، تفرد بها ابن علم ، والله أعلم .

وأورده ابن مفلح المقدسى (ص / ١٥٠) فى مصائب الإنسان .

(١٤٣) لا أصل له . وأورده ابن مفلح (ص / ١٥٠) فى مصائب الإنسان نقلاً عن

القرطبي .

وأما كتاب النسائي فسمعت بعضه وكان عندي كثير منه ، فلم أقف عليه وهو نسخ ، فيحتمل أن يكون في بعضها ، والله أعلم .

١٤٤- وروى ابن المبارك وسفيان عن ليث عن مجاهد قال : ما من ميت إلا تعرض عليه أهل مجالسه الذين كان يجالس ، إن كان أهل لهو فأهل لهو ، وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر .

١٤٥- وقال الربيع بن مرة بن معبد الجهني وكان عابداً بالبصرة : أدركت الناس بالشام وقيل لرجل : يا فلان قل : لا إله إلا الله قال : اشرب واسقني ، وقيل لرجل بالأهواز يا فلان قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : ده يازده دوازده ، تفسيره : عشرة ، أحد عشر ، اثنا عشر . كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان ، فغلب عليه الحساب والميزان . ذكر هذا التفسير أبو محمد عبد الحق ، قال الربيع : وقيل لرجل ها هنا بالبصرة يا فلان قل : لا إله إلا الله فجعل يقول :

يا رب قائلة يوماً وقد لغبت أين الطريق إلى حمام منجباب (71) قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد : هذا رجل قد استدلت امرأته إلى الحمام ، فدلها إلى منزله فقال له عند الموت .

١٤٦- وذكر أبو محمد عبد الحق هذه الحكاية في كتاب (العاقبة) له

(١٤٤) إسناده فيه ضعف . أخرجه ابن المبارك (٩٣٩) في الزهد ، وأبو نعيم (٣) /

(٢٨٣) في الحلية ، والبيهقي (٦٥٤٠) في شعب الإيمان ، وابن أبي الدنيا كما في شرح الصدور (ص / ٨٠) .

في سنده ليث بن أبي سليم ، وقد اختلط ، وضعف .

(١٤٥) أخرجه البيهقي (٦٥٤١) في شعب الإيمان ، وانظر الداء والدواء (ص /

١٩٨) لابن القيم ، وشرح الصدور (ص / ٨٠) للسيوطي .

71- لغبت : تعبت وأعيت من كثرة البحث والسير .

(١٤٦) انظر السابق .

فقال : هذا الكلام له قصة ، وذلك أن رجلاً كان واقفاً بإزاء داره ، وكان يشبه باب حمام ، فمرت به جارية لها منظر وهي تقول : أين الطريق إلى حمام منجاب ؟ فقال لها : هذا حمام منجاب . وأشار إلى داره فدخلت الدار ودخل وراءها ، فلما رأت نفسها معه في داره وليس بحمام علمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفي تلك الدار وقالت له : يصلح (أن يكون) معنا ما نطيب به عيشنا وتقر به أعيننا ، فقال لها : الساعة آتيك بكل ما تريدين وبكل ما تشتهين ، فخرج وتركها في الدار ولم يفلها ، وتركها محلولة على حالها ومضى ، فأخذ ما يصلح لهما ورجع ، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثراً ، فهم الرجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها ، وجعل يمشى في الطرق والأزقة وهو يقول :

يا رب قاتلة يوماً قد لغبت : أين الطريق إلى حمام منجاب
وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول :

هلا جعلت لها ظفرت بها حرازاً على الدار أو قفلاً على الباب
فزاد هيمانه واشتد هيجانه ، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر . فنعوذ بالله من المحن والفتن .

١٤٧ - قلت : ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم بها أو سبب من أسبابها ، حتى لقد حكى لنا أن بعض السماسرة جاء عنده الموت فقيل له : قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : ثلاثة ونصف ، أربعة ونصف ، غلبت عليه (حب) السمسرة .

ولقد رأيت بعض الحساب وهو في غاية المرض ، يعقد بأصابعه ويحسب ، وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : الدار الفلانية

(١٤٧) انظر رقم (١٤٥) .

التذكيرة

باب ما جاء في سوء الخاتمة

أصلحوا فيها كذا والجنان الفلانية اعملوا فيها كذا، وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله ، فجعل يقول : عقلك الحمار، وقيل لآخر : قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : البقرة الصفراء ، غلب عليه حبها والاشتغال بها . نسأل الله السلامة والممات على الشهادة بمنه وكرمه .

ولقد حكى ابن ظفر في كتاب (النصائح) له قال : كان يونس بن عبيد - رحمه الله تعالى - بزازاً ، وكان لا يبيع في طرفي النهار ولا في يوم غيم ، فأخذ يوماً ميزانه فرضه بين حجرين فقليل له : هلا أعطيته الصانع فأصلح فساده ؟ فقال : لو علمت فيه فساداً لما أبقيت من مالي قوت ليلة . قيل له : فلم كسرتة ؟ قال : حضرت الساعة رجلاً احتضر فقلت له : قل لا إله إلا الله ، فامتعض ، فألححت عليه فقال : ادع الله لي فقال : هذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها ، قلت : أفما يمنعك إلا من قولها ؟ فقال : نعم . قلت : وما كان عملك به ؟ قال : ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقاً في علمي ، غير أنني كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره . فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتي بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه .

باب ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال

بالخواتيم

١٤٨ - مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة» .

(١٤٨) حديث صحيح . وهو متواتر .

أخرجه مسلم (٢٦٥١) ، وأحمد (٤٨٤ / ٢) ، وفي الباب عن ابن مسعود ، وحذيفة بن أسيد ، وسهل بن سعد ، وابن عمر وغيرهم ، انظر الفتح (١١ / ٤٧٩) .

١٤٩- وفي البخارى عن سهل بن سعد ، عن النبى ﷺ قال : « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم » .

١٥٠- قال أبو محمد عبد الحق : اعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ، وما سمع بهذا ، ولا علم به - والحمد لله - وإنما تكون لمن كان له فساد فى العقل ، أو إصرار على الكبائر ، وإقدام على العظائم . فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ، فيصطلمه⁽⁷²⁾ الشيطان عند تلك الصدمة ، ويختطفه عند تلك الدهشة ، والعياذ بالله ثم العياذ بالله ، أو يكون ممن كان مستقيماً ، ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ، يأخذ فى طريقه ، فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته وشؤم عاقبته ، كإبليس الذى عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة ، وبلغام بن باعوراء الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض ، واتباع هواه ، وبرصيصا العابد الذى قال الله فى حقه : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر⁽⁷³⁾ ﴾ .

١٥١- ويروى : أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً للأذان والصلاة ،

(١٤٩) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٥ / ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥) والبخارى (٤ / ٤٥) ، (٥ / ١٦٩) ، ومسلم (١١٢) (٢٦٥٢) ، وابن حبان (١٨١٨) ، (١٨٢٠) والطبرانى (٥٧٨٤) ، (٥٧٩٨) ، (٥٧٩٩) فى الكبير ، وابن الجوزى (٤٣) فى المقلق بتحقيقى .

(١٥٠) انظر رقم (١٤٥) .

72- يصطلمه : يستأصله عن دينه ويقطعه عنه .

73- سورة : الحشر الآية : ١٦ .

(١٥١) انظر : الداء والدواء (ص / ٢٠٠) لابن القيم نقلاً عن العاقبة لعبد الحق .

وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمى ، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار ، فافتتن بها وترك الأذان ، ونزل إليها ودخل الدار فقالت له : ما شأنك ؟ ما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت : لماذا ؟ قال لها : (قد) سلبت لبي ، وأخذت بمجامع قلبي ، قالت : لا أجيبك إلى ريبة ، قال لها : أتزوجك ، قالت له : أنت مسلم وأنا نصرانية وأبى لا يزوجني منك ، قال لها : أتتصر . قالت : إن فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوجها ، وأقام معهم في الدار ، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات ، فلا هو بدينه ولا هو بها . فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة .

١٥٢- ويروى أن رجلاً علق بشخص وأحبه ، فتمنع عنه واشتد نفاره فاشتد كلف البائس إلى أن لزم الفراش ، فلم تزل الوسائط تمشى بينهما حتى وعد بأن (يعوده) ، فأخبر بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره ، وانجلي عنه بعض ما كان يجده ، فلما كان في بعض الطريق رجع ، وقال : والله لا أدخل مداخل الريب ، ولا أعرض بنفسى لمواقع التهم فأخبر بذلك البائس المسكين فسقط في يده ، ورجع إلى أسوأ ما كان به وبدأت علامات الموت وأماراته عليه .

قال الراوى : فسمعتة يقول وهو فى تلك الحال :

سلام يا راحة العليل
وبرد ذل الدنف⁽⁷⁴⁾ النحيل
رضاك أشهى إلى فؤادى
من رحمة الخالق الجليل
قال : فقلت له : يا فلان ، اتق الله تعالى فقال : قد كان ما كان .

(١٥٢) انظر السابق .

74- الدنف : المرض الشديد الملازم لصاحبه وتطلق كثيراً على المريض من الحب والهيام بالمحبوب .

فقمتم عنه ، فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه . فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة .

١٥٣- قال المؤلف رحمه الله : وروى البخارى عن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ما كان النبي ﷺ يحلف : « لا ومقلب القلوب » ومعناه يصرفها أسرع من مر الرياح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والكرهية وغير ذلك من الأوصاف . وفى التنزيل ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ (75) قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما يصنع . بيانه : ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ (76) أى عقل ، واختار الطبرى أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى بأنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل .

١٥٤- وقالت عائشة رضى الله عنها : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول :

(١٥٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٥٧ ، ١٦٠) ، (٩ / ١٤٥) ، ومسلم (٨١٥) ، وأحمد (٢ / ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٢٧) وأبو داود (٣٢٦٣) ، والترمذى (١٥٤٠) ، والنسائى (٧ / ٢) ، وابن ماجه (٤٢٠٩) ، والدارمى (٢ / ١٨٧) فى سننه ، وابن أبى عاصم (١ / ١٠٥) فى السنة ، وأبو نعيم (٨ / ١٧٢) فى الحلية ، والطبرانى (١٣١٦٤) ، (١٣١٦٥) فى الكبير ، والبيهقى (١٠ / ٢٧) فى سننه الكبرى ، وفى الباب عن أنس .

75- سورة : الأنفال : الآية : ٢٤ .

76- سورة : ق من الآية : ٣٧ .

(١٥٤) حديث صحيح . أخرجه ابن أبى شيبه (٧ / ٢٨ ، ٢٢٤) فى مصنفه ،

وأحمد (٦ / ٩١ ، ٢٥١) ، وابن أبى عاصم (٢٢٤) فى السنة ، والآجرى (٢١٧) فى الشريعة ، وفى الباب عن أنس بن مالك ، والنواس بن سمعان ، وأم سلمة ، وغيرهم .

« يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على طاعتك » فقلت : يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى ؟ قال : « وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الجبار إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه » .

١٥٥- (قال العلماء) : وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة ، والاستقامة على مشيئته موقوفة ، والعاقبة مغيبة ، والإرادة غير مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك وخيره ، فمهما افتخرت بذلك ، كنت كالمفتخر بمتاع غيره ، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير ، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، فأصبحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم ، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم ، ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم .

١٥٦- (روى) النسائي عن عثمان رضى الله عنه قال : « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد ، فعلمت به امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها فطفقت الجارية كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضت إلى امرأة وضيفة أى جميلة عندها غلام ، وباطية خمر ، فقالت : إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على ، أو تشرب من هذه الخمر كأساً أو تقتل هذا الغلام (قال) : قال : فاسقيني من هذه الخمر ؟ فسقته كأساً قال : زيدوني ، فلم يزل يشرب حتى وقع عليها وقتل الغلام . فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر ، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه » .

(١٥٦) خبر صحيح . أخرجه النسائي (٨ / ٣١٥ - ٣١٦) في سننه ، وابن حبان (٧ / ٣٦٧) ، والبيهقي (٨ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) في سننه الكبرى وفي شعب الإيمان (٥٥٨٦) ، (٥٥٨٧) .

١٥٧- ويروى أن رجلاً أسيراً مسلماً ، وكان حافظاً للقرآن ، خص
بخدمة راهبين ، فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته فأسلم الراهبان وتنصر
المسلم ، وقيل له : ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه ، قال :
لا أرجع إليه أبداً فقتل ، وفي الخبر قصته ، والحكايات كثيرة في هذا الباب
نسأل الله السلامة والممات على الشهادة .

١٥٨- وأنشد بعضهم :

قد جرت الأقلام في ذى الورى	بالختم من أمر الحكيم العليم
فمن سعيد وشقى ومن	مثر من المال وعار عديم
ومن عزيز رأسه في السها	ومن ذليل وجهه في التخوم*
ومن صحيح شيدت أركانه	: وآخر واهى المباني سقيم
كل على منهاجه سالك	(ذلك تقدير العزيز العليم) **

١٥٩- وقال الربيع : سئل الشافعى عن القدر فأنشأ يقول :

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت	وهذا أعنت وذا لم تعن
ومنهم شقى ومنهم سعيد	ومنهم قبيح ومنهم حسن
ومنهم غنى ومنهم فقير	وكل بأعماله مرتتهن

* السها : كوكب صغير غارب فى الأفق .

** سورة الأنعام من الآية : ٩٦ .

باب ما جاء في رسل ملك الموت قبل الوفاة

١٦٠- ورد في الخبر: أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه (الصلاة و) السلام: أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟ قال: نعم لى والله رسل كثيرة من الإللال والأراض والشيب والهموم وتغير السمع والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب، فإذا قبضته ناديته: ألم أقدم إليك رسولاً بعد رسول ونذيراً بعد نذير؟ فأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير؟ نذير فما من يوم تطلع فيه شمس ولا تغرب إلا وملك الموت ينادى: يا أبناء الأربعين، هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد. يا أبناء الخمسين قد دنا وقت الأخذ والحصاد، ويا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾⁽⁷⁷⁾. ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق).

١٦١- وفى البخارى، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة » يقال أعذر فى الأمر: أى بالغ فيه أى أعذر غاية الإعذار بعبدته وأكبر الأعذار إلى بنى آدم بعثة الرسل إليهم ليتم حجته عليهم ﴿ وما كنا مهذبين حتى نبعث

(١٦٠) الخبر من الإسرائيليات.

77- سورة فاطر من الآية: ٣٧.

(١٦١) حديث صحيح. أخرجه البخارى (٨ / ١١١)، وأحمد (٢ / ٢٧٥، ٣٢٠،

٤١٧)، والبعوى (٤٠٣٢) فى شرح السنة، والطبرى (٢٢ / ٩٣) فى تفسيره.

رسولاً⁽⁷⁸⁾ وقال : ﴿ وجاء كمر النذير ﴾ قيل : هو القرآن . وقيل :

هو الرسل إليهم . وعن ابن عباس وعكرمة وسفيان وو كيع والحسين بن الفضل والفراء والطبري قالوا : هو الشيب فإنه يأتي في سن الاكتهال . فهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب قال :

رأيت الشيب من نذير المنايا لصاحبه وحسبك من نذير وقال آخر :

تقول النفس غير لون هذا عساك تطيب في عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمري ولست مسوداً وجه النذير
وقال آخر :

وقائلة : تخضب فالغواني نوافر عن معاينة النذير⁽⁷⁹⁾
وللقاضي منذر بن سعيد البلوطي رحمة الله تعالى عليه :

كم تصابي وقد علاك المشيب وتعامى جهلاً وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير وشباك الحمام⁽⁸⁰⁾ منك قريب
يا مقيماً قد حان منه رحيل بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
إن للموت سكرة فارتقبها لا يداويك إذ أتتك طبيب
ثم تشوى حتى تصير رهيناً ثم يأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم فاعملن جاهداً لها يا أريب
وتذكر يوماً تحاسب فيه إن من يذكر الممات ينيب
ليس في ساعة من الدهر إلا للمنايا عليك فيها رقيب
كل يوم ترميك منها بسهم إن يخطئ يوماً فسوف يصيب

78- سورة : الإسراء الآية : ١٥ .

79- معنى البيت : أن الغواني يعرضن عن الرجال الذين شابوا ، وظهر الشيب في شعرهم .

80- الحمام : الموت .

وله أيضاً رضى الله عنه :

ثلاث وستون قد جزتها
وحل عليك نذير المشيب
تمر لياليك مرأحيثاً
فلو كنت تعقل ما ينقضى
فما لك - ويحك - لا تستعد
أترغب عن فجأة للمنون
فإما إلى جنة أزلفت
وللفقيه أبى عبد الله محمد بن أبى ذننين رحمه الله تعالى آمين :

الموت فى كل حين ينشر الكفنا ونحن فى غفلة عما يداوينا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين همو كانوا لنا سكنا
سقامهم الموت كأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا
١٦٢- وروى أن ملك الموت دخل على داود عليه (الصلاة و) السلام
فقال من أنت ؟ فقال من لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا ،
قال : فإذا أنت ملك الموت قال : نعم ، قال : أتيتنى ولم أستعد بعد ؟ قال يا
داود أين فلان قريبك ؟ أين فلان جارك ؟ قال : مات ، قال أما كان لك فى
هؤلاء عبرة لتستعد ، وقيل : النذير الحمى ، ومنه قوله ﷺ « الحمى نذير

81- اعتصت : استبدلت ، والمراد استبدلت الخير بالشر ، وآثرت الخير فهذا عين العقل .

(١٦٢) حديث ضعيف . أخرجه هناد فى الزهد (٤٠٧) ، وابن أبى الدنيا فى « المرض والكفارات » والبيهقى فى شعب الإيمان (٩٨٧٠) ، (٩٨٧١) كلهم عن الحسن مرسلأ .

٢- وأخرجه البيهقى : (٩٨٧٢) عن سعيد بن جبير مرسلأ .

٣- وأخرجه البيهقى (٦ / ١٦٠ - ١٦١) فى دلائل النبوة ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٥ / ٩٥) عن عبد الرحمن بن المرقع مرفوعاً ، وله صحة .
=

الموت « أى رائد الموت .

قال الأزهرى : معناه : أن الحمى رسول الموت أى كأنها تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه وقيل : موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان ، وذلك إنذار الرحيل فى كل وقت وأوان وحين وزمان .
قال :

وأراك تحملهم ولست تردهم وكأنى بك قد حملت فلم ترد وقيل : كمال العقل الذى تعرف به حقائق الأمور ، ويفصل به بين الحسنات والسيئات ، فالعاقل يعمل لآخرته ، ويرغب فيما عند ربه ، فهو نذير ، والنذير بمعنى الإنذار والإنذار والإعذار قريب بعضه من بعض ، وأكبر الإعذار إلى بنى آدم بعثة الرسل إليهم ثم الشيب أو غيره كما بينا . وجعل الستين غاية الإعذار لأن الستين قريب من معترك المنايا وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله ، وترقب المنية ، ولقاء الله فيه إعذار بعد إعذار ، وإنذار بعد إنذار .

الأول : بالنبي ﷺ .

والثانى : بالشيب وذلك عند كمال الأربعين ، قال الله تعالى : ﴿ وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك ﴾ (82) فذكر عز وجل : أن من بلغ الأربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها .

= قال الهيثمى : فيه الخبرين هارون لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

قلت : ابن هارون في عداد المجهولين .

٤- وأخرجه أبو نعيم في الطب ، وابن السنى كما فى الجامع الصغير (٢٧٩٦) وضعفه

الألبانى .

82- سورة : الأحقاف الآية : ١٥ .

١٦٣- وقال مالك رحمه الله : أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس .

(تنبيه) : هذا الباب هو الأصل في إعدار الحكام إلى المحكوم عليه مرة بعد أخرى ، وكان هذا لطفاً بالخلق ولتنفيذ القيام عليهم بالحق .

١٦٤- حكى عن بعض العلماء أنه كان يميل إلى الراحة كثيراً وكان يخلو في بستان له بأصحابه فلا يأذن لأحد سواهم فبينما هو في البستان إذ رأى رجلاً يتخلل الشجر فغضب وقال : من أذن لهذا؟ وجاء الرجل فجلس أمامه ، وقال : ما ترى في رجل ثبت عليه حق فزعم أن له مدافعة تدفعه عنه ؟ فقال : ينظره الحاكم بقدر ما يرى . قال السائل : قد ضرب له الحاكم أجلاً فلم يأت بمنفعة ولا أقنع عن اللدد والمدافعة ، قال يقضى عليه . قال فإن الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة!! فأطرق الفقيه وتحذر عرق وجهه وذهب السائل ، ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل ، فقال البواب : ما دخل أحد عليكم ولا خرج من عندهم أحد ، فقال لأصحابه : انصرفوا فما كان يرى بعد ذلك إلا في مجلس يذكر فيه العلم .

١٦٥- فصل : وقد رأيت أن أصل بهذه الحكاية حكايات في الشيب على سبيل الوعظ والتذكير والتخويف والتحذير .

حكى عن بعض المترفين أنه رفض ما كان فيه بغتة على غير تدريج ، فسئل عن السبب فقال ما معناه : كانت لي أمة لا يزيدني طول الاستمتاع منها إلا غراماً بها فقلبت شعرها يوماً فإذا فيه شعرتان بيضاوان فأخبرتها فارتاعت : وقالت أرني فأريتها فقالت : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾⁽⁸³⁾ ثم

نظرت إلى وقالت : اعلم أنه لو لم تفترض على طاعتك لما أويت إليك فدع لي ليلي أو نهاري لأنزود فيه لآخرتي ، فقلت : لا ولا كرامة . فغضبت وقالت : أتحول بيني وبين ربي وقد آذنتي بلاقائه ؟ اللهم بدل حبه لي بغضاً قال : فبت وما شيء أحب إلي من بعدها عني وعرضتها للبيع فأتاني من أعطاني فيها ما أريد ، فلما عزمتم على البيع بكيت فقلت : أنت أردت هذا ، فقالت : والله ما اخترت عليك شيئاً من الدنيا هل لك إلى ما هو خير لك من ثمني ؟ قلت : وما هو ؟ قالت : تعتقني لله عز وجل ، فإنه أملك لك منك لي وأعود عليك منك على ، فقلت : قد فعلت ، فقالت : أمضى الله صفقتك وبلغك أضعاف أملك . وتزهدت فبغضت إلى الدنيا ونعيمها .

١٦٦- (وقال) عبد الله بن أبي نوح : رأيت كهلاً بمسجد رسول الله

ﷺ لا يزال ينفذ الغبار عن جدرانته بسعفة فسألت عنه فقيل : إنه من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأن له أولاداً وموالى ونعمة موفورة ، وأنه اطلع في مرآته فصرخ وجن ولزم المسجد كما ترى ، وإذا أراد أهله أن يأخذوه ليداووه ويصونوه هرب منهم وعاذ بالقبر المكرم فتركوه ، فرقبته نهراً فلم أر منه اختلافاً ، ورقبته ليلاً فلما ذهب جنح من الليل خرج من المسجد فتبعته حتى أتى البقيع ، فقام يصلي ويكفي حتى قرب طلوع الفجر ، فجلس يدعو وجاءت إليه دابة لا أدرى أشاة أم ظبية أم غيرها فقامت عنده وتفاجت⁽⁸⁴⁾ فالتقم ضرعها فشرب ثم مسح ظهرها وقال : اذهبي بارك الله فيك ، فولت تهرع فانسللت فسبقته إلى المسجد فأقمت ليالي أخرج بخروجه إلى البقيع ولا يشعر بي وسمعتة يقول في مناجاته : اللهم إنك

84- تفاجت : باعدت بين رجليها استعداداً للحلب .

أرسلت إلى ولم تأذن لي فإن كنت قد رضىتنى فائذن لي ، وإن لم ترضنى فوقفتنى لما يرضيك ، قال : فلما حان رحيلى أتيتته مودعاً فتهجمنى فقلت : أنا صاحبك منذ ليال بالبقيع أصلى بصلاتك وأؤمن على دعائك قال : هل أطلعت على ذلك أحداً ؟ قلت : لا . قال : انصرف راشداً وقلت : ما الرسول الذى أرسل إليك ؟ قال : اطلعت فى المرأة فرأيت شبيهة فى وجهى ، فعلمت أنها رسول الله إلى فقلت : ادع لى قال : ما أنا أهل لذلك ولكن تعال نتوسل إلى الله برسوله ، فقمتم معه تجاه القبر المكرم ، فقال : ما حاجتك ؟ قلت : العفو فدعا دعاء خفيفاً فأمنت ، ثم مال على جدار القبر فإذا هو ميت ، فتنحيت عنه حتى فطن الناس له ، وجاء أولاده ومواليه فاحتملوه وجهزوه وصليت عليه فيمن صلى .

١٦٧- ويقال أن ملكاً من ملوك اليونان استعمل على ملبسه أمة أدبها بعض الحكماء فألبسته يوماً ثيابه وأرته المرأة فرأى فى وجهه شعرة بيضاء فاستدعى بالمقراض⁽⁸⁵⁾ وقصها ، فأخذتها الأمة فقبلتها ووضعها على كفها وأصغت بأذنها إليها ، فقال لها الملك : إلى أى شيء تصغين ؟ فقالت : إننى أسمع هذه المبتلاة بفقد كرامة قرب الملك تقول قولاً عجيباً قال : ما هو ؟ قالت : لا يجترئ لسانى على النطق به . قال : قولى وأنت آمنة ما لزمتم الحكمة . قالت ما معناه : إنها تقول : أيها الملك المسلط إلى أمد قريب ، إنى خفت بطشك بى فلم أظهر حتى عهدت إلى بناتى أن يأخذن بشأرى ، وكأنك بهن قد خرجن عليك فيما أن يعجلن الفتك بك ، وإما أن ينقصن شهوتك وقوتك وصحتك حتى تعد الموت غنماً فقال : اكتبى كلامك ، فكتبته فتدبره ، ثم نبذ ملكه فى حديث ، وهذا المقصود منه ، وفى معناه قيل :

85- المقراض : المقص .

وزائرة للشيب لاحت بمفرقى فبادرتها خوفاً من الحشف بالنتف (86)
فقلت على ضعفى استطعت ووحدتى رويدك^٢ حتى يلحق الجيش من خلفى
١٦٨- وفى الإسرائيليات أن إبراهيم الخليل لما رجع من تقريب ولده
إلى ربه عز وجل رأت سارة فى لحيته شعرة بيضاء ، وكان عليه السلام أول
من شاب على وجه الأرض ، فأنكرتها وأرته إياها ، فجعل يتأملها ، فأعجبته ،
وكرهتها سارة ، وطالبته بإزالتها فأبى ، فأتاه ملك الموت . فقال : السلام
عليك يا إبراهيم وكان اسمه إبرام ، فزاده فى اسمه هاء والهاء فى السريانية
للتفخيم والتعظيم ، ففرح بذلك فقال : أشكر إلهى وإله كل شىء فقال له
الملك : إن الله قد صيرك معظماً فى أهل السماوات وأهل الأرض ، وقد
وسمك بسمه أهل الوقار فى اسمك وفى خلقك ، أما اسمك فإنك تدعى فى
أهل السماء وأهل الأرض : إبراهيم ، وأما خلقك : فقد أنزل وقاراً
ونوراً على شعرك ، فأخبر سارة بما قال له الملك وقال هذا الذى كرهته نور
ووقار ، قالت : إبنى كارهة له . قال : لكنى أحبه ، اللهم زدنى نوراً ووقاراً
فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها .

١٦٩- وفى الآثار النبوية : « من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا

يوم القيامة ».

86- المفرق : المفرق من الرأس حيث يفرق الشعر .

^٢ رويدك : اسم فعل بمعنى أمهلنى .

(١٦٩) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٢١٠) ، (٤ / ١١٣ ، ٢١٠) ، (٦ /

٢٠ / ٢٠) ، وابن أبى شيبه (٥ / ٣٠٩) وعبد الرزاق (١٥٢) ، (٩٥٤٤) ، (٩٥٤٨) ،

والترمذى (١٦٣٤) ، (١٦٣٥) ، والنسائى (٦ / ٢٦) ، وابن حبان (٤ / ٢٧٩) ،

والطبرانى (٥٨) ، (١٨ / ٣٠٤) فى الكبير ، والبيهقى (٩ / ١٦١ ، ١٦٢) ، (١٠ /

٢٧٢) . من حديث عمرو بن عبسة ، وكعب بن مرة ، ومعاذ ، وفضالة بن عبيد ، وعمر بن

الخطاب ، وفى الباب عن كعب بن عجرة ، وجابر ، وأنس ، وأبى الدرداء رضى الله عنهم

أجمعين .

التذكرة

باب متى تنقطع معرفة العبد بالناس

١٧٠- وروى أن رسول الله ﷺ قال : إن الله ليستحيى أن يعذب ذا شيبة . والأخبار في هذا الباب كثيرة ، وكذلك الشعر اكتفينا منه بما ذكرنا وبالله توفيقنا .

١٧١- وقال أعرابي في الشيب والخضاب :

يا بؤس من فقد الشباب وغيرت منه مفارق رأسه بخضاب
يرجو غضارة وجهه بخضابه ومصير كل عمارة لخراب (87)
شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
إنى وجدت أجل كل مصيبة فقد الشباب وفرقة الأحباب

باب متى تنقطع معرفة العبد من الناس

وفجد التوبة وبيانها ، وفجد التائب من هو ؟

١٧٢- ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري (قال) سألت رسول الله ﷺ

(١٧٠) حديث ضعيف . أخرجه ابن أبي عاصم فى السنة (١ / ١٦) من حديث أنس وقال الألبانى : إسناده ضعيف ، وأبو عتيك لم أجد له ترجمة ، وصالح بن راشد إن كان القرشى فهو شامى لا يعرف ، كما قال الذهبى فى الميزان ، وإن كان أبا عبد الله العيسى الراوى عن الحسن البصرى ، فقد ترجمه ابن أبى حاتم (٢ / ١ / ٤٠١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً . قلت : وأخرجه الخطيب (٢ / ٢٣٥) فى تاريخه من حديث جرير وفى سنده محمد بن الحسين الكاتب لم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وأحمد بن عبيد ، قال ابن عدى له مناكير ، وقال الحاكم : لا يتابع على جل حديثه .

وقال العجلونى : ابن النجار بسند ضعيف ، انظر كشف الخفاء (١ / ٢٨٤) .

87- الغضارة : النعمة والسعة وهى هنا بمعنى جمال وجهه .

(١٧٢) حديث ضعيف جداً . أخرجه ابن ماجه (١٤٥٣) ، والخطيب

متى تنقطع معرفة العبد من الناس ؟ قال : إذا عاين .

١٧٣- فصل : قوله : إذا عاين ، يريد إذا عاين ملك الموت أو الملائكة والله أعلم ، وهو معنى قوله عليه (الصلاة و) السلام في الحديث الآخر : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » أخرجه الترمذى أى عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة أو هوان ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان ، كما قال تعالى فى محكم البيان ﴿ فليريك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ (٨٨) وقال تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ﴾ (٨٩) فالتوبة مبسطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح ، وذلك عند غرغرة بالروح ، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين ، فشخص من الصدر إلى الحلقوم . فعندها المعاينة ، وعندها حضور الموت ، فاعلم ذلك ، فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ (٩٠) .

= (٨ / ٤٠٨ - ٤٠٩) فى تاريخه فى سنده نصر بن حماد ضعيف ، واتهمه بالكذب ابن معين ، وقال مسلم : ذاهب الحديث ، وقال صالح جزرة : لا يكتب حديثه .

(١٧٣) حديث صحيح . أخرجه الترمذى (٣٥٣١) ، وابن ماجه (٤٢٥٣) ، وأحمد (٢ / ١٣٢) ، وابن حبان (٢٤٤٩) ، والحاكم (٤ / ٢٥١) وصححه ، وأقره الذهبى والبغوى (١٣٠٦) فى شرح السنة ، وأبو نعيم (٥ / ١٩٠) فى الحلية ، من حديث ابن عمر .

وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن البيلماني ، أخرجه أحمد (٣ / ٤٢٥) ، وابن أبي الدنيا (١٥٠) فى التوبة بتحقيقى ، وسنده ضعيف .

88- سورة : غافر الآية : ٨٥ .

89- سورة : النساء من الآية : ١٨ .

90 - سورة : النساء من الآية : ١٧ .

١٧٤- قال ابن عباس والسدى : من قريب : قبل المرض والموت .
١٧٥- وقال أبو مجلز والضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم : قبل
المعاينة للملائكة والسوق وأن يغلب المرء على نفسه ، ولقد أحسن محمود
الوراق حيث قال :

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الألسن
بادر به غلق النفوس فإنها ذخرو غنم للمنيب المحسن
قال علماؤنا - رحمهم الله - وإنما صحت منه التوبة في هذا الوقت
لأن الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل . وقيل : المعنى :
يتوبون على قرب عهد من الذنب من غير إصرار . والمبادرة في الصحة
أفضل وألحق لأمله من العمل الصالح والبعد كل البعد من الموت ، وأما ما
كان قبل الموت فهو قريب . عن الضحاك أيضاً .

١٧٦- (وقيل) عن الحسن (البصري) : لما هبط إبليس قال : بعزتك لا أفارق
ابن آدم ما دام الروح في جسده ، قال الله تعالى : « وعزتي لا أحجب التوبة
(١٧٤) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٤٠) في التوبة ، وابن جرير (٤ / ٢٠٣ ، ٢٠٤)
بسندين أحدهما فيه أبو النظر محمد بن السائب متهم بالكذب ، والثاني فيه ابن أبي طلحة لم
يسمع من ابن عباس .

وأخرجه ابن جرير (٤ / ٢٠٤) عن السدى بسند حسن .
(١٧٥) انظر : تفسير الطبري (٤ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) ، وتفسير عبد الرزاق (٥٣٧) ،
والدر المنثور (٢ / ١٣٠) ، شعب الإيمان (٧٠٧٤) .

(١٧٦) الخبر من الإسرائيليات . وروى معناه مرفوعاً بسند حسن أخرجه أحمد (٣ /
٧٦) من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، وأخرجه أبو
نعيم (٨ / ٣٣٢) من طريق ابن صالح عن الليث عن يزيد بن عبد الله عن عمرو بن أبي
عمرو عن أبي سعيد الخدري به .

والأول نسخة ضعيفة ، والثاني حسن في الشواهد والمتابعات .

التوبة عن ابن آدم ما لم تغرغر نفسه». والتوبة فرض على المؤمنين باتفاق المسلمين لقوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾⁽⁹¹⁾ وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾⁽⁹²⁾.

ولها شروط أربعة: الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على أن لا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى، وخوفاً منه لا من غيره فإذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة. وقد قيل: من شروطها: الاعتراف بالذنب وكثرة الاستغفار الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه: أستغفر الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر.

١٧٧- وروى عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: هذا مقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكباً على الظلم حريصاً عليه لا يقلع والسبحة في يده زاعماً أنه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف. وهو ممن اتخذ آيات الله هزواً وفي التنزيل ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾⁽⁹³⁾.

91- سورة: النور من الآية: ٣١.

92- سورة: التحريم من الآية: ٨.

(١٧٧) أخرجه بنحوه ابن الجوزي (٤ / ٢٧) في صفة الصفوة، لكن من قول رابعة

العدوية، وانظر: الإحياء (٤ / ٤٧).

93- سورة: البقرة من الآية ٢٣١.

١٧٨- وروى عن على رضى الله عنه أنه رأى رجلاً قد فرغ من صلاته ، وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، سريعاً فقال له : يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى توبة ، قال : يا أمير المؤمنين : وما التوبة؟ قال : اسم يقع على ستة معان : على الماضى من الذنوب ، الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم إلى أهلها ، وأدب النفس (94) فى الطاعة كما أدبتها فى المعصية ، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، وأن تزين نفسك فى طاعة الله كما زينتها فى معصية الله ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته .

١٧٩- وقال أبو بكر الوراق : التوبة أن تكون نصوحاً ، وهو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت ، وتضيق عليك نفسك ، كالثلاثة الذين خلفوا .

١٨٠- وقيل : التوبة النصوح هى رد المظالم واستحلال الخصوم وإدمان الطاعات وقيل : غير هذا ، وبالجمله فالذنوب التى يتاب منها إما كفر أو غيره ، فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على سالف كفره ، وليس مجرد الإيمان نفس التوبة ، وغير الكفر : إما حق الله وإما حق لغيره ، فحق الله تعالى يكفى فى التوبة منه الترك غير أن منها ما لم يكتف الشرح فيها بمجرد 94- وأدب النفس : أدب النفس فى الطاعة : أدمها فيها ، واستمر عليها .

الترك ، بل أضاف إلى ذلك فى بعضها قضاء ، كالصلاة والصوم ، ومنها ما أضاف إليه كفارة كالحنث فى الأيمان وغير ذلك ، وأما حقوق الآدميين فلا بد من إيصالها إلى مستحقيها فإن لم يوجدوا تصدق عنهم ، ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعساره ، فعفو الله مأمول وفضله مبذول . فكم ضمن من التبعات وبدل من السيئات بالحسنات ، وعليه أن يكثر من الأعمال الصالحات ويستغفر لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات فهذا الكلام فى حقيقة التوبة .

١٨١- وقد روى مرفوعاً فى صفة التائب من حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال وهو فى جماعة من أصحابه : « أتدرون من التائب » ؟ قالوا : اللهم لا . قال : « إذا تاب العبد ولم يرض خصماًؤه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير نفقته وزينته فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير فراشه ووساده فليس بتائب . ومن تاب ولم يوسع خلقه فليس بتائب ، ومن تاب ، ولم يوسع قلبه وكفه فليس بتائب » . ثم قال النبى ﷺ « فإذا تاب عن هذه الخصال فذلك تائب حقاً » .

١٨٢- قال العلماء : إرضاء الخصوم يكون بأن يرد عليهم ما غضبهم من مال أو خانهم أو غلهم أو اغتابهم أو خرق أعراضهم أو شتمهم أو سبهم فيرضيهم بما استطاع ويتحللهم من ذلك ، فإن انقضوا فإن كان لهم قبله مال رده إلى الورثة ، وإن لم يعرف الورثة تصدق به عنهم ويستغفر

(١٨١) لم أقف عليه . ولوائح الضعف والوضع واضحة فى متنه .

لهم بعد الموت ، ويدعو : اللهم عوض الذم والغيبة لا خلاف في هذا ، وأما تغيير اللباس فهو أن يستبدل ما عليه من الحرام بالحلال ، وإن كانت ثياب كبر وخيلاء استبدلها بأطمار⁽⁹⁵⁾ متوسطة ، وتغيير المجلس : هو بأن يترك مجالس اللهو واللعب والجهال والأحداث . ويجالس العلماء ومجالس الذكر والفقراء والصالحين ويتقرب إلى قلوبهم بالخدمة وبما يستطيع ويصافحهم . وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال ويجانب ما كان من شبهة أو شهوة ، ويغير أوقات أكله ، ولا يقصد اللذيذ من الأطعمة، وتغيير النفقة هو بترك الحرام وكسب الحلال ، وتغيير الزينة بترك التزين في الأثاث، والبناء ، واللباس ، والطعام ، والشراب، وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوض ما كان يشغله بالبطالة والغفلة والمعصية كما قال الله تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾⁽⁹⁶⁾ . وتغيير الخلق هو بأن ينقلب خلقه من الشدة إلى اللين ومن الضيق إلى السعة ومن الشكاسة إلى السماحة . وتوسيع القلب يكون بالإتفاق ثقة بالقيام على كل حال ، وتوسيع الكف بالسخاء والإيثار بالعطاء ، هكذا يبدل كل ما كان فيه كشرب الخمر بكسره وسقى اللبن والعسل والزنا بكفالة الأرملة واليتيمة وتجهيزهما ويكون مع ذلك نادماً على ما سلف منه ، ومتحسراً على ما ضيع من عمره ، فإذا كملت التوبة به على هذه الخصال التي ذكرنا والشروط التي بينا تقبلها الله بكرمه وأنسى حافظيه وبقاع الأرض خطاياهم وذنوبه . قال الله تعالى : ﴿ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾⁽⁹⁷⁾ .

95- أطمار : جمع طمر : الثوب الخلق البالي .

96- سورة: السجدة من الآية : ١٦ .

97- سورة: طه : ٨٢ .

١٨٣- والأصل فى هذه الجملة : حديث أبي هريرة رضى الله عنه فى الرجل الذى قتل مائة نفس ثم سأل : هل له من توبة ؟ فقال له العالم : ومن يحول بينك وبينها ، انطلق إلى أرض بنى فلان فإن بها ناسا صالحين يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا تعد إلى أرضك فإنها أرض سوء. الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح .

١٨٤- وفى مسند أبى داود الطيالسى : حدثنا زهير بن معاوية ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن زياد وليس بابن أبى مريم ، عن عبد الله بن مغفل قال : كنت مع أبى وأنا إلى جنبه عند عبد الله بن مسعود فقال له أبى : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله عز وجل تاب الله عليه ؟ » فقال : نعم سمعته يقول : « الندم توبة » .

١٨٥- وفى صحيح مسلم ، والبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه » .

(١٨٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٤٧٠) ، ومسلم (٢٧٦٦) ، وأحمد (٣ / ٧٢) .

(١٨٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١ / ٣٧٦ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣) ، وابن ماجه (٤٢٥٢) ، والحاكم (٤ / ٢٤٣) وصححه وأقره الذهبى ، والبغوى (٥ / ٩١) فى شرح السنة برقم (١٣٠٧) ، وأبو نعيم (٨ / ٢٥١ ، ٣١٢) فى الحلية ، والبيهقى (١٠ / ١٥٤) فى سننه الكبرى ، والطبرانى (١ / ٣٣) فى الصغير ، ويروى عن ابن مسعود موقوفاً ، وفى الباب عن أنس بن مالك .

(١٨٥) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣ / ٢٣٠) (٦ / ١٣٠) ومسلم (٢٧٧٠) ، وأحمد (٦ / ١٩٦) ، والبيهقى (١٠ / ١٥٣) فى سننه الكبرى ، والطبرى (١٨ / ٧٣) فى تفسيره .

١٨٦- وروى أبو حاتم البستي في المسند الصحيح له عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبى سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر ثم قال : « والذي نفسى بيده » ثلاث مرات ثم سكت فأكب كل رجل منا ييكي حزيناً ليمين رسول الله ﷺ ثم قال : « ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة حتى إنها لتصفق . ثم تلا : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ (98) .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : فدل القرآن على أن في الذنوب كبائر وصغائر ، خلافاً لمن قال : كلها كبائر ، حسب ما بيناه في سورة النساء ، وأن الصغائر كاللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعاً بوعده الصدق ، وقوله الحق ، لا إنه يجب عليه ذلك ، لكن بضميمة أخرى إلي الاجتناب ، وهي إقامة الفرائض كما نص عليه الحديث .

١٨٧- ومثله : ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان

(١٨٦) إسناده ضعيف . أخرجه ابن حبان (٣ / ١٢٢) برقم (١٧٤٥) ، والحاكم (٢٠٠ / ١) ، (٢٤٠ / ٢) وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي (١٠ / ١٨٧) في سننه الكبرى .

في سننه صهيب مولى العتاري ، وهو مقبول يعنى يتابع على حديثه ، وإلا فهو لين الحديث ، ولم أقف له على متابع والله أعلم .
98- سورة : النساء من الآية : ٣١ .

(١٨٧) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٣٢٣) ، وأحمد (٢ / ٤٠٠ ، ٤١٤ ، ٤٨٤) ، والترمذي (٢١٤) ، وابن ماجه (٥٩٨) ، وأبو عوانة (٢ / ٢٠) ، وابن حبان (٤ / ٦٥) ، والبيهقي (٢ / ٤٦٦) في سننه الكبرى .

مكفرات ما بينهم إذا اجتنبت الكبائر « على هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء ، وهو الصحيح في الباب . وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة منها والإقلاع عنها كما بينا ، وقد اختلف في تعيينها ليس هذا موضع ذكرها ، وسيأتي في القصاص .
وفى أبواب النار جملة منها إن شاء الله تعالى .

باب لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يبشر وأنه يصعد بها

١٨٨- ابن المبارك قال : أخبرنا حيوة قال : أخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال : إذا استنقعت (99) نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال : السلام عليك يا ولي الله ، الله يقرئك السلام ، ثم نزع بهذه الآية ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلاما عليهم ﴾ (100).
١٨٩- وقال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام .

(١٨٨) خير حسن . أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٤٢) ، والبيهقي (٤٠٢) في شعب الإيمان ، وأبو نعيم (٣ / ٢١٧) في الحلية ، وأبو الشيخ (٤٤٠) في العظمة والطبري في تفسيره (١٤ / ١٠١) وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن منده كما في الدر المنثور (٤ / ١١٧) .

99- استنقعت : هدأت واطمأنت استعدادا لخروج الروح .

100- سورة : النحل من الآية : ٣٢

(١٨٩) أخرجه المروزي ، وأبو الشيخ في « تفسيره » وابن أبي الدنيا في « ذكر

الموت » كما في شرح الصدور (ص / ٨٥) للسيوطي .

١٩٠- وعن البراء بن عازب فى قوله (تعالى) ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ (101) فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه ، لا يقبض روحه حتى يسلم عليه .
١٩١- وقال مجاهد : إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه .

١٩٢- ابن ماجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقولون : فلان بن فلان فيقال : مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها

(١٩٠) خبر حسن . أخرجه ابن أبى شيبه (٨ / ١٩٥) فى مصنفه ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٠٣) . وأورده السيوطى فى شرح الصدور (ص / ٨٥) وعزاه إلى ابن أبى حاتم . وابن أبى الدنيا والحاكم وصححه .
101- سورة : الأحزاب من الآية : ٤٤ .

(١٩١) إسناده ضعيف جداً . أخرجه ابن أبى الدنيا (١٦) فى المنامات بتحقيقى .
شرح الصدور (ص / ٨٦) وبشرى الكتيب (ص / ٣٠) كلاهما للسيوطى ، وعزاه لأبى نعيم (٤٢٦٢) ، وابن جرير (٨ / ١٢٩) فى تفسيره ، وابن حبان (٥ / ٧) ، والحاكم (١ / ٣٥٣) .

الله تعالى . فإذا كان الرجل السوء قال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة وأبشرى بجحيم وغساق (102) ، وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث . ارجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء ، فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر » خرجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة .

١٩٣- قال : حدثنا شعبة بن يسار ، سوار عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، وهذا إسناد صحيح ثابت ، اتفق على رجاله البخارى ومسلم ما عدا ابن أبي شيبة فإنه لمسلم وحده خرجه عبد بن حميد أيضاً عن ابن ذئب قال محمد بن عمر ، فحدثني سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجى أيتها الروح الطيبة » فذكره مسلم عن أبي هريرة قال : « إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها » .

قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك ، قال : ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قبل الأرض ، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمينه . فينطلق بها إلى ربه ثم يقول : انطلقوا بها إلى آخر الأجل ، وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد : وذكر من نتنها وذكر لعناً . ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال : فيقال : انطلقوا

102- غساق : ما يسيل من جلود أهل النار وصديدهم من قيح ونحوه .

(١٩٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٨٧٢) ، وانظر السابق .

بها إلى آخر الأجل . قال أبو هريرة : فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا .

١٩٤- [أخرجه البخارى عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقالت عائشة - أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت، فقال : « ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه » أخرجه مسلم وابن ماجه من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضى الله (عنهم) .

١٩٥- فصل : هذا الحديث ، وإن كان مفسراً مبيناً ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها فى تفسير هذا الحديث أنها قالت لشريح بن هانئ ، وقد سألها عما سمعه من أبي هريرة وليس بالذى تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد تشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . خرجه مسلم .

(١٩٤) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٣٣) ، ومسلم (٢٦٨٤) ، وأحمد (٦ / ٤٤ ، ٥٥) ، والترمذى (١٠٦٦) ، (٢٣٠٩) ، والنسائى (٤ / ٩ ، ١٠) والدارمى (٢ / ٣١٢) فى سننه ، وابن حبان (٥ / ٦) ، والبيهقى (٤٧) فى إثبات عذاب القبر .

وفى الباب عن عائشة ، وأبي هريرة ، وابن مسعود ، وأنس رضى الله عنهم أجمعين . (١٩٥) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٦٨٥) ، وأحمد (٢ / ٣٤٦) وغيرهما .

١٩٦- وروى عنها أيضاً في تفسيره أنها قالت: إذا أرد الله بعبد خيراً قيض له قبل موته بعام ملكاً فسدده ووقفه حتى يقول الناس: مات فلان خير ما كان، فإذا حضر ورأى ثوابه تهوَّع نفسه أو قال تهوَّعت نفسه، فذلك حين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا أراد الله بعبد شراً قيض له قبل موته بعام شيطاناً فأضله وفتنه حتى يقول الناس مات فلان شر ما كان أحضر ورأى ما ينزل به من العذاب تبلغ نفسه، فذلك حين يكره لقاء الله وكره الله لقاءه.

١٩٧- وخرج الترمذى في أبواب القدر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً استعمله، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت. قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

١٩٨- قال الشيخ المؤلف رحمه الله ومنه الحديث الآخر: إذا أراد الله بعبد خيراً غسله. قالوا يا رسول الله وما غسله؟ قال: يفتح الله له عملاً صالحاً بين يدي موته متى* يرضى عنه من حوله.

١٩٩- وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿فروح وريحان﴾ (١٠٣) قال:

(١٩٦) إسناده ضعيف. أخرجه عبد الرزاق (٦٧٤٩) في مصنفه، وابن أبي الدنيا كما في شرح الصدور (ص / ٢٧) وفي سنده عن عنة الأعمش، وهو مدلس.
(١٩٧) حديث صحيح. أخرجه أحمد (٣ / ١٠٦، ١٢٠)، والترمذى (٢١٤٢)، وابن المبارك (٣٤٥) في الزهد، وابن حبان (١ / ٢٧٨)، والحاكم (١ / ٣٤٠) وصححه وأقره الذهبي، وأحمد في الزهد (ص / ٣٩٨) وفي الباب عن عمرو بن الحمق.
(١٩٨) حديث صحيح. أخرجه أحمد (٤ / ٢٠٠)، وابن أبي عاصم (١ / ١٧٥) في السنة، والطبراني (٧٥٢٢)، (٧٧٢٥) في الكبير.
* كذا بالأصل والصواب: حتى، لتناسب السياق.

(١٩٩) خبر صحيح. أخرجه ابن جرير (٢٧ / ١٢٢) في تفسيره بسنده عن قتادة والدر المنثور (٦ / ١٦٦) وعزاه إلى أبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(١٠٣) سورة الواقعة، الآية: ٨٩.

الروح : الرحمة ، والريحان : تتلقاه به الملائكة عند الموت .
 ٢٠٠- وروى ابن جريج عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة في تفسير قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ﴾⁽¹⁰⁴⁾ إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : إلى دار الهموم والأحزان ؟ ويقول : قدما إلى الله عز وجل ، وأما الكافر ، فيقولون : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : ﴿ ارجعون لعلى أعمل صالحا ﴾⁽¹⁰⁵⁾ الآية .
 ٢٠١- وأما قوله في الحديث : حتى ينتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى ، فالمعنى أمر الله وحكمه وهى السماء التى عندها

(٢٠٠) حديث ضعيف . إسناده منقطع .

أخرجه ابن جرير (١٨ / ٤٠) بنفس السند فى تفسيره ، وابن المنذر فى تفسيره كما فى شرح الصدور (ص / ٨٣) .

(104) سورة المؤمنون الآية ٩٩

(105) سورة المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢٠١) قوله فى الحديث «السماء التى فيها الله» مثل قوله تعالى: ﴿ أأمنتم من فى السماء ﴾ وهذه الآية الكريمة ، ومثلها الحديث النبوى عند أهل التفسير من السلف الصالحين على أحد وجهين :

إما أن تكون فى بمعنى على ، وإما أن يراد بالسماء العلو ، لا يختلفون فى ذلك ، ولا يجوز الحمل على غيره من أقوال كالقول الذى ذكره القرطبى .

ففى الحديث ، وكذلك الآية دليل على علو الله تعالى على خلقه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : كل هذا الكلام الذى ذكره الله من أنه فوق العرش ، وأن معناه حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن السماء ثقله ، أو تظله ، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان ، فإن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض ، وهو الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ويمسك السموات أن تقع على الأرض إلا بإذنه .

انظر : الأسئلة على العقيدة الواسطية (ص / ٨٧) .

سدرة المنتهى التى إليها يصعد ما يعرج به من الأرض ومنها يهبط ما ينزل به منها . كذا قى صحيح مسلم من حديث الإسراء .
وفى حديث البراء أنه ينتهى به إلى السماء السابعة، وسيأتى إن شاء الله تعالى .

٢٠٢- وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم ونظر ، ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر من قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ⁽¹⁰⁶⁾ ﴾ فذكره له هذا الحديث فما كان منه إلا أن بادر إلى عدم صحته ولعن رواته وبين أيدينا رطب نأكله ، فقلت له : الحديث صحيح خرجه ابن ماجه في السنن ولا ترد الأخبار بمثل هذا القول ، بل تتأول وتحمل على ما يليق من التأويل والذين رووها الذين رووا لنا الصلوات الخمس ، وأحكامها ، فإن صدقوا هنا صدقوا هناك ، وإن كذبوا هنا كذبوا هناك ، ولا تحصل الثقة بأحد فيما يرويه .

٢٠٣- وقد خرج البزار فى مسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن المؤمن إذا احتضر أتنه الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ⁽¹⁰⁷⁾ ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية ⁽¹⁰⁸⁾ ﴾ مرضياً عنك إلى روح الله وكرامته ، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطيت عليها الحريرة وذهب بها إلى عليين ، وإن الكافر إذا

(٢٠٢) عقيدة السلف الصالح فى هذه الآية الكريمة أن الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .
106- سورة طه ، الآية : ٥ .

(٢٠٣) حديث صحيح . أخرجه الحاكم (١ / ٣٥٢ - ٣٥٣) وصححه ، وأقره الذهبى وأبو نعيم فى حلية الأولياء (٣ / ١٠٤) ، وابن مردويه كما فى شرح الصدور (ص / ٦٤) .
وسبق تخريجه بنحوه عن أبي هريرة وغيره .

107 - ضبائر الريحان : المجموعة من الريحان ، والريحان : نبات طيب الرائحة .

108- سورة الفجر ، الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .

التذكيرة

لا تخرج روح العبد حتى يبشر

وإن الكافر إذا احتضر أته الملائكة بمسح فيه جمرة ، فتتزع روحه انتزاعاً شديداً ، ويقال : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ، ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين » .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : فقوله في روح المؤمن : يذهب بها إلى عليين هو معنى ما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم إلى السماء التي فيها الله ، والأحاديث يفسر بعضها بعضاً ولا إشكال .

وذكرته عند بعض من يتسم بالعلم والفقه والقضاء فلم يكن منه إلا أن بادر بلعن من رواه ونقله . فظن منه التجسيم ، فقلت له : الحديث صحيح والذين رواه هم الذين جاءوا بالصلوات الخمس وغيرها من أمور الدين ، فإن كذبوا هنا كذبوا هنالك ، وإن صدقوا هنا صدقوا هنالك والتأويل مزيل ما توهمته ، وكان في ذلك كلام وحضره جماعة من أهل الفقه والنظر فذكرت له ما ذكرناه ، وذكرت له حديث التنزيل وقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (109) ، وما تأوله العلماء في ذلك ، وسيأتى من ذلك في هذا الكتاب ما فيه كفاية لمن اهتدى والحمد لله .

وأما قوله ، في حديث محمد بن كعب أول الباب ، إذا استنقعت نفس المؤمن ، فقال شمر لا أعرفه ، وسمعت الزهري يقول : يعني إذا اجتمعت في فيه حين تريد أن تخرج كما يستنقع الماء في قراره ، والنفس : الروح ها هنا حكاه الهروي .

باب ما جاء في تلاقح الأرواح في السماء والسؤال عن أهل الأرض وفي عرض الأعمال

٢٠٤- ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه قال : إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير في الدنيا ، فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض : أنظروا أخاكم حتى يستريح ، فإنه كان في كرب شديد قال : فيقبلون عليه فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت ؟ فإذا سأله عن الرجل قد مات قبله فيقول : إنه هلك فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية قال : فتعرض عليهم أعماله فإن رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وقالوا : اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها ، وإن رأوا شراً قالوا : اللهم راجع بعبدك .

٢٠٥- قال ابن المبارك : وأخبرنا صفوان بن عمرو ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن أبا الدرداء كان يقول : إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويسأؤون قال : يقول أبو الدرداء : اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً يخزى به عبد الله بن رواحة .

(٢٠٤) خبر حسن موقوف . أخرجه ابن المبارك (٤٤٣) في الزهد موقوفاً ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في المناامات (٣) بتحقيقى ، وقال ابن صاعد : رواه سلام الطويل عن ثور فرفعه ، قلت : سلام الطويل من المتروكين فالإسناد ضعيف جداً .
وأخرجه الطبراني (٣٨٨٧) مرفوعاً في الكبير ، وفي سنده مسلمة بن على ، وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٧) .

(٢٠٥) خبر صحيح موقوف . أخرجه ابن المبارك (٤٤٣) في الزهد و (١٦٥) في الزهد من زوائد نعيم ، وابن أبي الدنيا (٤) في المناامات ، والأصبهاني كما في شرح الصدور (ص / ٢٦٥) للسيوطي ، وأورده ابن رجب في الأحوال (٣٠٩) نقلاً عن ابن أبي الدنيا .

٢٠٦- وفي رواية : اللهم إني أعوذ بك من عمل يخزيني عند عبد الله بن رواحة .

٢٠٧- أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفي قال : أخبرني عثمان بن عبد الله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له : استأذن لي على ابنة أخي ، وهي زوجة عثمان وهي ابنة عمرو بن أوس ، فاستأذنت له فدخل عليها ثم قال : كيف يفعل بك زوجك ؟ قالت : إنه إلى المحسن فيما استطاع فالتفت إلي ثم قال : يا عثمان أحسن إليها فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس فقلت : وهل تأتي الأموات أخبار الأحياء ؟ قال : نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه ، فإن كان خيراً سر به وفرح وهنيئ به ، وإن كان شراً ابتأس وحزن به حتى إنهم ليسألون عن الرجل قد مات فيقال : أو لم يأتكم ؟ فيقولون : لا ، خولف به إلى أمه الهاوية .

٢٠٨- وعن الحسن البصري رضى الله عنه قال : إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء فتلقيه أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقول : أو لم يأتكم ؟ فيقولون : لا والله ما جاءنا ولا مر بنا فيقولون : سلك به إلى أمه الهاوية ... فبئست الأم وبئست المربية .

(٢٠٦) خبر صحيح ابن المبارك (١٦٥) وأخرجه ابن أبي الدنيا (٤) في المنامات وأورده ابن رجب في أحوال القبور (٣١١) والسيوطي في شرح الصدور (ص / ٢٦٥) كلاهما نقلاً عن ابن أبي الدنيا.

(٢٠٧) خبر حسن . أخرجه ابن المبارك في الزهد ، كما في أحوال القبور (٣١٣) ، وشرح الصدور (ص / ٢٦٥) ، وهو برقم (٤٤٧) في الزهد .
(٢٠٨) خبر صحيح . أخرجه ابن المبارك (٤٤٣) بسند صحيح عن أبي أيوب الأنصاري .

٢٠٩- وقال وهب بن منبه : إن لله في السماء السابعة داراً يقال لها : البيضاء ، تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا ، تلقتهم الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم إليهم ، ذكره أبو نعيم رحمه الله .

فصل : هذه الأخبار وإن كانت موقوفة فمثلها لا يقال من جهة الرأي .
٢١٠- وقد خرج النسائي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال الحديث وفيه : « فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فيقولون : دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال : أو ما أتاكم ؟ قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية » وذكر الحديث : وسيأتي بكماله إن شاء الله تعالى .
٢١١- وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال : حدثنا أبي

(٢٠٩) إسناده ضعيف . أخرجه أبو نعيم (٤ / ٦٠) في الحلية بسنده عن الحكم بن أبان قال : نزل بي ضيف من أهل صنعاء ، فتمال : سمعت وهب بن منبه يقول فذكره في سنده جهالة شيخ ابن أبان ، وأورده السيوطي في شرح الصدور (ص / ٢٣٥) ولمزيد من التفصيل حول تلك المسألة عليك بالرجوع إلى الروح (ص / ٨٧) لابن القيم .
(٢١٠) حديث صحيح . أخرجه النسائي (٤ / ٨) والحاكم (١ / ٣٥٣) وصححه وأقره الذهبي ، وابن حبان (٥ / ٨) برقم (٣٠٠٣) وسبق تخريجه من طرق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢١١) حديث ضعيف أخرجه أحمد (٣ / ١٦٥) ، والحكيم في النوادر (ص / ٢١٣) ، وابن منبه ، وابن مردويه كفاي الدر المنثور (٦ / ٣٨٥) .
وفي سنده جهالة أحد الرواة .

١- وأخرجه الطيالسي (١٧٩٤) من حديث جابر ، ولا يصلح شاهداً ، فيه الصلت بن دينار من المتروكين .

رحمه الله (تعالى) قال : حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أبان بن أبي عياش ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم لما هديتنا .

٢١٢- وخرج من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله ، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء ، والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وتشرق ، فاتقوا الله عباد الله لا تؤذوا موتاكم بأعمالكم » .

٢١٣- وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن أرواحكم تعرض إذا مات أحدكم على عشائركم وموتاكم ، فيقول بعضهم (لبعض) : دعوه يستريح فإنه كان في كرب ، ثم يسألونه : ما عمل فلان ؟ وما عملت فلانة ؟ فإن ذكر خيراً حمدوا الله واستبشروا ، وإن كان شراً قالوا : اللهم اغفر له حتى إنهم ليسألون ، هل تزوج فلان ؟ هل تزوجت فلانة ؟ قال : فيسألونه عن رجل مات قبله فيقول : ذاك مات قبلي ، أما مريكم ؟ فيقولون : لا والله فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون . ذهب به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية ، حتى إنهم ليسألونه عن هر البيت « ذكره الثعلبي رحمه الله .

= ٢- وأخرجه ابن أبي الدنيا (٢) في المنامات بسند ضعيف بنحوه عن أبي هريرة.

(٢١٢) حديث موضوع أخرجه الحكيم الترمذي (ص / ٢٢١) من طريق عبد الغفور بن

عبد العزيز عن أبيه عن جده .

اتهم به عبد الغفور ، يراجع السلسلة الضعيفة (١٤٨٠) للألباني .

(٢١٣) حديث ضعيف . انظر رقم (٢١١) .

٢١٤- وقد قيل في قوله عليه الصلاة والسلام : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » : إنه هذا التلاقى ، وقد قيل : تلاقى أرواح النيام والموتى وقيل غير هذا . والله أعلم .

باب منه

٢١٥- روى من حديث ابن لهيعة ، عن بكير بن الأشج ، عن القاسم ابن محمد ، عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : « الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته » ، قيل : يجوز أن يكون الميت يبلغ من أفعال الأحياء وأقوالهم ما يؤذيه في قبره ، بلطفية يحدثها الله لهم : من ملك يبلغ ، أو علامة ، أو دليل ، أو ما شاء الله ، وهو القادر على ما يشاء .

٢١٦- وروى عن عروة قال : وقع رجل في على رضى الله عنه عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له عمر رضى الله عنه : مالك قبحك الله : لقد آذيت رسول الله ﷺ في قبره .

قال علمائنا : ففي هذا الحديث زجر عن سوء القول في الأموات . وفي الحديث : أنه نهى عن سب الأموات وزجر عن فعل ما كان يسوؤهما في حياتهم ، وفيه أيضاً زجر عن عقوق الآباء والأمهات بعد موتهما بما يسوؤهما من فعل الحي .

-
- (٢١٤) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤ / ١٦٢) ، ومسلم (٢٦٣٨) ، وأحمد (٢ / ٥٢٧ ، ٢٩٥) ، وأبو داود (٤٨٣٤) ، والشافعى (١٧٩٣) فى مسنده ، وابن حبان (٨ / ١٦) وأبو نعيم (١ / ١٩٨) فى الحلية .
- (٢١٥) حديث ضعيف . أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس كما فى الإتحاف (١٠ / ٣٧٤) ، وفى سنن ابن لهيعة من الضعفاء .
- (٢١٦) إسناده مرسل ، وهو من أنواع الضعيف .
-

٢١٧- فقد روى في الحديث أن النبي ﷺ كان يهدى لصدائق خديجة صلة منه لها وبراً وإذا كان الفعل صلة وبراً، كان ضده عقوبة وقطيعة وعقوقاً، وقيل: يجوز أن يكون معنى الحديث: الميت يؤذيه في قبره من كان يؤذيه في بيته إذا كان حياً فيكون (ما) بمعنى «من» ويكون ذلك مضمراً في الكلام، والإشارة إلى الملك الموكل بالإنسان.

٢١٨- فقد ورد في الخبر عن النبي ﷺ إن الملك يتباعد عن الرجل عند الكذبة يكذبها ميلين من نتن ما جاء به، وكذلك كل معصية لله تؤذى الملك الموكل به. فيجوز أن يموت العبد وهو مصر على معاصي الله غير تائب منها ولا مكفر عنه خطاياها فيكون تمحيصه وتطهيره فيما يلحقه من الأذى من تغليظ الملك إياه أو تفريره له، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب في شأن الروح وأين تصير حين تخرج من

الجسد؟

٢١٩- قال أبو الحسن القاسبي رحمه الله: الصحيح من المذهب، والذي عليه أهل السنة، أنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى فيسألها، فإن كانت من أهل السعادة قال لهم: سيروا بها وأروها مقعدها من

(٢١٧) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٣٨١٦)، (٣٨١٧)، ومسلم (٢٤٣٥)

، والترمذي (٣٨٧٥)، والبيهقي (١٤ / ١٥٨) في شرح السنة.

(٢١٨) حديث ضعيف جداً. أخرجه الترمذي (٢٠٣٨)، وابن أبي الدنيا (٤٧٧)

في الصمت، والخرائطي (١٥٤) في المساوي وأبو نعيم (١ / ١٩٧) في الحلية والطبراني (٢ /

٣١) في الصغير.

في سنده عبد الرحيم بن هارون، قال أبو حاتم: مجهول، وقال الدارقطني: متروك

الحديث، يكذب، انظر: الميزان (٢ / ٦٠٧)، والتهذيب (٦ / ٣٠٨).

(٢١٩) قوله الصحيح من المذهب، أي مذهب المالكية.

الجنة . فيسيرون به في الجنة على قدر ما يغسل الميت ، فإذا غسل الميت وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس ، من تكلم بخير ومن تكلم بشر . فإذا وصل إلى قبره وصلى عليه، ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ، ودخل عليه الملكان الفتانان على ما يأتي .

٢٢٠- وعن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ، ينظر إلى جسده كيف يغسل ، وكيف يكفن وكيف يمشى به فيجلس في قبره .

قال داود : وزاد في هذا الحديث ، قال : يقال له وهو على سريرته : اسمع ثناء الناس عليك ، ذكره أبو نعيم الحافظ في باب عمرو .

٢٢١- وقال أبو حامد في كتاب (كشف علوم الآخرة) : فإذا قبض الملك النفس السعيدة ، تناولها ملكان حسان الوجوه ، عليهما أثواب حسنة ، ولهما رائحة طيبة ، فيلفونها في حرير من حرير الجنة ، وهي على قدر النخلة، شخص إنسانى ما فقد من عقله ولا من عمله المكتسب له في دار الدنيا ، فيخرجون بها في الهواء ، فلا يزال يمر بالأُمم السابقة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر ، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمين الباب فيقال للأمين : من أنت ؟ فيقول : أنا صلصائيل ، وهذا فلان معى ، بأحسن أسمائه وأحبها إليه فيقول : نعم الرجل كان فلان ، وكانت عقيدته غير شاك ، ثم ينتهى به إلى السماء الثانية ، فيقرع الباب فيقال له : من أنت ؟ فيقول مقالته الأولى : فيقولون : أهلاً وسهلاً بفلان ، كان محافظاً على صلاته بجميع

(٢٢٠) خبر صحيح . أخرجه أبو نعيم (٣ / ٣٤٩) في الحلية ، وانظر : أهوال

القبور (٣٠٣) ، شرح الصدور (ص / ٩٥) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا .

(٢٢١) لا أصل له .

فرائضها (وسننها) ، ثم يمر حتى ينتهي إلى السماء الثالثة . فيقرع الباب ، فيقال له : من أنت ؟ فيقول الأمين مقالته الأولى والثانية فيقال : مرحباً بفلان ، كان يراعى الله في حق ماله ولا يتمسك منه بشيء ، ثم يمر حتى ينتهي إلى السماء الرابعة ، فيقرع الباب . فيقال : من أنت ؟ فيقول : كدأبه في مقالته ، فيقال : أهلاً بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من أدران الرفث وحرام الطعام ، ثم ينتهي إلى السماء الخامسة فيقرع الباب . فيقال : من أنت ؟ فيقول كعادته . فيقال : أهلاً وسهلاً بفلان ، أدى حجة الله الواجبة من غير سمعة ولا رياء ، ثم ينتهي إلى السماء السادسة فيقرع الباب ، فيقال : من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه في مقالته . فيقال : مرحباً بالرجل الصالح والنفس الطيبة كان كثير البر بوالديه فيفتح له الباب ، ثم يمر حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقرع الباب . فيقال : من أنت ؟ فيقول الأمين مقالته : فيقال : مرحباً بفلان كان كثير الاستغفار بالأسحار ، ويتصدق في السر ويكفل الأيتام ، ثم يفتح له يمر حتى ينتهي إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال له : من أنت ؟ فيقول الأمين مثل قوله فيقول : أهلاً وسهلاً بالعبد الصالح والنفس الطيبة ، كان كثير الاستغفار ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويكرم المساكين ، ويمر بملاً من الملائكة كلهم ييشرونه بالخير ويصافحونه ، حتى ينتهي إلى سدرة المنتهى فيقرع الباب ، فيقال : من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه في مقالته ، فيقال : أهلاً وسهلاً بفلان ، كان عمله عملاً صالحاً خالصاً لوجه الله عز وجل ، ثم يفتح له فيمر في بحر من نار ، ثم يمر في بحر من نور ، ثم يمر في بحر من ظلمة ، ثم يمر في بحر من ماء ، ثم يمر في بحر من ثلج ، ثم يمر به في بحر من برد طول كل بحر منها ألف عام . ثم يخترق الحجب المضروبة على عرش الرحمن ، وهي ثمانون ألفاً من السرادقات ، لها شراريّف^(١١٠) ، لكل سرادق ثمانون ألف شرافة على كل شرافة ثمانون

(١١٠) الشراريّف : زوايد توضع في أطراف الشيء تحلية له .

ألف قمر ، يهللون لله ويسبحونه ، ويقدسونه لو برز منها قمر واحد إلى سماء الدنيا ، لعبد من دون الله ولأحرقها نوراً ، فحينئذ ينادى من الحضرة القدسية من وراء أولئك السراقات : من هذه النفس التى جئتم بها ؟ فيقال : فلان ابن فلان فيقول الجليل جل جلاله : قربوه ، فنعم العبد كنت يا عبدى . فإذا أوقفه بين يديه الكريمتين أخجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه قد هلك ثم يعفو عنه .

٢٢٢- كما روى عن يحيى بن أكثم القاضى وقد رئى في المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله (تعالى) بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه . ثم قال : يا شيخ السوء ، فعلت كذا وفعلت كذا فقلت : يا رب ما بهذا حدثت عنك . قال : (فبماذا) حدثت عنى يا يحيى ؟ فقلت حدثنى الزهرى عن معمر عن عروة عن عائشة عن النبى ﷺ عن جبريل عنك سبحانك أنك قلت : إنى لأستحيى أن أعذب ذا شيبة شابت في الإسلام فقال له : يا يحيى صدقت وصدق الزهرى وصدق معمر وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل وقد غفرت لك .

٢٢٣- وعن ابن نباتة وقد رئى فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين (يديه) الكريمتين ، وقال : أنت الذى تخلص كلامك حتى يقال : ما أفصححه ! فقلت : سبحانك ، إنى كنت أصفك ، قال ما كنت تقول (٢٢٢) إسناده ضعيف جداً . إن لم يكن موضوعاً .

أخرجه الخطيب (١٤ / ٢٠٣) فى تاريخه بسنده ، وفيه أبو بكر المفيد ، وهو متهم كما فى الميزان (٣ / ٤٦١) ، وفيه من لم أجده ، ويحيى بن أكثم تكلم فيه ، وانظر : شرح الصدور (ص / ٢٨٢) .

وانظر رقم (١٧٠) .

(٢٢٣) أورده ابن كثير فى البداية والنهاية (١١ / ٣٠٣) والقائل هو الرسول ﷺ كما أشار الذهبى فى السير (١٦ / ٣٢٢)

في دار الدنيا قلت : أبادهم الذي خلقهم ، وأسكتهم الذي أنطقهم
وسيوجدهم كما أعدمهم ، وسيجمعهم كما فرقهم . قال لي : صدقت ،
اذهب فإنني قد غفرت لك .

٢٢٤- وعن منصور بن عمار أنه رأى في المنام فقيل له : ما فعل الله
بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه وقال لي : بماذا جئتني يا منصور ؟ قلت بست
وثلاثين حجة . قال : ما قبلت منها شيئاً ولا واحدة ، ثم قال : بماذا جئتني يا
منصور ؟ قلت : جئتك بثلاثمائة وستين ختمة للقرآن قال : ما قبلت منها
واحدة ، ثم قال : فبماذا جئتني يا منصور ؟ قال : جئتك بك . قال سبحانه :
الآن جئتني ، اذهب فقد غفرت لك ، ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسي
سمع النداء : ردوه ، فمنهم من يرد من الحجب ، وإنما يصل إلى الله عارفه .
٢٢٥- (فصل) وأما الكافر فتؤخذ نفسه عنفاً ، فإذا وجهه كأكل

الحنظل والملك يقول : أخرجني أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث ، فإذا له
صراخ أعظم ما يكون كصراخ الحمير ، فإذا قبضها عزرائيل ناولها زبانية
قباح الوجوه ، سود الثياب منتني الرائحة ، بأيديهم مسح من شعر ، فيلفونها
فيستحيل شخصاً إنسانياً على قدر الجراحة ، فإن الكافر أعظم جرماً من
المؤمن ، يعني في الجسم في الآخرة ، وفي الصحيح أن ضرس الكافر في
النار ، مثل أحد فيعرج به حتى ينتهي إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمين الباب ،
فيقال : من أنت ؟ فيقول أنا دقيائيل لأن اسم الملك الموكل على زبانية العذاب
دقيائيل ، فيقال : من معك ؟ فيقول : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه

(٢٢٤) انظر المنامات التي رؤيت لابن عمار في : صفة الصفوة (٢ / ٣٠٨) لابن الجوزي ،
وشرح الصدور (ص / ٢٨٣) ، وقد أورد هذا النص الكافي ج (ص / ٤٧) في منازل
الأرواح بتحقيق .

(٢٢٥) لا أصل له .

في دار الدنيا ، لا أهلاً ولا سهلاً ، ولا مرحباً ، ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة ﴾ (111) الآية فإذا سمع الأمين هذه المقالة ، طرحه من يده ﴿ أو تهوى به الريح في مكان سحيق ﴾ أى : بعيد ، وهو قوله عز وجل : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ﴾ (112) ، فإذا انتهى إلى الأرض ابتدرته الزبانية ، وسارت به إلى سجين ، وهى صخرة عظيمة تأوى إليها أرواح الفجار ، وأما النصارى واليهود ، فمردودون من الكرسي إلى قبورهم ، هذا من كان منهم على شريعته ، ويشاهد غسله ودفنه .

وأما المشرك فلا يشاهد شيئاً من ذلك لأنه قد هوى به .

وأما المنافق فمثل الثانى يرد ممقوتاً مطروداً إلى حفرته .

وأما المقصرون المؤمنون فتختلف أنواعهم ، فمنهم (من) ترده صلاته ، لأن العبد إذا قصر في صلاته يعد سارقاً لها ، تلف كما يلف الثوب الخلق ، ويضرب بها وجهه ثم تعرج (وهى) تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، ومنهم من ترده زكاته لأنه إنما يزكى ليقال : فلان متصدق ، وربما وضعها عند النساء ، ولقد رأينا عافانا الله مما حل به ، ومن الناس من يرده صومه ، لأنه صام عن الطعام ولم يصم عن الكلام فهو رفث وخسران فيخرج الشهر وقد بهرجه ، ومن الناس من يرده حجه لأنه (إنما) حج ليقال : فلان حج ، أو يكون حج بمال خبيث ، ومن الناس من يرده العقوق ، وسائر أحوال البر كلها ، لا يعرفها إلا العلماء بأسرار المعاملات ، وتخليص العمل الذى للملك الوهاب ، فكل هذه

111- سورة : الأعراف الآية : ٤٠ .

112- سورة : الحج من الآية : ٣١ .

المعاني جاءت بها الآثار والأخبار ، كالخبر الذي رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه فى رد الأعمال وغيره ، فإذا ردت النفس إلى الجسد ووجدته قد أخذ فى غسله إن كان قد غسل فتقعد عند رأسه حتى يغسل ، فإذا أدرج الميت فى أكفانه صارت ملتصقة بالصدر من خارج الصدر ، ولها خوار وعجيج⁽¹¹³⁾ تقول : أسرعوا بى ، إلى رحمة الله . أى رحمة لو تعلمون ما أنتم حاملونى إليه ، وإن كان يبشر بالشقاء تقول : رويداً إلى أى عذاب لو تعلمون ما أنتم حاملونى إليه ، فإذا أدخل القبر وهيل عليه التراب ناداه القبر : كنت تفرح على ظهري ، فالיום تحزن فى بطنى . كنت تأكل الألوان على ظهري ، فالآن يأكلك الدود فى بطنى ، ويكثر عليه مثل هذه الألفاظ الموبخة حتى يسوى عليه التراب ثم يناديه ملك يقال له : رومان ، وهو أول ما يلقي الميت إذا دخل قبره على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، والله أعلم بغيبه وأحكم .

باب كيفية التوفيق للموتى ؟

واختلاف أحوالهم فيه ذلك

٢٢٦- ذكر الله التوفى فى كتابه مجملاً ومفصلاً : فقال الله تعالى : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾⁽¹¹⁴⁾ ، وقال : ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم﴾⁽¹¹⁵⁾ ، وقال : ﴿توفته

113 - العجيج : رفع الصوت والصياح .

114- سورة : النحل من الآية : ٣٣ .

115- سورة : السجدة من الآية : ١١ .

رسلنا وهم لا يفرطون⁽¹¹⁶⁾ ، وقال : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم⁽¹¹⁷⁾ ﴾ ، فهذا كله مجمل ، وقد بينه رسول الله ﷺ على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وقال : ﴿ ولوترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم⁽¹¹⁸⁾ ﴾ ، وقال : ﴿ فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم⁽¹¹⁹⁾ ﴾ وهذا مخصوص بمن قتل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل ، فيما قاله بعض علمائنا وقد ذكر المهدوي وغيره في ذلك اختلافاً ، وأن الكفار حتى الآن يتوفون بالضرب والهوان والله أعلم .

٢٢٧- وروى مسلم في حديث فيه طول قال أبو زميل : فحدثني ابن عباس ، قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم* إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً إليه فإذا هو قد خطم⁽¹²⁰⁾ أنفه وشق وجهه لضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ذلك من مدد السماء الثانية » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين . وذكر الحديث .

116- سورة: الأنعام الآية : ٦١ .

117- سورة: النحل من الآية : ٢٨ .

118- سورة: الأنفال من الآية : ٥٠ .

119- سورة : محمد ﷺ من الآية : ٢٧ .

(٢٢٧) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٧٦٣) ، والبيهقي (٣٧٧٧) في شرح

السنة والبيهقي (٣ / ٥٢) في الدلائل .

* حيزوم : اسم فرس من خيل الملائكة .

120 - خطم أنفه : ضربه على أنفه .

وقال تعالى : ﴿ ولوترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ أى بالعذاب ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ إلى قوله : ﴿ تستكبرون ﴾ (121) . وقد زادت السنة هذا النوع بياناً على ما يأتى .

٢٢٨ - فصل : إن قال قائل : كيف الجمع بين هذه الآى وكيف يقبض ملك الموت فى زمن واحد أرواح من يموت بالشرق والمغرب ؟ قيل له : اعلم أن التوفى مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئاً ، فتارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك ، وتارة إلى أعوانه من الملائكة ، لأنهم قد يتولون ذلك أيضاً ، وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ (122) وقال : ﴿ وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ﴾ (123) وقال : ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ﴾ (124) فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره .

وقال الكلبي : يقبض ملك الموت الروح من الجسد ، ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً ، وإلى ملائكة العذاب إن كان كافراً ، وهذا المعنى منصوص فى حديث البراء ، وسيأتى .

٢٢٩ - وفى الخبر عن النبى ﷺ : « إن ملك الموت ليهيب بالأرواح

121- سورة : الأنعام من الآية : ٩٣ .

122- سورة : الزمر من الآية : ٤٢ .

123- سورة : الحج من الآية : ٦٦ .

124- سورة : الملك من الآية : ٢ .

(٢٢٩) لم أقف عليه .

كما يهيب أحدكم بفلوه⁽¹²⁵⁾ أو فصيله⁽¹²⁶⁾ ألا هلم ألا هلم « يهيب : يدعو ، يقال : أهاب الرجل بغنمة أى : صاح بها لتقف أو لترجع ، وأهاب بالبعير .

قال طرفة يصف ناقته :

تريع إلى صوت المهيب وتتقى بذي خصل روعات أكلب ملبدى
تريع : معناه : تعود وترجع .
وقال الشاعر :

طمعت بليلى إذ تريع وإنما تقطع أرقاب الرجال المطامع
والخصل : أطراف الشجر المتدلّية ، والروعات : جمع روعة وهى الفرعة ، وأكلب الرجل : إذا أكلبت إبله ، والتكلب شبيه بالجنون ، وقال جميعه الجوهري .

وقال العتابي الكلابي :

أهابوا به فازداد بعد وصدّه عن القرب منهم ضوء برق ووابله
يعنى : نصل السهم .

فأخبر ﷺ « أنه يدعو الأرواح التى يتوفاها الله ويقبضها » .

٢٣٠- وفى الخبر: أن ملك الموت جالس وبين يديه صحيفة يكتب فيها له في ليلة النصف من شعبان ، وهى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم من الأرزاق والآجال فى قول بعض العلماء عكرمة وغيره ، والصحيح أن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان ، وهو قول قتادة

125- الفلو : الجحش أو المهر يفطم أو يبلغ السنة .

126- الفصيل : ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أمه .

(٢٣٠) انظر : تفسير عبد الرزاق (٢ / ١٦٨) ، وتفسير الطبرى

(٢٥ / ٦٤-٦٥) .

والحسن ومجاهد وغيرهم ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ حرّم * والكتاب المطبوع * إنا أنزلناه ﴾ يعنى : القرآن ﴿ فى ليلة مباركة ﴾ (127) يعنى : ليلة القدر ، وهذا بين .

٢٣١- وقال ابن عباس : إن الله تعالى يقضى الأفضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر ، وكان هذا جمعاً بين القولين والله أعلم . فإذا انقضى عمر ذلك الشخص الذى حان قبض روحه ، سقطت ورقة من سدره المنتهى التى فيها اسمه على اسمه فى الصحيفة ، فعرف أن قد فرغ أجله وانقطع أكله .

وفى الخبر أن ملك الموت تحت العرش يسقط عليه صحائف من يموت من تحت العرش ، والصحف هنا : ورق السدره ، والله أعلم .
وكما فى الخبر قبله : فإذا نظر إلى الإنسان قد نفذ رزقه وانقطع أكله ، ألقى عليه سكرات الموت فغشيته كربات ، وأدركته سكراته .

٢٣٢- وفى خبر الإسراء عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « مررت على ملك آخر جالس على كرسى ، إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه ، وبيده لوح مكتوب ينظر فيه ، لا يلتفت عنه يمينا ولا شمالاً فقلت : يا جبريل ، من هذا ؟ قال : هذا ملك الموت ، فقلت : يا ملك الموت كيف تقدر على قبض جميع أرواح من فى الأرض برها وبحرها ؟ قال : ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتى ، وجميع الخلائق بين عيني ، ويدأى تبليغان المشرق 127- سورة : الدخان الآيات (١ : ٣) .

(٢٣٢) حديث ضعيف . أخرجه أبو الشيخ (٤٣٤) بمعناه عن ابن عباس موقوفا وسنده ضعيف ، وكل ما ورد فى الباب مقاطيع ومراسيل انظر العظمة (ص / ٢٠٠) .

والمغرب، فإذا نفذ أجل عبد نظرت إليه ، فإذا نظرت إليه عرف أعوانى من الملائكة أنه مقبوض ، غدوا فبطشوا يعالجون نزع روحه ، فإذا بلغوا بالروح الحلقوم، وعلمت ذلك فلم يخف عليّ شيء من أمره ، مددت يدي فأنزعه من جسده وألى قبضه .

وفى الخبر : أنه ينزل عليه أربعة من الملائكة : ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى ، وملك يجذبها من قدمه اليسرى وملك يجذبها من يده اليمنى ، وملك يجذبها من يده اليسرى . ذكره أبو حامد .

وقال : وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتى قبل أن يغرغر ، فيعاين الملائكة على حقيقة عمله ، على ما يتحيزون إليه من عالمهم ، فإن كان لسانه منطلقاً حدث بوجودهم ، وربما أعاد على نفسه الحديث بما رأى ، وظن أن ذلك من فعل الشيطان به ، فيسكت حين يعقل لسانه وهم يجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع ، والنفس تنسل انسلال القداة من السقا .

والفاجر تسل روحه كالسفود من الصوف المبلول ، هكذا حكى صاحب الشرع عليه (الصلاة و) السلام ، والميت يظن أن بطنه ملئت شوكة ، كأنما نفسه تخرج من ثقب إبرة ، وكأن السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما ، فإذا احتضرت نفسه إلى القلب ، مات لسانه عن النطق فما أحد ينطق ، والنفس مجموعة فى صدره لسرين :

أحدهما : أن الأمر عظيم قد ضاق صدره بالنفس المجمعة فيه ، ألا ترى أن الإنسان إذا أصابته ضربة فى الصدر بقى مدهوشاً ، فتارة لا يقدر على الكلام وكل مطعون يطعن يصوت إلا مطعون الصدر فإنه يخر من غير تصويت .

وأما السر الآخر : فلأن الذى فيه حركة الصوت المندفعة من الحرارة الغريزية فصار نفسه متغيراً (فى) الحاليتين ، حال الارتفاع والبرودة ، لأنه فقد

الحرارة ، فعند هذا الحين تختلف أحوال الموتى ، فمنهم من يطعنه الملك حينئذ بحربة مسمومة قد سقيت سماً من نار فتفر الروح ، وتفيض خارجة ، فيأخذ الملك في يده وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر الجراة شخصاً إنسانياً ، ثم يناولها الزبانية .

ومن الموتى من تجذب نفسه رويداً حتى تنحصر في الحنجرة وليس يبقى في الحنجرة إلا شعبة متصلة بالقلب فحينئذ يطعن بها بتلك الحربة الموصوفة .

٢٣٣- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : لم أجد لهذه الحربة في الأخبار ذكراً إلا ما ذكره أبو نعيم الحافظ . قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمود قال : حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال : حدثنا سلمة بن شبيب ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال : إن للملك الموت عليه السلام حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب ، فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ، ضرب رأسه بتلك الحربة ، وقال : الآن يزار بك عسكر الأموات .

(٢٣٣) خبر ضعيف . أخرجه أبو الشيخ (٤٧٤) في العظمة بتحقيقى وأبو نعيم (٥) /

(٢٤١) في الحلية ، في سنده انقطاع ، فإن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ بن جبل ، بل قال أبو حاتم : وربما كان بينهما اثنان ، انظر : المراسيل (ص / ٥٠) وأورده السيوطى في شرح الصدور (ص / ٨٩) ، والحبائك (١٦١) .

وقد روى مرفوعاً بسند ضعيف جداً من رواية ابن عباس ، ولم يقف على تلك الرواية القرطبي ، انظر : المصدرين السابقين .

٢٣٤- وروى سليمان بن معمر الكلابي قال : حضرت مالك بن أنس وأتاه رجل فسأله : يا أبا عبد الله ، البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها ؟ فأطرق مالك طويلاً ثم قال : (ألها) نفس ؟ قال : نعم ، قال : ملك الموت يقبض أرواحها ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾⁽¹²⁸⁾ ذكره الخطيب أبو بكر رحمه الله .

باب ما جاء في صفة ملك الموت

عند قبض روح المؤمن والكافر

٢٣٥- قال علماؤنا رحمهم الله : وأما مشاهدة ملك الموت عليه (الصلاة و) السلام وما يدخل على القلب منه من الروح والفرع ، فهو أمر لا يعبر عنه لعظم هوله وفضاعة رؤيته ، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذي يتبدى* له ويطلع عليه ، وإنما هي أمثال تضرب وحكايات تروى ..
روى عن عكرمة أنه قال : رأيت في بعض صحف شيث أن آدم عليه السلام قال : يا رب ، أرني ملك الموت حتى أنظر إليه ، فأوحى الله تعالى إليه : إن له صفات لا تقدر على النظر إليها وسأنزله عليك في الصورة التي يأتي فيها الأنبياء والمصطفين ، فأنزل الله عليه جبريل وميكائيل وأتاه ملك الموت في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح ، منها جناح جاوز السماوات والأرض ، وجناح جاوز الأرضين ، وجناح جاوز أقصى المشرق وجناح جاوز أقصى المغرب ، وإذا بين يديه الأرض بما

(٢٣٤) انظر : شرح الصدور (ص / ٥١) ، والحبائك (١٦٠) .

128- سورة : الزمر من الآية : ٤٢ .

(٢٣٥) خبر من الإسرائيليات .

* كذا بالأصل ، ولعلها صحفت عن : يتبدى ، أى يظهر .

اشتملت عليه من الجبال والسهول والغياض⁽¹²⁹⁾ والجن والإنس والدواب وما أحاط بها من البحار وما علاها من الأجواء في ثغرة نحره كالخردلة في فلاة من الأرض ، وإذا له عيون لا يفتحها إلا في مواضع فتحها ، وأجنحة لا ينشرها إلا في مواضع نشرها ، وأجنحة للبشرى ينشرها للمصطفين ، وأجنحة للكفار فيها سفايد وكلايب ومقاريض ، فصعق آدم صعقة لبث فيها إلى مثل تلك الساعة من اليوم السابع ، ثم أفاق وكان في عروقه الزعفران . ذكر هذا الخبر ابن ظفر الواعظ المكنى أبو هاشم محمد بن محمد في كتاب (النصائح).

٢٣٦- وروى عن ابن عباس أن إبراهيم خليل الرحمن سأل ملك الموت أن يريه كيف يقبض روح المؤمن فقال له : اصرف وجهك عني ، فصرف ، ثم نظر إليه فرآه في صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال له والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئاً سوى وجهك كفاه ، ثم قال له : أرني كيف تقبض روح الكافر فقال له : لا تطيق ذلك قال : بلى أرني ، قال : اصرف وجهك عني فصرف وجهه عنه ، ثم نظر إليه فإذا صورة إنسان أسود رجلاه في الأرض ورأسه في السماء كأقبح ما أنت راء من الصور تحت كل شجرة من جسده لهيب نار ، فقال له : والله لو لم يلق الكافر سوى نظرة إلى شخصك لكفاه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وسيأتى هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ في الملائكة في حديث البراء وغيره إن شاء الله تعالى .

129- الغياض : مكان يكثر فيه الشجر ويلتف . جمع : غيضة .

(٢٣٦) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في شرح الصدور (ص / ٤٥) ، والحبائك

(١٢٥).

٢٣٧- وقال ابن عباس أيضاً : كان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً ، وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا هو برجل في جوف البيت فقال : من أدخلك داري ؟ فقال : أدخلنيها ربها ، قال إبراهيم : أنا ربها ، قال : أدخلنيها من هو أملك (لها) منك ؟ قال : فمن أنت من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت . قال : (هل) تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، ثم التفت إبراهيم فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب رائحته ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ، ثم قبض روحه ﷺ .

فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا يتعجب من كون ملك الموت يرى على صورتين لشخصين ، فما ذلك إلا مثل ما يصيب الإنسان بتغير الخلقة في الصحة ، والمرض ، والصغر ، والكبر ، والشباب والهرم وكصفاء اللون بملازمة الحمام وشحوبة الوجه بتغير اللون (و) بلفح الهواجر في السفر ، غير أن قضية الملائكة عليهم (الصلاة و) السلام يجري ذلك منهم في اليوم الواحد والساعة الواحدة ، وإن لم يجر هذا على الإنسان إلا في الأوقات المتباعدة والسنين المتطاولة ، وهذا بين فتأمله .



(٢٣٧) أخرجه أبو الشيخ (٤٤٩) ، (٤٥٠) في العظمة ، وأبو نعيم (٥ / ٣٧٥) في

الحلية من كلام كعب ، ومحمد بن المنكدر .

باب ما جاء أنَّ ملك الموت عليه [الصلاة و] السلام
هو القابض لأرواح الخلق
وأنه يقف على كل بيت في كل يوم خمس
مرات وعلى كل ضيق روح كل ساعة
وأنه ينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين
نظرة

قال الله تعالى : ﴿ قد يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ (130).

٢٣٨- وروى عن ابن عمر قال : إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة (131) وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها ، فيقول ملك الموت عليه (الصلاة و) السلام : فيم هذا الجزع ؟ فوالله ما أنقصت لأحد منكم عمراً ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً ، فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليّ فإنني والله مأمور ، وإن كان ذلك على ميتكم فإنه في ذلك مقهور ، وإن كان ذلك على ربكم فأنتم به كفرة ، وإن لى فيكم عودة ثم عودة ، فلو أنهم يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم . خرجه أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفى فى كتاب (اللؤلؤيات) له .

٢٣٩- وروى معناه مرفوعاً فى الخبر المشهور المروى فى الأربعين عن

130- سورة : السجدة من الآية : ١١ .

(٢٣٨) اللؤلؤيات مخطوط ، يسر الله لنا تحقيقه .

131- الصاكة وجهها : الضاربة وجهها عند المصيبة ، وهذا الفعل حرمه الإسلام .

(٢٣٩) حديث ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً .

فى سنده أبو هذبة ، من المتروكين وقد اتهم ، وفى الباب عن زيد بن ثابت أخرجه الديلمى =

أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه في كل يوم خمس مرات فإذا وجد الإنسان قد نفذ أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت ، فغشيته كرباته وغمرته غمراته ، فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجوها والصارخة بويلها ، فيقول ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام : ويلكم مم الفرع ومم الجزع ؟ ما أذهبت لأحد منكم رزقاً ولا قربت له أجلاً ولا أتيته حتى أمرت ، ولا قبضت روحه حتى استأمرت وإن لى فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحداً » .

قال النبي ﷺ : « والذي نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادى : يا أهلى ، ويا ولدى ، لا تلعن بكم الدنيا كما لعبت بى ، جمعت المال من حله ومن غير حله ، ثم خلفته لغيرى ، فالمهنة له والتبعة على فاحذروا (مثل) ما حل بى » .

٢٤٠- وروى جعفر بن محمد عن أبيه قال : نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ : ارفق بصاحبى ،

= وهو ضعيف كما فى ضعيف الجامع (٤٨٢٨) وأخرجه أبو الشيخ (٤٤٣) بنحوه فى العظمة ، وابن أبي الدنيا كما فى شرح الصدور ، بسند موضوع من كلام الحسن البصري .
(٢٤٠) حديث ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً .

أخرجه أبو الشيخ (٤٧٥) فى العظمة ، والطبرانى (٤١٨٨) فى الكبير ، والبخارى كما فى مجمع الزوائد (٢ / ٣٢٦) ، وابن أبي حاتم كما فى تفسير ابن كثير (٣ / ٤٥٨) وأبو نعيم ، وابن منده كلاهما فى الصحابة كما فى شرح الصدور (ص / ٤٣) .

ومدار الحديث على عمرو بن شمر ، وهو متروك ، بل اتهمه ابن حبان ، انظر : المجروحين (٧٥ / ٢) ، الميزان (٣ / ٢٧٩) .

فإنه مؤمن ، فقال ملك الموت عليه(الصلاة و)السلام : يا محمد ، طب نفساً وقر عيناً فإنني بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن ما من أهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر ، إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم لأنفسهم ، والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها .

قال جعفر بن محمد : بلغني أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ، ذكره الماوردي .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وفي هذا الخبر ما يدل على أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذى روح ، وأن تصرفه كله بأمر الله عز وجل وبخلقه واختراعه .

٢٤١- قال ابن عطية : وروى في الحديث أن البهائم كلها يتوفى الله أرواحها دون ملك الموت كأنه يعدم حياتها قال : وكذلك الأمر في بنى آدم إلا أنه نوع شرف بتصرف ملك الموت وملائكة معه في قبض أرواحهم ، فخلق الله ملك الموت وخلق على يديه قبض الأرواح وانسلالها من الأجسام وإخراجها منه وخلق جنداً يكونون معه يعملون عمله بأمره .

فقال تعالى : ﴿ ولوترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ﴾ (١٣٢) .

وقال تعالى : ﴿ توفته رسلنا ﴾ (١٣٣) والبارى سبحانه خالق الكل

الفاعل حقيقة لكل فعل .

(٢٤١) حديث موضوع . أخرجه العقيلي (٤ / ٣٢١) في الضعفاء ، وأبو الشيخ في العظمة (١٢٣٢) ، والدلمي كما في الفردوس (١٦٩٥) ، وابن الجوزي (٣ / ٢٢٢) في الموضوعات ، انظر الكلام عليه في الميزان (٤ / ٣٤٩) ، اللسان (٦ / ٢٢٧) ، الآلي المصنوعة (٢ / ٢٢٥) .

132- سورة : الأنفال من الآية : ٥٠ .

133- سورة : الأنعام من الآية : ٦١ .

٢٤٢- قال الله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾⁽¹³⁴⁾ وقال: ﴿الذى خلق الموت والحياة﴾⁽¹³⁵⁾ وقال: ﴿يحيى ويميت﴾⁽¹³⁶⁾ - فملك الموت يقبض الأرواح والأعوان يعالجون والله يزهد الروح، وهذا هو الجمع بين الآي والحديث، ولكنه لما كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفى إليه كما أضيف الخلق للملك.

٢٤٣- قال الشيخ المؤلف رحمه الله: كما فى حديث ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح» الحديث أخرجه مسلم وغيره.

وقوله: يجمع خلقه فى بطن أمه، قد جاء مفسراً عن ابن مسعود رضى الله عنه، رواه الأعمش عن خيثمة.

قال: قال عبد الله: إن النطفة إذا وقعت فى الرحم فأراد الله سبحانه

134- سورة: الزمر الآية: ٤٢.

135- سورة: الملك من الآية: ٢.

136- سورة: البقرة من الآية: ٢٥٨.

(٢٤٢) نقله السيوطى فى شرح الصدور (ص / ٥١) ونسبه للقرطبى وابن عطية.

(٢٤٣) حديث صحيح. أخرجه البخارى (٤ / ١٣٥)، (٨ / ١٥٢)، ومسلم

(٢٦٤٣)، وأحمد (١ / ٣٨٢، ٤٣٠)، والترمذى (٢١٣٧)، وابن أبى عاصم (١ / ٧٧)

فى السنة، وأبو نعيم (٨ / ٢٤٤) فى الحلية، والبيهقى (١ / ١٣٨)، (٧ / ٤٢١) فى سننه الكبرى.

أن يخلق منها بشراً طارت في بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر، ثم تمكث أربعين ليلة، ثم تنزل في الرحم فذلك جمعها.

٢٤٤- وفي صحيح مسلم أيضاً عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وشعرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم يقول: أي رب أذكر أم أنثى؟ وذكر الحديث وما قبله يفسره (ويبينه)، لأن النطفة لا يبعث الملك إليها إلا بتمام اثنتين وأربعين ليلة فتأمله. ونسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لا حقيقية، وإنما صدر عنه فعل ما في المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدرته الله تعالى وخلقته واختراعه، ألا تراه سبحانه وتعالى قد أضاف إليه الحلقة الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة فقال تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾^(١٣٧) إلى غير ذلك من الآيات مع ما دلت عليه قاطعات البراهين إذ لا خالق لشيء من المخلوقات إلا رب العالمين وهكذا القول في قوله: «ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح» أي أن النفخ فيه سبب يخلق الله فيه الروح والحياة، وكذلك القول في سائر الأسباب المعتادة فإنه بإحداث الله تعالى لا بغيره فتأمل ذلك، هذا هو الأصل وتمسك به ففيه النجاة من مذاهب أهل الضلال والقائلين بالطبائع وغيرهم، وأن الله هو القابض لأرواح جميع الخلق على الصحيح، وأن ملك الموت وأعوانه وسائط، وقد سئل مالك بن أنس عن البراغيث أملك

(٢٤٤) حديث صحيح. أخرجه مسلم (٢٦٤٥)، وأحمد (٤ / ٦-٧)، وابن

أبي عاصم (١٧٧)، (١٧٩) في السنة، والآجزي (ص / ١٨٣) في الشريعة، والطبراني (٣٠٤٤) في الكبير.

١٣٧- سورة: الأعراف من الآية: ١١.

الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق ملياً⁽¹³⁸⁾ ثم قال : ألها نفس ؟ قال : نعم قال : ملك الموت يقبض أرواحها ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾⁽¹³⁹⁾ .

٢٤٥- وفي الخبر : أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة : أنا أحیی الموتی ، فأوحى الله (تعالى) إليهما : كوننا على عملكما وما سخرتما له من الصنع ، وأنا الممیت والمحیی ، لا ممیت ولا محیی سوى . ذكره أبو حامد في الإحياء .

٢٤٦- وذكر أبو نعيم الحافظ عن ثابت البناني قال : الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منه ساعة تأتي على ذی روح إلا وملك الموت قائم عليها، فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب ، وهذا عام في كل ذی روح .

٢٤٧- وفي خبر الإسراء عن ابن عباس فقلت : يا ملك الموت ، كيف تقدر على قبض أرواح جميع من في الأرض برها وبحرها ؟ الحديث وقد تقدم .

٢٤٨- وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال :

138- ملياً : بعض الوقت .

139- سورة : الزمر من الآية : ٤٢ .

(٢٤٥) لا أصل له .

قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

وقال ابن السبكي : لم أجد له إسناداً .

انظر تخريج أحاديث الإحياء (٣٦٧٤) ، والمغني (٤ / ٢٥١) للعراقي .

(٢٤٦) إسناده حسن . أخرجه أبو نعيم (٢ / ٣٢٦) في الحلية ، ونقله عنه السيوطي

في شرح الصدور (ص / ٥٠) .

(٢٤٧) سبق تخريجه برقم (٢٣٢) .

(٢٤٨) حديث ضعيف جداً . إن لم يكن موضوعاً

أخرجه أبو الفضل الطوسي في « عيون الأخبار » كما في شرح الصدور (ص / ٥٠) =

قال رسول الله ﷺ : « إن ملك الموت لينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة ، قال : إذا ضحك العبد الذي بعث إليه قال : يقول : عجباً بعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك ! » والله أعلم .

باب ما جاء في سبب قبض ملك الموت لأرواح الخلق

٢٤٩- روى الزهري ووهب بن منبه وغيرهما ما معناه: أن الله أرسل جبريل عليه السلام ليأتيه من تربة الأرض ، فأتاها ليأخذ منها فاستعادت بالله من ذلك فأعادها ، فأرسل ميكائيل فاستعادت منه فأعادها ، فبعث عزرائيل فاستعادت منه فلم يعدها فأخذ منها ، فقال الرب تبارك وتعالى : أما استعادت بي منك ؟ قال : نعم ، قال : فهلا رحمتها كما رحمها صاحبك ؟ قال : يا رب ، طاعتك أوجب على من رحمتي إياها ، قال الله عز وجل : اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض أرواحهم فبكى ، فقال ما يبكيك ؟ فقال : يا رب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء وأصفياء ومرسلين ، وإنك لم تخلق خلقاً أكره إليهم من الموت ، فإذا عرفوني أبغضوني وشتمونى . قال الله تعالى : « إنى سأجعل للموت عللاً وأسباباً ينسبون الموت إليها ولا يذكرونك معها » فخلق الله الأوجاع وسائر الختوف .

٢٥٠- وقد روى هذا الخبر عن ابن عباس ، قال : رفعت تربة آدم من

= وابن النجار في « تاريخه » كما في كنز العمال (٤٢١٨٥) .

في سنده ابن هدية من المتروكين ، واتهم انظر : تنزيه الشريعة (٢ / ٣٧٥) ، إتحاف

السادة (١٠ / ٢٨٢) .

(٢٤٩) ، (٢٥٠) من الإسرائيليات .

سنة أرضين ، وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الأرض السابعة شيء ، لأن فيها نار جهنم ، قال : فلما أتى ملك الموت بالتربة قال له ربه (عز وجل) : أما استعاذت بي منك ، الحديث بلفظه ومعناه ذكره القتيبي وزاد : فقالت الأرض : يا رب ، خلقت السماوات فلم تنقص منها شيئاً وخلقته فنقصتني . فقال لها الرب (عز وجل) : وعزتي وجلالي لأعيدنهم إليك برهم وفاجرهم ، فقالت : وعزتك لأنتقم من عصاك .

قال : ثم دعا بمياه الأرض مالحها وعذبها وحلوها ومرها وطيبها ومنتنها فسقى منه تربة آدم ، فأقام يخمره أربعين صباحاً ، وقال آخرون : أربعين سنة لم ينفخ فيه الروح ، فكانت الملائكة تمر به فيقفون ينظرون إليه ، ويقول بعضهم لبعض : إن ربنا لم يخلق خلقاً أحسن من هذا وإنه خلق لأمر كائن ويمر به إبليس اللعين فيضرب بيده عليه فيسمع له صلصلة ، وهو الصلصال الفخار ، فقال إبليس : إن فضل هذا على لم أطعه ، وإن فضلت عليه أهلكته ، هذا من طين وأنا من نار .

وقد قيل : إن الذي أتى بتربة الأرض إبليس وإن الله بعثه بعد ملكين ، فاستغاثت بالله منه ، فقالت : إني أعوذ بالله منك ، ثم أخذ منها وصعد إلى ربه فقال : ألم تستعذ بي منك ؟ فقال : بلى يا رب ، فقال الله عز وجل : وعزتي لأخلقن مما جنت يداك خلقاً يسوؤك ، والله أعلم .

باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر

٢٥١- ابن ماجه ، عن أم سلمة قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة ، وقد شق بصره فأغمضه ، ثم قال : «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» .
خرجه مسلم أكمل من هذا وقد تقدم .

(٢٥١) حديث صحيح . سبق تخريجه .

٢٥٢- وروى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره » ، قالوا : بلى ، قال : « فذلك حين يتبع بصره نفسه » ، وفي غير الصحيح عن النبي ﷺ ، أن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المعراج وهو سلم بين السماء والأرض من زمردة خضراء أحسن ما رئي قط فذلك حين يمد بصره إليه .

فصل: في قوله عليه السلام : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » وقوله : فذلك حين يتبع بصره نفسه ما يستغنى به عن قول كل قائل في الروح والنفس ، وإنهما اسمان لمسمى واحد ، وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء في تزاور الأموات في قبورهم واستحسان الكفن لذلك

٢٥٣- مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه إن استطاع » .
وخرج أبو نصر عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجستاني الحافظ في كتاب (الإبانة) عن مذهب السلف الصالح في القرآن وإزالة شبه الزائغين بواضح البرهان .

(٢٥٢) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٢١) ، وعبد الرزاق (٦٠٦٩) في مصنفه ، والبيهقي (٣ / ٣٨٥) .

(٢٥٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٤٣) وأبو داود (٣١٤٨) ، وأحمد (٣ / ٣١٥) ، والترمذي (١٠٠٠) ، والنسائي (٤ / ٣٣) ، والبخاري (٥ / ٣١٥) في شرح السنة الحاكم (١ / ٣٦٩) ، وأبو نعيم (٣ / ١٤) في الحلية ، والبيهقي (٣ / ٤٠٣) في سننه الكبرى .

٢٥٤- أخبرنا هبة الله بن إبراهيم بن عمر قال : حدثنا علي بن الحسين بن بندار قال : حدثنا أبو عروة ، قال حدثنا محمد بن المصفي قال : حدثنا معاوية قال : حدثنا زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم » . وقال ابن المبارك : أحب إلي أن يكفن في ثيابه التي كان يصلي فيها .

(٢٥٤) ضعيف بهذا اللفظ ، وصح من كلام ابن سيرين .

١- أخرجه الديلمي كما في الفردوس عن جابر (٣١٧) وقد خولف فيه الثقات الذين رووا عن جابر بغير هذا اللفظ ، وفيه عنعنة أبي الزبير ، وهو مدلس .

٢- أخرجه عبد الرزاق (٦٢٠٨) في مصنفه ، عن الثوري عن هشام عن ابن سيرين قال : كان يقال : من ولي أخاه فليحسن كفنه ، وإنه بلغني أنهم يتزاورون في أكفانهم وسنده صحيح . وأخرجه ابن أبي شيبة (٣ / ١٥٣) عن بشر بن المفضل عن سلمة بن علقمة عن ابن سيرين به ، وسنده صحيح أيضاً .

فزيادة التزاور مدرجة من كلام ابن سيرين ، وقد جاءت في عدة روايات أخرى مرفوعة ، لا تصح .

٣- أخرجه ابن أبي الدنيا (١٦٢) في المنامات ، والبيهقي (٩٢٦٨) في شعب الإيمان عن عكرمة بن عمار عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي قتادة مرفوعاً وفيه عكرمة ، وهو صدوق يغلط ، فقد وهم في رفع الزيادة ، فهي مدرجة كما سبق وقد رواه ابن ماجه (١٤٧٤) عن ابن يونس عن ابن عمار عن ابن حسان من نفس الطريق ، وليس فيه تلك الزيادة .

٤- وفي الباب عن أبي هريرة عند ابن عدى (٣ / ٢٥٤) وفيه ابن الأرقم من المتروكين ، وأخرجه العجلي من طريق آخر عن أنس كما في الضعفاء له (٢ / ٥٥) وفيه العطار من الكذابين وقال : ليس له أصل من حديث قتادة .

قلت : فاتضح أن تلك الزيادة منكرة مرفوعة ، وهي مدرجة من كلام ابن سيرين وقد ألح إلى هذا ابن رجب في الأحوال (٢٥٤) .

باب الإسراع بالجنائز وكلامها

٢٥٥- البخارى عن أبى سعيد الخدرى : كان النبى ﷺ يقول : « إذا وضعت الجنائز واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق » . وقد تقدم من حديث أنس أنها تقول : « يا أهلى ، ويا ولدى » الحديث

٢٥٦- البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « أسرعوا بالجنائز فإن تلك صالحة فخير تقدمونها إليه .. وإن تلك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » أخرجه مسلم أيضاً

٢٥٧- فصلة : صعق : مات . والإسراع قيل معناه : الإسراع بحملها إلى قبرها فى المشى وقيل : تجهيزها بعد موتها لتلا تغير ، والأول أظهر لما رواه النسائى ، قال : أخبرنا (أبو) محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا خالد قال :

(٢٥٥) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٢ / ١٠٨ ، ١٢٤) ، وأحمد (٣ / ٥٨) ، وابن سعد (٤ / ٢ / ٦٢) فى طبقاته ، والنسائى (٤ / ٤١) ، وابن حبان (٥ / ١٨) ، والبغوى (٥ / ٣٢٥) فى شرح السنة ، والبيهقى (٤ / ٢١) فى سننه الكبرى ، وابن الجوزى فى المقلق (٤١) بتحقيقى .

(٢٥٦) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٢ / ١٠٨) ، ومسلم (٩٤٤) ، وأحمد (٢ / ٢٤٠) ، وابن أبى شعبة (٣ / ٢٨١) فى مصنفه وأبو داود (٣١٨١) ، والترمذى (١٠٢٠) والنسائى (٤ / ٤٢) ، وابن ماجه (١٤٧٧) ، وابن حبان (٥ / ١٩) ، والبغوى (١٤٨١) فى شرح السنة ، والبيهقى (٤ / ٢١) فى سننه الكبرى .

(٢٥٧) خبر صحيح . أخرجه النسائى (٤ / ٤٢ - ٤٣) ، وأبو داود (٣١٨٣)

مختصراً .

حدثنا عيينة بن عبد الرحمن قال : حدثني أبي قال : شهدت جنازة عبد الرحمن بن سمرة ، وخرج زياد يمشى بين يدي السرير ، فجعل رجال من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير ويمشون على أعقابهم ويقولون : رويداً رويداً بارك الله فيكم ، فكانوا يدبون حتى إذا كنا ببعض الطريق لحقنا أبو بكره رضي الله عنه يمشى على بغلة ، فلما رأى الذين يصنعون حمل عليهم ببغلة وأهوى عليهم بالسوط . فقال : خلوا فوالذي كرم وجه أبي القاسم لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ وإنا لنكاد نرمل (140) بها رملاً . فانبسط القوم . صححه أبو محمد عبد الحق .

٢٥٨- وروى أبو داود من حديث أبي ماجدة عن ابن مسعود قال : سألتنا نبيناً محمداً ﷺ عن المشى مع الجنائز . فقال : « دون الخشب (141) إن يكن خيراً تعجل إليه وإن يكن غير ذلك فبعداً لأهل النار » . ذكره أبو عمر ابن عبد البر .

٢٥٩- وقال : والذي عليه جماعة أهل العلم في ذلك الإسراع فوق السجية قليلاً ، والعجلة أحب إليهم من الإبطاء ، ويكره الإسراع الذي يشق على ضعفة من يتبعها . وقال إبراهيم النخعي : نصوا بها قليلاً ولا تدبوا ديب اليهود والنصارى . السجية : العادة .

140 - نرمل بها : نسرع بها ، وأصل الرمل : الهولة وهي ما فوق المشى ودون العدو .

141- الخشب : السرعة في السير

(٢٥٨) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (١ / ٤٣٢) ، وأبو داود (٣١٨٤) ، والترمذي

(١٠١٦) ، والطحاوي (١ / ٤٧٩) في المعاني .

قال أبو داود : وهو ضعيف

وقال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن مسعود إلا من هذا الوجه وسمعت

محمد بن إسماعيل يضعف حديث أبي ماجدة .

(٢٥٩) خبر صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٣ / ١٦٧) في مصنفه .

باب بسط الثوب على القبر عند الدفن

٢٦٠- أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ تبع جنازة ، فلما صلى عليها دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول : لا تتطلعوا في القبر فإنها أمانة فلعسى يحل العقدة فيرى حية سوداء متطوقة في عنقه فإنها أمانة ولعله يؤمر به فيتسمع صوت السلسلة .

٢٦١- وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن الشعبي عن رجل أن سعد بن مالك قال : أمر النبي ﷺ بثوب فستر على القبر حين دفن سعد بن معاذ ، قال : وقال سعد : إن النبي ﷺ نزل في قبر سعد بن معاذ وستر على القبر بثوب فكنت فيمن أمسك الثوب .

٢٦٢- فصل : اختلف العلماء في هذا الباب ، فكان عبد الله بن يزيد وشريح وأحمد بن حنبل يكرهون مد الثوب على الرجل ، وكان أحمد وإسحاق يختاران أن يفعل ذلك بقبر المرأة ، وكذلك قال أصحاب الرأي ، ولا يضر عندهم أن يفعلوا ذلك بقبر الرجل .

(٢٦٠) حديث ضعيف جدا . إن لم يكن موضوعاً .

أخرجه الديلمي كما في مسند الفردوس (٧٣٩١) ، وابن الجوزي كما في الموضوعات (٢٣٥ / ٣) ، فيه أبو هذبة ، سبق ذكره .

(٢٦١) حديث ضعيف . أخرجه عبد الرزاق (٦٤٧٧) في مصنفه ، وفيه عن عنة ابن جريج ، هو مدلس ، وجهالة شيخه .

١- وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٨ / ٣) مرسلًا عن إبراهيم النخعي ، وفيه أبو حمزة الأعور ، وهو من الضعفاء .

٢- وأخرجه البيهقي (٥٤ / ٤) في سننه الكبرى من حديث ابن عباس ، وسنده مسلسل بالضعفاء ، وقال البيهقي : لا أحفظه إلا من حديث ابن أبي العيزار وهو ضعيف .

التذكيرة

باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر

وقال أبو ثور: لا بأس بذلك في قبر الرجل والمرأة ، وكذلك قال الإمام الشافعي ، وستر المرأة عند ذلك أكد من ستر الرجل ، ذكره ابن المنذر .
قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ويستر الرجل والمرأة لليلة التي جاءت في حديث أنس اقتداء بفعله عليه (الصلاة و) السلام في ستر سعد بن معاذ والله أعلم .

٢٦٣- ولقد أخبرني بعض أصحابنا : أنه سمع صوت جر السلسلة في قبر . وأخبرني صاحبنا الفقيه العالم شيخ الطريقة أبو عبد الله محمد بن أحمد القصري رحمه الله أنه توفي بعض الولاة بقسطنطينة فحفر له ، فلما فرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوا الميت القبر ، إذا بحية سوداء داخل القبر ، فهابوا أن (يدخلوه) فيه فحفروا له قبراً آخر . فلما أرادوا أن يدخلوه إذا بتلك الحية فيه فحفروا له قبراً آخر فإذا بتلك الحية فلم يزالوا يحفرون له نحواً من ثلاثين قبراً وإذا بتلك الحية تتعرض لهم في القبر الذي يريدون أن يدفنوه فيه ، فلما أعياهم ذلك سألوا ما يصنعون ؟ ف قيل لهم : ادفنوه معها . نسأل الله السلامة والستر في الدنيا والآخرة (بمنه وكرمه).



باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حالة

الدفن وبعده

وأنه يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويدعو

ويستغفر له ويتصدق عليه

ذكره أبو حامد في كتاب (الإحياء) وأبو محمد عبد الحق في كتاب (العاقبة) له .

(٢٦٣) إسناده ضعيف لجهالة رواه .

٢٦٤- قال محمد بن أحمد المروذي سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد ، واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم .

٢٦٥- وقال علي بن موسى الحداد : كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ، ومحمد بن قدامة الجوهري يقرأ ، فلما دفنا الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد : يا هذا إن القراءة على القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد : يا أبا عبد الله : ما تقول في مبشر بن إسماعيل ؟ قال : ثقة ، قال : هل كتبت عنه شيئا ؟ قال : نعم ، قال : أخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن الحجاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها ، وقال : سمعت ابن عمر يوصي بذلك .

(٢٦٤) قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم : ٣٩) ، قال ابن كثير (٤ / ٢٥٨) في تفسيره مانعه : - من هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي - رحمه الله - ومن تبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ، ولا كسبهم ، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ، ولا حشهم عليه ، ولا أرشدهم إليه بنص ، ولا إيماء ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء . أما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما .

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية ، أو علم ينتفع به » فهذه الثلاثة في الحقيقة من سعيه وكده ، وعمله .

(٢٦٥) إسناده ضعيف . وأخرجه الحلال (٥) ، (٦) في القراءة عند القبور في سننه الجوهري ، وضعفه أبو داود ، وقال : لم أكتب عنه شيئاً قط ، وقال ابن معين : ليس بشيء انظر : الميزان (٤ / ١٥) .

قال أحمد : فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ .

٢٦٦- قلت : وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقه النبي ﷺ باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » أخرجه البخاري ومسلم .

٢٦٧- وفي مسند أبي داود الطيالسي : فوضع على أحدهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً وقال : إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلولتهما شيء ، قالوا : يستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور وإذا خفف عنهم بالأشجار ، فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن ؟ .

٢٦٨- وقد خرج السلفي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « من مر على المقابر وقرأ (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات .

٢٦٩- وروى من حديث أنس خادم رسول الله ﷺ أنه قال : قال

(٢٦٦) حديث صحيح . أخرجه البخاري (١ / ٦٥ ، ١٢٤) ، ومسلم (٢٩٢) وأبو عوانة (١ / ١٩٦) ، وابن أبي شيبه (٣ / ٣٧٧) ، وأبو داود (٢٠) ، والنسائي (١ / ٣٠) ، وأحمد (١ / ٢٢٥) ، والترمذي (٧٠) ، وابن ماجه (٣٤٧) ، وابن أبي الدنيا (١٧٦) في الصمت ، وأبو الشيخ (٢٠٦) في التويين بتحقيق ، والخرائطي (٢٢٢) في المساوي .

(٢٦٧) حديث صحيح . أخرجه الطيالسي (٢٦٤٦) ، وانظر السابق .

(٢٦٨) حديث ضعيف . أخرجه أبو محمد السمرقندي في فضائل : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ كما في شرح الصدور (ص / ٣١١) والرافعي في تاريخه كما في كشف الخفاء (٢ / ٣٨٩) انظر : تذكرة الموضوعات (٢١٩) .

(٢٦٩) لم أقف عليه . ولوائح الوضع والضعف بادية عليه .

رسول الله ﷺ « إذا قرأ المؤمن آية الكرسي ، وجعل ثوابهما لأهل القبور ، أدخل الله تعالى في كل قبر مؤمن من المشرق إلى المغرب أربعين نوراً ، ووسع الله عز وجل عليهم مضاجعهم ، وأعطى للقارئ ثواب ستين نبياً ، ورفع له بكل ميت درجة وكتب له بكل ميت عشر حسنات » .

٢٧٠- وقال الحسن من دخل المقابر فقال : اللهم رب (هذه) الأجساد البالية والعظام الناخرة خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة فأدخل عليها روحاً منك وسلاماً مني إلا كتب بعددهم حسنات .

٢٧١- وروى عن النبي ﷺ من حديث ابن عباس ، أنه قال : « خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلمون ، كلما أخلق الدين جددوه ، أعطوهم ولا تستأجروهم فتخرجوهم ، فإن المعلم إذا قال للصبي : قل : بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لأبويه من النار » ذكره الثعلبي .

٢٧٢- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : أصل هذا الباب الصدقة التي لا اختلاف فيها فكما يصل للميت ثوابها ، فكذلك تصل قراءة القرآن والدعاء والاستغفار إذ كل ذلك صدقة فإن الصدقة لا تختص بالمال .

(٢٧٠) انظر : منازل الأرواح (ص / ٦٢) للكافجي .

(٢٧١) حديث موضوع . أخرجه ابن مردويه ، وفيه الجويباري ، وهو متهم انظر :

الموضوعات (٢ / ٢٢٠) لابن الجوزي ، الآلي المصنوعة (١ / ١٩٨) للسيوطي ، تنزيه

الشريعة (١ / ٢٥٢) لابن عراق ، الفوائد المجموعة (٢٧٦) للشوكاني .

(٢٧٢) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٦٨٦) ، وأحمد (١ / ٣٦ ، ٢٥) ، وأبو

داود (١١٩٩) ، والترمذي (٣٠٣٤) ، والنسائي (٣ / ١١٧) ، وابن ماجه (١٠٦٥) ، وابن

أبي شيبة (٢ / ٤٤٧) في مصنفه ، وابن حبان (٤ / ١٨٠) ، والبغوي (٤ / ١٦٨) في شرح

السنة ، والبيهقي (٣ / ١٤١) في سننه الكبرى .

قال عليه السلام : وقد سئل عن قصر الصلاة في حالة الأمن فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » .

٢٧٣- وقال عليه الصلاة والسلام : « يصبح على كل سلامي ^(١٤٢) من أحدكم صدقة فإن كل تسبيحة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » ولهذا استحب العلماء زيارة القبور لأن القراءة تحفة الميت من زائره .

٢٧٤- روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « ما الميت في قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار » .

(٢٧٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٧٢٠٠) ، وأبو داود (١٢٨٩) ، وأحمد (١٦٧ / ٥) ، وابن خزيمة (١٢٢٥) ، والبيهقي (١٠٠٧) في شرح السنة ، والبيهقي (٣ / ٤٧) في سننه .

142- سلامي : المفصل من مفاصل الإنسان .

(٢٧٤) حديث باطل . أخرجه البيهقي (٧٩٠٥) ، (٩٢٩٥) في شعب الإيمان من طريق محمد بن جابر بن أبي عياش عن ابن المبارك عن ابن القعقاع عن مجاهد عن ابن عباس به مرفوعاً .

في سننه ابن جابر ، قال الذهبي : لا أعرفه ، وخبره منكر جداً ، انظر : الميزان (٣ / ٤٩٦) ، واللسان (٥ / ٣٣٩) .

وقال العراقي (٤ / ٢٧٦) في المغنى : الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس ، وفيه الحسن بن علي بن عبد الواحد ، قال الذهبي : حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل .

وقال الزبيدي كما في الإتحاف (٤٠٣٤) قال أبو علي الحسين بن علي الحافظ : هذا حديث غريب من حديث ابن المبارك لم يقع عند أهل خراسان .

٢٧٥- وقد حكى أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري رحمه الله فقالت : إن ابنتي ماتت وقد أحببت أن أراها في المنام ، فعلمني صلاة أصليها لعلني أراها ، فعلمها صلاة فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل في عنقها والقيد في رجلها فار تاعت لذلك ، (وأخبرت) الحسن ، فاعتم عليها ، فلم تمض مدة حتى رآها الحسن في المنام وهي في الجنة على سرير وعلى رأسها تاج ، فقالت له : يا شيخ ، أما تعرفني ؟ قال : لا ، قالت له : أنا تلك المرأة التي علمت أمي الصلاة ، فرأيتني في المنام ، قال لها : فما سبب أمرك ؟ قالت : مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبي ﷺ وكان في المقبرة خمسمائة وستون إنساناً في العذاب فنودي : ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل عن النبي ﷺ .

٢٧٦- وقال بعضهم : مات أخ لي فرأيتني في المنام ، فقلت : ما كان حالك حين وضعت في قبرك ؟ قال : أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به . والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة ، ذكرها أبو محمد عبد الحق في كتاب (العاقبة) له . وقد ذكر في هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رضى الله عنه في كتاب (عيون الأخبار) له حكاية فيها طول ، رأينا ذكرها لاشتمالها على وعظ وتذكير وتخويف وتحذير وتضرع وابتهاال ودعاء بالموت والانتقال .

٢٧٧- روى عن الحارث بن نبهان أنه قال : كنت أخرج إلى الجبانات فأرحم على أهل القبور وأتفكر وأعتبر وأنظر إليهم سكوتاً لا يتكلمون وجيراناً لا يتزاورون ، وقد صار لهم من بطن الأرض وطاء ومن ظهرها غطاء

(٢٧٥) لا أصل له .

(٢٧٦) انظر : الإحياء (٤ / ٤٧٦) .

(٢٧٧) خبر ضعيف جداً فيه ابن نبهان ، قال البخاري وأحمد : منكر الحديث وقال أبو

حاتم : متروك الحديث ضعيف ، وقال ابن المديني : كان ضعيفاً انظر : الميزان (١ / ٤٤٤) .

وأنادى: يا أهل القبور، محيت من الدنيا آثاركم، وما محيت عنكم أوزاركم، وسكنتم دار البلاء فتورمت أقدامكم قال : ثم يبكي بكاء شديداً، ثم يميل إلى قبة فيها قبر، فينام في ظلها .

قال : فبينما أنا نائم إلى جانب القبر إذ أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر، وأنا أنظر (إليه) والسلسلة في عنقه ، وقد ازرق عيناها واسود وجهه وهو يقول : يا ويلى ماذا حل بى ؟ لو رأتى أهل الدنيا ما ركبوا معاصى الله أبداً ، طولبت والله باللذات فأوبقتنى وبالخطايا فأغرقتنى فهل من شافع لى أو مخبر أهلى بأمرى ؟!

قال الحارث : فاستيقظت مرعوباً ، وكاد أن يخرج قلبى من هول ما رأيت، فمضيت إلى دارى وبت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت (وسمعت)، فلما أصبحت قلت: دعنى أعود إلى الموضع الذى كنت فيه لعلى أجد به أحداً من زوار القبور فأعلمه بالذى رأيت ، قال : فمضيت إلى المكان الذى كنت فيه بالأمس فلم أر أحداً فأخذنى النوم فنامت فإذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب على وجهه وهو يقول: يا ويلتاه! ماذا حل بى ؟ ساء فى الدنيا عملى وطال فيها أجلى حتى غضب على رب الأرباب ، فالويل لى إن لم يرحمنى ربى (الملك التواب) .

قال الحارث : فاستيقظت وقد توله عقلى بما رأيت وسمعت ، فمشيت إلى دارى وبت ليلتى ، فلما أصبحت أتيت القبر لعلى أجد أحداً من زوار القبور فأعلمه بما رأيت ثم نمت ، فإذا أنا بصاحب القبر قد قرن بين قدميه وهو يقول : ما أغفل أهل الدنيا عنى ، ضوعف على العذاب وتقطعت عنى الحيل والأسباب، وغضب على رب الأرباب وغلق في وجهى كل باب ، فالويل لى إن لم يرحمنى ربى العزيز الوهاب .

قال الحارث : فاستيقظت من منامى مرعوباً ، وهممت بالانصراف ،

فإذا بثلاث جوار قد أقبلن ، فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكى أسمع كلامهن ، فتقدمت الصغرى ، ووقفت على القبر ، وقالت : السلام عليك يا أبتاه كيف هـدوؤك فى مضجعك وكيف قرارك فى موضعك ؟ ذهبت عنا (بودك) وانقطع عنا سؤالك فما أشد حسرتنا عليك ، ثم بكى بكاء شديداً ، ثم تقدمت ابنتان فسلمتا على القبر ، ثم قالتا : هذا قبر أبينا الشفيق علينا ، والرحيم بنا آنسك الله بملائكة رحمته ، وصرف عنك عذابه ونقمته ، يا أبتاه ، جرت بعدك أمور لو عاينتها لأوهمتك ، ولو اطلعت عليها لأحزنتك ، كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت سترتها .

قال الحارث : فبكيت لما سمعت كلامهن ، ثم قمت مسرعاً إليهن ، فسلمت عليهن وقلت لهن : أيتها الجوارى ، إن الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها ، فما كان عمل أبيكن المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره ما أحزنى واطلعت من حاله على ما آلمنى ؟ .

قال الحارث : فلما سمعت كلامى كشفن وجوههن وقلن : أيها العبد الصالح ، ما الذى رأيت ؟ قلت لهن : لى ثلاثة أيام وأنا أختلف إلى القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه . قال : فلما سمعت ذلك منى قلن لى : بشاره ما أضرها ومصيبة ما أحزنها ، نحن نقضى الأوطار⁽¹⁴³⁾ ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار ، فوالله لا قر بنا قرار ، ولا ضمنتنا للذة العيش دار ، أو نتضرع للجبار فلعله أن يعتق أبانا وينقذه من النار . ثم مضين يتعثرن فى أذيالهن .

قال الحارث : فمضيت إلى دارى فبت ليلتى ، فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده فغلبنى النوم فنمت ، فإذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال ، وفى رجليه نعل من ذهب ومعه حور وغلمان .

143- الأوطار : جمع وطر ، تقول : قضى منه وطره : أى نال منه بغيته .

قال الحارث : فسلمت عليه وقلت له : رحمك الله من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذي عاينت من أمرى ما أحزنك ، واطلعت منه على ما أفجعك فجزاك الله خيراً فما أئمن طلعتك على ، فقلت له : وكيف حالك ؟ فقال لى : لما اطلعت على وأخبرت بناتى بالأمس بحالى أعرين أبدانهن وأسبلن شعورهن⁽¹⁴⁴⁾ وتضرعن لمولاهن ، ومرغن خدودهن فى التراب ، وأهملن دموعهن بالانسكاب ، واستوهبونى من العزيز الوهاب ، فغفر لى الذنوب والأوزار ، واستنقذنى من النار ، وأسكننى دار القرار بجوار محمد المختار ، فإذا رأيت بناتى فأعلمهن بأمرى وما كان من قصتى ليزول عنهن روعهن ، ويفارقن حزنهن ، وتعلمهن أنى قد صرت إلى جنات وحوار ومسلوك وكافور ، وعندى غلمان وسرور ، وقد عفا عني العزيز الغفور .

قال الحارث : فاستيقظت فرحاً مسروراً لما رأيت ، وسمعت ، ثم مضيت إلى دارى ، وبت ليلتى ، فلما أصبحت أتيت القبر ، فوجدتهن حافيات الأقدام ، فسلمت عليهن ، وقلت لهن : أبشرن فقد رأيت أباكن في خير عظيم وملك مقيم ، وقد أعلمنى أن الله تعالى أجاب دعاءكن ، ولم يخيب مسعاكن ، وقد وهب لكن أباكن فاشكرنه على ما أولاكن .

قال : فقالت الصغرى : اللهم يا مؤنس القلوب ، ويا سائر العيوب ، ويا كاشف الكروب ، ويا غافر الذنوب ، ويا عالم الغيوب ، ويا مبلغ الأمل المطلوب ، قد علمت ما كان من مسألتى ورغبتى واعتذارى فى خلوتى واستقالتى من ذلتى وتنصلى من خطيئتى ، وأنت اللهم تعلم همتى والمطلع على نيتى والعالم بطويئى ، ومالك رقبتى والآخذ بناصيتى وغايتى فى طلبتى ، ورجائى عند شدتى ، ومؤنسى فى وحدتى ، وراحم عبرتى ، ومقيل

144- أسبلن شعورهن : أرسلن شعورهن ، وبعض العوام يعتقدون أن المرأة : إذا كشفت شعرها ودعت ، كان ذلك أحرى لإجابة دعائها !! .

التذكيرة

باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر ..

عشرتي⁽¹⁴⁵⁾ ، ومجيب دعوتي ، فإن كنت قصرت عما أمرتني وركبت إلى ماعنه نهيتني فبحلمك حملتني ، وبسترك سترتني ، فبأى لسان أذكرك ، وعلى أى نعمك أشكرك ، ضاق بكثرتها ذرعى ، فيا أكرم الأكرمين ومنتهى غاية الطالبين ، ومالك يوم الدين الذى يعلم ما أخفى فى الضمير ، ويدبر أمر الصغير والكبير ، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك ، وشفعتنى فى (والدى) عبدك فاقبضنى إليك وأنت على كل شيء قدير ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها .

قال : ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها : يا رب فرج كربى ، وخلص من الشك قلبى ، يا من أقامنى من صرعتى ، وأقالنى من عشرتى ، ودلنى من حيرتى وأعاننى فى شندتى ، إن كنت قبلت دعوتى وقضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فألحقنى بأختى ، ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها .

قال : ثم قامت الثالثة : فنادت بأعلى صوتها : يا أيها الجبار الأعظم ، والمملك الأكرم ، العالم بمن سكت وتكلم ، لك الفضل العظيم ، والمملك القديم والوجه الكريم ، العزيز من أعززه ، والذليل من أذلته والشريف من شرفته ، والسعيد من أسعدته ، والشقى من أشقىته ، والقريب من أدنيته ، والبعيد من أبعدته ، والمحروم من حرمة ، والرايح من أوهبته ، والخاسر من عذبته ، أسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم وعلمك المكنون الذى بعد عن إدراك الأفهام وغمض عن مناولة الأوهام باسمك الذى جعلته على الليل فدجى وعلى النهار فأضاء ، وعلى الجبال فدكدكت ، وعلى الرياح

145- مقيب عشرتى : مزيل لمعصيتى .

فتناثرت، وعلى السماوات فارتفعت ، وعلى الأصوات فخشعت ، وعلى الملائكة فسجدت .

اللهم إني أسألك إن كنت قضيت حاجتي ، وأنجحت طلبتي ، فألحقني بصواحباتي ، ثم صاحبت صبيحة فارقت الدنيا ، رحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين أجمعين ، آخر الحكاية والحمد لله رب العالمين .

٢٧٨- وروى من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : « من دخل المقابر فقرأ بسورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات » .
٢٧٩ - ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - أنه أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة .

٢٨٠ - وقد روى إباحة قراءة القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن ، وذكر النسائي وغيره من حديث معقل بن يسار المدني عن النبي ﷺ أنه قال : « اقرءوا يس عند موتاكم » ، وهذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره .

(٢٧٨) حديث ضعيف . تفرد به عبد العزيز صاحب الخلال كما في شرح الصدور (ص / ٣١٢) .

(٢٧٩) خبر ضعيف . أخرجه البيهقي (٤ / ٥٦) في سننه الكبرى ، وفي سننه عبد الرحمن بن العلاء ، في عداد المجهولين .

(٢٨٠) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٥ / ٢٦) ، وأبو داود (٣١٢١) ، وابن ماجه (١٤٤٨) ، وابن حبان (٥ / ٣) ، والبقوى (١٤٦٤) في شرح السنة ، والحاكم (١ / ٥٦٥) ، والبخارى في التاريخ الكبير (٩ / ٥٨) ، والبيهقي (٣ / ٣٨٣) في سننه الكبرى .

انظر : الميزان (١٠٤٠٩) ، تلخيص الحبير (٢ / ١٠٤) ، إرواء الغليل (٣ / ١٥٠) .

٢٨١- قال أبو محمد عبد الحق : حدثني أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن أفرند ، وكان هو وأبوه صالحين معروفين . قال : مات أبي رحمه الله فحدثني بعض إخوانه - ممن يوثق بحديثه - قال لي : زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزباً من القرآن ، ثم قلت : يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لي؟ قال : فهبت على نفحة مسك غشيتني ، وأقامت معي ساعة، ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني إلا وقد مشيت نصف الطريق .

٢٨٢- قال أبو محمد : ورأيت لبعض من يوثق به قال : ماتت لي امرأة فقرأت في بعض الليالي آيات من القرآن ، فأهديتها لها ، ودعوت الله عز وجل واستغفرت لها ، وسألت ، فلما كان في اليوم الثاني حدثني امرأة تعرفها وتعرفني قالت لي : رأيت البارحة فلانة في النوم - تعني الميتة المذكورة - في مجلس حسن في دار حسنة ، وقد أخرجت لنا أطباقاً من تحت سرير كان في البيت ، والأطباق مملوءة قوارير أنوار ، فقالت لي : هذا أهدها لي صاحب بيتي . قال : وما كنت أعلمت بذلك أحداً .

٢٨٣- قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وفي هذا المعنى حديث مرفوع من حديث أنس يأتي في باب ما يتبع الميت إلى قبره ، وقد قيل : إن ثواب القراءة للقارئ، وللमित ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة. قال (الله) تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٤٦) .

٢٨٤- قلت : ولا يبعد في كرم الله تعالى أن يلحقه ثواب القراءة

(٢٨١) ، (٢٨٢) ، المنامات لا يثبت بها أحكام شرعية .

146- سورة : الأعراف الآية : ٢٠٤ .

(٢٨٤) حديث ضعيف . أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) ، والدارمي (٤٤١ / ٢) ،

وأبو نعيم في الحلية (١٠٦ / ٥) ، وانظر : فتح الباري (٩ / ٦٦) .

والاستماع جميعاً ويلحقه ثواب ما يهدى إليه من قراءة القرآن ، وإن لم يسمعه كالصدقة والدعاء والاستغفار لما ذكرنا ، ولأن القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهاال ، وما يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل القرآن .
قال ﷺ : يقول الرب تبارك وتعالى : « من شغله قراءة القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » رواه الترمذى ، وقال فيه : حديث حسن غريب .

٢٨٥- وقال عليه (الصلاة و) السلام : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » والقراءة فى معنى الدعاء ، وذلك صدقة من الولد ، ومن الصاحب والصديق والمؤمنين ، حسب ما ذكرنا وبالله التوفيق .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾⁽¹⁴⁷⁾ وهذا يدل على أنه لا ينفع أحداً عمل أحد . قيل له : هذه آية اختلف فى تأويلها أهل التأويل .

فروى عن ابن عباس : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾⁽¹⁴⁸⁾ فيجعل الولد الطفل يوم القيامة فى ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء فى الأبناء والأبناء فى الآباء . ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ آباؤكم وأبنائكم لا تدرؤن أيهم

(٢٨٥) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٦٣١) ، وأبو داود (٢٨٨٠) ،

والترمذى (١٣٧٦) ، والنسائى (٦ / ٢٥١) ، وأحمد (٢ / ٣٧٢) ، وابن حبان (٥ /

٩) ، والبخارى (١٣٩) فى شرح السنة ، والبيهقى (٦ / ٢٧٨) فى سننه الكبرى .

147- سورة: النجم الآية : ٣٩ .

148- سورة: الطور من الآية : ٢١ .

أقرب لكم نفعاً⁽¹⁴⁹⁾ ﴿ وقال الربيع بن أنس : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى⁽¹⁵⁰⁾ ﴾ يعني : الكافر . وأما المؤمن فله ما سعى ، وما سعى له غيره . قلت : وكثير من الأحاديث تدل على هذا القول ، ويشهد له ، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره .
٢٨٦- وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » .

٢٨٧- وقال عليه (الصلاة و) السلام للرجل الذي حج عن غيره (قبل) أن يحج عن نفسه « حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » .
٢٨٨- وروى أن عائشة رضي الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن بعد موته وأعتقت عنه ، وقال سعد للنبي ﷺ : « إن أمى توفيت

149- سورة: النساء من الآية : ١١ .

150 - سورة: النجم الآية : ٣٩ .

(٢٨٦) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣ / ٤٦) ، ومسلم (١١٤٧) ، وأحمد (٦٩ / ٦) وأبو داود (٢٤٠٠) ، وابن حبان (٥ / ٢٣٢) ، والبيهقى (١٧٧٣) فى شرح السنة ، والبيهقى (٤ / ٢٥٥) ، (٦ / ٢٧٩) فى سننه الكبرى ، والدارقطنى (٢ / ١٩٥) فى سننه .

(٢٨٧) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (١٨١١) ، وابن ماجه (٢٠٩٣) ، وابن الجارود (٤٩٩) ، وابن حبان (٩٦٢) ، والبيهقى (٤ / ٣٣٦) فى سننه الكبرى والطبرانى (١٢٤١٩) فى الكبير ، وابن عبد البر (٩ / ١٣٨) فى التمهيد وانظر : إرواء الغليل (٤ / ١٧١) .

أفأتصدق عنها ؟ قال : « نعم » فأى الصدقة أفضل ؟ قال : « سقى الماء » وفي الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر عن عمته ، أنها حدثته عن جدته أنها جعلت على نفسها شيئاً إلى مسجد قباء ، فماتت ولم تقضه ، فأفتى عبد الله بن عباس ابنتها أن تمشى عنها .

٢٨٩- قلت : ويحتمل أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (١٥١) خاصاً في السيئة بدليل ما في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ، : قال الله عز وجل « إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبت لها حسنة ، فإن عملها كتبت لها عشرأ إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبت لها سيئة واحدة » والقرآن دال على هذا ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍهَا (١٥٢) ﴾ وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْتِ سَبْعَ سُنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ (١٥٣) ﴾ الآية ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ (١٥٤) ﴾ وقال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة (١٥٥) ﴾ وهذا كله تفضل من الله تعالى ، وطريق العدل : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ، إلا

(٢٨٩) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٢٨) ، وأبو عوانة (١ / ٨٢ ، ٨٣)

وأحمد (٢ / ٢٤٢) ، وابن حبان (١ / ٢٩٩ - ٣٠٠) .

151- سورة : النجم من الآية : ٣٩ .

152- سورة : الأنعام من الآية : ١٦٠ .

153- سورة : البقرة من الآية : ٢٦١ .

154- سورة : البقرة من الآية : ٢٦٥ .

155- سورة : البقرة من الآية : ٢٤٥ .

أن الله عز وجل يتفضل عليه بما لم يجب له ، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة : عشراً إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة .

٢٩٠- كما قيل لأبي هريرة : أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله ليجزى عن الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة » فقال : سمعته يقول : « إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألفى ألف حسنة » فهذا تفضل ، وقد تفضل الله على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل فما ظنك بعمل مؤمن عن نفسه أو عن غيره ؟ .

٢٩١- وقد ذكر الخرائطي في كتاب القبور ، قال : سنة في الأنصار إذا حملوا الميت أن يقرؤوا معه سورة البقرة .

ولقد أحسن من قال (في زيارتهم) :

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد حملت إليهما
في أبيات يقول في آخرها :

وقرأت من آي الكتاب بقدر ما تستطيع وقد بعثت ذاك إليهما
وإنما طولنا النفس في هذا الباب ، لأن الشيخ الفقيه القاضي الإمام مفتي الأنام عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ، كان يفتي بأنه لا يصل للميت ثواب ما يقرأ ، ويحتج بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ * ، فلما توفي رحمه الله ، رآه بعض أصحابه ممن كان يجالسه وسأله عن ذلك ، فقال له : إنك كنت تقول : إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ

(٢٩٠) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٢ / ٢٩٦) ، وابن أبي الدنيا (٢٧) في التوبة بتحقيق ، والطبري (٥ / ٥٨) في تفسيره ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وعبد الله ابن أحمد في زوائد الزهد ، انظر : تفسير ابن كثير (١ / ٤٩٨) ، الدر المنثور (٣ / ٢٣٩) .
(٢٩١) خبر ضعيف . أخرجه الخلال (٩) في جزء القراءة ، وفي سنده مجالد من الضعفاء ، وانظر : شرح الصدور (ص / ٣١١) .
* سورة النجم : الآية : ٣٩ .

ويهدى إليه ، فكيف الأمر ؟ فقال له : إني كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن فقد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى في ذلك : وأنه يصل إليه ذلك .



باب يدفن العبد في الأرض التي خلق منها

٢٩٢- أبو عيسى الترمذی ، عن مطر بن عكاس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة » أو قال : « بها حاجة » .

قال أبو عيسى : وفي الباب عن أبي عزة ، وهذا حديث (حسن) غريب ، لا يعرف لمطر بن عكاس عن النبي ﷺ غير هذا الحديث .

٢٩٣- وعن أبي عزة : قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض ، جعل له إليها حاجة » أو قال : « بها حاجة » قال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو عزة له صحبة واسمه يسار بن عبيد ، وأنشدوا :

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعتة إليها حاجة فيطير

(٢٩٢) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٥ / ٢٢٧) ، والترمذی (٢٢٣٥) ، (٢٢٣٦) والحاكم (١ / ٤٢) وصححه ، وأقره الذهبي ، والطبرانی (٢٠ / ٣٤٣) في الكبير وابن عساكر (٨٧) في التعزية بتحقيقى .

وفي الباب عن أسامة بن زيد وجندب بن سفيان ، وعروة بن مضر .

(٢٩٣) حديث صحيح . أخرجه الترمذی (٢٢٣٧) وقال : حسن صحيح ، والطيالسي (١٣٢٥) ، وابن عساكر (٨٩) في التعزية ، وفي الباب عن ابن مسعود عند الحاكم (١ / ٤٢) وانظر السابق .

٢٩٤- وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول ، عن أبي هريرة : خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة ، وإذا بقبر يحفر ، فأقبل حتى وقف عليه ، فقال : « لمن هذا » ؟ قيل : لرجل من الحبشة ، فقال : « لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الأرض التي خلق منها » .

٢٩٥- وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا كان أجل العبد بأرض أو ثبتته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله ، فتقول الأرض يوم القيامة : رب هذا ما استودعتنى » خرجه ابن ماجه أيضاً .

٢٩٦- فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فائدة هذا الباب : تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظلمة ، وقضاء الدين ، وإتيان الوصية بماله أو عليه في الحضر ، فضلاً عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ، فإنه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض .

وأنشده بعضهم :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

(٢٩٤) حديث صحيح . أخرجه الترمذى الحكيم (٧١) في النوادر والبيهقى (٩٨٩١) في الشعب وفى الباب عن أبي سعيد ، أخرجه الحاكم (١ / ٣٦٦ - ٣٦٧) وصححه وأقره الذهبى ، وابن عساكر (٩٠) فى التعزية ، وفى الباب عن أبى الدرداء ، وابن عمر ، انظر : مجمع الزوائد (٣ / ٤٢) ، شرح الصدور (ص / ٩٩) .

(٢٩٥) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٣) ، وابن أبى عاصم (١ / ١٧٣) برقم (٣٩٢) فى السنة ، والحاكم (١ / ٤١ ، ٤٢ ، ٣٦٧) ، والطبرانى (١٠٤٠٣) فى الكبير ، وانظر تلخيص الحبير (١ / ١٩٤) .

وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأتته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
٢٩٧- وقد روى في الآثار القديمة : أن سليمان عليه (الصلاة
(و)السلام كان عنده رجل يقول (له): يا نبي الله، إن لي حاجة بأرض
الهند، فأسألك أن تأمر الريح أن يحملني إليها في هذه الساعة ، فنظر
سليمان إلى ملك الموت عليه (الصلاة و)السلام ، فرآه يبتسم ، فقال : مم
تبسم ؟ قال :- تعجباً - : إني أمرت بقبض روح هذا الرجل في بقية هذه
الساعة بالهند وأنا أراه عندك ، فروى أن الريح حملته في تلك الساعة إلى
الهند ، فقبض روحه بها . والله أعلم .

باب ما جاء أن كل عبد يذر عليه من تراب

حفرة

وفيه الرزق والأجل ، وبيان قوله تعالى

﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ (١٥٦)

٢٩٨- أبو نعيم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من
مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرة » .
(٢٩٧) إسناده ضعيف ، والخبر من الإسرائيليات .
أخرجه أحمد (ص / ٤١) في الزهد ، وأبو نعيم (٦ / ٦٠) في الحلية ، وأبو الشيخ في
العظمة (٤٥٣) .
١٥٦- سورة : الحج من الآية : ٥ .

(٢٩٨) حسن بشواهد . أخرجه أبو نعيم (٢ / ٢٨٠) في الحلية ، وعبد الرزاق
(٦٥٣٣) بمعناه في مصنفه ، وفي الباب عن جابر عند ابن أبي شيبة (٤ / ١٧٠) في مصنفه ،
وعبد الرزاق (٦٥٣٢) ، وابن عساكر (٩١) في التعزية ، وعن ابن عباس عند العقيلي =

قال أبو عاصم النبيل : ما نجد لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما فضيلة مثل هذه ، لأن طينتهما طينة رسول الله ﷺ أخرجه فى باب ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه إلا من حديث أبي عاصم النبيل ، وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة .
٢٩٩- وروى مرة ، عن ابن مسعود أن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم ، فيضعها على كفه ، ثم يقول : يا رب ، مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال مخلقة ، قال : يا رب ما الرزق ؟ وما الأثر ؟ ما الأجل ؟ فيقول : انظر فى أم الكتاب ، فينظر فى اللوح المحفوظ ، فيجد فيه رزقه ، وأثره ، وأجله ، وعمله ويأخذ التراب الذى يدفن فى بقعته ويعجن به نطفته .

فذلك قوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾ (١٥٧) أخرجه

الترمذى الحكيم ، وأبو عبد الله فى نوادر الأصول .

٣٠٠- وذكر عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه ، فقال : أى رب أمخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة لم تكن نسمة ، وقذفها الأرحام دماً ، وإن قال : مخلقة ،

= (٣ / ١٨٠) فى الضعفاء الكبير ، وعن أبي الدرداء ، وابن مسعود ، وأنس ، وأبي سعيد ، انظر : المجمع (١ / ٤٢) ، تنزيه الشريعة (١ / ٣٧٣ - ٣٧٤) .
أما إسناد أبي نعيم فتالف ، فيه الأهوازى اتهم بالوضع ، انظر الميزان (٣ / ٤٧٨) .
(٢٩٩) نوادر الأصول (ص / ٧١) للحكيم الترمذى .
157- سورة : طه من الآية : ٥٥ .

(٣٠٠) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١ / ٣٧٤) ، والبخارى (٣٢٠٨) ، (٣٣٣٢) ، (٦٥٩٤) ، ومسلم (٢٦٤٣) ، (٢٦٤٤) ، (٢٦٤٥) ، وأبو داود (٤٦٨٣) ، والترمذى (٢٢٢٠) ، (٢٢٢١) ، والبيهقى (١ / ١٣٨) ، (٧ / ٤٢١) فى سننه الكبرى ، وابن الجوزى (٥٩) فى الملق بتحقيقى ، أما لفظ الحكيم الترمذى ، فأخرجه فى النوادر (ص / ٧١) والطبرانى (١٠٤٤٠) فى الكبير .

قال : أى رب أذكر أم أنسى ؟ أشقى ، أم سعيد ؟ ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وما الرزق ؟ وبأى أرض تموت ؟ فيقول : اذهب إلى أم الكتاب ، فإنك ستجد هذه النطفة فيها ، فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله فيقال : من رازقك ؟ فتقول : الله ، فتخلق فتعيش في أجلها وتأكّل رزقها ، وتطأ أثرها ، فإذا جاء أجلها ماتت فدفنت فى ذلك المكان ، فالأثر : هو التراب الذى يؤخذ فيعجن به مأوه .

٣٠١- وقال محمد بن سيرين : لو حلفت حلفت صادقاً باراً ، غير شاك ولا مستثن ، أن الله (تعالى) ما خلق نبيه محمداً ﷺ ، ولا أباً بكر ، ولا عمر ، إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة .

قلت : ومن خلق من تلك التربة : عيسى ابن مريم عليه (الصلاة والسلام على ما يأتى بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى ، وهذا الباب يبين لك معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب (158) ﴾ . وقوله : ﴿ هو الذى خلقكم من طين (159) ﴾ .

وقوله (تعالى) : ﴿ ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين (160) ﴾ ولا

تعارض فى شيء من ذلك على ما بينا فى كتاب الجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنة ، وآى الفرقان وهذا الباب يجمع لك ذلك كله فتأمله .

(٣٠١) انظر رقم (٢٩٨) .

158- سورة : الحج من الآية : ٥ .

159- سورة : الأنعام من الآية : ٢ .

160- سورة : السجدة من الآية : ٨ .

باب ما يتبع الميـت إلـى قبره وبعد موته وما

يبقى معه فيه

٣٠٢- مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يتبع الميـت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » .

٣٠٣- وروى أبو نعيم من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « سبع يعجرى أجراها للعبد بعد موته وهو فى قبره : من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته » هذا الحديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عبد الرحمن بن هانئ النخعى عن العزرمى محمد بن عبد الله عن قتادة ، وخرجه الإمام أبو عبد الله بن محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى فى سننه من حديث الزهرى .

٣٠٤- حدثنى أبو عبد الله الأغر ، عن أبى هريرة قال : قال رسول

(٣٠٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٣٤) ، ومسلم (٢٩٦٠) ، وابن المبارك (٢٢٤) فى الزهد ، وأحمد (٣ / ١١٠) ، والترمذى (٢٣٨٠) ، والنسائى (٤ / ٥٣) ، وابن حبان (٥ / ٤٢) ، والبيهقى (٤٠٥٦) فى شرح السنة ، والبيهقى (٦٩٥) فى الزهد ، و (ص ٥٠١ / ٥٠١) فى الأدب ، وأبو نعيم (١٠ / ٤) فى الحلية ، وابن الجوزى (٤) فى المقلق .

(٣٠٣) حديث حسن . أخرجه أبو نعيم (٢ / ٣٤٤) فى الحلية ، والبيهقى (٣٤٤٩) فى شعب الإيمان ، والبزار كما فى المجمع (١ / ١٦٧) كلهم من حديث أنس . وقال الهيثمى : فيه محمد بن عبيد الله العزرمى ، وهو ضعيف .

قلت : له شاهد حسن من حديث أبى هريرة أخرجه ابن ماجه (٢٤٢) وابن خزيمة (٢٤٩٠) ، والبيهقى (٣٤٤٨) فى شعب الإيمان . وفى الباب عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه . (٣٠٤) حديث حسن . انظر السابق .

الله ﷻ : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً علمه ونشره ، أو ولدأ صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته تـلحقه بعد موته » .

٣٠٥- وروى أبو هـدبة إبراهيم بن هـدبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷻ : « إنك لتصدق عن ميتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور ، فيقوم على رأس القبر فينادى : يا صاحب القبر الغريب : أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها » قال : فيدخلها إليه في قبره ، ويفسح له في مداخله ، وينور له فيه فيقول : جزى الله أهلى عنى خير الجزاء قال : فيقول : لزيق ذلك القبر: أنا لم أخلف لى ولدأولا أحداً يذكرنى، (بشئ) فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة .

٣٠٦- وقال بشار بن غالب : رأيت رابعة العدوية - يعنى العابدة - فى المنام ، وكنت كثير الدعاء لها . فقالت لى : يا بشار هديتك تأتينا فى أطباق من نور ، عليها مناديل الحرير ، وهكذا يا بشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لإخوانهم الموتى فاستجيب لهم يقال : هذه هدية فلان إليك : وقد تقدم لهذا الباب ما فيه كفاية ، والحمد لله .

وقال إسماعيل بن رافع : ما من ذى رحم أوصل لذى رحمه ، من رجل أتبع ذا رحم بحج أو عتق أو صدقة .

(٣٠٥) حديث موضوع . فيه ابن هـدبة متهم بالكذب ، وتركه غير واحد .

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه أبو محمد الشامى ، قال عنه الأزدي : كذاب ، كذا فى المجمع (٣ / ١٣٩) ، وانظر السلسلة الضعيفة (٤٨٦) للألبانى .

(٣٠٦) فيه من لم أجده . وأخرجه ابن أبى الدنيا كما فى شرح الصدور (ص / ٣٠٦) ، والبيهقى (٩٢٩٩) فى شعب الإيمان . وانظر : العاقبة (ص / ١٢٥) لعبد الحق ، الإحياء (٤ / ٤٧٥) ، منازل الأرواح (ص / ٦٢) .

باب ما جاء في هول المطلع

٣٠٧- تقدم من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تمنوا الموت ، فإن هول المطلع شديد » الحديث .
٣٠٨- ولما طعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال له رجل :
إني لأرجو أن لا تمس جلدك النار . فنظر إليه ثم قال : إن من غررتموه
لمغرور ، والله لو أن لى ما على الأرض لافتديت به من هول المطلع .
٣٠٩- وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : أضحكنى ثلاث وأبكاني
ثلاث ، أضحكنى : مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل ليس بمغفول عنه ،
وضاحك بملء فيه لا يدري أأرضى الله أم أسخطه ؟ وأبكاني : فراق
الأحبة محمد ﷺ وحزبه ، وأحزننى هول المطلع عند غمرات الموت ،
والوقوف بين يدى الله (تعالى) يوم تبدو السريرة علانية ثم لا يدري إلى
الجنة أو إلى النار ، أخرجه ابن المبارك ، قال : أخبرنا غير واحد عن معاوية بن
قرة قال : قال أبو الدرداء : فذكره .

٣١٠- قال : وأخبرنا محمد ، بلغ به أنس بن مالك قال : ألا
أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن : أول يوم يجيئك البشير
من الله تعالى ، إما برضاه وإما بسخطه ، ويوم تعرض فيه على ربك آخذاً
كتابك ، إما يمينك وإما بشمالك ، وليلة تستأنف فيها المبيت فى القبور لم
تبت فيها (ليلة) قط ، وليلة تمخص صبيحتها يوم القيامة .

(٣٠٧) حديث حسن . سبق تخريجه برقم (٤) .

(٣٠٨) خبر صحيح . أخرجه أبو نعيم (١ / ٥٢) فى الحلية ، والبيهقى (٢٤٤) فى
إثبات عذاب القبر .

(٣٠٩) خبر حسن . أخرجه ابن المبارك (٢٤٩) فى الزهد ، ومن كلام سلمان الفارسي
أخرجه أحمد (ص / ١٩٣) فى الزهد وأبو نعيم (١ / ٢٠٧) فى الحلية ، والبيهقى (١٠٦٥٢)
فى شعب الإيمان .

(٣١٠) خبر صحيح أخرجه البيهقى (١٠٦٩٧) ، (١٠٦٩٨) فى الشعب ، ومن قول
الحسن البصرى أخرجه ابن أبى الدنيا (١٤) فى الأهوال بتحقيقى .

باب ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة

وفد البكاء عنده وفج حكمة والاستعداد له

٣١١- ابن ماجه عن هاني بن عثمان قال : كان عثمان - رضى الله عنه - إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقليل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتبكي من هذا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه أحد فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » .

٣١٢- قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه » أخرجه الترمذى وزاد رزين قال : وسمعت عثمان ينشد على قبر شعراً :

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة وإلا فإنى لا إخالك ناجياً
٣١٣- ابن ماجه عن البراء قال : كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة ، فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال : « يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا » .

٣١٤- فصل : القبر واحد القبور في الكثرة وأقبر في القلة ويقال للمدفن : مقبر .

(٣١١) حديث حسن . أخرجه الترمذى (٢٣٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٦٧) ، وأحمد (١ / ٦٤) ، والحاكم (١ / ٣٧١) ، والبغوى (١٥٢٣) فى شرح السنة ، والبيهقى (٤ / ٥٦) فى سننه الكبرى ، والبخارى فى تاريخه الكبير (٨ / ٢٢٩) .

(٣١٢) حديث حسن . انظر السابق .

(٣١٣) حديث حسن . أخرجه ابن ماجه (٤١٩٥) ، وأحمد (٤ / ٢٩٤) ، والبخارى (١ / ٢٢٩) فى تاريخه الكبير ، والبيهقى (٣ / ٣٦٩) فى سننه الكبرى ، والخطيب (١ / ٣٤١) فى تاريخ بغداد .

قال الشاعر :

لكل أناس مقبر بفنائهم وهم ينقصون والقبور تزيد
واختلف في أول من سن القبر ؟ فقيل : الغراب لما قتل قابيل هابيل .
وقيل : بنو إسرائيل ، وليس بشيء ، وقد قيل : كان قابيل يعلم الدفن ولكن
ترك أخاه بالعراء استخفافاً به ، فبعث الله غراباً يبحث التراب على هابيل
ليدفنه . فقال عند ذلك : ﴿ يا ويلتا أعجزت أن أكون مثلاً لهذا الغراب
فأوارى سوءاً أخى فأصبح من النادمين ⁽¹⁶¹⁾ ﴾ حيث رأى إكرام الله لهابيل
بأن قيض الله الغراب له حتى وراه . ولم يكن ذلك ندم توبة وقيل : ندمه
إنما كان على فقدته ، لا على قتله .

٣١٥- قال ابن عباس : ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة
توبة ، ويقال : إنه لما قتله قعد يكي عند رأسه ، إذ أقبل غرابان فاقتتلا . فقتل
أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ، ففعل القاتل بأخيه كذلك ، فبقى
ذلك سنة لازمة في بني آدم ، وفي التنزيل ﴿ ثم أماته فأقبره ⁽¹⁶²⁾ ﴾ أى
جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً له ولم يجعله مما يلقي على وجه الأرض تأكله
الطير والعواصف . قاله الفراء .

٣١٦- وقال أبو عبيدة : أقبره : جعل له قبراً وأمر أن يقبر .

قال أبو عبيدة : ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو
تميم ، ودخلوا عليه : أقبرنا صالحاً . فقال : دونكموه . وحكم القبر : أن
يكون مسنماً ، مرفوعاً على وجه الأرض قليلاً غير مبنى بالطين والحجارة

161- سورة: المائدة من الآية : ٣١ .

162- سورة: عبس الآية : ٢١ .

والجص (163) فإن ذلك منهى عنه .

٣١٧- وروى مسلم عن جابر ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه . وخرجه الترمذى أيضاً عن جابر ، قال : نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبنى عليها ، وأن توطأ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .
٣١٨- وقال علماؤنا رحمهم الله : وكره مالك تجصيص القبور ، لأن ذلك من المباهة وزينة الحياة الدنيا ، وتلك منازل الآخرة ، وليس بموضع المباهة ، وإنما يزين الميت فى قبره عمله ، وأنشدوا :

وإذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول*

٣١٩- وفى صحيح مسلم ، عن أبي الهياج الأسدى ، قال : قال لى على بن أبى طالب -رضى الله عنه - : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

163- الجص : من مواد البناء حيث يستخدم للزينة .

(٣١٧) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٧٠) ، وأحمد (٣ / ٣٣٢) ، والترمذى (١٠٥٢) ، والنسائى (٤ / ٨٧-٨٨) وابن ماجه (١٥٦٢) ، وابن حبان (٥ / ٦٥) ، وابن أبى شيبه (٣ / ٢١٨) ، وعبد الرزاق (٦٤٨٨) فى مصنفيهما ، والحاكم (١ / ٣٧٠) ، والخطيب فى تاريخ بغداد (١٣ / ٢١٣) .

* مغلول : مقيد بطوق فى عنقه .

(٣١٩) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٦٩) ، وابن أبى شيبه (٣ / ٢٢٢) ، والبيهقى (١٥١٦) فى شرح السنة .

٣٢٠- وقال أبو داود فى المراسيل ، عن عاصم بن أبى صالح : رأيت
قبرا للنبي ﷺ شبرا ، أو نحواً من شبر يعنى فى الارتفاع
٣٢١- قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - يسنم القبر ليعرف كى
يحترم ويمنع من الارتفاع الكثير الذى كانت الجاهلية تفعله ، فإنها كانت
تعلو عليها ، وتبنى فوقها تفخيماً لها وتعظيماً ، وأنشدوا :
أرى أهل القصور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباحاة وفخرا على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت التراب عنهم فما تدرى الغنى من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف من الجلد المباشر للحرير
إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الغنى على الفقير ؟
يا هذا ، أين الذى جمعته من الأموال ، وأعدده للشدائد والأهوال ،
ولقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفراً ، وبدلت من بعد غناك
وعزك ذلاً وفقراً ، فكيف أصبحت يا رهين أوزاره ويا من سلب من أهله
ودياره ؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد ، وأقل اهتمامك لحمل الزاد ، إلى
سفرك البعيد ، وموقفك الصعب الشديد ، أو ما علمت يا مغرور ، أن لا بد
من الارتحال ، إلى يوم شديد الأهوال ، وليس ينفعك ثم^(١٦٤) قيل ولا قال ، بل
يعد عليك بين يدى الملك الديان ، ما بطشت اليدان ، ومشيت القدمان ونطق
به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ، فإن رحمتك فى الجنان ، وإن
كانت الأخرى فى النيران ، يا غافلاً عن هذه الأحوال ، إلى كم هذه الغفلة

(٣٢٠) إسناده مرسل . وهو من أنواع الضعيف . وأخرجه أبو داود (ص / ٢١١)

فى المراسيل .

١٦٤- ثم : اسم إشارة للمكان البعيد بمعنى هناك .

والتوان ، أتحسب أن الأمر صغير ، وترغم أن الخطب يسير ؟ وتظن أن سينفعك حالك ، إذا آن ارتحالك ، أو ينقذك مالك ، حين توبقك أعمالك⁽¹⁶⁵⁾ ، أو يغني عنك ندمك إذا زلت بك قدمك ، أو يعطف عليك معشرك ، حين يضمك محشرك ، كلا والله ساء ما تتوهم ولا بد لك أن ستعلم ، لا بالكفاف⁽¹⁶⁶⁾ تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للعضات تستمع ، ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تنقلب مع الأهواء ، وتخطب خبط العشواء ، ويعجبك التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك ، يا نائماً فى غفلة وفى خبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتزعم أن ستترك سدى ، وأن لا تحاسب غداً أم تحسب أن الموت يقبل الرشاً ، وأم تميز بين الأسد والرشا ، كلا والله لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور ، فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من ارعوى⁽¹⁶⁷⁾ ، ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى⁽¹⁶⁸⁾ ﴾ فانتبه من هذه الرقدة ، واجعل العمل الصالح لك عدة ، ولا تتمن منازل الأبرار ، وأنت مقيم على الأوزار عامل بعمل الفجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، وراقب الله فى الخلوات ، رب الأرض والسموات ، ولا يغرنك الأمل ، فتزهد عن العمل ، أو ما سمعت الرسول حيث يقول ، لما جلس على القبور : « يا إخوانى ، لمثل هذا فأعدوا » أو ما سمعت الذى خلقك فسواك يقول : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد

165- توبقك أعمالك : تسووك وتعاقب عليها ، فتدخل بسببها النار .

166- الكفاف : القليل من كل شيء والمراد : القناعة بالرزق الذى رزقك الله به .

167- ارعوى : انزجر عن ارتكاب المعاصى .

168- سورة النجم : الآيتان : ٣٩ ، ٤٠ .

التقوى (169) ﴿١٦٩﴾ .

٣٢٢- وأنشدوا :

تزود من معاشك للمعاد وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد ؟
وقال آخر :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنت لم ترصد كما كان أرصدا
وقال آخر :

الموت بحر طافح موجه تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إنى قائل فاسمعى مقالة من مشفق ناصح
لا ينفع الإنسان فى قبره غير التقى والعمل الصالح
وقال آخر :

أسلمنى الأهل ببطن الثرى وانصرفوا عني فيا وحشتا
وغادرونى معدماً⁽¹⁷⁰⁾ بائساً ما ييدى اليوم إلا البكا
وكل ما كان كأن لم يكن وكل ما حذرته قد أتى
وذا كم المجموع والمقتنى قد صار فى كفى مثل الهبا⁽¹⁷¹⁾

169- سورة: البقرة من الآية : ١٩٧ .

170 - المعدم : الذى لا يجد شيئاً يقدمه لنفسه ، ولا يملك شيئاً أصلاً .

171 - الهبا : الهباء وهو التراب الذى تطيره الريح ، ويلزق بالأنف أو ينبت فى الهواء فلا يبدو إلا فى ضوء الشمس .

ولم أجد لي مؤنساً ها هنا غير فجور موبق أو بقا (172)
فلو تراني وترى حالتي بكيست لي يساح مما ترى
وقال آخر :

ولدتك إذ ولدتك أمك باكياً والقوم حولك يضحكون سروراً
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً
٣٢٣- وروى عن محمد القرشي أنه قال : سمعت شيخنا يقول : أيها
الناس : إنني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، فاعملوا في ظلمة الليل لظلمة
القبر ، وصوموا في الحر قبل يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظام
الأمر ، وتصدقوا مخافة يوم عسير .

٣٢٤- وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه : أيها المقبور في حفرتي ،
المتخلى في القبر بوحدته ، المستأنس في بطن الأرض بأعماله ، ليت شعري
بأي أعمالك استبشرت وبأي أحوالك اغتبطت ، ثم يكي حتى يبل عمامته ،
ويقول : استبشر - والله - بأعماله الصالحة ، واغتبط - والله - بإخوانه
المعاونين له على طاعة الله (تعالى) ، وكان إذا نظر إلى القبر صرخ كما
يصرخ الثور - وسيأتي أن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه ، وما فيه من الموعظة
إن شاء الله تعالى .

172- الموبق : المهلك ، والمراد أنه لم يجد في قبره غير ما قدم من عمله يأنس به .

(٣٢٤) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في أهوال القبور (ص / ٣٣) برقم (٨٠) .

وأخرجه الخطيب في تاريخه كما في شرح الصدور (ص / ١١٦) .

باب ما جاء في اختيار البقعة للدفن

٣٢٥- أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدى ، قال : حدثني رجل من آل عمر ، عن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زار قبري - أو قال : من زارني - كنت له شهيداً أو شفيعاً ، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله عز وجل في الآمين يوم القيامة » .

٣٢٦- وخرجه الدار قطنى عن حاطب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من زارني بعد موتى فكأنما زارني حياً في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين ، بعث من الآمين يوم القيامة » .

في فقه موسى عليه السلام عين ملك الموت

٣٢٧- وخرج البخارى ومسلم ، عن أبى هريرة ، قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه (الصلاة و) السلام ، فلما جاء صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ، قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إليه ، وقل له : يضع يده على متن جلد ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أى رب ، ثم مه ؟ قال : ثم الموت قال ، فالآن ، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر فقال رسول الله ﷺ : « لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر » .

وفى رواية ، قال : جاء ملك الموت إلى موسى عليه (الصلاة و) السلام ، فقال له : أجب ربك ؛ قال : فلطم موسى عين الملك ففقأها ، وذكر نحوه .

(٣٢٥) حديث ضعيف . أخرجه الطيالسي (٦٥) ، والدار قطنى (٢ / ٢٧٨) فى سننه ، والبيهقى (٥ / ٢٤٥) فى سننه الكبرى ، وانظر إرواء الغليل (٤ / ٣٣٤) .

(٣٢٦) حديث ضعيف . أخرجه الدار قطنى (٢ / ٢٧٨) بنحوه ، وانظر : تلخيص الحبير (٢ / ٢٦٦) ، وكشف الخفاء (٢ / ٣٤٧) اللآلى المصنوعة (٢ / ٧٢) .

(٣٢٧) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٣٣٩) ، (٣٤٠٧) ، ومسلم (٢٣٧٢) ، وأحمد (٢ / ٢٦٩ ، ٣١٥ ، ٣٥١) ، وابن أبى عاصم (١ / ٢٦٦) فى السنة ، وعبد الرزاق (٢٠٥٣٠) فى مصنفه ، والبعوى (٥ / ٢٦٥) فى شرح السنة .

[في فضل الموت في المدينة المنورة]

٣٢٨- قال الترمذی ، عن ابن عمر رضی الله عنهما أن النبی ﷺ قال: « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإنني أشفع لمن مات بها » صححه أبو محمد عبد الحق .

٣٢٩- وفي الموطأ أن عمر رضی الله عنه ، كان يقول : « اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ووفاة في بلد نبيك » .

٣٣٠- وكان سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ؛ قد عهدا أن يحملا من العقيق إلى البقيع مقبرة المدينة فيدفنا بها ، وذلك - والله أعلم - لفضل علموه هناك ؛ قال : فإن فضل المدينة غير منكور ولا مجهول ؛ ولو لم يكن إلا مجاورة الصالحين والفضلاء من الشهداء وغيرها لكفى .

٣٣١- وروى عن كعب الأحبار أنه قال لبعض أهل مصر : لما قال له : هل لك من حاجة ؟ فقال : نعم ، جراب من تراب سفح المقطم ؛ يعني : جبل مصر ؛ قال فقلت له : يرحمك الله ، وما تريد منه ؟ قال : أضعه في قبري ، قال له : تقول هذا وأنت بالمدينة وقد قيل في البقيع ما قيل : قال ، إنا نجد في الكتاب الأول أنه مقدس ما بين القصير إلى اليعحوم .

٣٣٢- فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : البقاع لا تقدس أحداً

(٣٢٨) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٧٤ ، ١٠٤) ، والترمذی (٣٩١٣) وقال : حسن صحيح ، وابن أبي شيبة ، (١٢ / ١٧٩) ، وابن حبان (٦ / ٢١) ، والبخاري (٢٠٢٠) في شرح السنة .

(٣٢٩) خبر صحيح . أخرجه مالك (١٠٢١) ، والبخاري (١٨٩٠) .

(٣٣٠) انظر : سير أعلام النبلاء (١ / ١٤٠) للذهبي .

(٣٣١) هذا الكلام لا سند له .

ولا تطهره ، وإنما الذى يقدسه من وضر⁽¹⁷³⁾ الذنوب ودينها التوبة النصوح مع الأعمال الصالحة ، أما إنه قد يتعلق بالبقعة تقديس ما ، وهو إذا عمل العبد فيها عملاً صالحاً ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تكفر سيئاته ، وترجح ميزانه ، وتدخله الجنة ، وكذلك تقديسه إذا مات على معنى التبع لصالح (العمل) ، لأنها توجب التقديس ابتداء .

٣٣٣- وقد روى مالك ؛ عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : ما أحب أن أدفن بالبيع ، لأن أدفن فى غيره أحب إلى . ثم بين العلة ، فقال : مخافة أن تنبش لى عظام رجل صالح ؛ أو نجاور فاجراً ، وهذا تستوى فيه سائر البقاع ، فدل على أن الدفن بالأرض المقدسة ليس بالجمع عليه ، وقد يستحسن الإنسان أن يدفن بموضع قرابته وإخوانه وجيرانه ، لا لفضل ولا لدرجة .

فصل : إن قال قائل : كيف جاز لموسى عليه (الصلاة و) السلام أن يقدم على ضرب ملك الموت حتى فقاً عينه ؟ فالجواب من وجوه ستة .
الأول : أنها كانت عيناً متخيلة ، لا حقيقة لها ، وهذا القول باطل ، لأنه يؤدى إلى أن ما يراه الأنبياء ، من صور الملائكة لا حقيقة لها ، وهذا مذهب السالمية .

الثانى : أنها كانت عيناً معنوية فقأها بالحجة ، وهذا مجاز لا حقيقة له .

الثالث : أنه لم يعرفه ، وظنه رجلاً دخل منزله بغير إذنه ، يريد نفسه فدافع عنها ، فلطمه : فقأ عينه ، وتجب المدافعة فى مثل هذا بكل ممكن ،

173- وضر الذنوب : دنسها ووسخها وأثرها السيئ .

(٣٣٣) حديث صحيح . أخرجه الحكيم (ص / ٤٢) فى النوادر ، وانظر رقم

٣١٧٢ .

وهذا وجه حسن ، لأنه حقيقة في العين والصك ، قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة إلا أنه اعترض بما في الحديث نفسه ، وهو أن ملك الموت عليه (الصلاة و) السلام لما رجع إلى الله تعالى ، قال : يا رب أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، فلو لم يعرفه موسى لما صدر هذا القول من ملك الموت .

الرابع : أن موسى عليه السلام كان سريع الغضب ، وسرعة غضبه كانت سبباً لصكه ملك الموت ؛ قاله ابن العربي في الأحكام ، وهذا فاسد ، لأن الأنبياء معصومون أن يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرضا والغضب .

الخامس : ما قاله ابن مهدي - رحمه الله - : أن عينه المستعارة ذهبت لأجل أنه جعل له أن يتصور بما شاء ، فكأن موسى عليه (الصلاة و) السلام لطمه وهو متصور بصورة غيره بدلالة أنه رأى بعد ذلك معه عينه .

السادس : وهو أصحها إن شاء الله (تعالى) ، وذلك أن موسى عليه (الصلاة و) السلام كان عنده ما أخبر نبينا عليه (الصلاة و) السلام من أن الله تعالى لا يقبض روحه حتى يخبره - خرج البخاري وغيره - فلما جاءه ملك الموت على غير الوجه الذي أعلم بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه ، فلطمه ففقت عينه امتحاناً لملك الموت . إذ لم يصرح له بالتخير ، ومما يدل على صحة هذا : أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت ، اختار الموت ، واستسلم ، والله بغيه أعلم وأحكم ، وذكره ابن العربي في قبسه بمعناه والحمد لله .

٣٣٤ - وقد ذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نواذر الأصول حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك الموت عليه (الصلاة و) السلام يأتي الناس عياناً ، حتى أتى موسى عليه (الصلاة و) السلام فلطمه ففقأ عينه » الحديث بمعناه ، وفي آخره « فكان يأتي الناس بعد ذلك في خفية » .

(٣٣٤) حديث صحيح . أخرجه الحكيم (ص / ٤٢) في النواذر ، وانظر رقم (٣١٧) .

باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم

٣٣٥- خرج أبو سعيد الماليني في كتاب (المؤتلف والمختلف) ، وأبو بكر الخرائطي في كتاب (القبور) من حديث سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن الحنفية ، عن علي - رضي الله عنه - قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء .

٣٣٦- وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « إذا مات لأحدكم الميت فحسبوا كفته ، وعجلوا إنجاز وصيته ، وأعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء » قيل : يا رسول الله ، وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة ؟ قال : « هل ينفع في الدنيا ؟ » قالوا : نعم ، قال : « كذلك ينفع في الآخرة » ذكره الزمخشري في كتاب (ربيع الأبرار) .

٣٣٧- وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن عمه نافع بن مالك ، عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين ، فإن الميت يتأذى بالجار السوء » .

٣٣٨- فصل : قال علماؤنا : ويستحب لك - رحمك الله - أن تقصد

(٣٣٥) حديث ضعيف . أخرجه ابن حبان (١ / ٢٩١) ، (٣ / ٣٣٣) في المجروحين ، وأبو نعيم (٦ / ٣٥٤) في الخلية ، وابن الجوزي (٣ / ٢٣٧-٢٣٨) في الموضوعات ، وانظر : السلسلة الضعيفة (٥٦٣) ، كشف الخفاء (١ / ٧٤) ، تنزيه الشريعة (٢ / ٣٧٣) ، اللآلئ المصنوعة (٢ / ٤٣٨-٤٣٩) .

(٣٣٦) حديث ضعيف . أخرجه الماليني في المؤتلف والمختلف ، انظر : تنزيه الشريعة (٢ / ٣٧٣) ، اللآلئ المصنوعة (٢ / ٤٣٨) .
(٣٣٧) حديث ضعيف . انظر رقم (٢٣٥) .

بميتك قبور الصالحين ، ومدفن أهل الخير ، فتدفنه معهم وتنزله بإزائهم ، وتسكنه في جوارهم ، تبركاً بهم ، وتوسلاً إلى الله عز وجل بقربهم ، وأن تجتنب به قبور من سواهم ، ممن يخاف التأذى بمجاورته ، والتألم بمشاهدة حاله حسب ما جاء في الحديث .

٣٣٩- ويروى أن امرأة دفنت بقرطبة - أعادها الله (للإسلام) - فأتت أهلها في النوم فجعلت تعتبهم ، وتشكوهم ، وتقول : ما وجدتم أن تدفنونني إلا إلى فرن الجير فلما أصبحوا نظروا فلم يروا في ذلك الموضع كله ولا بقرية فرن جبر ، فبحثوا وسألوا عن من كان مدفوناً بإزائها ؟ فوجدوه رجلاً سيفاً كان لابن عامر وقبره إلى قبرها ، فأخرجوها من جواره ذكر هذا أبو محمد عبد الحق في كتاب (العاقبة) له .

وعن أعرابي أنه قال لولده : ما فعل الله بك ؟ قال : ما ضرني إلا أنني دفنت بإزاء فلان ، وكان فاسقاً ، قد روعني⁽¹⁷⁴⁾ ما يعذب به من أنواع العذاب .

٣٤٠- وروى أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلي في كتاب (الديباج) له وحدثني أبو الوليد رباح بن الوليد الموصلي . قال : وحدثت عن عبد الملك بن عبد العزيز عن طاووس بن ذكوان اليماني ، أنه أخبرهم أنه قدم حاجاً فمر بالأبطح عند المقابر مع رفقاء له فقال : بينما أنا أصلي في جوف الليل وعلى برد لي أحرش⁽¹⁷⁵⁾ أخذته باليمن بسبعين ديناراً وقبر قريب مني محفور إذ رأيت شمعاً قد أقبل به مع جنازة .

174- ووعني : أفزعني وأقلقني .

(٣٤٠) خبر ضعيف . فيه انقطاع بين أبي الوليد ، وابن عبد العزيز ، ويرويه عبد الملك بن عبد العزيز ، هو ابن جريح بالعتنة ، وهو مدلس .
175- برد أحرش : أي ثوب خشن من ثياب اليمن .

فإذا قائل يقول فى قبر قريب من القبر المحفور : اللهم إني أعوذ بك من
الجار سوء ، قال : فركعت ثم سجدت وسلمت ، ثم خرجت حتى لقيت
أصحاب الجنازة فسلمت وقلت : لا تقربونا وتنحوا عنا - عافاكم الله -
قالوا : ما نستطيع ذلك ، وقد حفرنا قبرنا هذا . ولا نستطيع أن نذهب إلى
غيره . فقلت : من أولى بالجنازة ؟ فقال : هذا ابنه . فقلت له : هل لك أن
تتنحى عنا وتناولنى ثوبك هذا الذى عليك فألبسه وأعطيك بردى هذا ، فإنى
قد أخذته باليمن بسبعين ديناراً وهو ها هنا خير من سبعين ؟ فإن كان على
أبيك دين قضيته عنه ، وإن لم يكن ، انتفع بذلك الورثة ، وتكف عنا ما
نكره . قال : فأنكر القوم قولى أن يكون على رجل برد يلتف به ثمنه سبعون
ديناراً ، فاحتجت إلى أن أخبرهم من أنا ؟ فقلت : تعرفون طاوس اليماني ؟
قالوا : نعم ، قلت : فأنا طاوس اليماني وما قلت فى البرد إلا حقاً ، فناولنى
الرجل رداءه ، وأخذ ردائى وانصرف عنا وأقبلت حتى وقفت على صاحب
القبر ، فقلت : ما كان لك ليجاورك جار تكرهه ، وأنا أستطيع رده ، ثم
عدت إلى صلاتى .

باب ما جاء أن الموتى يتزاورون في قبورهم واستحسان الكفن لذلك

٣٤١- الترمذى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - خرج
الحافظ أبو نصر عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلى السجستانى فى كتاب
(الإبانة) له ، حدثنا هبة الله بن إبراهيم بن عمر قال : حدثنا على بن الحسين
ابن بندار ، قال : حدثنا محمد بن الصفار ، قال : حدثنا معاوية قال : حدثنا
زهير بن معاوية ، عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول

(٣٤١) سبق تخريجه برقم (٢٥٤) .

الله ﷺ: « حسنوا أكفان موتاكم ، فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم » .
٣٤٢- وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن
رسول الله ﷺ : « إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه » .

باب ما جاء في كلام القبر كل يوم وكلامه للعبد إذا وضع فيه

٣٤٣- الترمذى عن أبى سعيد الخدرى- رضى الله عنه - . قال :
دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناساً يكشرون ، فقال : « أما أنكم لو
أكثرتم من ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى - يعنى الموت - فأكثرُوا ذكر
هادم اللذات : الموت . فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه . فيقول : أنا
بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود ، فإذا دفن
العبد المؤمن ، قال له القبر : مرحباً وأهلاً ، أما إن كنت لأحب من يمشى على
ظهري إلى ، فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك فيتسع له مد
بصره ، ويفتح له باباً إلى الجنة ، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر :
لا مرحباً ولا أهلاً ، أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهري إلى ، فإذا
وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعى بك » قال : « فيلتئم عليه حتى يلتقى
وتختلف أضلاعه » قال : قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها فى
جوف بعض ، قال : « ويقبض الله له تسعين تيناً^(١٧٦) أو تسعة وتسعين لو أن
واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيعاً ما بقيت الدنيا ،

(٣٤٢) سبق تخريجه برقم (٢٥٣) .

(٣٤٣) حديث ضعيف . أخرجه الترمذى (٢٤٦٠) ، والدليمى كما فى الفردوس
(٤٦٨٢) ، والطبرانى فى الأوسط ، كما فى المجموع (٤٦ / ٣) فيه الوصافى ، والعوفى ،
وكلاهما من الضعفاء .

١٧٦- الثنين : حيوان له مخالب أسد وأجنحة نسر ، وذنب أفعى ، وهو حيوان خرافى .

فتنهشه حتى يفضى به إلى السحاب» قال : قال رسول الله ﷺ « إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » . قال أبو عيسى : هذا حديث (حسن) غريب .

٣٤٤- وخرج هناد بن السرى قال : حدثنا حسن الجعفى ، عن مالك ابن مغول ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لساناً ينطق به فيقول : ابن آدم ، كيف نسيتنى ؟ أما علمت أنى بيت (الأكلة وبيت) الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة ؟ .

٣٤٥- قال : وحدثنا وكيع ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن القبر ليكى ويقول فى بكائه : أنا بيت الوحشة ، وأنا بيت الوحدة وأنا بيت الدود .

٣٤٦- وذكر أبو عمر بن عبد البر ، روى يحيى بن جابر الطائى ، عن ابن عائذ الأزدي عن غضيف بن الحارث قال : أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول : إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ، ما غرك بى ؟ ! ألم تعلم أنى بيت الوحدة ؟ ألم تعلم أنى بيت الظلمة ؟ ألم تعلم أنى بيت الحق ؟ يا ابن آدم ، ما غرك بى ؟ ! لقد كنت تمشى حولى فداداً ، قال

(٣٤٤) خبر صحيح . أخرجه هناد (٣٤١) ، (٣٤٢) ، فى الزهد ، وابن أبى شيبه (١٣ / ٤٤٣) فى مصنفه ، وأبو نعيم (٣ / ٢٧١) فى الحلية .
وعند هناد عن عبد الله بن عبيد عن أبيه ، ولم يرد عن أبيه عند القرطبي ، وابن رجب الحنبلى كما فى الأحوال (٥٤) فلعله سقط ، والله أعلم .
وأخرجه ابن أبى الدنيا كما فى أحوال القبور (٥٣) لابن رجب من طريق آخر وانظر : شرح الصدور (ص / ١١٤) للسيوطى .
(٣٤٥) انظر السابق .
(٣٤٦) خبر صحيح . أخرجه ابن أبى شيبه (٨ / ١٨٨) فى مصنفه ، وابن عبد البر (١٨ / ١٤٥) فى التمهيد .

ابن عائذ : قلت لغضيف : ما الفداد يا أبا إسماعيل ؟ قال : كبعض مشيتك يا ابن اخي . قال غضيف : فقال صاحبي - وكان أكبر مني - لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمناً فماذا له ؟ قال : يوسع له في قبره ويجعل منزله أخضر، ويعرج بروحه إلى السماء، ذكره في كتاب (التمهيد).

٣٤٧- وذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب (العاقبة) له، عن أبي الحجاج الثمالي قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول القبر للميت إذا وضع فيه : ويحك يا ابن آدم ! ما غرك بي ؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة ، وبيت الظلمة ، وبيت الدود ؟ ما غرك إذ كنت تمر بي فداداً ؟ » قال : فإن كان صالحاً أجاب عنه مجيب القبر، فيقول : أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ قال فيقول القبر : « فإني أعود عليه خضراً ويعود جسده نوراً . وتصعد روحه إلى رب العالمين » . ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم في كتاب (الكنى) ، وذكره أيضاً قاسم بن أصبغ قال : قيل لأبي الحجاج : ما الفداد ؟ قال : الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى . يعني : الذي يمشى مشية المتبخر .

٣٤٨- وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا داود بن ناقد قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بلغني أن الميت يقعد في حفرة وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شيء أول من (يكلمه) حفرة فتقول : ويحك يا ابن آدم ، أليس قد حذرتني ، وحذرت ضيقي ، وظلماتي ، ونتنى ، وهولي ، هذا ما أعددت لك فما أعددت لي ؟ الوخط والوخد : سرعة السير في المشى .

(٣٤٧) حديث ضعيف . أخرجه الطبراني (٢٢ / ٣٧٧) في الكبير ، وأبو نعيم (٦ / ٩٠) في الحلية ، والطبراني (١٤٩٩) في مسند الشاميين ، وأبو يعلى كما في الجمع (٣ / ٤٦) وقال الهيثمي : فيه أبو بكر بن أبي مريم ، وفيه ضعف لاختلاطه .
(٣٤٨) خير صحيح . أخرجه ابن المبارك (١٦٣) كما في زوائد الزهد ، وابن أبي الدنيا كما في شرح الصدور (ص / ٤٥) ، وانظر رقم (٣٤٤) .

٣٤٩- وقال سفيان الثوري : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره ، وجده حفرة من حفر النار .
٣٥٠- وقال أحمد بن حرب : تتعجب الأرض ممن يمهّد مضجعه ، ويسوى فراشه للنوم ، وتقول : يا ابن آدم ، ألا تذكر طول رقادك في جوفى ، وما بينى وبينك شيء ؟ .
٣٥١- وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظاات ؟ قال : النظر إلى محلة الأموات .

٣٥٢- ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول :
وعظمتك أجداث صمت ونعتك أزمنة خفت (١٧٧)
وتكلمت عن أوجه تبلى وعن صور سببت
وأرتك نفسك في القبور وأنت حى لم تمت
٣٥٣- وروى عن الحسن البصرى أنه قال : كنت خلف جنازة فاتبعتها ، حتى وصلوا بها إلى حفرتها ، فنادت امرأة فقالت : يا أهل القبور ، لو عرفتم من نقل إليكم لأعز زتموه ؟ قال الحسن : فسمعت صوتاً من الحفرة

(٣٥١) أخرجه ابن أبى الدنيا كما فى أهوال القبور (ص / ١٣٦) لابن رجب برقم (٤٩٠) .

١٧٧- أجداث : جمع جدث وهو القبر .
(٣٥٣) لم أقف عليه .

وهو يقول : قد والله نقل إلينا بأوزار كالجبال وقد أذن لي أن آكله حتى يعود رميماً ، قال : فاضطربت الجنازة فوق النعش . وخر الحسن مغشياً عليه .

باب ما جاء في ضغط القبر على صاحبه وإن
كان صالحاً

٣٥٤- النسائي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه » قال أبو عبد الرحمن النسائي يعنى : سعد بن معاذ .

٣٥٥- ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ » .

٣٥٦- وذكر هناد بن السرى ، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن أبى مليكة قال : ما أجبر من ضغطة القبر أحد . ولا سعد بن معاذ ، الذى منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها .

٣٥٧- قال : وحدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال : ولقد

(٣٥٤) حديث صحيح . أخرجه ابن سعد (٣ / ٤٣٠) فى الطبقات الكبرى ، والنسائي (٤ / ١٠٠) ، وابن سعد (٣ / ٤٣٣) من طريق آخر ، والحاكم (٣ / ٢٠٦) . وصححه وأقره الذهبى مع أن فيه ابن السائب ، وقد كان اختلط ، ورواية ابن فضيل عنه بعد الاختلاط ، أما طريق النسائي فسنده صحيح ، ومنه أخرجه البيهقى (١٢١) ، (١٢٢) فى إثبات عذاب القبر .

وفى الباب عن ابن عباس ، وجابر ، وعائشة رضى الله عنهم .

(٣٥٥) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٦ / ٩٨ ، ٥٥) ، والطحاوى (١ / ١٠٧) فى المشكل ، والبيهقى (١١٩) ، (١٢٠) فى إثبات عذاب القبر .
(٣٥٦) خبر صحيح . أخرجه هناد بن السرى فى الزهد (٣٥٦) .
(٣٥٧) خبر صحيح . أخرجه هناد (٣٥٨) ، وابن سعد (٣ / ٤٣٠) فى طبقاته .

بلغنى أنه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ، لم ينزلوا إلى الأرض قط .

ولقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « لقد ضم صاحبكم فى القبر ضمة » .

٣٥٨- وخرج علي بن معبد فى كتاب (الطاعة والمعصية) عن نافع قال : أتينا صفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهى فزعة . فقلنا : ما شأنك ؟ قالت : جئت من عند بعض نساء النبی ﷺ فحدثتنى أن رسول الله ﷺ قال : « إن كنت لأرى أن أحداً لو أعفى من عذاب القبر لأعفى منه سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمة » .

٣٥٩- وخرج أيضاً عن زاذان أن أبى عمر قال : لما دفن رسول الله ﷺ ابنته زينب جلس عند القبر فتردد (١٧٨) وجهه ، ثم سرى عنه فقال له أصحابه : رأينا وجهك يا رسول الله ﷺ تريد أنفاً ، ثم سرى عنك . فقال النبی ﷺ : « ذكرت ابنتى وضعفها ، وعذاب القبر ، فدعوت الله ففرج عنها ، وإيم الله ، لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين » .

٣٦٠- وخرج أيضاً بسنده عن إبراهيم الغنوى عن رجل ، قال : كنت عند عائشة (رضى الله عنها) فمرت جنازة صبي صغير فبكت ، فقلت لها : ما يبكيك يا أم المؤمنين ؟ فقالت : هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر .

(٣٥٨) صحيح لغيره . أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وقال الهيثمى فى المجمع (٣ / ٤٧) فيه من لم أعرفه ، قلت : الحديث فى الشواهد .

(٣٥٩) حديث ضعيف . أخرجه ابن أبى داود (٨) فى البعث ، وابن الجوزى (٢ / ٩٠٨) فى العلل ، و (٨٨) فى المقلق بتحقيقى ، وانظر الكلام عليه مفصلاً هناك .

١٧٨- تريد وجهه : تعبس واحمر حمرة فيها سواد عند الغضب .

(٣٦٠) انظر : شرح الصدور (ص / ١٠٩) .

قلت : وهذا الخبر ، وإن كان موقوفاً على عائشة -رضى الله عنها- ، فمثله لا يقال من جهة الرأي .

٣٦١- وقد روى عمر بن شبة في كتاب (المدينة) -على ساكنها (أفضل الصلاة و) السلام- في ذكر وفاة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : بينما هو عليه السلام في أصحابه أتاها آت . فقال : إن أم علي ، وجعفر ، وعقيل ، قد ماتت ، فقال : « قوموا بنا إلى أمي » قال : « فقمنا كأن على رؤوسنا الطير . فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه وقال : « إذا كفتموها فأشعروه إياه تحت أكفانها » فلما خرجوا بها جعل رسول الله عليه السلام مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر حتى انتهينا بها إلى القبر فتملك^(١٧٩) في اللحد ، ثم خرج وقال : « أدخلوها بسم الله ، وعلى اسم الله » فلما دفنوها قام قائماً وقال : « جزاك الله من أم وريبة خيراً » وسألناه عن نزع قميصه ، وتمعه في اللحد ؟ فقال : « أردت أن لا تمسها النار أبداً . إن شاء الله تعالى ، أن يوسع الله عليها قبرها » وقال : « ما عفى أحد من ضغطة القبر ، إلا فاطمة بنت أسد » قيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك ؟ قال : « ولا إبراهيم » وكان أصغرهما ، ورواه أبو نعيم الحافظ عن عاصم الأحول عن أنس بمعناه ، وليس فيه السؤال بتمعه إلى آخره .

قال أنس : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب -رضى الله عنه- دخل عليها رسول الله عليه السلام فجلس عند رأسها ، فقال : « رحمك الله يا أمي ، كنت أمي بعد أمي . تجوعين وتشبعينني ، وتعرين وتكسونني ، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعمينني ، تريد بذلك وجه الله

(٣٦١) حديث ضعيف . أخرجه الطبراني (٢٤ / ٣٥١) في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية (٣ / ١٢١) بنحوه ، وقال أبو حاتم في العلل (١٠٨٠) : هذا حديث منكراً جداً وانظر : مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٧) ، والاستيعاب (٤ / ١٨٩١) .

١٧٩- تملك في اللحد : تمرغ وتقلب فيه . ليختبر استواءه

والدار الآخرة» ، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور سكبته رسول الله ﷺ بيده ، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه وألبسها إياه وكفنها فوقه . ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى ، وعمر بن الخطاب ، وغلاماً أسود ، يحفرون قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : « الحمد لله الذى يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى إنك أرحم الراحمين » وكبر عليها أربعاً ، وأدخلها اللحد هو والعباس ، وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنهم أجمعين .

باب منه وما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه

وهم من نشر الناس له

٣٦٢- روى أبو هذبة ، قال إبراهيم بن هذبة : قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد الميت إذا وضع فى قبره ، وأقعد ، قال : يقول أهله : واسيداه ، واشريفاه ، وأميراه قال : يقول الملك : اسمع ما يقولون : أنت كنت سيداً أنت كنت أميراً ؟ أنت كنت شريفاً ؟ » قال : « يقول الميت : يا ليتهم يسكتون » قال : « فيضغط ضغطة تختلف فيها أضلاعه » .

(٣٦٢) حديث ضعيف جداً . إن لم يكن موضوعاً .

فى سنده ابن هذبة ، سبق الحديث عليه .

٣٦٣- فصله : قال علماؤنا -رحمة الله عليهم- : قال بعض العلماء
أو أكثرهم : إنما يعذب الميت ببكاء الحى (عليه)، إذا كان البكاء من سنة
الميت واختياره ، كما قال :

إذا مت فانعينى بما أنا أهله وشقى على الحبيب يا ابنة معبد
وكذلك إذا أوصى به وقد روى ما يدل على أن الميت يصيبه عذاب
ببكاء الحى عليه، وإن لم يكن من سنته ولا من اختياره ولا مما أوصى به .
واستدلوا بحديث أنس المذكور ، وبما روى من حديث قيلة بنت مخزومة .
وذكرت عند النبي ﷺ ولدأ لها مات ثم بكت ، فقال رسول الله ﷺ :
«أغلب أحيدكم أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفاً ، فإذا حال بينه وبينه
من هو أولى به منه استرجع ؟ » ثم قال : « اللهم أثبني فيما أمضيت وأعنى
على ما أبقيت . فوالذى نفس محمد بيده إن أحيدكم ليبكى فيستعبر له
صويحبه . يا عباد الله لا تعذبوا موتاكم » ذكره ابن أبى خيثمة وأبو بكر بن
أبى شيبة وغيرهما ، وهو حديث معروف إسناده لا بأس به ، وسياقه يدل
على أن بكاء هذه لم يكن من اختيار لابنها لأن ابنها صاحب من أصحاب
رسول الله ﷺ . ولا كان هذا البكاء (البكاء) المعروف فى الجاهلية الذى
كان من اختيار الميت ومما يوصى به .

٣٦٤- وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب (الاستيعاب) من حديث

(٣٦٣) حديث ضعيف . أخرجه ابن سعد (١ / ٣١٧-٣١٨) فى طبقاته ، والطبرانى
(٢٥ / ٧) فى الكبير كلاهما مطولاً ، وابن عبد البر ، وابن منده ، وأبو نعيم كما فى أسد الغابة
(٧ / ٢٤٦) .

وأخرجه مختصراً ليس فيه الجزء السابق أبو داود (٤٨٢٦) ، والترمذى (٢٩٦٧) فيه أكثر
من مجهول ، وقال ابن الأثير : هو حديث طويل كثير غريب .

(٣٦٤) حديث حسن . أخرجه أحمد (٤ / ٤١٤) ، والترمذى (١٠٠٨) ، وابن ماجه
(١٥٩٤) ، وقال الترمذى : حسن غريب .

أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « الميت يعذب ببكاء الحي عليه ، إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصره ، واكاسياه ، جبد الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ » .

٣٦٥- وذكر البخاري من حديث النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي ، وتقول : واجبله ، واكذا ، واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك ؟ فلما مات لم تبك عليه وهذا أيضاً لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة ، ولا من اختياره ، ولا مما أوصى به ، (فنصابه) في الدين أجل وأرفع من أن (كان) يأمر بهذا أو يوصى به .

٣٦٦- وروى أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث منصور بن زاذان ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليعذب الميت بصياح أهله عليه » فقال له رجل : يموت بخراسان ويناح عليه ها هنا ؟ فقال عمران : صدق رسول الله ﷺ وكذبت .

قال المؤلف - رضي الله عنه - : وهذا بظاهره أن بنفس الصياح يقع التعذيب وليس كذلك ، وإنما هو محمول على ما ذكرناه . والله أعلم .
وقال الحسن : إن من شر الناس للميت : أهله يكون عليه ، ولا يقضون دينه .

(٣٦٥) خبر صحيح . أخرجه البخاري (٤٢٦٧) ، (٤٢٦٨) ، والبيهقي (٤ / ٦٤) في سننه الكبير ، وعبد الرزاق (٦٦٩٧) في مصنفه .
(٣٦٦) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ٤٣٧) ، وابن أبي شيبة (٣ / ٢٦٥) في مصنفه ، والنسائي (٤ / ١٥) ، والطبراني (١٨ / ١٦٣ ، ١٧٨ ، ١٨٦) في الكبير ، وابن حبان (٥ / ٥٤) .

باب ما ينجي من ضغطة القبر وفنتته

٣٦٧- روى أبو نعيم من حديث أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ : ﴿ قد هو الله أحد ﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره ، وأمن من ضغطة القبر . وحملته الملائكة يوم القيامة بكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة » قال : هذا حديث غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي .

باب ما يقال عند وضع الميت في قبره

وفي اللحد في القبر

اللحد : هو أن يحفر للميت في جانب القبر . إن كانت الأرض صلبة ، وهو أفضل من الشق فإنه الذي اختاره الله لنبيه ﷺ .

٣٦٨- روى ابن ماجه عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، بعثوا إلى أبي عبيدة ، وكان يضرع (١٨٠) كضريح أهل مكة ، وبعثوا إلى أبي طلحة وكان هو الذي يحفر لأهل المدينة ، وكان يلحد . فبعثوا إليهما رسولين ، قالوا : اللهم خر لرسولك ، فوجدا أبا طلحة فجيء به ، ولم يوجد أبو عبيدة فلحد لرسول الله ﷺ .

(٣٦٧) حديث موضوع . أخرجه أبو نعيم (٢ / ٢١٣) في الحلية ، ورواه الطبراني في الأوسط ، وفيه نصر بن حماد الوراق ، وهو متروك ، وانظر مجمع الزوائد (٧ / ١٤٥-١٤٦) ، ويراجع السلسلة الضعيفة (٣٠١) .

(٣٦٨) خبر صحيح لغيره . أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) ، وأحمد (١ / ٨) والبيهقي (٣ / ٤٠٨) وفي سننه أحد الضعفاء حسين بن عبد الله ، ولكن له شاهد من حديث أنس ، أخرجه أحمد (٣ / ٩٩) ، وابن ماجه (١٥٥٧) وفي الباب عن عائشة ، وجابر بن عبد الله وانظر تخريجه مفصلاً في السيرة النبوية بتحقيقى .
180 - يضرع : يحفر الأضرحة .

٣٦٩- وروى أبو داود عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :
«اللحد لنا ، والشق لغيرنا » أخرجه ابن ماجة والترمذى وقال : حديث حسن
غريب ، وأنشدوا :

ضعوا خدى على لحدى ضعوه	ومن عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكفانا رقاقا	وفى الرمس البعيد فغيبوه (181)
فلو أبصر قموه إذا تقضت	صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه (182)	على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا : هذا فلان	هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدى (183)	تقادم عهده فنسيتموه

وقال آخر :

وألحدوا محبوبهم وانثوا	وهمهم تحصيل ما خلفا
وغادروه مسلماً مفرداً	فى رمسه رهناً بما أسلفا
ولم يزود من جميع الذى	باع به أخراه إلألفا

٣٧٠- وخرج أبو عبد الله الترمذى فى نوارى الأصول ، عن سعيد بن

(٣٦٩) حديث حسن . أخرجه أبو داود (٣٢٠٨) ، الترمذى (١٠٤٥) ، والنسائى (٤ / ٨٠) ، وابن ماجة (١٥٥٤) ، والبيهقى (٣ / ٤٠٨) فى سننه الكبرى ، وفى سننه عبد الأعلى الثعلبى من الضعفاء .

وله شاهد من حديث جرير ، أخرجه أحمد (٤ / ٣٥٧ ، ٣٥٩) ، وابن ماجة (١٥٥٥) ، وابن أبى شيبه (٣ / ٢٠٤) ، وعبد الرزاق (٦٣٨٥) فى مصنفيهما بسند ضعيف ، وفى الباب عن جابر وغيره .

181- الرمس : التراب الذى يحثى على القبر

182- مقلتيه : عينيه .

183- المفدى : الذى كان يقدم فى سبيله كل غال ورخيص .

(٣٧٠) حديث ضعيف . أخرجه الحكيم الترمذى (ص / ٣٢٣ ، ٤٠٤) فى النوادر ، والطبرانى (١٣٠٩٤) فى الكبير ، والبيهقى (٤ / ٥٥) فى سننه الكبرى ، وقال : إنه ضعيف ، لا أعلم أحداً يرويه غير حماد بن عبد الرحمن ، وهو قليل الرواية .

المسيب قال : حضرت ابن عمر في جنازة فلما وضعها في اللحد قال : بسم الله وفي سبيل الله، فلما أخذ في تسوية اللحد قال : اللهم أجرها من الشيطان ، ومن عذاب القبر ، فلما سوى الكتيب عليها ، قام جانب القبر ثم قال : اللهم جاف الأرض عن جنبها ، وصعد روحها ، ولقها منك رضواناً ، فقلت لابن عمر : شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ أم شيئاً قلته من رأيك ؟ قال : إني إذا لقادر على القول ، بل سمعته من رسول الله ﷺ ، خرج ابن ماجه أيضاً في سننه .

٣٧١- وقال أبو عبد الله الترمذى رحمه الله : حدثني أبي رحمه الله قال : حدثنا الفضل بن ذكين عن سفيان عن الأعمش عن عمرو بن مرة ، قال : كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا : اللهم أعذه من الشيطان الرجيم .

٣٧٢- وروى عن سفيان الثوري أنه قال : إذا سئل الميت : من ربك ؟ تراءى له الشيطان في صورة فيشير إلى نفسه : إني أنا ربك ، قال أبو عبد الله : فهذه فتنة عظيمة .

٣٧٣- ولذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بالثبات ، فيقول : «اللهم ثبت عند المسألة منطقته ، وافتح أبواب السماء لروحه» فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله ﷺ أن يجيره من الشيطان . فهذا

(٣٧١) خبر صحيح . أخرجه الحكيم الترمذى (ص / ٣٢٣) في النوادر ، وعبد الرزاق (٦٤٦١) في مصنفه ، وابن أبي شيبة (٣ / ٢١١) في مصنفه ، وعندهما عن عمرو بن مرة عن خيشمة به .

(٣٧٢) أخرجه الحكيم الترمذى (ص / ٣٢٣) في النوادر ، وأورده السيوطى في شرح الصدور (ص / ١٣٩) نقلاً عنه .

(٣٧٣) حديث ضعيف . أخرجه الترمذى في النوادر (ص / ٣٢٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٥ / ٢٠١) في سننه عطاء بن ميسرة ضعيف ، وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس .

تحقيق لما روى عن سفيان . ذكره في الأصل التاسع والأربعين والمائتين .

باب الوقوف عند القبر

قليلاً بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له

٣٧٤- مسلم عن ابن شماس المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ، الحديث ، وفيه : « فإذا دفنتموني فشنوا عليّ التراب شنأً ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور⁽¹⁸⁴⁾ ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى عز وجل ؟ » أخرجه ابن المبارك بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة .

٣٧٥- قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماس حدثه وقال فيه : وشدوا على إزارى فإنى مخاصم ، وشنوا على التراب شنأً فإن جنبى الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجراً وإذا وارىتمونى فاقعدوا عند قبرى قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم .

٣٧٦- أبو داود عن عثمان بن عفان -رضى الله عنه- قال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، وقال : « استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل » .

٣٧٧- وأخرج أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول ، عن

(٣٧٤) خبر صحيح . أخرجه مسلم (١٢١) ، والبيهقى (٤) / فى سننه الكبرى .

184- الجزور : الجمل من الإبل خاصة يقع على الذكر والأنثى .

(٣٧٥) خبر صحيح . أخرجه ابن المبارك (٤٤٠) فى الزهد .

(٣٧٦) حديث حسن . أخرجه أبو داود (٣٢٢١) ، والحاكم (١ / ٣٧٠) وصححه ،

وأقره الذهبي ، وأحمد فى الزهد (ص / ١٦٠) ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٥٧٨) .

(٣٧٧) حديث ضعيف . تفرد بإخراجه الحكيم الترمذى (ص / ٣٢٣) فى النوادر .

عثمان بن عفان -رضى الله عنه- قال : كان النبي ﷺ إذا دفن ميتاً وقف وسأل له التثبيت ، وكان يقول : « ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفضع منه » .

٣٧٨- وخرج أبو نعيم الحافظ في باب عطاء بن ميسرة الخراساني إلى عثمان -رضى الله عنه- عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ وقف على قبر رجل من أصحابه حين فرغ منه فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم نزل بك وأنت خير منزل به ، جاف الأرض عن جنبيه ، وافتح أبواب السماء لروحه واقبله منك بقبول حسن ، وثبت عند المسائل منطقه » غريب من حديث عطاء .

٣٧٩- فصله قال الآجري أبو بكر ، محمد بن الحسين في كتاب النصيحة : يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً ، والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات ، فيقال : اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ، ولا نعلم منه إلا خيراً ، وقد أجلسه لتسأله ، اللهم فثبتته بالقول الثابت في الآخرة ، كما ثبتته في الحياة الدنيا ، اللهم ارحمه والحقه بنبيه محمد ﷺ ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره ، قال أبو عبد الله الترمذي : فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة ، لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له ، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد للعسكر وتلك ساعة شغل للميت ، لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة فتاني القبر - على ما يأتي - والجزور بفتح الجيم من الإبل . والجزرة من الضأن والمعز خاصة . قاله في الصحاح .

(٣٧٨) حديث ضعيف . انظر (٣٧٣) .

(٣٧٩) نوادر الأصول (ص / ٣٢٣) للحكيم الترمذي .

٣٨٠- فصله : قول عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار . توصية منه باجتنا ب هذين الأمرين ، لأنهما من عمل الجاهلية ولنهى النبي ﷺ .

وقال العلماء : ومن ذلك الضجيع بذكر الله سبحانه وتعالى أو بغير ذلك حول الجنائز والبناء على المقابر ، والاجتماع فى الجبانات والمساجد للقراءة وغيرها لأجل الموتى وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت ، وصنعة الطعام ، والمبيت عندهم ، كل ذلك من أمر الجاهلية ونحو منه الطعام الذى يصنعه أهل الميت اليوم فى يوم السابع ، فيجتمع له الناس يريدون بذلك القرية (للميت و) الترحم عليه . وهذا محدث لم يكن فيما تقدم ، ولا هو مما يحمد العلماء . قالوا : وليس ينبغي للمسلمين أن يقتلوا بأهل الكفر ، وينهى كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا وشبهه من لطم الحدود ، ونشر الشعور ، وشق الجيوب واستماع النوح ، وكذلك الطعام الذى يصنعه أهل الميت كما- ذكرنا - فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لا خلاق لهم . ٣٨١- وقال أحمد بن حنبل : هو من فعل (أهل) الجاهلية ، قيل له :

أليس قد قال النبي ﷺ اصنعوا لآل جعفر طعاماً ؟ فقال : لم يكونوا هم اتخذوا ، إنما اتخذ لهم ، فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه ، ولا يرخص لهم ، فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى - الله عز وجل - ، وأعانهم على الإثم والعدوان ، والله تعالى يقول : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (١٨٥)

(٣٨٠) انظر رقم (٣٧٤) .

(٣٨١) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (٣١٣٢) ، وأحمد (١ / ٢٠٥) ، والترمذى

(٩٩٨) ، وابن ماجه (١٦١٠) ، وعبد الرزاق (٦٦٦٥) ، والحاكم (١ / ٣٧٢) ، والبيهقى (٤

/ ٦١) فى سننه الكبرى .

185- سورة : التحريم من الآية : ٦

قال العلماء : معناه أدبهم وعلموهم .

٣٨٢- وروى ابن ماجه فى سننه عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة وفى حديث شجاع بن مخلد قال : كانوا يرون إسناده صحيح ، وذكر الخرائطى عن هلال بن خباب ، قال : الطعام على الميت من أمر الجاهلية .

٣٨٣- وخرج الآجرى عن أبي موسى قال : ماتت أخت لعبد الله بن عمر ، فقلت لامرأتى : اذهبي فعزيهم وبيتى عندهم ، فقد كان بيننا وبين آل عمر الذى كان ، فجاءت ، فقال : ألم أمرك أن تبيتى عندهم ؟ فقالت : أردت أن أبيت ، فجاء ابن عمر فأخرجنا ، وقال : اخرجن لا تبيتن أختى بالعذاب ، وعن أبي البخترى قال : بيتوتة الناس عند أهل الميت ليست إلا من أمر الجاهلية .

٣٨٤- قال المؤلف - رحمه الله - : وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنة وتركها بدعة ، فانقلب الحال وتغيرت الأحوال . قال ابن عباس - رضى الله عنه - : لا يأتى على الناس عام إلا أماتوا فيه سنة ، وأحيوا فيه بدعة ، حتى تموت السنن وتحيا البدع ولن يعمل بالسنن وينكر البدع إلا من هون الله عليه إسقاط الناس بمخالفتهم فيما أرادوا ، ونهيهما عما اعتادوا ومن يسر لذلك أحسن الله تعويضه .

(٣٨٢) خبر صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٢٠٤) ، وابن ماجه (١٦١٢) ، والطبرانى (٢٢٧٨) ، (٢٢٧٩) فى الكبير ، وله حكم المرفوع .
(٣٨٤) خبر حسن . أخرجه الطبرانى (١٠٦١٠) فى الكبير ، وقال الهيثمى فى المجمع (١ / ١٨٨) : رجاله موثقون ، وأخرجه ابن بطه (١١) فى الإبانة ، وانظر : الحجة (٣٨٤) لإسماعيل التيمى ، واتباع السنن (ص / ٢٤) للضياء .

٣٨٥- وقال رسول الله ﷺ: «إنك لن تدع شيئاً إلا عوضك الله خيراً منه».

٣٨٦- وقال ﷺ: «لا يزال في هذه الأمة عصابة يقتلون على أمر الله لا يضرهم خذلان من خذلهم ولا عداوة من عاداهم».

٣٨٧- فصل: ومن هذا الباب ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الحدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

٣٨٨- وفيهما أيضاً عن أبي بردة بن أبي موسى قال: وجع أبو موسى وجعاً فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: إني بري ومن بري منه رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ بري من الصالقة* والحالقة والشاقة.

(٣٨٥) حديث صحيح. أخرجه أحمد (٥ / ٧٨، ٣٦٣)، ووكيع في الزهد (٣٥٦)، وابن المبارك كما في زوائد الزهد (٤١٢)، والبيهقي (٥ / ٣٣٥) في سننه الكبرى، وابن الأعرابي في معجمه، والأصبهاني في الترغيب كما في الدر المنثور (١ / ٢٢١). (٣٨٦) حديث ضعيف بهذا اللفظ. أخرجه الطبراني (١٩ / ٣٤٥-٣٤٦) في الكبير، وقال محققه: إسناده مسلسل بالضعفاء والمجاهيل.

وصح بمعناه عند أحمد (٤ / ٢٤٤) والبخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٠٣٧). (٣٨٧) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٢ / ١٠٣)، (٤ / ٢٢٣)، ومسلم (١٠٣)، وابن أبي شيبه (٣ / ٢٨٩)، وأحمد (١ / ٤٦٥)، وابن حبان (٥ / ٦٠)، والبخاري (١٥٣٣)، والبيهقي (٤ / ٦٣).

(٣٨٨) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٢ / ١٠٤) برقم (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤)، والنسائي (٤ / ٢٠)، وابن ماجه (١٥٨٦)، وأحمد (٤ / ٤١١)، وأبو داود (٣١٣٠)، وابن أبي شيبه (٣ / ٢٩٠)، وابن حبان (٥ / ٦١).

* الصالقة: الصارخة

٣٨٩- وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بردة بن أبي موسى قالا : أغمى على أبي موسى وأقبلت امرأته تصيح برنة ، قالا : ثم أفاق ، قال : ألم تعلمي - وكان يحدثها - أن رسول الله ﷺ قال : « أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق » ؟.

٣٩٠- ابن ماجه عن أبي أمامة : أن رسول الله ﷺ لعن الخامسة وجهها ، والشاقة جيها ، والداعية بالويل والثبور . إسناده صحيح .
٣٩١- وقال حاتم الأصم : إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه ، وأظهر حزنه ، فعزيتة فقد أشركته في إثمه وإنما هو صاحب منكر ، يحتاج أن تنهاه .

٣٩٢- قال أبو سعيد البلخي : من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدرأ ، فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل وأنشدوا :
عجبت لجازع ، باك مصاب بأهل أو حميم ذى اكتئاب
شقيق الجيب داعي الويل جهلاً كأن الموت كالشيء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى نبى الله منه لم يحاب
له ملك ينادى كل يوم لدوا⁽¹⁸⁶⁾ للموت وابنوا للخراب

(٣٨٩) حديث صحيح . انظر السابق .

(٣٩٠) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه (١٥٨٥) ، والطبراني (٧٥٩١) (٧٧٧٥)

في الكبير ، وابن حبان (٦٢ / ٥) .

186- لدوا : فعل أمر من ولد بمعنى : أنجب .

باب ما جاء في تلقين الإنسان بعد موته

شهادة الإخلاص في لحظه

٣٩٣- ذكر أبو محمد عبد الحق يروى عن أبي أسامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب ، فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعداً ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول : أرشدنا - رحمك الله - ولكنكم لا تسمعون ، فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وأنتك رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً ، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ، ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا ، وقد لقن حجته ، ويكون الله حجيجهما دونه » فقال رجل : يا رسول الله ، فإن لم تعرف أمه ؟ قال : ينسبه إلى أمه حواء .

٣٩٤- قلت : هكذا ذكره أبو محمد في كتاب (العاقبة) لم يسنده إلى كتاب ولا إلى إمام ، وعادته في كتبه نسبة ما يذكره من الحديث إلى الأئمة ، وهذا - والله أعلم - نقله من (إحياء علوم الدين) للإمام أبي حامد ، فنقله كما وجد ولم يزد عليه . وهو حديث غريب . خرجته الثقفى فى الأربعين له ، وأنبأناه الشيخ المسن الحاج الراوية : أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح بن أبي الحسن القرشى - عرف بابن رواح - بمسجده

(٣٩٣) ، (٣٩٤) حديث ضعيف . أخرجه الطبراني (٧٩٧٩) فى الكبير ، وفى الدعاء

(١٢١٤) ، وقال الهيثمى (٣ / ٤٥) فى المجمع : فيه جماعة لم أعرفهم .

وقال العراقى فى المغنى (٤ / ٤٧٦) : رواه الطبرانى بسند ضعيف .

قال الزبيدى فى الإتخاف (٤٠٣٥) : لعله لمكان سعيد بن عبد الله ، إن كان هو ابن ضرار ،

فقد قال أبو حاتم : إنه ليس بقوى .

ورواه ابن منده فى كتاب « الروح » وابن عساكر والديلمى .

بثغر الإسكندرية حماء الله (تعالى) ، والشيخ الفقيه الإمام مفتي الأنام أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي بمنية ابن خصيب . على ظهر النيل بها قالاً جميعاً : حدثنا الشيخ الإمام الحافظ أبو ظاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني قالاً : أخبرنا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل ابن أحمد بن محمود الثقفي بأصبهان ، (حدثنا) أبو علي الحسين بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبدان التاجر بنيسابور ، حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب الأصم ، (قال) : حدثنا أبو الدرداء هاشم بن يعلى الأنصاري ، حدثنا عتبة بن السكن الفزاري الحمصي ، عن أبي زكريا ، عن حماد بن زيد ، عن سعيد الأزدي قال : دخلت على أبي أمانة الباهلي وهو في النزع فقال لي : يا سعيد ، إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نصنع بموتانا . فقال : « إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل : يا فلان ابن فلانة فإنه سيسمع . فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يستوى قاعداً فليقل : يا فلان ابن فلانة ، فإنه سيقول : أرشدنا يرحمك الله فليقل : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله باعث من القبور ، فإن منكراً ونكيراً عند ذلك يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : ما نصنع عند رجل لقن حجته ؟ فيكون الله (تعالى) حجيجهما دونه » ، حديث أبي أمانة في النزع غريب من حديث حماد بن زيد ما كتبناه إلا من حديث سعيد الأزدي .

٣٩٥- قال أبو محمد عبد الحق : وقال شبيب بن شيبه : أوصتني أمي عند موتها ، فقالت لي : يا بني إذا دفنتني فقم عند قبري ، وقل : يا أم شيبه ،

(٣٩٥) خبر ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا (١٨) في المنامات بتحقيقي ، وأورده ابن القيم في الروح (ص / ١٧) .

قولى: لا إله إلا الله ثم انصرف ، فلما كان من الليل رأيته فى المنام فقالت لى : يا بنى لقد كدت أن أهلك . لولا أن تداركتنى لا إله إلا الله . فقد حفظتنى فى وصيتى يا بنى .

٣٩٦- قال المؤلف (رحمه الله): قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى : ينبغى أن يرشد الميت فى قبره حيث يوضع فيه إلى جواب السؤال، ويذكر بذلك فيقال له : قل : الله ربى . والإسلام دينى ، ومحمد رسولى ، فإنه عن ذلك يسأل ، كما جاءت به الأخبار على ما يأتى إن شاء الله ، وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك ، فيقال : قل : هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب (عليه) ، ولا يعارض هذا بقوله تعالى : ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾ (١٨٧) ، وقوله : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ (١٨٨) ﴿

٣٩٧- لأن النبى ﷺ قد نادى أهل القليب وأسمعهم وقال : « ما أنتم بأسمع منهم ، ولكنهم لا يستطيعون جواباً » .

٣٩٨- وقد قال فى الميت : « إنه ليسمع قرع نعالهم ، وأن هذا يكون

(٣٩٦) تلقين الميت من البدع التى طرأت ، ولم يدل عليها أى شىء يصح فى الباب .

187- سورة : فاطر من الآية : ٢٢ .

188- سورة : الروم من الآية : ٥٢ .

(٣٩٧) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٢ / ١٢٢) ، ومسلم (٢٨٧٣) ، (٢٨٧٤) ، وأحمد (٢٧ / ١) ، (٣ / ١٠٤) ، (٤ / ٢٩) ، وابن أبي شيبة (١٤ / ٣٧٩) ، وابن أبي عاصم (٢ / ٤٢٧) فى السنة والنسائى (٤ / ١٠٩) ، والطبرانى (١٠٣٢٠) فى الكبير وفى الصغير (٢ / ١١٣) من حديث ابن مسعود ، وأنس بن مالك ، وعمر رضى الله عنهم .

(٣٩٨) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٢ / ١٢٣) ، ومسلم (٢٨٧٠) ، وأبو

داود (٣٢٣١) والنسائى (٤ / ٩٦ - ٩٧) ، وأحمد (٣ / ١٢٦ ، ٢٣٣) ، والبيهقى (٢١) فى إثبات عذاب القبر .

فى حال دون حال ووقت دون وقت . وسأتى استيفاء هذا المعنى فى باب: (ما جاء أن الميت يسمع ما يقال) : إن شاء الله (تعالى) .

باب فج نسيان أهل الميت ميتهم وفج الأمل والغفلة

٣٩٩- أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مشيعى الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهتمون محزونون حتى إذا أسلموه فى ذلك القبر ورجعوا راجعين ، أخذ كفاً من تراب فرمى به وهو يقول : ارجعوا إلى دياركم أنساكم الله موتاكم أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ، ويأخذون فى شرائهم ، ويعمهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم » .

٤٠٠- ويروى أن الله - عز وجل - لما مسح على ظهر آدم عليه (الصلاة و) السلام ، فاستخرج ذريته قالت الملائكة : رب ، لا تسعهم الأرض ، قال الله تعالى : « إني جاعل موتا » : قالت : رب لا يهنيهم العيش ، قال : « إني جاعل أملاً » فالأمل رحمة من الله تعالى ينتظم به أسباب المعاش ، ويستحكم به أمور الدنيا ، ويتقوى به الصانع على صنعته ، والعابد على عبادته ، وإنما يذم من الأمل ما امتد وطال ، حتى أنسى العاقبة وثبط عن صالح الأعمال ، قال الحسن : الغفلة والأمل : نعمتان عظيمتان على ابن آدم ، ولولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق . يريد : لو كانوا من التيقظ ، وقصر

(٣٩٩) حديث ضعيف جداً . إن لم يكن موضوعاً ، وأخرجه الديلمى فى مسند الفردوس برقم (٩٠٨) ، وانظر تنزيه الشريعة (٢ / ٣٧٤ ، ٣٧٥) فيه ابن هذبة سبق ذكره .

الأمّل، وخوف الموت بحيث لا ينظرون إلى معاشهم، وما يكون سبباً لحياتهم. لهلكوا ونحوه. وقال مطرف بن عبد الله: لو علمت متى أجلى؟ لخشيت ذهاب عقلى، ولكن الله سبحانه من على عباده بالغفلة عن الموت، لولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق.

باب [ما جاء] في رحمة الله [تعالى] بعبده إذا أدخل في قبره

٤٠١- قال عطاء الخراساني: أرحم ما يكون الرب بعبده، إذا دخل في قبره وتفرق الناس عنه وأهله، وروى عن ابن عباس مرفوعاً.

٤٠٢- وقال أبو غالب: كنت أختلف إلى أبي أمامة الباهلي بالشام، فدخلت يوماً على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده عم له وهو يقول: يا عدو الله، ألم آمرك؟ ألم أنهك؟ فقال الفتى: يا عمه لو أن الله (تبارك وتعالى) دفعني إلى والدتي، كيف كانت صانعة بي؟ قال: تدخلك الجنة، قال: الله أرحم بي من والدتي، وقبض الفتى، فدخلت القبر مع عمه، فلما أن سواه صاح وفزع، قلت له مالك؟ قال: فسح له في قبره، وملئ نوراً.

٤٠٣- وكان أبو سليمان الداراني يقول في دعائه: يا من لا يأنس بشيء أبقيه، ولا يستوحش من شيء أفناه، ويا أنيس كل غريب، أرحم فيالقبر غربتي، ويا ثاني كل وحيد، أنس في القبر وحدتي، ولقد أحسن أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مفاوز السلمى الكاتب أحد البلغاء بشرق

(٤٠٢) إسناده حسن. وأخرجه ابن أبي الدنيا (٣٤) في حسن الظن بالله بتحقيقى.

الأندلس حيث يقول :

أيها السواقف اعتباراً بقبرى
أودعوني بطن الضريح وخافوا
قلت : لا تجزعوا على فإني
ودعوني بما اكتسبت رهينا
استمع فيه قول عظمى الرميم
من ذنوبى وآيسوا من نعيم
حسن الظن بالرؤوف الرحيم
غلق الرهن عند مولى كريم

باب متك يرتفع ملك الموت عن الحب ؟

وبيان قوله تعالى : ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق

وشهيد ⁽¹⁸⁹⁾ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ لتركن طبقاً عن طبق ⁽¹⁹⁰⁾ ﴾

٤٠٤ - أبو نعيم عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن جابر - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله - عز وجل - إن الله - لا إله غيره إذا أراد خلقه - قال للملك : اكتب رزقه وأثره وأجله ، واكتب شقياً أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك ، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا جاء الموت ارتفع ذلك الملكان ، ثم جاءه ملك الموت - عليه (الصلاة) -

189 - سورة : ق من الآية : ٢١ .

190 - سورة : الانشقاق الآية : ١٩ .

(٤٠٤) حديث ضعيف . أخرجه أبو نعيم (٣ / ١٩٠) في الحلية ، وابن أبي الدنيا كما في الحبايك (٣٠٩) للسيوطي ، وبه جابر الجعفي أحد الضعفاء .
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٤ / ٣٩٠) وقال ابن كثير : هذا حديث منكر ، وإسناده فيه ضعفاء ، ولكن معناه صحيح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

السلام - فيقبض روحه، فإذا أدخل حفرته رد الروح في جسده، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة، انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فأنشطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه: واحد سائق والآخر شهيد، ثم قال الله عز وجل: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾⁽¹⁹¹⁾ قال: قال رسول الله ﷺ في: ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾⁽¹⁹²⁾ قال: «حالا بعد حال».

٤٠٥- ثم قال النبي ﷺ: «إن قدامكم أمر عظيم، فاستعينوا بالله العظيم»، قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث أبي جعفر وحديث جابر تفرد به عنه جابر بن يزيد الجعفي وعنه المفضل.

٤٠٦- قلت: جابر بن يزيد الجعفي متروك لا يحتج بحديثه في الأحكام، ووجد بمدينة قرطبة على قبر الوزير الكبير أبي عامر بن شهيد مكتوباً، وهو مدفون بإزاء صاحبه الوزير أبي مروان الزجاجي، وكأنه يخاطبه ودفنا في بستان كانا كثيراً ما يجتمعان فيه:

يا صاحبي قم فقد أطلنا	أنحن طول المدى هجود؟
فقال لي: لن نقوم منها	مادام من فوقنا الصعيد
نذكر كم ليلة نعمنا	في ظلها والزمان عيد؟

191- سورة: ق الآية: ٢٢.

192- سورة: الانشقاق الآية: ١٩.

وكم ينير همى علينا	سحابة ثرة ⁽¹⁹³⁾ بجود؟
كل كأن لم يكن تقضى	وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ	وضمه صادق شديد
يا حسرتا إن تنكبتنا	رحمة من بطشه شديد
يارب عفواً فأنت مولى	قصر فى حقه العبيد

باب في سؤال الملكين للعبد

وفجد التهوؤ من عذاب القبر وعذاب النار

٤٠٧- البخارى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً » ، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره أربعون ذراعاً ، قال مسلم : سبعون ذراعاً ، ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون ثم رجع إلى حديث أنس قال : « أما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ، ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصبح صبيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » .

قلت : ليس عند مسلم ، ثم رجع إلى حديث أنس إلى آخره وإنما هو عند البخارى ، فحديثه أكمل . وقول الملكين « ولا تليت » :

قال النحويون : الأصل فى هذه الكلمة : الواو ، أى ولا تلوت إلا أنها

193- سحابة ثرة : غنية غزيرة الماء كثيرته .

(٤٠٧) حديث صحيح . سبق برقم (٣٩٨) .

قلبت ياء ليتبع بها دريت ، وقد جاء من حديث البراء : « لادريت ولا تلوت » على ما رواه الإمام أحمد بن حنبل ، أى : لم تدر ولم تتل القرآن ، فلم تنتفع بدرايتك ولا تلاوتك .

٤٠٨ - ابن ماجه ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشغوف ، ثم يقال له : فيم كنت ؟ فيقول : كنت فى الإسلام فيقال : ما هذا الرجل ؟ فيقول : محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول : لا ، وما ينبغي لأحد أن يرى الله ! فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : انظر إلى ما وراك الله ، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك . ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ، ويجلس الرجل السوء فى قبره فزعاً مرعوباً فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : ما هذا الرجل ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلته . فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرفه الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال : هذا مقعدك ، على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى .

٤٠٩ - الترمذى عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال

(٤٠٨) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٨) ، وفى الباب عن عائشة بنحوه أخرجه البيهقى (٣٨) .

(٤٠٩) حديث حسن . أخرجه الترمذى (١٠٧٧) ، وابن حبان (٣١٠٧) ، وابن أبى عاصم (٢ / ٤١٦) فى السنة ، والآجرى (٣٦٥) فى الشريعة ، والبيهقى فى إثبات عذاب القبر .

لأحدهما المنكر ، وللآخر النكير . فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقول فيه : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نعم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً ، فقلت مثله : لا أدري ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض : التثمي عليه ، (فتلثم عليه) ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » قال : حديث حسن غريب .

٤١٠- أبو داود عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل نخلأً لبني النجار ، فسمع صوتاً ففرع ، فقال : « من أصحاب هذه القبور ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ناس ماتوا في الجاهلية ، فقال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال » قالوا : ومم ذاك يا رسول الله ؟ قال : « إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له : ما كنت تعبد ؟ فإن هداه الله ، قال : كنت أعبد الله فيقال : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، فما يسأل عن شيء غيرها ، فينطلق به إلى بيت كان له في النار . فيقال له : هذا بيتك كان في النار ، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك بيتاً في الجنة فيقول : دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له : اسكن » .

وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره ويقول (له) : ما كنت تعبد ؟ فيقول : لا أدري ، (فيقال له) : لا دريت ، ولا تليت فيقال (له) : ما كنت

(٤١٠) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣ / ٢٣٣) ، وأبو داود (٤٧٥١) ، والبيهقي (١٩) في إثبات عذاب القبر ، وفي الباب عن زيد بن ثابت ، وأبي سعيد الخدري .

تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري) ، كنت أقول كما يقول الناس، فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين».

٤١١- وخرج أبو داود أيضاً عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثا ، قال : « وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وقال : « ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ [قال] : فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : وما يدريك ؟ قال : قرأت كتاب الله فأمنت وصدقت » قال : « فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة » قال : « فيأتيه من روحها وطيبها » قال : « يفسح له مد بصره » .

قال : وإن الكافر فذكر موته قال : « وتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فيقولان : ما هذا الرسول الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه . لا أدري . قال : فينادى مناد : أن كذب عبدى ، فأفرشوه من النار وألبسوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار » قال : « فيأتيه من حرها وسمومها » قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعة » زاد فى حديث جرير قال : « ثم يقيض له أعمى (٤١١) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) ، وابن المبارك (٤٣١) فى الزهد ، وابن أبى شيبة ، (٣ / ٢٥٦) ، وعبد الرزاق (٦٧٣٧) ، وأحمد (٤ / ٢٨٧) ، والطيالسى (٤٧٥٣) ، والحاكم (١ / ٣٧ - ٤٠) ، والبيهقى (٢٨) فى عذاب القبر .

أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً » قال : « فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ، ثم تعاد فيه الروح » .

٤١٢- فصله : ذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة : وقد روى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال : يا رسول الله ، ما أول ما يلقي الميت إذا دخل قبره ؟ قال : « يا ابن مسعود ، ما سألتني عنه أحد إلا أنت ، فأول ما ينادى ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول : يا عبد الله ، اكتب عملك ، فيقول : ليس معي دواة ولا قرطاس فيقول : هيهات كفنك قرطاسك ، ومدادك ريقك ، وقلمك إصبعك ، فيقطع له قطعة من كفنه ، ثم يجعل العبد يكتب وإن كان غير كاتب في الدنيا فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ، ثم يطوى الملك القطعة ويلحقها في عنقه » .

ثم قال رسول الله ﷺ : قوله تعالى : ﴿ وكلد إنسان أزمنا طائراً في عنقه ﴾ (١٩٤) أى : عمله ، فإذا فرغ من ذلك دخل عليه فتانا القبر ، وهما ملكان أسودان يخرقان الأرض بأنيا بهما ، لهما شعور مسدولة يجرانها على الأرض ، كلامها كالرعد القاصف ، وأعينهما كالبرق الخاطف ، ونفسهما كالريح العاصف ، بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه ، لو ضرب به أعظم جبل لجعله دكاً ، فإذا أبصرتهم النفس ارتعدت ، وولت هاربة ، فتدخل في منخر الميت ، فيحيا الميت من الصدر ويكون كهيأته عند الغرغرة ، ولا يقدر على حراك غير أنه

(٤١٢) حديث ضعيف . أورده المصنف رحمه الله بصيغة التضعيف .

194- سورة : الإسراء من الآية : ١٣

يسمع وينظر» قال: «فيقعدانه فيبتدئانه بعنف وينتهرانه بجفاء وقد صار التراب له كالماء حيثما تحرك انفسح فيه ووجد فرجة فيقولان له : من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وما قبلتك؟ فمن وفقه الله وثبته بالقول الثابت قال: ومن وكلكما على؟ ومن أرسلكما إلى؟ وهذا لا يقوله إلا العلماء الأخيار، فيقول أحدهما للآخر: صدق، كفى شرنا ثم يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة. ويفتحان له باباً إلى الجنة من تلقاء يمينه، ثم يفرشان له من حريرها وريحها، ويدخل عليه من نسيمها وروحها وريحانها ويأتيه عمله في صورة أحب الأشخاص إليه، ويؤنسه، ويحدثه، ويملاً قبره نوراً، ولا يزال في فرح وسرور ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة ويسأل: متى تقوم الساعة؟ فليس شيء أحب إليه من قيامها.

ودونه في المنزلة المؤمن العامل الخير ليس معه حظ من العلم ولا من أسرار الملكوت يلج عليه عمله⁽¹⁹⁵⁾ عقيب رومان في أحسن صورة طيب الريح، حسن الثياب فيقول له: أما تعرفني؟ فيقول: من أنت الذي من الله على بك في غربتي؟ فيقول: أنا عمك الصالح، فلا تحزن، ولا توجل، فعماً قليل يلج عليك منكر ونكير يسألانك فلا تدهش، ثم يلقنه حجته، فبينما هو كذلك، إذ دخلا عليه فينتهرانه ويقعدانه مستنداً ويقولان: من ربك؟ - نسق الأول - فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي، والقرآن إمامي، والكعبة قبلتي، وإبراهيم أبى، وملته ملتي، غير مستعجم، فيقولان له: صدقت، ويفعلان به كالأول إلا أنهما يفتحان له باباً إلى النار فينظر إلى حياتها وعقاربها وسلاسلها وأغلالها وحميمها وجميع غمومها وصديدها وزقومها فيفزع فيقولان له: لا عليك سوء، هذا موضعك قد أبدله الله تعالى

195- يلج عليه عمله: يدخل عليه عمله.

بموضعك هذا من الجنة. ثم سعيداً ثم يغلقان عنه باب هذا النار ولم يدر ما مر عليه من الشهور والأعوام والدهور ، ومن الناس من يحجم في مسأله، فإن كانت عقيدته مختلفة امتنع أن يقول : الله ربى ، وأخذ غيرها من الألفاظ، فيضربانه ضربة يشتعل منها قبره ناراً ، ثم تطفأ عنه أياماً . ثم تشتعل عليه أيضاً ، هذا دأبه ما بقيت الدنيا ، ومن الناس من يعتاص* عليه ويعسر أن يقول : الإسلام دينى لشك كان يتوهمه ، أو فتنة تقع به عند الموت ، فيضربانه ضربة واحدة فيشتعل عليه قبره ناراً كالأول ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : القرآن إمامى . لأنه كان يتلوه ولا يتعظ به ، ولا يعمل بأوامره ولا ينتهى بنواهيه يطوف عليه دهره ولا يعطى منه نفسه خيره، فيفعل له ما يفعل بالأولين ، ومن الناس من يستحيل عمله جرواً يعذب به فى قبره على قدر جرمه .

٤١٣- وفى الأخبار : أن من الناس من يستحيل عمله خنوصاً - وهو ولد الخنزير - ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : نبيى محمد ، لأنه كان ناسياً لسنته ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول الكعبة قبلتى ، لقلة تحريه فى صلاته ، أو فساده فى وضوئه ، أو التفات فى صلاته ، أو اختلال فى ركوعه وسجوده ، ويكفيك ما روى فى فضائلها ، أن الله لا يقبل صلاة من عليه صلاة ، ومن عليه ثوب حرام ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : إبراهيم أبى، لأنه سمع كلاماً يوماً أو همه أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ، فإذا هو شاك مرتاب ، فيفعل به ما يفعل بالآخرين وقال أبو حامد: وكل هذه الأنواع كشفناها فى كتاب (الإحياء) .

وأما الفاجر فيقولان له: من ربك ؟ فيقول : لا أدرى ! فيقولان له : لا دريت ، ولا عرفت، ثم يضربانه بتلك المقامع حتى (يتجلجل) فى الأرض

*يعتاص : يمتنع ويشتد .

(٤١٣) أى فى الإسرائيليات .

السابعة ، ثم تنفضه الأرض في قبره ، ثم يضربانه سبع مرات ، ثم تفترق أحوالهم . فمنهم من يستحيل عمله كلباً ينهشه حتى تقوم الساعة ، وهم الخوارج ، ومنهم من يستحيل خنزيراً يعذب به في قبره وهم المرتابون ، وهم أنواع ، وأصله أن الرجل إنما يعذب في قبره بالشيء الذي كان يخافه في الدنيا ، فمن الناس من يخاف من الجرو⁽¹⁹⁶⁾ أكثر من الأسد وطباع الخلق متفرقة ، نسأل الله السلامة والغفران . قبل الندامة .

٤١٤ - فصله : جاء في حديث البخارى ومسلم : سؤال الملكين ، وكذلك في حديث الترمذى ونص على اسميهما ونعتيهما ، وجاء في حديث أبى داود : سؤال ملك واحد ، وفي حديثه الآخر : سؤال ملكين ولا تعارض فى ذلك والحمد لله ، بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص قرب شخص يأتيانه جميعاً ، ويسألانه جميعاً فى حال واحد عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهون والفتنة فى حقه أشد وأعظم وذلك بحسب ما اقترف من الآثام واجترح من سيئ الأعمال ، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخف فى السؤال وأقل فى المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الأعمال . وقد يحتمل حديث أبى داود وجهاً آخر وهو : أن الملكين يأتيان جميعاً ويكون السائل أحدهما ، وإن تشاركوا فى الإتيان فيكون الراوى اقتصر على الملك السائل وترك غيره ، أنه لم يقل فى الحديث أنه لا يأتيه إلى قبره إلا ملك واحد ، ولو قاله هكذا صريحاً لكان الجواب عنه ما قدمناه من أحوال الناس . والله أعلم . وقد يكون من الناس من يوقى فتنتهما ولا يأتيه أحد منهما على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

196- الجرو : الصغير من ولد الكلب والأسد والسباع .

(٤١٤) انظر : شرح الصدور (ص / ١٤٢) نقلا عن القرطبي .

واختلفت الأحاديث أيضاً في كيفية السؤال والجواب . وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس ، فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها ، فلا تناقض . ووجه آخر هو : أن يكون بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال ، فيكون الإنسان مسؤولاً عن الجميع . كما جاء في حديث البراء المذكور والله أعلم . وقول المسؤول : هاه هاه هي حكاية صوت المبهور من تعب أو جرى أو حمل ثقيل.

باب ذكر حديث البراء المشهور الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم

٤١٥ - أخرجه أبو داود الطيالسي وعبد بن حميد في مسنديهما ، وعلى بن معبد في (كتاب الطاعة والمعصية) ، وهناد بن السري في زهده ، وأحمد بن حنبل في (مسنده) وغيرهم ، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة، تهتم بتخريج طرقة على بن معبد . فأما أبو داود الطيالسي فقال : حدثنا أبو عوانة عن الأعمش ، قال هناد وأحمد : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، وقال أبو داود: حدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء - يعني ابن عازب - وحديث أبي عوانة أتمهما ، وقال البراء : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فأنتهينا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله ، كأنما على رؤوسنا الطير ، وقال عمرو بن ثابت : وقع ، ولم يقله أبو عوانة ، فجعل يرفع بصره ، وينظر إلى السماء ، ويخفض بصره ،

(٤١٥) حديث صحيح : سبق برقم (٤١١) .

وينظر إلى الأرض ثم قال : «أعوذ بالله من عذاب القبر» قالها مراراً ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول اخرجي أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السماء» قال : عمرو في حديثه : ولم يقله أبو عوانة : « وإن كنتم ترون غير ذلك ، وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، ومعهم أكفان من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوطها ، فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين» قال : « فذلك قوله تعالى : ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾⁽¹⁹⁷⁾ » قال : فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت ، فتخرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذه الروح ؟ فيقال فلان ، بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به أبواب سماء الدنيا ، فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي إلى السماء السابعة ، فيقال : اكتبوا كتابه في عليين ﴿ وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهده المقربون ﴾⁽¹⁹⁸⁾ فيكتب كتابه في عليين ، ثم يقال : ردوه إلى الأرض فيأني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى ، وقال : فيرد إلى الأرض ، وتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهاز فينتهرانه ، ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله وديني الإسلام ، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله . فيقولان : وما يدريك ؟ فيقول : جاءنا بالبينات من ربنا فأمنت به وصدقت ، قال : وذلك

197- سورة : الأنعام من الآية ٦١ .

198- سورة : المطففين الآيات : ١٩ : ٢١ .

قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (199) قال: وينادى منادى السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وأروه منزله منها ويفسح له مد بصره، ويمثل عمله له فى صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب، فيقول: أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول: بشرك الله بخير، من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالخير؟ فيقول: هذا يومك الذى كنت توعده أو الأمر الذى كنت توعده، أنا عمالك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً فى طاعة الله بطيعاً عن معصية الله فجراك الله خيراً. فيقول يا رب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى قال: « فإن كان فاجراً وكان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة جاء ملك، فجلس عند رأسه فقال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة أبشرى بسخط من الله وغضبه، فتنزى الملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين، قال: فتفرق فى جسده فيستخرجها، تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبتل، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض، إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم، فيقولون: ردوه إلى الأرض إنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال: فيرمى به من السماء. قال: وتلا هذه الآية: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾ (200)، قال: « فيعاد إلى الأرض وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان

199- سورة: إبراهيم عليه السلام من الآية: ٢٧ .

200- سورة: الحج من الآية: ٣١ .

شديدا الانتهاز فينتهرانه ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول : لا أدري ، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فلا يهتدى لاسمه فيقال : محمد ، فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك قال : فيقال : لا دريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب ، فيقال : أبشر بعذاب الله وسخطه ، فيقول : من أنت فوجهك الذي جاء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله .

قال عمرو في حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبي ﷺ : « فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب بها جبل صار تراباً » أو قال : « رميما فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى » لفظ أبي داود الطيالسي وخرجه علي بن معبد الجهنى من عدة طرق بمعناه : وزاد فيه : « ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد فيضربه بها ضربة فيدق بها من ذؤابته ⁽²⁰¹⁾ إلى خصره ثم يعاد فيضربه ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره » وزاد في بعض طرقه عند قوله مرزبة من حديد : « لو اجتمع عليه الثقلان لم ينقلوها فيضرب بها ضربة فيصير تراباً ، ثم تعاد فيه الروح ، فيضرب بها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين ، ثم يقال : افرشوا له لوحين من نار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار » وزاد فيه عند قوله : وانقطاع من الدنيا : « نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار وسراويل من قطران يحوشونه فتنزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير

الشعب من الصوف المبتل يقطع معه عروقها ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك في السماء وكل ملك في الأرض .»

٤١٦- وخرج أبو عبد الله الحسين بن الحسين بن حرب ، صاحب ابن المبارك في رواقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول: « إذا قتل العبد في سبيل الله كان أول قطرة تقطر من دمه إلى الأرض كفارة للخطايا ثم يرسل الله عز وجل بريطة من الجنة فيقبض فيها روحه ، وصورة من صور الجنة فيركب فيها روحه ثم يعرج مع الملائكة كأنه (كان) معهم ، والملائكة على أرجاء السماء يقولون : قد جاء روح من الأرض طيبة ، ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا فتح لها ، ولا ملك إلا صلى عليها ودعا لها ، ويشيعها ، حتى يؤتى بها الرحمن . فيقولون : يا ربنا هذا عبدك توفيته في سبيلك فيسجد قبل الملائكة ، ثم تسجد الملائكة بعد ثم يطهر ويغفر له ثم يؤمر فيذهب به إلى الشهداء فيجدهم في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة من أنهار الجنة ، فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فيأكلون لحمه فيجدون في لحمه طعم كل رائحة ويبعث الثور في أفناء الجنة فإذا أصبح غدا عليه الحوت فوكزه فيذكيه فيأكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة ثم يعودون وينظرون إلى منازلهم من الجنة ، ويدعون الله - عز وجل - أن تقوم الساعة ، فإذا توفي العبد المؤمن بعث الله - عز وجل - إليه ملكين ، وأرسل إليه بخرقة من الجنة ، فقال : اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح من مسك ما وجدها أحد بأنفه قط والملائكة على أرجاء السماء يقولون : قد جاء من قبل الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا

(٤١٦) لم أقف عليه .

دعا لها وصلى عليها ، حتى يؤتى بها الرحمن فتسجد الملائكة ثم يقولون : هذا عبدك فلان قد توفيته وكان يعبدك لا يشرك بك شيئاً فيقول : مروه فليسجد فتسجد النسمة ، ثم يدعى ميكائيل فيقول : اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ، حتى أسألك عنها يوم القيامة ثم يومر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضة وسبعون ذراعاً طوله ، وينبذ له فيه الرياحين ويستتر بالحرير ، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره ، وإن لم يكن معه جعل له في قبره نور مثل نور الشمس ، ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظة إلا أحب أهله إليه ، قال : فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومته وإذا توفي العبد الفاجر أرسل الله إليه ملكين، وأرسل بقطعة من نجاد أتن من كل نتن وأخشن من كل خشن ، فقالا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى حميم وعذاب ورب عليك غضبان اخرجي وساء ما قدمت لنفسك ، فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحد بأنفه قط وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون : قد جاءت من الأرض روح خبيثة ، ونسمة خبيثة فتخلق دونها أبواب السماء ، ولا تصعد إلى السماء ثم يؤمر فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات أمثال أعناق البخت^٥ فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحماً ، ويرسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بقطاطيس من حديد لا يسمعون صوته فيرحمونه ولا يبصرونه فيرحمونه ولا يخطئون حين يضربونه، ويعرض عليه مقعده من النار بكرة وعشياً يدعو بأن يدوم ذلك ولا يخلص إلى النار .

٤١٧- وخرج أبو عبد الرحمن النسائي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا احتضر المؤمن أته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير

^٥ البخت : نوع من الإبل .

(٤١٧) حديث صحيح . سبق برقم (٢١٠) .

غضبنا فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض؟ فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال: ما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح خبيثة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح؟ حتى يأتوا به أرواح الكفار.

٤١٨- وخرج أبو داود الطيالسي قال: حدثنا حماد عن قتادة، عن أبي الجوزاء، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة فتسلم، وتسلم نفسه في حريرة بيضاء، فيقولون: ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه فيسألونه فيقولون: ارفقوا به فإنه خرج من غم الدنيا فيقولون: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ قال: «وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض: ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيهبط به إلى أسفل الأرض».

الرد على الملحدة :

قلت : وهنا فصول ستة في الرد على الملحدة :

الفصل الأول

تأمل يا أخى وفقنى الله وإياك هذا الحديث وما قبله من الأحاديث ، ترشدك إلى أن الروح والنفس شيء واحد وأنه جسم لطيف مشابه

(٤١٨) حديث صحيح . أخرجه الطيالسي (٢٣٨٩) ، وابن حبان (٣٠٠٢) ، والحاكم (٣٥٣ / ١) وصححه وأقره الذهبي ، وله طرق .

للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج . وفي أكفانه يلف ويدرج ، وبه إلى السماء يعرج ، ولا يموت ولا يفنى وهو مما له أول ، وليس له آخر . وهو بعينين ويدين وأنه ذو ريح طيب وخبث وهذه صفة الأجسام لا صفة الأعراض .

٤١٩- وقد قال بلال في حديث الوادى : أخذ بنفسى يا رسول الله الذى أخذ بنفسك . وقال رسول الله ﷺ مقابلاً له فى حديث زيد بن أسلم فى حديث الوادى : « يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها إلينا فى حين^٢ غير هذا » وقال رسول الله ﷺ : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » وقال : « فذلك حين يتبع بصره نفسه » وهذا غاية فى البيان ، ولا عطر بعد عروس ، وقد اختلف الناس فى الروح اختلافاً كثيراً ، أصبح ما قيل فيه : ما ذكرناه لك وهو مذهب أهل السنة : أنه جسم ، فقد قال الله تعالى : ﴿ يتوفى الأنفس حين موتها ﴾⁽²⁰²⁾ . وقال أهل التأويل : يريد الأرواح ، وقد قال تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾⁽²⁰³⁾ يعنى النفس عند خروجها من الجسد ، وهذه صفة الجسم ولم يجر لها ذكر فى الآية لدلالة الكلام

(٤١٩) حديث صحيح ، وإسناده مرسل . أخرجه مالك (٢٥) فى الموطأ ، وابن عبد البر فى الاستذكار (١ / ١١٨) ، والتمهيد (٥ / ٢٠٣ - ٢٠٤) وقال : هكذا هذا الحديث فى الموطآت لم يسنده عن زيد بن أسلم أحد من رواة الموطأ ، وقد جاء معناه متصلاً مسنداً من وجوه صحاح ثابتة فى نومه ﷺ عن صلاة الصبح فى سفره ، روى ذلك جماعة من الصحابة . قلت : فى الباب حديث أبى قتادة أخرجه البخارى (١ / ١٥٤) ، ومسلم (٦٨١) ، وأحمد (٥ / ٣٠٧) ، وأبو داود (٤٣٩) ، والنسائى (٢ / ١٠٦) وغيرهم . ومن حديث أبى هريرة ، أخرجه مسلم (٦٨٠) ، وأبو داود (٤٣٥) ، وابن ماجه (٦٩٧) .^٢ فى بعض النسخ : حيز ، بالزاي وليس بالنون ، وكلاهما له وجه .

202- سورة : الزمر : الآية ٤٢ .

203- سورة : الواقعة : من الآية ٨٣ .

عليها ، كقول الشاعر :

أما وى ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر (204)

وكل من يقول : إن الروح يموت ويفنى فهو ملحد . وكذلك من يقول : بالتناسخ أنها إذا خرجت من هذا ركبت فى شيء آخر: حمار أو كلب أو غير ذلك ، وإنما هى محفوظة بحفظ الله إما منعمة وإما معذبة . على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الفصل الثانى

الإيمان بعذاب القبر وفتنته : واجب . والتصديق به : لازم حسب ما أخبر به الصادق ، وأن الله تعالى يحيى العبد المكلف فى قبره برد الحياة إليه ويجعله من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له فى قبره من كرامة أو هوان . وبهذا نطقت الأخبار عن النبى المختار ﷺ وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار ، وهذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة . ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه (الصلاة والسلام غير ما ذكرنا . وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا .

٤٢٠- ولقد قال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه - لما أخبر النبى ﷺ بفتنة الميت فى قبره وسؤال منكر ونكير وهما الملكان - له : يا رسول الله أيرجع إلى عقلى ؟ قال : « نعم » . قال : إذا أكفيكهما ، والله لئن سألتنى 204- الثراء : الغنى الواسع . حشرجت : حشرج : ردد نفسه فى حلقة والمراد : أوشك أن يموت .

(٤٢٠) حديث منكر وإسناده ضعيف . أخرجه ابن أبى داود (٧) فى البعث ، والبيهقى فى عذاب القبر (١١٦) ، (١١٧) ، (١١٨) ، وفى الاعتقاد (ص / ٢٢٢ - ٢٢٣) وابن الجوزى فى الملقق بتحقيقى ، وله طرق أخرى ذكرتها فى « الملقق » طبع بدار الصحابة .

سألتهما . فأقول لهما : أنا ربى الله فمن ربكما أنتما ؟ .
 ٤٢١- وخرج الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول من
 حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً فتانى القبر . فقال
 عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : أترد علينا عقولنا يا رسول الله ؟
 فقال : « نعم كهيئاتكم اليوم » فقال عمر : فى فيه الحجر .
 ٤٢٢- وقال سهل بن عمار : رأيت يزيد بن هارون فى المنام بعد
 موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال إنه أتانى فى قبرى ملكان فظان
 غليظان ، فقالا : ما دينك ؟ ومن ربك ؟ ومن نبيك ؟ فأخذت بلحيتى
 البيضاء ، وقلت : ألتلى يقال هذا ؟ وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة
 فذهبا . وقال : أكتبت عن جرير بن عثمان قلت : نعم ، فقالا : إنه كان
 يغيض علينا فأبغضه الله .
 وفى حديث البراء : « فتعاد روحه فى جسده » وحسبك : وقد قيل :
 إن السؤال والعذاب إنما يكون على الروح دون الجسد ، وما ذكرناه لك أولاً
 أصح والله أعلم .

(٤٢١) حديث منكر وإسناده ضعيف . أخرجه الحكيم الترمذى (٤١) ، (٤٠٣) فى
 نوادر الأصول ، وانظر السابق .
 (٤٢٢) إسناده موضوع . أخرجه السلفى فى الطيوريات كما فى شرح الصدور (ص /
 ١١٠) فى سنده ، سهل بن عمار من المتهمين بالكذب كما فى الميزان (٢ / ٢٤٠) .
 وأخرجه اللالكائى فى « السنة » عن الحوثة بن محمد المنقرى كما فى شرح الصدور
 (ص / ١٤٠) وحوثة ذكره ابن أبى حاتم فى الجرح (٣ / ٢٨٣) ولم يذكر فيه جرحاً ولا
 تعديلاً وأخرجه الخطيب (١٤ / ٣٤٧) من طريق أبى نافع بن بنت يزيد ، وفيه جهالة بعض
 رواته ، وأورده الخطيب فى السير (٩ / ٣٦٥) .

الفصل الثالث

أنكرت الملحدة ومن تمذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة :
عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة ، واحتجوا بأن قالوا : إنا نكشف القبر فلم
نجد فيه ملائكة عمياً ولا صماً يضربون الناس بقطاطيس من حديد ولا نجد
فيه حيات ولا ثعابين ولا نيراناً ولا تنانين ، وكذلك لو كشفنا عنه في كل
حالة لوجدناه فيه لم يذهب ولم يتغير ، وكيف يصح إقاعده ، ونحن لو
وضعنا الرئبق بين عينيه لوجدناه بحاله فكيف يجلس ويضرب ولا يتفرق
ذلك ؟ وكيف يصح إقاعده وما ذكرتموه من الفسحة ؟ ونحن نفتح القبر
فنجد لحدّه ضيقاً ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يتغير علينا ، فكيف
يسعه ويسع الملائكة السائلين له ؟ وإنما ذلك كله إشارة إلى حالات ترد على
الروح من العذاب الروحاني ، وإنها لا حقائق لها على موضوع اللغة .

والجواب : أنا نؤمن بما ذكرناه ، ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب
ونعيم ويصرف أبصارنا عن جميع ذلك بل يغيبه عنا . فلا يبعد في قدرة الله
تعالى فعل ذلك كله إذ هو القادر على كل ممكن جائز فينا لو شئنا لأزلنا
الرئبق عن عينيه ، ثم نضجعه ونرد الرئبق مكانه وكذلك يمكننا أن نعمق
القبر ونوسعه حتى يقوم فيه قياماً فضلاً عن القعود . وكذلك يمكننا أن نوسع
القبر مائتي ذراع فضلاً عن سبعين ذراعاً ، والرب سبحانه أبسط منا قدرة ،
وأقوى منا قوة ، وأسرع فعلاً ، وأحصى منا حساباً ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا ﴾
أن يقول له مَن فيكون⁽²⁰⁵⁾ ﴿ ولا رب لمن يدعي الإسلام إلا من هذه
صفته فإذا كشفنا نحن عن ذلك رد الله سبحانه الأمر على ما كان ، نعم لو
كان الميت بيننا موضوعاً فلا يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألاه من غير أن يشعر

205- سورة :يس الآية : ٨٢ .

الحاضرون بهما ، ويجيبهما من غير أن يسمع الحاضرون جوابه . ومثال ذلك : نائمان بيننا أحدهما ينعم والآخر يعذب ، ولا يشعر بذلك أحد من حولهما من المنتبهين ، ثم إذا استيقظا أخبر كل واحد منهما عما كان فيه . وقد قال بعض علمائنا : إن دخول الملك القبور جائز أن يكون تأويله : اطلاعه عليها وعلى أهلها ، وأهلها مدركون له عن بعد من غير دخول ولا قرب ويجوز أن يكون الملك للطافة أجزائه يتولج في خلال المقابر فيتوصل إليهم من غير نبش ويجوز أن ينبشها ثم يعيدها الله إلى مثل حالها على وجه لا يدركه أهل الدنيا .

ويجوز أن يكون الملك يدخل من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدى الإنسان إليها .

وبالجملة : فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم ، فليس تنقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا . وهذا مما لا خلاف فيه ، ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئاً مما هنالك . فإن قالوا : كل حديث يخالف مقتضى المعقول يقطع بتخطئة ناقله ، ونحن نرى المصلوب على صلبه مدة طويلة وهو لا يسأل ولا يحى وكذلك يشاهد الميت على سريرته وهو لا يجيب سائلا ولا يتحرك ، ومن افترسته السباع ، ونهشته الطيور ، وتفرقت أجزاؤه في أجواف الطير ، وبطن الحيتان وحواصل الطيور ، وأقاصى التخوم^١ ، ومدارج الرياح . فكيف تجتمع أجزاؤه ؟ أم كيف تتألف أعضاؤه ؟ وكيف تتصور مساءلة الملكين لمن هذا وصفه ؟ أم كيف يصير القبر على من هذا حاله روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ؟ والجواب عن هذا من وجوه أربعة :

أحدها : أن الذى جاء بهذا هو الذى جاء بالصلوات الخمس وليس لنا طريق إلا ما نقلوه لنا من ذلك .

^١ التخوم : حدود الأرض والمقصود ما بعد عنا وغاب .

الثاني : ما ذكره القاضى على لسان الأمة وهو : أن المدفونين فى القبور يسألون والذين بقوا على وجه الأرض فإن الله تعالى يحجب المكلفين عما يجرى عليهم كما حجبهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الأنبياء عليهم السلام لهم . ومن أنكر ذلك فلينكر نزول جبرائيل عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام . وقد قال الله تعالى فى وصف الشياطين ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ وَهُوَ وَقِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (206).

الثالث : قال بعض العلماء : لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به كما أننا نحسب المغمى عليه ميتاً . وكذلك صاحب السكنة وندفنه على حسابان الموت ، ومن تفرقت أجزاؤه فلا يبعد أن يخلق الله الحياة فى أجزائه .

٤٢٣- قللت : ويعيده كما كان . كما فعل بالرجل الذى أمر إذا مات أن يحرق ثم يسحق ثم يذرى حتى تنسفه الرياح « الحديث » وفيه « فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، ثم قال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : خشيتك أو قال مخافتك » خرجه البخارى ومسلم وفى التنزيل ﴿ فَخَذَّ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ﴾ (207) الآية .

الرابع : قال أبو المعالى : المرضى عندنا : أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها الله تعالى من القلب أو غيره فيحييها ويوجه السؤال عليها وذلك غير مستحيل عقلاً، وقال بعض علمائنا : وليس هذا بأبعد من الذر الذى أخرجه

206- سورة: الأعراف الآية : ٢٧ .

(٤٢٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٩ / ١٧٧) ، ومسلم (١٧ / ٧١ - ٧٢ نووى) ، ومالك (٢٤٠) فى الموطأ ، وأحمد (٢ / ٢٦٩) ، وابن المبارك (٣٧٢) فى الزهد ، وعبد الرزاق (٢٠٥٤٨) ، فى مصنفه ، وابن ماجه (٤٢٥٥) ، والبقوى (١٤ / ٣٨٠) .
207- سورة: البقرة من الآية : ٢٦٠ .

الله تعالى من صلب آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟
قالوا : بلى .

الفصل الرابع

فإن قالوا : ما حكم الصغار عندكم ؟! قلنا : هم كالبالغين وأن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه ، وهذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار ، فقد جاء أن القبر ينضم عليه كما ينضم على الكبار ، وقد تقدم .

٤٢٤ - وذكر هناد بن السرى قال : حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : « إن كان ليصلى على المنفوس ما أن عمل خطيئة قط فيقول : اللهم أجره من عذاب القبر » .

(٤٢٤) خبر صحيح . أخرجه مالك (٥٣٧) في الموطأ ، وهناد في الزهد (٣٥١) ، وابن أبي شيبة (٣ / ٣٧) ، وعبد الرزاق (٦١١٠) ، وله حكم الرفع . وقد أخرجه مرفوعاً البيهقي (٩ / ٩) في سننه ، وفي عذاب القبر (١٧٧) ، وللخطيب (١١ / ٣٧٢) في تاريخه ، وقال تفرد بروايته مرفوعاً على بن الحسن بن عبدويه ، واعترض البيهقي على الرفع .

قال ابن عبد البر : عذاب القبر غير فتنته بدلائل من السنة الثابتة ، ولو عذب الله عباده أجمعين لم يظلمهم ، قال بعضهم : ليس المراد بعذاب القبر هنا عقوبته ، ولا السؤال بل مجرد الألم بالغم والهم ، والحسرة والوحشة والضغطة ، وذلك يعم الأطفال وغيرهم . وقال الباجي : يحتمل أن أبا هريرة رضى الله عنه سمعه من النبي ﷺ أن عذاب القبر عام في الصغير والكبير ، وأن الفتنه فيه لا تسقط عن الصغير بعدم التكليف في الدنيا ، لأن الله تعالى يفعل ما يشاء .

وقال أبو عبد الملك : يحتمل أنه قال ذلك على العادة في الصلاة على الكبير ، انظر شرح الزرقاني (٢ / ٨٥) .

الفصل الخامس

فإن قالوا : فما تأويلكم في القبر : « حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة » ؟ قلنا : وذلك محمول عندنا على الحقيقة لا على المجاز ، وأن القبر يملأ على المؤمن خضراً وهو العشب من النبات ، وقد عينه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : هو الريحان كما في حق الكافر يفرش له لوحان من نار ، وقد تقدم ، وقد حملة بعض علمائنا على المجاز والمراد خفة السؤال على المؤمن ، وسهولته عليه وأمنه فيه ، وطيب عيشه ووصفه بأنه جنة تشبهاً بالجنة والنعيم فيها بالرياض يقال : فلان في الجنة إذا كان في رغد من العيش وسلامة فالمؤمن يكون في قبره في روح وراحة وطيب عيش ، وقد رفع الله عن عينيه الحجاب حتى يرى مد بصره كما في الخبر ، وأراد بحفرة النار ضغطة القبر وشدة المساءلة والخوف والأهوال التي تكون فيها على الكفرة وبعض أهل الكبائر والله أعلم . والأول أصح لأن الله سبحانه ورسوله يقص الحق ولا استحالة في شيء من ذلك .

الفصل السادس

٤٢٥- روى أبو عمر في التمهيد عن ابن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب (يقول) : أيها الناس إن الرجم حق فلا تخدعن عنه ، وإن آية ذلك أن رسول الله ﷺ قد رجم . وأن أبا بكر قد رجم . وإننا قد رجمنا بعدهما ، وسيكون أقوام من هذه الأمة يكذبون بالرجم ، ويكذبون بالدجال ويكذبون بطلوع

(٤٢٥) إسناده ضعيف . أخرجه أحمد (١ / ٢٣) ، وابن أبي شيبة (٦ / ٥٥٣) في مصنفه ، وعبد الرزاق (٦٧٥١) وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٣) ، وابن عبد البر في التمهيد . (١٩ / ٦٩) ، (٢٣ / ٩٨) في سنده عندهم جميعاً ابن جعدان وابن مهران ، وهما في عداد الضعفاء .

أما أصل قول عمر عن الرجم فقد صح بأسانيد عديدة ، لذا وجب التنبيه .

الشمس من مغربها ، ويكذبون بعذاب القبر ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون
بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا (208) .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هؤلاء هم القدرية والخوارج ، ومن
سلك سبيلهم وافترقوا في ذلك فرقا . فصار أبو الهذيل وبشر : إلى أن خرج
عن سمة الإيمان فإنه يعذب بعد النفختين ، وأن المسألة إنما تقع في تلك
الأوقات وأثبت البلخي وكذلك الجبائي وابنه عذاب القبر ، ولكنهم نفوه عن
المؤمنين وأثبتوه للكافرين والفاسقين وقال الأكثرون من المعتزلة : لا يجوز
تسمية ملائكة الله تعالى بمنكر ونكير ، وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا
سئل ، وتقريع الملكين له هو النكير ، وقال صالح : عذاب القبر جائز ، وأنه
يجرى على الموتى من غير رد الأرواح إلى الأجساد ، وأن الميت يجوز أن
يألم ويحس ويعلم ، وهذا مذهب جماعة من الكرامية . وقال بعض المعتزلة :
إن الله يعذب الموتى في قبورهم ، ويحدث فيهم الآلام ، وهم لا يشعرون ،
فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام ، وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتى كسبيل
السكران ، أو المغشى عليه ، ولو ضربوا لم يجدوا الآلام فإذا عاد إليهم العقل
وجدوا تلك الآلام ، وأما الباقيون من المعتزلة ، مثل ضرار بن عمرو وبشر
المريسي ويحيى بن كامل وغيرهم ، فإنهم أنكروا عذاب القبر أصلاً ، وقالوا :
إن من مات فهو ميت في قبره إلى يوم البعث وهذه أقوال كلها فاسدة تردها
الأخبار الثابتة ، وفي التنزيل : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ﴾ (209) .
وسياتى من الأخبار مزيد بيان ، وبالله التوفيق والعصمة والله أعلم .

208- امتحشوا : أمحش الحر أو النار جلده : أحرقه .

209- سورة : غافر من الآية : ٤٦

باب ما جاء في صفة الملكين

طلوات الله [تعالى] عليهما وصفة سؤالهما

قد تقدم من حديث الترمذى : أنهما أسودان أزرقان . يقال لأحدهما : منكر وللآخر النكير .

٤٢٦ - وروى معمر عن عمرو بن دينار وعن سعد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لعمر : « كيف بك يا عمر إذا جاءك منكر ونكير إذا مت وانطلق بك قومك ، وقاسوا ثلاثة أذرع وشبر في ذراع وشبر ، ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ، ثم احتملوك فوضعوك فيه . ثم أهالوا عليك التراب ؟ فإذا انصرفوا عنك أذاك فتانا القبر . منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ، يجران شعورهما ، ومعهما مرزبة من حديد لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقلوها » فقال عمر : يا رسول الله إن فرقنا فحق لنا أن نفرق أنبعث على ما نحن عليه ؟ قال : « نعم » قال : إذا أكفيكهما .

٤٢٧ - وروى نقلة الأخبار عن ابن عباس فى خبر الإسراء : أن النبى ﷺ قال : « قلت : يا جبريل وما ذاك ؟ قال : منكر ونكير يأتیان كل إنسان من البشر حين يوضع فى قبره وحيداً فقلت : يا جبريل صفهما لى . قال : نعم من غير أن أذكر لك طولهما وعرضهما ، ذكر ذلك منهما أفطع من ذلك ، غير أن أصواتهما كالرعد القاصف ، وأعينهما كالبرق الخاطف ، وأنيابهما كالصياصى⁽²¹⁰⁾ ، يخرج لهب النار من أفواههما ، ومناخرهما

(٤٢٦) حديث ضعيف . سبق تخريجه برقم (٤٢٠) .

(٤٢٧) حديث ضعيف جداً . أورده بصيغة التضعيف ، وفى سنده الضحاك لم يلق ابن عباس ، وابن سليمان لم أقف عليه .

210 - الصياصى : الصيصة : قرن البقر ونحوه .

ومسامعهما ، ويكسحان الأرض بأشعارهما ، ويحفران الأرض بأظفارهما ، مع كل واحد منهما عمود من حديد ، لو اجتمع عليه من فى الأرض ما حركوه ، يأتیان الإنسان إذا وضع فى قبره وترك وحيداً يسلكان روحه فى جسده بإذن الله تعالى ثم يقعدانه فى قبره فينتهرانه انتهاراً يتوقع منه عظامه وتزول أعضاؤه من مفاصله فيخر مغشياً عليه ، ثم يقعدانه فيقولان له : إنك فى البرزخ فاعقل حالك واعرف مكانك وينتهرانه ثانية ، ويقولان : يا هذا ذهبت عنك الدنيا وأفضيت إلى معادك فأخبرنا من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فإن كان مؤمناً بالله لقنه الله حجته ، فيقول : الله ربي ، ونبيى محمد ، ودينى الإسلام ، فينتهرانه عند ذلك انتهاراً يرى أن أوصاله تفرقت وعروقه قد تقطعت ويقولان له : يا هذا تثبت انظر ما تقول فيثبته الله عنده بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويلقنه الأمان ويدراً عنه الفزع ، فلا يخافهما ، فإذا فعل ذلك بعبده المؤمن استأنس إليهما وأقبل عليهما بالخصومة يخاصمهما ويقول : تهدداني كيما أشك فى ربي وتريدان أن أتخذ غيره ولياً وأنا أشهد أن لا إله إلا الله . وهو ربي وربكما . ورب كل شيء ونبيى محمد ودينى الإسلام ؟ ثم ينتهرانه ويسألانه عن ذلك فيقول : ربي الله فاطر السموات والأرض ، وإياه كنت أعبد ولم أشرك به شيئاً ولم أتخذ غيره أحداً رباً أفتريدانى أن ترادنى عن معرفة ربي وعبادتي إياه ؟ نعم هو الله الذى لا إله إلا هو . قال : فإذا قال ذلك ثلاث مرات مجاوبة لهما تواضعا له حتى يستأنس إليهما أنس ما كان فى الدنيا إلى أهل وده ويضحكان إليه ويقولان له : صدقت وبررت أقر الله عينيك وثبتك أبشر بالجنة وبكرامة الله ثم يدفع عنه قبره هكذا وهكذا فيتسع عليه مد البصر ويفتحان له باباً إلى الجنة فيدخل عليه من روح الجنة وطيب ريحها ونضرتها فى قبره ما يتعرف به كرامة الله تعالى ، فإذا رأى ذلك استيقن بالفوز فحمد الله ، ثم يفرشان له فراشاً من

إستبرق الجنة ويضعان له مصباحاً من نور عند رأسه ومصباحاً من نور عند رجليه يزهران في قبره ، ثم تدخل عليه ريح أخرى ، فحين يشمها يغشاه النعاس فينام فيقولان له ارقد رعدة العروس قرير العين لا خوف عليك ولا حزن . ثم يثلان عمله الصالح في أحسن ما يرى من صورة ، وأطيب ريح فيكون عند رأسه ، ويقولان : هذا عملك وكلامك الطيب قد مثله الله لك في أحسن ما ترى من صورة وأطيب ريح ليؤنسك في قبرك فلا تكون وحيداً ، ويدراً عنك هوام الأرض وكل دابة وكل أذى فلا يخذلك في قبرك ولا في شيء من مواطن القيامة حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى ، فثم سعيداً طوبى لك وحسن مآب ، ثم يسلمان عليه ويطيران عنه» وذكر الحديث وما يلقي الكافر من الهوان الشديد والعذاب الأليم وحسبك بما تقدم.

قلت : وهذا الحديث وإن كان في إسناده مقال لأنه يروى عن عمرو ابن سليمان عن الضحاك بن مزاحم ، فهو حديث مرتب على أحوال مبينة ومحتوي على أمور مفسرة .

٤٢٨ - فصل : قوله : « أتاك فتانا القبر منكرو ونكير » .

إنما سميا فتاناً القبر لأن في سؤالهما انتهاراً ، وفي خلقهما صعوبة ، ألا ترى أنهما سميا منكراً ونكيراً ؟ فإنما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق آدميين ، ولا خلق الملائكة ، ولا خلق الطير ، ولا خلق البهائم ، ولا خلق الهوام ، بل هما خلق بديع وليس في خلقتهما أنس للناظرين إليهما ، جعلهما الله تكملة للمؤمن يشبهه وينصره ، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب قاله أبو عبد الله الترمذى .

٤٢٩- فصله : إن قال قائل : كيف يخاطب الملكان جميع الموتى وهم مختلفو الأماكن ، متباعدو القبور في الوقت الواحد ، والجسم الواحد لا يكون في المكانين في الوقت الواحد وكيف تنقلب الأعمال أشخاصاً وهي في نفسها أعراض ؟

فالجواب عن الأول : ما جرى ذكره في هذا الخبر من عظم جثتيهما فيخاطبان الخلق الكثير الذين في الجهة الواحدة منهم في المرة الواحدة : مخاطبة واحدة ، يخيل لكل واحد أن المخاطب هو دون من سواه ويكون الله يمنع سمعه من مخاطبة الموتى لهما ويسمع هو مخاطبتهما أن لو كانوا معه في قبر واحد ، وقد تقدم أن عذاب القبر يسمعه كل شيء إلا الثقلين . والله سبحانه وتعالى يسمع من يشاء وهو على كل شيء قدير .

والجواب عن الثاني : أن الله (تعالى) يخلق من ثواب الأعمال أشخاصاً حسنة وقبيحة . لا أن العرض نفسه ينقلب جوهرًا إذ ليس من قبيل الجواهر . ومثل هذا ما صح في الحديث : « أنه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف على الصراط فيذبح » ومحال أن ينقلب الموت كبشاً لأن الموت عرض وإنما المعنى أن الله سبحانه يخلق شخصاً يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار . وهكذا كلما ورد عليك في هذا الباب التأويل فيه ما ذكرت لك . والله سبحانه أعلم ، وسيأتى له مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

(٤٢٩) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ، ومسلم (٢٨٤٩) ، وأحمد (٣) / ٩ ، والترمذي (٢٥٦١) ، والدارمي (٣٢٩ / ٢) في سننه ، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه .

تنبيه : لا مانع أن ينشئ الله عز وجل من الأعراض أجساداً يجعلها مادة فهو على كل شيء قدير ، وذبح الموت على حقيقته ، والإيمان بذلك واجب .

باب اختلاف الآثار في سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

٤٣٠- جاء في حديث البخارى ، ومسلم : « أنه يفسح له سبعون ذراعاً » وفي الترمذى : « سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً » وفي حديث البراء : « مد البصر » وخرج على بن معبد عن معاذة قالت : قلت لعائشة رضى الله عنها : ألا تخبريننا عن مقبورنا ما يلقي وما يصنع به ؟ فقالت : إن كان مؤمناً ففسح له في قبره أربعون ذراعاً .

قلت : وهذا إما يكون بعد ضيق السؤال وأما الكافر فلا يزال قبره عليه ضيقاً . فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

٤٣١- سمعت بعض علمائنا يقول : إن حفاراً كان بقرافة مصر يحفر القبور ، فحفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها غشيه النعاس ، فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقاً على أحد الأقبر . فقال أحدهما لصاحبه اكتب فرسخاً في فرسخ ، ثم وقفا على الثانى فقال أحدهما : اكتب ميلاً في ميل . ثم وقفا على الثالث ، فقال : اكتب فترا في فتر . ثم انتبه فجىء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول ثم جىء برجل آخر فدفن في القبر الثانى . ثم جىء بامرأة مترفة من وجوه أهل البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذى سعته فترا في فتر . الفتر : ما بين الإبهام والسبابة . نعوذ بالله من ضيق القبر وعذابه .

(٤٣٠) سبق تخريجه .

(٤٣١) فيه جهالة شيوخ المصنف ، والمنامات لا يبنى عليها أى أحكام .

وقد أخرجه ابن أبى الدنيا بسنده ، وفيه جهالة الراوى أيضاً ، انظر : أهوال القبور (ص / ٢٣) .

باب ما جاء في عذاب القبر وأنه حق وفي اختلاف عذاب الكافرين وفي قبورهم وضيقها عليهم

٤٣٢- قال الله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا﴾ (211) قال أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود: ضنكا قال: عذاب القبر. وقيل في قوله عز وجل: ﴿وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك﴾ (212) هو: عذاب القبر، لأن الله (تعالى) ذكره عقب قوله: ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ (213) وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا فدل على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر وكذلك قال ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (214) لأنه غيب وقال ﴿وحاق بالفرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ (215) فهذا عذاب القبر في البرزخ، وسيأتي. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كلا سوف

(٤٣٢) خبر صحيح. أخرجه هناد (٣٥٢) في الزهد، والطبري (١٦ / ١٦٥) في تفسيره، والطبراني (٩ / ٢٦٦) في الكبير، والبيهقي (٧٥) في عذاب القبر كلهم عن ابن مسعود.

وأخرجه الطبري (١٦ / ١٦٥) في تفسيره، والبيهقي (٧٤) عن أبي سعيد الخدري وكذا عبد الرزاق (٦٧٤١) وسنده صحيح.

211- سورة: طه من الآية: ١٢٤.

212- سورة: الطور من الآية: ٤٧.

213- سورة: الطور من الآية: ٤٥.

214- سورة: الأنفال من الآية: ٣٤.

215- سورة: غافر من الآيتين: ٤٥، ٤٦.

تعلمون ﴿٢١٦﴾ ما ينزل بكم من العذاب في القبر ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ (٢١٧) : في الآخرة إذا حل بكم العذاب، فالأول في القبر، والثاني في الآخرة فالتكرير للحالتين .

٤٣٣- وروى زر بن حبیش عن علي - رضی الله عنه - قال : كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة ﴿ألهاكم التكاثر* حتى زرتم المقابر* كلا سوف تعلمون﴾ (٢١٨) يعني في القبور . وقال أبو هريرة : يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وهو المعيشة الضنك .

٤٣٤- وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون فيمن نزلت هذه الآية ؟ ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (٢١٩) أتدرون ما المعيشة الضنك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «عذاب الكافر في القبر ، والذي نفسى بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية ، لكل حية تسعة رؤس ينفخن في جسمه ، ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم القيامة ويحشر من قبره إلى موقفه أعمى» .

216- سورة : التكاثر الآية : ٣ .

217- سورة : التكاثر الآية : ٤ .

(٤٣٣) خبر حسن . أخرجه الترمذی (٣٤١٣) ، وقال : حديث غريب ، والطبري

(٣٠ / ١٨٣ - ١٨٤) في تفسيره والبيهقي (٢٤٧) في عذاب القبر .

218- سورة : التكاثر الآيات : ١ : ٣ .

(٤٣٤) حديث ضعيف . أخرجه ابن حبان (٣١١٢) ، والبيهقي (٨٠) وانظر التعليق

التالي .

219- سورة : طه من الآية : ١٢٤ .

٤٣٥- وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يسלט على الكافر في قبره تسعة وتسعون تيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبت خضراً ».

٤٣٦- وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص موقافاً : « ثم يؤمر به -يعنى الكافر- فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات كأمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحماً وترسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بفطاطيس^٢ » الحديث وقد تقدم .

٤٣٧- فصل : لا تظن - رحمك الله - أن هذا معارض للحديث المرفوع : « أنه يسלט على الكافر أعمى أصم » فإذا أحوال الكفار تختلف ، منهم من يتولى عقوبته واحد . ومنهم من يتولى عقوبته جماعة . وكذلك فلا تناقض بين هذا وبين أكل الحيات لحمه ، فإنه يمكن أن يتردد بين هذين العذابين كما قال تعالى : ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن⁽²²⁰⁾ ﴾ فمرة يطعمون الزقوم⁽²²¹⁾ ، وأخرى يسقون الحميم ، ومرة يعرضون على النار ، وأخرى على الزمهرير⁽²²²⁾ ، أجارنا الله من عذاب القبر ، ومن عذاب النار برحمته وكرامته . وآخر يفرش له لوحان

(٤٣٥) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٣ / ٣٨) ، وابن أبي شيبة (١٣ / ١٧٥) في مصنفه ، وابن حبان (٣١١١) ، والبيهقي (٨٠) في عذاب القبر ، والآجزي (ص / ٣٥٩) في الشريعة من رواية دراج أبي السمح عن أبي الهيثم وهي نسخة ضعيفة .

(٤٣٦) انظر رقم (٤١٦) .

^٢ فطاطيس : جمع فطيس ، والمراد هنا : المطرقة العظيمة .

(٤٣٧) سبق تخريجه .

220 — سورة الرحمن الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

221 — الزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة طعام أهل النار .

222 — الزمهرير : شدة البرد .

من نار.

٤٣٨- وآخر يقال له : نم نومة المنهوس . كما أخرجه على بن معبد
عن أبي حازم عن أبي هريرة موقوفاً قال : « إذا وضع الميت في قبره أتاه آت
من ربه فيقول له : من ربك ؟ فإن كان من أهل التثبيت ؟ ثبت . وقال : الله
ربى ثم يقال له : ما دينك ؟ فيقول : الإسلام فيقول : من نبيك ؟ فيقول :
محمد ﷺ فيرى بشراه ويشر . فيقول : دعوني أرجع إلى أهلى
فأبشرهم . فيقال له : نم قرير العين إن لك إخواناً لم يلحقوا . وإن كان من غير
أهل الحق والتثبيت قيل له : من ربك ؟ فيقول : هاه ، كالواله ، ثم يضرب
بمطراق يسمع صوته الخلق إلا الجن والإنس . ويقال له : نم كنومة المنهوس » .
قال أهل اللغة : المنهوس بالسين المهملة : الملسوع ، نهسته الحية تنهسه ،
قال الراجز :

وذا قرين طحون الضرس تنهس لو تمكنت من نهس
تدير عينا كشهاب القبس ✖

والمنهوس مرة ينتبه لشدة الألم عليه ، ومرة ينام كالغمى عليه قال
الناطقة :

فبت كائن ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع (223)
تسهّد من ليل التمام سليمها كحلى النساء فى يديها قعاقع (224)
يادرها الراقون (225) من سوء سمها تطلقه طورا وطورا تراجع

(٤٣٨) خير حسن . أخرجه ابن منده من نس الطريق ، كما فى أهوال القبور (٧١) (٧٢)
مرفوعا ، وموقوفاً والموقوف أصح ، وله حكم الرفع .

223- ساورتى : واثبتنى وأصابتنى . ضئيلة : حبة صغيرة الحجم لكبر سنّها وشدة سمها .
الرقش : جمع رقشاء ، وهى الحية فيها نقط سود ويض .
السم الناقع : أى بالغ الأذى ، شديد القتل .

224- تسهّد : تأرق وقل نومه . والسليم : الذى لدغته العقرب ، وهو من الأضداد .
قعاقع : صوت الحلى .

225- الراقون : جمع راق ، وهو من يقرأ الرقية على غيره .

باب منه في عذاب الكافر في قبره

٤٣٩- ذكر الوائلي الحافظ في كتاب (الإبانة) له ، من حديث مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر ، قال : بينا أنا أسير بجنبات بدر إذ خرج رجل من الأرض في عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود . فقال يا عبد الله اسقني . فقال ابن عمر : لا أدري أعرف اسمي أو كما يقول الرجل : يا عبد الله ؟ فقال لي الأسود : لا تسقه فإنه كافر ، ثم اجتذبه فدخل به الأرض . قال ابن عمر : فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « أو قد رأيته ؟ ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام ، وهو عذابه إلى يوم القيامة » .

باب ما يكون منه عذاب القبر

واختلاف أحوال العطاة فيه بحسب اختلاف

مخاطبهم

٤٤٠- أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أكثر عذاب القبر من البول » .

٤٤١- والبخاري ومسلم عن ابن عباس قال : مر النبي ﷺ على قبرين

(٤٣٩) حديث ضعيف . رواه الطبراني في « الأوسط » ، وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة ، وهو ضعيف ، قاله الهيثمي في المجمع (٣ / ٥٧) .
وقال الهيثمي أيضا (٨ / ٦٠) : رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفه .
وأخرجه ابن أبي الدنيا في « القبور » واللالكائي في « السنة » ، وابن منده كما في شرح الصدور (ص / ١٦٣) .

(٤٤٠) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٣٢٦ ، ٣٨٨) ، وابن أبي شيبة (١ / ١٢٢) وابن ماجه (٣٤٨) ، والحاكم (١ / ١٨٣) وصححه ، وأقره الذهبي والدارقطني (١ / ١٢٨) في سننه ، والبيهقي (٢ / ٤١٢) في سننه الكبرى ، وفي عذاب القبر (١٣٤) .
(٤٤١) سبق تخريجه .

فقال : «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله» فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا .

٤٤٢- وفي رواية : « كان لا يستنزه عن البول أو من البول » رواهما مسلم .

٤٤٣- وفي كتاب أبي داود : « وكان لا يستنثر من بوله » .

٤٤٤- وفي حديث هناد بن السرى « لا يستبرى من البول » من الاستبراء ، وقال البخارى : « وما يعذبان في كبير وإنه لكبير »

٤٤٥- وأخرجه أبو داود الطيالسى عن أبي بكرة قال : بينما أنا أمشى مع رسول الله ﷺ ومعى رجل ورسول الله ﷺ بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن فى قبورهما فأيكما يأتينى من هذا النخل بعسيب ؟ فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت من النخل عسيباً ، فأتيت النبى ﷺ فشقه نصفين من أعلاه فوضع على إحدهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً . وقال : «إنه يهون عليهما ما دام من بلولتهما شىء» إنهما يعذبان فى الغيبة والبول .»

(٤٤٢) حديث صحيح لغيره أخرجه الطيالسى (٨٦٧) ، وأحمد (٥ / ٣٩) ، وابن ماجه (٣٤٩) ، وابن أبى شيبه (٣ / ٢٥٢) فى مصنفه ، والبيهقى (١٣٨) فى عذاب القبر وفى سنده انقطاع بين بحر بن مرار البكرى ، وأبى بكرة ، وأخرجه أحمد (٥ / ٣٥) والبيهقى (١٣٨) فى عذاب القبر وسنده حسن ، وله شواهد .

٤٤٦- قال المؤلف : هذا الحديث والذي قبله يدل على التخفيف إنما هو بمجرد نصف العسيب ما دام رطباً لا زيادة معه ، وقد خرجه مسلم من حديث جابر الطويل ، وفيه : فلما انتهى إلى قال : « يا جابر هل رأيت مقامي؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك » قال جابر : فقامت فأخذت حجراً فكسرتة وحسرتة فاندلق لي ، فأتيت الشجرتين فقطعت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ فأرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري ، ثم لحقته ، فقلت : قد فعلت ذلك يا رسول الله ، فعند ذاك قال : « إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين » .

ففي هذا الحديث زيادة على رطوبة الغصن وهي : شفاعته ﷺ ، والذي يظهر لي أنهما قضيتان مختلفتان لا قضية واحدة ، كما قال من تكلم على ذلك ، ويدل عليهما سياق الحديث ، فإن في حديث ابن عباس وأبي بكرة عسيباً واحداً شقه النبي ﷺ بيده نصفين وغرسهما بيده ، وحديث جابر بخلافهما ولم يذكر فيه ما يعذب بسببه .

٤٤٧- وقد خرج أبو داود الطيالسي حديث ابن عباس : فقال : حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتى على قبرين فقال : « إنهما ليعذبان في غير كبير ، أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ، وأما الآخر فكان صاحب نميمة ثم دعا بجريدة فشقه نصفين فوضع نصفاً على هذا القبر ، ونصفاً على هذا القبر . وقال : عسى أن يخفف

(٤٤٦) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٣٠١٢) ، والبيهقي (٦ / ٨) في دلائل النبوة

(٤٤٧) سبق تخريجه .

عنهما ما دامتا رطبتين» ثم قيل : يجوز أن يكونا كافرين ، وقوله : «إنهما ليعذبان (وما يعذبان) في كبير» يريد بالإضافة إلى الكفر والشرك ، وأما إن كانا مؤمنين فقد أخبرك أنهما يعذبان بشيء كان منهما ليس بكفر لكنهما لم يتوبا منه ، وإن كانا كافرين فهما يعذبان في هذين الذنوبين زيادة على عذابهما بكفرهما وتكذيبهما وجميع خطاياهما ، وإن يكونا كافرين أظهر والله أعلم . فإنهما لو كانا مؤمنين لعلمنا لقرب العهد بتدافن المسلمين يومئذ . وقاله ابن بركان في كتاب الإرشاد الهادي إلى التوفيق والسداد .

قلت : والأظهر أنهما كانا مؤمنين وهو ظاهر الأحاديث والله أعلم .

٤٤٨- الطحاوي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : «أمر بعبد من عباد الله عز وجل أن يعذب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلاً قبره عليه ناراً ، فلما ارتفع عنه أفاق فقال : لماذا جلدتموني ؟ قال : إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت على مظلوم فلم تنصره»

(٤٤٨) حديث ضعيف جداً . أخرجه الطحاوي في المشكل (٤ / ٢٣١) وعنه ابن عبد البر في التمهيد (٤ / ٢٣٩) من طريق حفص بن سليمان القارئ عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود وقد تحرف حفص إلى جعفر وهو قبيح فليصحح وفيه القارئ ، ابن سليمان من المتروكين كما في الميزان (١ / ٥٥٨) .
ولذا قال ابن رجب في الأحوال (ص / ٥٠) : رويناه من طريق حفص القارئ وهو ضعيف جداً .

٢- وأخرجه أبو الشيخ في «التوبيخ» مرفوعاً كذلك كما في شرح الصدور (ص / ١٦٥) .

٣- وأخرجه هناد (٣٦٢) في الزهد ، وعبد الرزاق (٦٧٥٢) ، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٤٤) من كلام عمر بن شرحبيل ، ورجاله ثقات ، ولكنه يرويه أبو إسحاق السبيعي معنعناً ، وهو مدلس .
وهو أحسن حالاً من المرفوع .

٤٤٩ - البخارى عن سمرة بن جندب قال : كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه ، فقال : « من رأى منكم الليلة رؤيا؟ » قال : فإن رأى أحد رؤيا قصها ، فيقول ما شاء الله ، فسألنا يوماً فقال : « هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ » قلنا : لا . قال : « لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذنا بيدي فأخرجانى إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله فى شذقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشذقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شذقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت : ما هذا ؟ قال : انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه ، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق ليأخذه فما يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه . قلت : ما هذا ؟ قال : انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا ، فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة ، فقلت : ما هذا ؟ قال : انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فردده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج ، رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت : ما هذا ؟ قال : انطلق فانطلقنا ، حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان . وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة وأدخلانى داراً لم أرقط أحسن منها فيها شيوخ وشباب ونساء وصبيان ، ثم أخرجانى منها فصعدا بى

(٤٤٩) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٩ / ٥٦) ، وأحمد (٥ / ٨) ، وابن أبى شيبه (١١ / ٦٢ - ٦٦) فى مصنفه ، والبغوى (٨ / ٥٠) فى شرح السنة ، والطبرانى (٦٩٨٤) ، (٦٩٨٥) ، (٦٩٨٦) ، (٦٩٩٠) فى الكبير ، وابن الجوزى (٤٢) فى الملق .

الشجرة ، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل ، فيها شيوخ وشباب قلت : طوفتmani الليلة فأخبراني عما رأيت ، قالاً : نعم الذي رأيت يشق شدة : فكذاب يحدث بالكذب ، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة والذي رأيته يشدخ رأسه : فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار . يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذين رأيتهم في الثقب فهم الزناة ، والذي رأيته في النهر آكل الربا ، والشيخ في أصل الشجرة : إبراهيم والصبيان حوله : فأولاد الناس . والذي يوقد النار : مالك خازن النار ، والدار الأولى : دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار : فدار الشهداء ، وأنا جبريل ، وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقى مثل السحاب ، قالاً : ذلك منزلك ، فقلت : دعاني أدخل منزلي . قال : إنه بقي لك عمر ، ولم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك » .

٤٥٠- فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا أبين في أحوال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري ، وإن كان مناماً فمنايات الأنبياء عليهم (الصلاة و) السلام وحى ، بدليل قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ فأجابه ابنه ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ (226) وأما حديث الطحاوي فنص أيضاً وفيه رد على الخوارج ، ومن يكفر بالذنوب ، قال الطحاوي : وفيه ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر ، لأن من صلى صلاة بغير طهور : فلم يصل ، وقد أجيبت دعوته ، ولو كان كافراً ما سمعت دعوته لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ (227) وأما حديث البخاري ومسلم فيدل على أن

226- سورة : الصافات من الآية : ١٠٢ .

227- سورة : الرعد من الآية : ١٤ .

الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب ، إذ لا يعذب الإنسان إلا على ترك الواجب ، وكذلك إزالة جميع النجاسات قياساً على البول ، وهذا قول أكثر العلماء ، وبه قال ابن وهب ورواه عن مالك وهو الصحيح في الباب ومن صلى ولم يستنثر فقد صلى بغير طهور

٤٥١- تنبيه غلط : ذكر بعض أصحابنا - فيما نقل إلينا عنه - أن القبر الذي غرس عليه النبي ﷺ العسيب ، وهو قبر سعد بن معاذ ، وهذا باطل ، وإنما صح أن القبر ضغطه كما ذكرنا ثم فرج عنه ، وكان سبب ذلك ما رواه يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد : ما بلغكم في قول رسول الله ﷺ هذا ؟ قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال : « كان يقصر في بعض الطهور من البول ».

٤٥٢- وذكر هناد بن السرى ، حدثنا ابن فضيل عن أبي سفيان عن الحسن قال : أصاب سعد بن معاذ جراحة فجعله النبي ﷺ عند امرأه تدأويه ، فقال : إنه مات من الليلة فأتاه جبريل فأخبره : لقد مات الليلة فيكم رجل ، لقد اهتز العرش لحب لقاء الله إياه ، هو سعد بن معاذ قال : فدخل رسول الله

(٤٥١) حديث ضعيف أخرجه الحكيم الترمذى كما فى النوادر (ص / ١٦٠) ، والبيهقى (٤ / ٤٠) فى دلائل النبوة وفى عذاب القبر (١٢٧) .
فيه جهالة شيخ أمية بن عبد الله ، وهو من آل سعد .
(٤٥٢) حديث ضعيف ، وإسناده مرسل أخرجه هناد (٣٥٧) فى الزهد وهو مرسل ، وقد أخرجه ابن سعد (٣ / ٢٩٦) من حديث ابن عمر ، ولكن فى روايته ابن السائب ، والراوى عنه محمد بن الفضيل ، وقد قال أبو حاتم : ما روى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب ، رفع أشياء كان يروىها عن التابعين ، ورفعها إلى الصحابة ، انظر : التهذيب (٧ / ٢٠٥) .
وعليه فلا يصلح هذا المرفوع للاستشهاد به .

ﷺ في قبره فجعل يكبر ويهلل ويسبح ، فلما خرج قيل له : يا رسول الله ما رأيك صنعت هكذا قط . قال : « إنه ضم في القبر ضمة حتى صار مثل الشعرة فدعوت الله تعالى أن يرفه عنه وذلك أنه كان لا يستبرئ من البول » وقال السالمى أبو محمد عبد الغالب فى كتابه ، وأما الأخبار فى عذاب القبر فبالغة مبلغ الاستفاضة ، منها قوله ﷺ فى سعد بن معاذ : « لقد ضغطته الأرض ضغطة اختلفت لها ضلوعه » . قال أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم فلم ننقم من أمره شيئاً إلا أنه كان لا يستنزه فى أسفاره من البول . قلت : فقوله ﷺ : « ثم فرج عنه » دليل على أنه جوزى على ذلك التقصير منه . لا أنه يعذب بعد ذلك فى قبره ، هذا لا يقوله أحد إلا شك مرتاب فى فضله وفضيلته ونصحه ونصيحته رضى الله عنه أترى من اهتز له عرش الرحمن وتلقت روحه الملائكة الكرام فرحين بقدمها عليهم ، ومستبشرين بوصولها إليهم يعذب فى قبره ، بعد ما فرج عنه ؟ هيهات (228) هيهات .. لا يظن ذلك إلا جاهل بحقه غبى بفضيلته وفضله رضى الله عنه وأرضاه ، وكيف يظن ذلك وفضائله شهيرة ، ومناقبه كثيرة ! خرجها البخارى ومسلم وغيرهما ، وهو الذى أصاب حكم الرحمن فى بنى قريظة من فوق سبع سموات ، أخبر بذلك رسول الله ﷺ فى البخارى ومسلم وغيرهما .

باب منه

٤٥٣- البيهقى عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أبى هريرة، عن

228- هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد .

(٤٥٣) حديث ضعيف . أخرجه ابن جرير (١٥ / ٦ - ١٠) فى تفسيره ، والبيهقى فى

دلائل النبوة (٢ / ٣٩٧ - ٤٠٣) ، وفيه أبو جعفر الرازى ، وهو فى عداد الضعفاء .

١- وأخرجه البزار كما فى المجمع (١ / ٦٧) ، وأبو يعلى ، ومحمد بن نصر المروزى فى

كتاب « الصلاة » وابن أبى حاتم ، وابن عدى ، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٤ / ١٤٢) .

النبى ﷺ في هذه الآية ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾ (229) قال : أتى بفرس فحمل عليه . قال : كل خطوة منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل ، فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال المهاجرون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمئة ضعف ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ (230) ثم أتى على قوم ترضخ (231) رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك . فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تتشاغل رؤوسهم عن الصلاة ، قال : ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أديبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها . قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أياديهم لحم فى قدر نضيج ، ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب ، فقال يا جبريل : من هؤلاء ؟ قال : هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالاً طيباً فيأتى المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يصبح . ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر به شيء إلا قصفته . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : يقول الله عز وجل : ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ (232) ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها

229- سورة :الإسراء الآية : (١) .

230 - سورة :سبأ من الآية : ٣٩ .

231- تروض رؤوسهم : تكسر بالحجارة التى تلقى عليها .

332- سورة : الأعراف من الآية : ٨٦ .

قال يا جبريل ما هذا؟ قال : هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها . ثم أتى على قوم تقرر ضفافهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم شيء من ذلك . قال : يا جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع قال : ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الرجل يتكلم الكلمة فيندم عليها فيريد أن يردّها فلا يستطيع . وذكر الحديث .

٤٥٤- وخرج من حديث أبي هارون العبدى ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى ﷺ أنه قال له أصحابه : يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أسرى بك « الحديث » وفيه قال : « فصعدت أنا وجبريل فإذا بملك يقال له : إسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا : وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف ملك قال : وقال الله تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ (233) فاستفتح جبريل ، ثم قال : فإذا أنا بآدم كهيعتة يوم خلقه الله على صورته ، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة ونفس طيبة ، اجعلوها فى عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة ، اجعلوها فى سجين ، ثم مضت هنيهة فإذا أنا بأخونة - يعنى بالخوان : المائة التى يؤكل عليها - وعليها لحم مشرح ليس يقربها أحد ، وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن ، عندها ناس يأكلون منها ،

(٤٥٤) حديث ضعيف . أخرجه ابن جرير (١٥ / ١٠ - ١٢) فى تفسيره ، والبيهقى فى الدلائل (٢ / ٣٩٠ - ٣٩٦) .

وأخرجه ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وابن عساكر فى تاريخه كما فى الدر المنثور (٤ / ١٤٢) .

233- سورة : المائدة من الآية : ٣١ .

قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام ، قال : ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول : اللهم لا تقم الساعة . قال : وهم على سابلة آل فرعون . قال : فتجيء السابلة فتطؤهم قال : فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل . قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾⁽²³⁴⁾ قال : ثم مضيت هنيهة . فإذا أنا بأقوام مشافرههم⁽²³⁵⁾ كمشافر الإبل . قال : فيفتح على أفواههم ويلقمون ذلك الجمر ، ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك ﴿ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾⁽²³⁶⁾ قال : ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بنساء معلقات بشديهن فسمعتهن يضجن إلى الله عز وجل ، قلت : يا جبريل من هؤلاء النساء ؟ قال : هؤلاء الزناة من أمتك . قال : ثم مضيت هنيهة . فإذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون . فيقال له : كل ما كنت تأكل من لحم أخيك . قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون⁽²³⁷⁾ اللمازون⁽²³⁸⁾ من أمتك . (وذكر الحديث) .

234- سورة: البقرة من الآية : ٢٧٥ .

235- مشافر : جمع مشفر وهى : شفة البعير الغليظة ، والمراد أن شفاههم مثل مشافر الإبل

236- سورة: النساء من الآية : ١٠ .

237- الهمازون : الذين يقعون فى أعراض الناس فى غيبتهم .

238- اللمازون : العيايون للناس فى حضرتهم .

٤٥٥- وذكر أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :
لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم
وصدورهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : الذين يأكلون لحوم الناس
ويقعون في أعراضهم » .

باب ما جاء في بشرى المؤمن في قبره

٤٥٦- قال كعب الأحبار : إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته
أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجله : فتقول الصلاة :
إليك من قبل رأسه . فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه . فقد
أطال ظمأه لله - عز وجل - في دار الدنيا ، فيأتون من قبل جسمه فيقول
الحج والجهاد : إليك من قبل يديه ، فيأتون من قبل وجهه - عز وجل -
لا سبيل لكم عليه . فيأتون من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا
عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين ، حتى وقعت في يد
الله - عز وجل - ابتغاء لوجهه ، فلا سبيل لكم عليه . قال : فيقال له : نم
هنيئاً ، طبت حياً ، وطبت ميتاً .

قلت : هذا لمن أخلص لله في عمله وصدق الله في قوله وفعله
وأحسن نيته له في سره وجهه ، فهو الذى تكون أعماله حجة له ، ودافعة
عنه فلا تعارض بين هذا الباب ، وبين ما تقدم من الأبواب . فإن الناس مختلفو
الحال في خلوص الأعمال والله أعلم .

(٤٥٥) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣ / ٢٢٤) ، وأبو داود (٤٨٥٧) ، وابن أبي
الدنيا (١٦٥) فى الصمت ، وأبو الشيخ فى التوبخ (٢٠٥) ، والخراطى (١٩٣) فى مساوى
الأخلاق ، وابن الجوزى (٧) فى الملقق .
(٤٥٦) أخرجه ابن أبى الدنيا فى « القبور » كما ذكر ابن رجب فى الأحوال (ص / ٣٢) .

باب ما جاء في التعويض من عذاب القبر وفتنته

٤٥٧ - النسائي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : دخل على رسول الله ﷺ وعندى امرأة من اليهود وهى تقول : إنكم تفتنون فى القبور ، فارتاع رسول الله ﷺ وقال : « إنما يفتن يهود » قالت عائشة : فلبثنا ليلالى . ثم قال رسول الله ﷺ : « هل شعرت أنه أوحى إلى : أنكم تفتنون فى القبور ؟ » قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ يستعيز من عذاب القبر .

٤٥٨ - وروى الأئمة عن أسماء عنه ﷺ أنه قال : « وإنه قد أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور قريباً ، أو مثل فتنة الدجال لا أدرى أى ذلك ؟ قالت أسماء : يؤتى بأحدكم فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن إلا أدرى أى ذلك قالت أسماء فيقول : « هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا » ثلاث مرات ، ثم يقال له : « نعم قد نعلم أنك لتؤمن به فتم صالحاً . وأما المنافق أو المرتاب فيقول : لا أدرى أى ذلك ؟ » قالت أسماء : « فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت » لفظ مسلم .

٤٥٩ - وخرج البخارى عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يدعو : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر . ومن عذاب النار ومن فتنة

(٤٥٧) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٥٨٤) ، وأحمد (٦ / ٨٩ ، ٢٤٨) ، والنسائي (٤ / ١٠٤ - ١٠٥) ، والبيهقى (١١٤) فى عذاب القبر .

(٤٥٨) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٣٧٣) ، وأحمد (٦ / ٣٤٥) ، وابن أبى شيبه (٣ / ٣٧٥) ، وأبو عوانة (١ / ١٥١) ، والنسائي (٤ / ١٠٤) والبيهقى (١١٥) فى عذاب القبر .

(٤٥٩) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٣٧٧) ، ومسلم (٥٨٨) ، وأحمد (٢ / ٥٢٢) ، وأبو داود (٩٨٣) ، والنسائي (٤ / ١٠٣) ، وابن حبان (٢ / ١٧٩) ، والبيهقى (٢٠٧) فى عذاب القبر ، وابن أبى عاصم (٨٦٩) فى السنة .

الحيا والممات . ومن فتنة المسيح الدجال » والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً أخرجها الأئمة الثقات .

باب ما جاء أن البهائم تسمح عذاب القبر

٤٦٠- مسلم عن زيد بن ثابت قال : بينما النبي ﷺ في حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ جاء به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة كذا كان الحريرى يقول : فقال : « من يعرف أصحاب هذه الأقبير ؟ » فقال رجل : أنا . قال : « فمتى مات هؤلاء ؟ » قال : ماتوا في الإشرار . فقال : « إن هذه الأمة تبلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع » .

٤٦١- وخرج أيضاً عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخلت على عجوزان من عجائز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما ، فخرجتا ودخل على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إن عجوزين من عجائز يهود المدينة قالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قال النبي ﷺ « صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم » قالت : فما رأيت بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر . خرجه البخارى أيضاً وقال : « تسمعه البهائم كلها » .

٤٦١م - وخرج هناد السرى فى زهده ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ،

(٤٦٠) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٨٦٧) ، وأحمد (١٩٠ / ٥) ، وابن أبى شيبه (٣٧٣ / ٣) ، وابن أبى عاصم (٨٦٨) فى السنة ، والبيهقى (١٣٦١) فى شرح السنة ، والطبرانى (٤٧٨٤) فى الكبير والبيهقى (١٠٢) فى عذاب القبر .
(٤٦١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٦٣٦٦) ، ومسلم (٥٨٦) ، والنسائى وأحمد (٦١ / ٦) ، والبيهقى (١٩٠) ، (١٩١) ، (١٩٢) ، (١٩٣) فى عذاب القبر ، وابن الجوزى (٧٩) فى الملقق .

(٤٦١م) حديث صحيح . أخرجه هناد (٣٤٧) ، (٣٤٨) فى الزهد ، ومسلم (٥٨٦) ، وأحمد (٦١ / ٤٤ ، ٢٠٥) ، والآجرى فى الشريعة (٣٥٩) .

عن شفيق ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت عليّ يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها .

فدخل النبي ﷺ على فذكرت ذلك له ، فقال النبي ﷺ : « والذي نفسى بيده إنهم ليعذبون فى قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم » .

٤٦٢- فصل : قال علماؤنا : وإنما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذبين وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله عليه الصلاة والسلام : « لولا أن لا تدافنوا » (الحديث) . فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية لغلبة الخوف عند سماعه ، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن أو يهلك الحى عند سماعه . إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله فى هذه الدار ، لضعف هذه القوى ، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف ، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس ، وأين صعقة الرعد من صيحة الذى تضربه الملائكة بمطارق الحديد التى يسمعها كل من يليه ؟ وقد قال ﷺ فى الجنازة : « ولو سمعها إنسان لصعق » .

قلت : هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان . فكيف إذا حل به الخزى والنكال واشتد عليه العذاب والوبال ؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنه .

٤٦٣- حكاية : قال أبو محمد عبد الحق : حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برجان - وكان من أهل العلم والعمل - رحمه الله - أنهم دفنوا ميتاً بقريتهم من شرق إشبيلية ، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريباً منهم . فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع . ثم ولت فارة كذلك - فعلت مرة بعد أخرى - قال أبو الحكم رحمه الله : فذكرت عذاب القبر ، وقول النبي ﷺ : « إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه

(٤٦٢) سبق تخريجه .

(٤٦٣) أورده عبد الحق فى العاقبة (ص / ١٥٣) ، والحديث سبق تخريجه .

البهائم» والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت، ذكر هذه الحكاية لما قرأ القارئ هذا الحديث فى عذاب القبر: ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم بن الحجاج رضى الله عنه.

باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال

٤٦٤ - مسلم عن أنس بن مالك: أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس. يقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» قال: فقال عمر: فوالذى بعته بالحق نبيا ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ قال: فجعلوا فى أثر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم، فقال: «يا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله ﷺ حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربي حقا؟» فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا». وعنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا. فقام عليهم فناداهم. فقال: «يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة. يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربي حقا؟» فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون! وأنى يجيبون! وقد جيفوا؟ قال: «والذى نفسى بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا» ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر.

(٤٦٤) حديث صحيح. أخرجه مسلم (١٧٧٩)، وأحمد (٣ / ٢١٩، ٢٢٠، ٢٥٧، ٢٨٧)، وابن أبى شيبه (٨ / ٤٧٩)، وأبو داود (٢٦٨١)، والنسائي (٤ / ١٠٩)، وابن أبى عاصم (٢ / ٤٢٥) فى السنة، والبيهقى (٩ / ١٤٨) فى سننه الكبرى.

٤٦٥- فصل : اعلم رحمك الله أن عائشة رضى الله عنها قد أنكرت هذا المعنى . واستدلت بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ ⁽²³⁹⁾ وقوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ ⁽²⁴⁰⁾ ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكونوا يسمعون في وقت ما ، أو في حال ما ، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص . قد وجد هنا بدليل ما ذكرناه - وقد تقدم - وبقوله عليه الصلاة والسلام : « وإنه ليسمع قرع نعالهم » وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت في قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لا ينكر .

٤٦٦- وقد ذكر ابن عبد البر في كتاب التمهيد والاستذكار من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام . صححه أبو محمد عبد الحق ، وجيفوا معناه : أنتنوا .

باب قوله تعالى :

﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ⁽²⁴¹⁾ الآية

٤٦٧- مسلم عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ

(٤٦٥) الحديث سبق تخريجه ، وللفادة يقرأ كتاب « الآيات البينات في عدم سماع الأموات » للألوس ، بتحقيق العلامة الألباني .

239- سورة : الروم من الآية : ٥٢ .

240- سورة : فاطر من الآية : ٢٢ .

(٤٦٦) حديث ضعيف . سبق تخريجه برقم (٥٧) .

241- سورة : إبراهيم عليه السلام من الآية : ٢٧ .

(٤٦٧) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٣٦٩) ، (٤٦٩٩) ، ومسلم (٢٨٧١) ، وأبو داود (٤٧٥٠) ، والترمذى (٣١٢٠) ، والنسائى (٤ / ١٠١ - ١٠٢) ، وابن ماجه =

الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿ قال : نزلت في عذاب القبر . يقال له : من ربك ؟ فيقول : الله ربى . ونبى محمد فذلك قوله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ . وفي رواية أنه قول البراء : ولم يذكر النبى ﷺ .

قلت : وهذا الطريق وإن كان موقوفا فهو لا يقال من جهة الرأى فهو محمول على أن النبى ﷺ قاله كما في الرواية الأولى . كما أخرجه النسائى وابن ماجه في سننهما والبخارى في صحيحه ، وهذا لفظ البخارى :

٤٦٨- حدثنا جعفر بن عمر قال : حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال : « إذا أقعد العبد المؤمن في قبره . أتى ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ الآية » ، وأخرجه أبو داود أيضاً في سننه . فقال فيه : عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « إن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ﷺ) فذلك قوله (تعالى) : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ وقد مضى هذا المعنى في حديث البراء الطويل مرفوعاً والحمد لله .

٤٦٩- وقد روى هذا الخبر ، أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدرى . قال أبو سعيد الخدرى : كنا في جنازة مع النبى ﷺ فقال :

= (٤٢٦٩) ، وأحمد (٤ / ٢٩١) ، والبغوى (١٥٢٠) في شرح السنة ، والبيهقى (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) . في عذاب القبر .
(٤٦٨) حديث صحيح . انظر السابق .
(٤٦٩) حديث صحيح لغيره . أخرجه أحمد (٣ / ٣) ، وابن أبى عاصم (٨٦٥) في السنة ، والطبرى (١٣ / ١٤٢) في تفسيره ، والبيهقى (٤١) في عذاب القبر .

«يا أيها الناس إن هذه الأمة تبلى في قبورها . فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعه فقال : فما تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول له : صدقت فيفتح له باب إلى النار فيقول له : هذا منزلك لو كفرت بربك ، وأما الكافر والمنافق فيقول له : ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري . فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة . فيقال له : هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذ كفرت فإن الله أبد لك به هذا ، ثم يفتح له باب إلى النار ثم يقمعه الملك قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين » .

قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : ما أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ .

٤٧٠ - فصل : صحت الأخبار عن النبي ﷺ في عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها ولا معارض لها ، وجاء فيما تقدم من الآثار : أن الكافر يفتن في قبره ويسأل ويهان ويعذب . قال أبو محمد عبد الحق : واعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين ، بل يشار كهم فيه طائفة من المؤمنين ، وكل على حاله من عمله وما استوجبه من خطيئته وزله ، وإن كانت تلك النصوص المتقدمة في عذاب القبر إنما جاءت في الكافر والمنافق .

٤٧١ - قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب (التمهيد) : الآثار الثابتة تدل

(٤٧٠) انظر العاقبة (ص / ١٥١) لعبد الحق .

(٤٧١) انظر : التمهيد (٢٢ / ٢٥٢) لابن عبد البر .

على : أن الفتنة في القبر لا تكون إلا للمؤمن أو منافق ممن كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظواهر الشهادة ، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه ، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام والله أعلم ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويرتاب المبطلون . قال ابن عبد البر : وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال : « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها » ومنهم من يرويه : تسأل ، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك ، وهذا أمر لا يقطع عليه ، والله أعلم .

٤٧٢- وقال أبو عبد الله الترمذی فی نوادر الأصول : وإنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة . لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوا وعوجلوا بالعذاب ، فلما بعث الله محمداً (ﷺ) بالرحمة وأماناً للخلق ، فقال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (242)

وأمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ، ثم يرسخ في قلبه ، فأمهلوا ، فمن هنا ظهر أمر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان فكانوا بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قيض الله (عز وجل) لهم فتانى القبر ليستخرج سترهم بالسؤال ، ولیميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الثابت في الحياة الدنيا ويضل الله الظالمين .

قال المؤلف : (رضي الله عنه) قول أبي محمد عبد الحق أصوب ، والله أعلم ، فإن الأحاديث التي ذكرناها من قبل تدل على : أن الكافر يسأله الملكان ، ويختبرانه بالسؤال ويضرب بمطارق من حديد على ما تقدم ، والله أعلم .

(٤٧٢) انظر : نوادر الأصول (ص / ٤٠٣) للحكيم الترمذی .

242- سورة : الأنبياء الآية : ١٠٧ .

باب ما ينجي المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه

وذلك خمسة أشياء : رباط ، قتل ، قول ، بطن ، زمان .

٤٧٣- (الأول) : روى مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط⁽²⁴³⁾ يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان » فالرباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة » (الحديث) . وقد تقدم وهو حديث صحيح ، انفرد بإخراجه مسلم ، وكذلك ما أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم من أنه يلحق الميت بعد موته ، فإن ذلك مما ينقطع بنفاده وذهابه ، كالصدقة بنفادها ، والعلم بذهابه ، والولد الصالح بموته ، والنخل بقطعه إلى غير ذلك مما ذكر ، والرباط يضاعف أجره لصاحبه إلى يوم القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام : « وإن مات أجرى عليه عمله » .

٤٧٤- وقد جاء مفسراً مبيناً في كتاب الترمذى عن فضالة بن عبيد عن

(٤٧٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٩١٣) ، والترمذى (١٦٦٥) ، والنسائي (٦ / ٣٩) ، وأحمد (٤ / ٤٤٠) ، وابن حبان (٧ / ٦٩) ، والبيهقي (٢٦١٧) في شرح السنة والطبراني (١٤٦٤) ، (٦٠٧٧) ، (٦١٣٤) في الكبير ، وابن عساكر (٦٥) ، (٩٦) في التعزية بتحقيقى .

243- الرباط : ملازمة الثغور ومواضع المخافة حماية لها ، ودفعاً للأعداء عنها ، وهذا من أفضل الجهاد .

(٤٧٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٦ / ١٩ ، ٢٠) ، وأبو داود (٢٤٨٣) والترمذى (١٦٧١) ، (٢٨٤٧) ، والبخارى في الأدب المفرد (٩٩٦) ، (٩٩٨) ، والدارمي (٢ / ٢١١) في سننه ، وابن حبان (٧ / ٦٩) ، والحاكم (٢ / ٧٩ ، ١٤٤) ، والطبراني (١٨ / ٣١١) في الكبير ، وابن عساكر (٩٧) في التعزية .

رسول الله ﷺ قال : « كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً فى سبيل الله ، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر » . وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود بمعناه وقال : « يؤمن من فتنة القبر » ولا معنى للنماء إلا المضاعفة وهى غير موقوفة على سبب فتقطع بانقطاعه ، بل هى فضل دائم من الله تعالى لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام ، وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمل من الأعمال الصالحة .

٤٧٥- وخرجه ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « من مات مرابطاً فى سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذى كان يعمل وأجرى عليه (رزقه) وأمن من الفتان ويعتبه الله أميناً من الفزع الأكبر » .

٤٧٦- وخرج أبو نعيم عن جبير بن بكير وكبير بن مرة وعمرو بن الأسود عن العرباض بن سارية رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المراتب فى سبيل الله ، فإنه ينمى عليه عمله ويجرى عليه رزقه إلى يوم الحساب » .

وفى هذا الحديث وحديث فضالة بن عبيد قيد ثان : وهو : الموت حالة الرباط . والله أعلم .

٤٧٧- وروى عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رباط ليلة فى سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها » .

(٤٧٥) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٤٠٤) ، وعبد الرزاق (٩٦٢٢) وابن ماجه (٢٧٦٧) .

(٤٧٦) حديث صحيح . أخرجه أبو نعيم (٥ / ١٥٧) فى الحلية ، والطبرانى (١٨ / ٢٥٦-٢٥٧) فى الكبير ، وابن عساكر فى التعزية (٩٨) بتحقيقى .

(٤٧٧) حديث حسن . أخرجه ابن أبى شيبه (٤ / ٥٨٤) ، والنسائى (٦ / ٤٠) ، =

٤٧٨- وروى عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً » .
أراه قال : « من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها ، فإن رده الله إلى أهله سالماً لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ، ويكتب له من الحسنات ويجرى له أجر الرباط إلى يوم القيامة » . فدل هذا الحديث على أن الرباط يوم في شهر رمضان يحصل به الثواب الدائم وإن لم يمت مرابطاً والله أعلم . أخرجه عن محمد بن إسماعيل بن سمرة ، حدثنا محمد بن يعلى السلمي ، حدثنا عمرو بن صبيح ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، عن مكحول ، عن أبي بن كعب فذكره .

٤٧٩- مسألة الرباط : هو الملازمة في سبيل الله ، مأخوذ من ربط الخيل ثم سمي ملازم لثغر من ثغور المسلمين : مرابطاً . فارساً كان أو راجلاً ، واللفظة مأخوذة من الرباط في سبيل الله ، والرباط اللغوي هو الأول ، وهو الذى يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما ، فأما سكان الثغور دائماً

= والدارمى (٢ / ٢١١) فى سننه ، والبيهقى (٩ / ٣٩) فى سننه الكبير ، وفى سننه أبو صالح مولى عثمان فى عداد المقبولين .

وأخرجه أحمد (١ / ٦١ ، ٦٤ - ٦٥) والحاكم (٢ / ٨١) وصححه وأقره الذهبى ، وأبو نعيم (٦ / ٢١٥) فى الحلية ، والطبرانى (١٤٥) فى الكبير ، وفى سننه مصعب بن ثابت . وهو لين الحديث .

(٤٧٨) حديث موضوع . أخرجه ابن ماجه (٢٧٦٨) ، وانظر : تنزيه الشريعة (٢ / ١٧٨) السلسلة الضعيفة (٨٣٦) .

(٤٧٩) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٥١) ، وأحمد (٢ / ٣٠٣) ، والترمذى (٥١) ، وأبو عوانة (١ / ٢٣١) ، وابن خزيمة (٥) ، وابن حبان (٢ / ١٨٨) ، والبقوى (١٤٩) فى شرح السنة .

بأهلهم الذين يعمرّون ويكتسبون هناك ، فهم وإن كانوا حماة فليسوا
مبراطين . قاله علماؤنا ، وقد بيناه في كتاب الجامع لأحكام القرآن من سورة
آل عمران والحمد لله .

٤٨٠ - الثاني : روى النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من
أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون
في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » .

٤٨١ - وخرج ابن ماجه في سننه والترمذى في جامعه وغيرهما عن
المقداد بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست
خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة . ويجار من عذاب
القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه
خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع
في سبعين من أقاربه » لفظ الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح (غريب) ،
وقال ابن ماجه : « يغفر له في أول دفعة من دمه قال : ويحلى حلة الإيمان »
بدل : « ويوضع على رأسه تاج الوقار » قال ابن ماجه : حدثنا هشام بن
عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش قال : حدثني بجير بن سعد ، وقال الترمذى :
حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال : حدثنا نعيم بن حماد قال : حدثنا بقية
ابن الوليد ، عن بجير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن (المقدم بن) معدى
كرب . فذكره

(٤٨٠) حديث صحيح أخرجه النسائي (٤ / ٩٩) ، والحكيم الترمذى كما في النوادر
(ص / ٤٠٤) ، والديلمي كما في الكنز (١١٧٤١) وجهالة الصحابي لا تضر فكلهم عدول .
(٤٨١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ١٣١) ، وسعيد بن منصور (٢٥٦٢) ،
والترمذى (١٧١٢) ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٢٧٩٩) ، وعبد الرزاق (٩٥٥٩) ،
والطبراني (١١٢٠) في مسند الشاميين ، و (٢٠ / ٢٦٦) في الكبير ، وفي الباب عن عبادة بن
الصامت .

قال المؤلف فى جميع نسخ الترمذى وابن ماجه : « ست خصال » وهى فى متن الحديث : « سبع » وعلى ما ذكر ابن ماجه : « ويحلى بحلة الإيمان » تكون ثمانية ، وكذا ذكره أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد بسنده عن المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ثمانية خصال » .

٤٨٢- الثالثة : روى الترمذى عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا بقبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال (النبى ﷺ) : « هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » . قال : حديث حسن غريب .

٤٨٣- وخرج أيضاً عنه ﷺ : « أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها » . وروى أنها المجادلة تجادل عن صاحبها يعنى قارئها فى القبر ، وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان .

٤٨٤- وأنبأنا الشيخ الفقيه الإمام (المحدث) أبو العباس أحمد بن عمر

(٤٨٢) حديث صحيح ، أخرجه الترمذى (٢٨٩٠) وقال : حسن غريب من هذا الوجه والطبرانى (١٢٨٠١) فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية (٣ / ٨١) ، والبيهقى (١٦٥) فى عذاب القبر ، وانظر السلسلة الصحيحة (١١٤٠) وفى الباب عن ابن مسعود رضى الله عنه وغيره . (٤٨٣) صحيح موقوف . أخرجه الحاكم (٢ / ٤٩٨) ، والدارمى (٢ / ٢٥٥) فى سننه ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٥٠٨) ، (٢٥٠٩) ، وفى عذاب القبر (١٦٢) ، (١٦٣) ، (١٦٤) .

(٤٨٤) حديث ضعيف . أخرجه عبد بن حميد فى مسنده (٦٠٣) ، والطبرانى (١١٦١٦) فى الكبير ، وقال الهيثمى (٧ / ١٢٧) فى المجمع : فيه إبراهيم بن الحكم ، وهو ضعيف وأخرجه البيهقى (٢٥٠٧) فى شعب الإيمان .

الأنصاري القرطبي بثغر الإسكندرية حماه الله قال : حدثني الشيخ الصالح أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافى بن أخى الشيخ الإمام أبى بكر قال : حدثني الشيخ الشريف أبو محمد يونس بن أبى الحسين (ابن) أبى البركات الهاشمى البغدادي ، حدثنا أبو الوقت عن الداودى ، عن الحموى ، عن أبى إسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشى ، عن عبد بن حميد الكشى ، عن إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لرجل : ألا تحفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل : بلى يا ابن عباس رحمك الله ، قال : اقرأ ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾⁽²⁴⁴⁾ احفظها وعلمها أهلك

وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر . قال رسول الله ﷺ : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتى » وأخبرناه عالياً الشيخ المحدث أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري التلمساني بثغر الإسكندرية عن شيخه الشريف أبى محمد يونس عن أبى الوقت . وقد تقدم : أن قراءة الرجل ﴿ قد هو الله أحد ﴾⁽²⁴⁵⁾ فى مرض الموت تنجى من ذلك .

٤٨٥- الرابع : روى ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات مريضاً مات شهيداً ووقى فتنة القبر ، وغدى وريح

244- سورة : الملك من الآية : ١ .

245- سورة : الإخلاص الآية : ١ .

(٤٨٥) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٢ / ٤٠٤) ، وابن ماجه (١٦١٥) ، وعبد الرزاق (٩٦٢٢) ، وأبو نعيم (٨ / ٢٠١) فى الحلية ، والخطيب (١ / ٣٦٦) فى الموضح ، والبيهقى (١٧١) فى عذاب القبر ، وانظر العلل (١٠٦٠) لابن أبى حاتم .
فى سنده ابن أبى يحيى من المتروكين ، وعند أبى نعيم الحسن بن قتيبة من الضعفاء ، وعمر بن عطاء من المجهولين ، وفيه عننة ابن جريج ، وهو مدلس .

عليه برزقه من الجنة » .

٤٨٦ - وخرج النسائي عن جامع بن شداد ، قال: سمعت عبد الله بن يسار يقول: كنت جالسا عند سلمان بن صرد، وخالد بن عرفطة ، فذكرا: أن رجلا مات ببطنه ، فإذا يشتهي أن يشهد جنازته ، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ : « من يقتله بطنه لم يعذب في قبره » أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ، قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرني جامع بن شداد، فذكره وزاد : فقال الآخر : بلى .

٤٨٧ - الخامس : روى الترمذی ، عن ربيعة بن سيف ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » . قال: هذا حديث حسن غريب ، وليس إسناده بمتصل؛ ربيعة بن سيف إنما يروى عن عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله ابن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو .

قلت : قد خرج أبو عبد الله الترمذی في نوادر الأصول متصلاً عن ربيعة بن سيف الإسكندري ، عن عياض بن عقبة الفهري ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر » وخرجه على بن معبد عنه - أعنى عبد الله بن عمرو - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وفي فتنة القبر » .

(٤٨٦) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ٢٦٢) ، (٥ / ٢٩٢) ، والطيالسي (١٢٨١) والترمذی (١٠٧٠) ، والنسائي (٤ / ٩٨) ، وابن حبان (٤ / ٢٥٨) ، والطبرانی (٤١٠١) في الكبير ، والبيهقي (١٦٩) ، (١٧٠) في عذاب القبر .

(٤٨٧) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ١٧٦ ، ٢٢٠) ، وأبو بكر المروزي في كتاب « الجمعة » رقم (١١) ، والترمذی (١٠٨٠) ، والبيهقي (١٧٣) في عذاب القبر ، وفي الباب عن أنس ، وجابر ، انظر : التعزية (١٠٦) لابن عساكر بتحقيق .

٤٨٨- وأخرجه أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير⁽²⁴⁶⁾ من عذاب القبر ، وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء » . غريب من حديث جابر ومحمد تفرد به عمر بن موسى الوجيهي وهو مدني فيه لين عن محمد عن جابر .

٤٨٩- فصل : قلت : اعلم رحمك الله أن هذا الباب لا يعارض ما تقدم من الأبواب ، بل يخصصها ويبين من لا يسأل في قبره ولا يفتن فيه ، ممن يجرى عليه السؤال ، ويقاسى تلك الأهوال ، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه ، وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد ﷺ .

٤٩٠- وقد روى ابن ماجه في سننه عن جابر عن النبي ﷺ قال : « إذا دخل الميت في قبره مثلت له الشمس عند غروبها فيجلس فيمسح عينيه ويقول : دعوني أصلي » ولعل هذا ممن وقى فتنة القبر فلا تعارض والحمد لله .
٤٩١- فصل : قوله عليه السلام في الشهيد : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة معناه : أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقى الزحفان⁽²⁴⁷⁾ ، وبرقت السيوف فروا لأن من شأن المنافق : الفرار

(٤٨٨) حديث صحيح . أخرجه أبو نعيم (٣ / ١٥٥) في الحلية ، وحميد بن ترغيبه كما في تحفة الأحوذى (٤ / ١٨٨) ، والحديث في الشواهد ، انظر السابق .
246- أجير من عذاب القبر : منع من عذاب القبر ونجى منه .
(٤٨٩) انظر تحفة الأحوذى (٤ / ١٨٨) للمباركفوري .
(٤٩٠) إسناده ضعيف . أخرجه ابن ماجه (٤٢٧٢) ، وابن حبان (٥ / ٤٧) فيه عننة الأعمش ، وهو مدلس .

(٤٩١) سبق تخريجه .

247- الزحفان : الجيشان المتقاتلان .

والروغان⁽²⁴⁸⁾ عند ذلك، ومن شأن المؤمن: البذل والتسليم لله نفساً ،
وهيجان حمية لله، والتعصب له ، لإعلاء كلمته . فهذا قد أظهر صدق ما
فى ضميره حين برز للحرب والقتل ، فلماذا يعاد عليه السؤال فى القبر ؟ قاله
الترمذي الحكيم .

قلت : وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً وأعظم أجراً ،
فهو أحرى أن لا يفتن لأنه المقدم ذكره فى التنزيل على الشهداء فى قوله
تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشَّهَدَاءِ ﴾⁽²⁴⁹⁾ وقد جاء فى المرباط الذى هو أقل مرتبة من الشهيد أنه لا
يفتن ، فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد ؟ والله أعلم فتأمله .

٤٩٢- فصل : قوله عليه السلام : « من مات مريضاً مات شهيداً » عام
فى جميع الأمراض لكن قيده قوله فى الحديث الآخر : « من يقتله بطنه »
وفيه قولان :

أحدهما: أنه الذى يصيبه الذرب وهو الإسهال تقول العرب: أخذته البطن
إذا أصابه الداء، وذرب الجرح إذا لم يقبل الدواء ، وذربت معدته فسدت .
الثانى : أنه الاستسقاء وهو أظهر القولين فيه ، لأن العرب تنسب موته
إلى بطنه تقول: قتله بطنه يعنون الداء الذى أصابه فى جوفه وصاحب
الاستسقاء قل أن يموت إلا بالذرب فكأنه قد جمع الوصفين وغيرهما من
الأمراض والوجود شاهد للميت بالبطن إن عقله لا يزال حاضراً، وذهنه باقياً
إلى حين موته، ومثل ذلك صاحب السل إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب
وليست حالة هؤلاء كحال من يموت فجأة أو من يموت بالسام
والبرسام⁽²⁵⁰⁾، والحميات المطبقة أو القولنج⁽²⁵¹⁾، أو الحصاة فتغيب عقولهم
لشدة الآلام ، ولزوم أدمغتهم ، ولفساد أمزجتها ، فإذا كان الحال هكذا
فالميت يموت وذهنه حاضر وهو عارف . والله أعلم .

٢٤٨- الروغان: الخادعة ، تقول: راوغه بمعنى: خادعه . 249- سورة النساء من الآية : ٦٩ .

(٤٩٢) سبق تخريجه .

250- البرسام: التهاب بالغشاء المحيط بالرئة يؤدى إلى الموت .

251- القولنج: مرض معوى مؤلم ، يصعب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون .

باب منه

٤٩٣- أبو نعيم قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا ابن سعيد قال : حدثنا محمد بن حرب الواسطي قال : حدثنا نصر بن حماد قال : حدثنا همام قال : حدثنا محمد بن حجارة عن طلحة بن مصرف قال : سمعت خيثمة بن عبد الرحمن يحدث عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «من وافق موته عند انقضاء رمضان ، دخل الجنة ، ومن وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة ، ومن وافق موته عند انقضاء صدقته ، دخل الجنة » غريب من حديث طلحة لم نكتبه إلا من حديث نصر عن همام .

باب ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعهه بالغداة والعشي

٤٩٤- البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعهه بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة »

٤٩٥- فصل : قوله : « عرض عليه مقعهه » ويروى : « عرض على مقعهه » قال علماؤنا : وهذا ضرب من العذاب كبير وعندنا المثال في الدنيا ، وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب ، أو من يهدد به من غير

(٤٩٣) حديث ضعيف جداً . أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥ / ٢٣) ، وابن عساكر في التعزية (٩٤) فيه نصر بن حماد من المتروكين ، وفيه انقطاع . وأخرجه الديلمي كما في الفيض (٦ / ٢٣٥) وضعفه المناوي .

(٤٩٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٥١ ، ١١٣) ، والبخاري (٢ / ١٢٤) ، (٨ / ١٣٤) ، ومسلم (٢٨٦٦) ، ومالك (٢٣٩) في الموطأ ، والترمذي (١٠٧٢) ، والنسائي (٤ / ١٠٧) وابن ماجه (٤٢٧٠) ، والبيهقي (١ / ٤٢٢) في شرح السنة ، والبيهقي (١ / ٢٧٠) في سننه ، والطبراني (٢ / ٥٧) في الصغير ، وابن الجوزي (٥٠) في المقلق .

أن يرى الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته . وجاء في التنزيل في حق الكافرين ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ (252) فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح في ذلك ، وهل (كل) مؤمن يعرض على الجنان ؟ فقيل ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ، ومن أراد الله إنجاءه من النار ، وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فله مقعدان يراهما جميعاً كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أوفى وقت واحد قبيحاً وحسناً وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان ، والله أعلم .

ثم قيل : هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من البدن ، ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعه الملكان ، ويقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة وكيفما كان ، فإن العذاب محسوس ، والألم موجود ، والأمر شديد ، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً في النائم فإن روحه تعذب أو تنعم والجسد لا يحس بشيء من ذلك .

٤٩٦- وقال عبد الله بن مسعود : أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم : هذه داركم فذلك قوله تعالى : ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ (253) وعنه أيضاً : أن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها .

252- سورة غافر من الآية : ٤٦ .

(٤٩٦) خبر حسن . أخرجه عبد الرزاق (٢٦٨٤) في تفسيره ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٣٥٢ / ٥) ، وأخرجه ابن جرير (٤٦ / ٢٤) فوقف به على تلميذ ابن مسعود الهذيل بن شرحبيل .

253- سورة غافر من الآية : ٤٦ .

٤٩٧- وروى شعبة عن يعلى بن عطاء قال : سمعت ميمون بن ميسرة يقول : كان أبو هريرة إذا أصبح ينادى : أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار، وإذا أمسى ينادى : أمسينا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمع أبا هريرة أحد إلا تعوذ بالله من النار. وقد قيل : إن أرواحهم في صخرة سوداء تحت الأرض السابعة على شفير⁽²⁵⁴⁾ جهنم في حواصل طير سود . والغداة والعشي إنما هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه لا لهم إذ الآخرة ليس فيها مساء ولا صباح فإن قيل : فقد قال الله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾⁽²⁵⁵⁾ قلنا : الجواب عنهما واحد وسيأتي له مزيد بيان في وصف الجنان إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة كأرواح غيرهم

يدل على ذلك قوله عليه (الصلاة و)السلام في حديث ابن عمر: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله (تعالى) إليه يوم القيامة» وهذه حالة مختصة بغير الشهداء .

٤٩٨- وفي صحيح مسلم عن مسروق قال : سألتنا عبد الله بن مسعود (٤٩٧) إسناده ضعيف . أخرجه سعيد بن منصور في « تفسيره » ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٥ / ٣٥٢) . وأخرجه البيهقي (٤٠٠) في شعب الإيمان ، و(٦٢) في عذاب القبر ، عن طريق سعيد بن منصور ، وفي سننه هشيم وهو مدلس ورواه بالنعنة ، وميمون بن ميسرة في عداد الجاهولين . 254- شفير جهنم : صرفها وجانبها . 255- سورة مريم من الآية : ٦٢ .

(٤٩٨) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٨٨٧) ، وعبد الرزاق (٩٥٥٤) ، (٩٥٥٥) ، وابن أبي شيبة (٥ / ٣٠٨) ، والترمذي (٣١٩٨) ، وابن ماجه (٢٨٠١) ، والدارمي (٢ / ٢٠٦) في سننه ، والطبري (٤ / ١١٣-١١٤) في تفسيره ، والطبراني (٩٠٢٣) ، (٩٠٢٤) في الكبير .

عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾⁽²⁵⁶⁾ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أى شئ نشتهى، ونحن نسرح في الجنة حيث نشاء؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

فصل: قلت: وهنا اعتراضات خمسة:

٤٩٩- **الأول:** إن قيل: ما قولكم في الحديث الذى ذكرتم «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام؟» قلنا: هو عموم يخصه ما ذكرناه فهو محمول على غير الشهداء.

٥٠٠- **الثاني:** فإن قيل: فقد روى مالك عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصارى أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قلنا: قال أهل اللغة: تعلق بضم اللام تأكل. ويقال علق تعلق علوقاً. ويروى يعلق تعلق بفتح اللام وهو الأكثر ومعناه: تسرح وهذه حالة الشهداء لا غيرهم بدليل الحديث المتقدم.

256- سورة آل عمران من الآية: ١٦٩.

(٤٩٩) حديث ضعيف. سبق تخريجه.

(٥٠٠) حديث صحيح. أخرجه مالك (٢٤٠) فى الموطأ وأحمد (٣ / ٤٥٥، ٤٥٦،

٤٦٠)، والترمذى (١٦٩١)، والنسائى (٤ / ١٠٨)، وابن ماجه (٤٢٧١)، والطبرانى

(١٩ / ٦٤) فى الكبير.

وقوله تعالى : ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (257) ولا يرزق إلا حي فلا يتعجل الأكل والنعيم لأحد إلا للشهداء في سبيل الله بإجماع من الأمة .
حكاه القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين ، وغير الشهيد بخلاف هذا الوصف إنما يملأ عليه قبره خضراً ويفسح له فيه ، وقوله : « نسمة المؤمن » أى روح المؤمن الشهيد ، يدل عليه قوله فى نفس الحديث « حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم (القيامة) » .

٥٠١ - الثالث : فإن قيل : فقد جاء أن الأرواح تتلاقى فى السماء والجنة فى السماء يدل عليه قوله عليه (الصلاة و)السلام : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء » وفى رواية « أبواب الجنة ؟ » قلنا : لا يلزم من تلاقى الأرواح فى السماء أن يكون تلاقىها فى الجنة ، بل أرواح المؤمنين غير الشهداء تارة تكون فى الأرض على أفنية القبور ، وتارة فى السماء لا فى الجنة ، وقد قيل : إنها تزور قبورها كل يوم جمعة على الدوام ، ولذلك تستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة وبكرة السبت فيما ذكر العلماء . والله أعلم .

قال ابن العربي : وبحديث الجرائد يستدل الناس على أن الأرواح فى القبور تعذب أو تنعم ، وهو أبين فى ذلك من حديث ابن عمر فى الصحيح : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي » لأن عرض مقعده

257 - سورة آل عمران من الآية : ١٦٩ .

(٥٠١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣ / ٣٣) ، ومسلم (١٠٧٩) ، وأحمد (٢ / ٢٨١) ، (٤ / ٣١١) ، وعبد الرزاق (٧٣٨٤) ، (٧٣٨٦) ، وابن أبى شيبه (٣ / ١) ، والنسائى (٤ / ١٢٧ ، ١٢٩) ، والدارمى (٢ / ٢٦) من حديث أبى هريرة ، وعتبة بن فرقد رضى الله عنهما .

تنبيه : لم يحدد الشرع أياً ماً معينة لزيارة القبور ، بل ترك ذلك مفتوحاً بحسب حالة المرء ، وحرصه على الاعتاظ .

ليس فيه بيان عن موضعه الذي يراه منه ، وحديث الجرائد نص على أن أولئك يعذبون في قبورهم ، وكذلك حديث اليهود .

قلت : ويحتمل على ما ذكرناه والله أعلم : أن يكون قوله عليه (الصلاة و) السلام : « ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا وروحه في قبره إلا عرفه ورد عليه السلام » حتى لا تتناقض الأخبار . والله أعلم .

٥٠٢- الرايع : فإن قيل : فقد قال ﷺ : « والذي نفسى بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيى ، ثم قتل ، ثم أحيى ، وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه » .

وهذا يدل على أن بعض الشهداء لا يدخلون الجنة ، من حين القتل ولا تكون أرواحهم في جوف طير ، ولا تكون في قبورهم فأين تكون ؟ .

٥٠٣- قلنا : قد خرج ابن وهب بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « الشهداء على بارق⁽²⁵⁸⁾ نهر بباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً » فلعلهم هؤلاء أو من منعه من دخول الجنة حقوق الآدميين إذ الدين ليس مختصاً بالمال على ما يأتي ، ولهذا قال علماؤنا أحوال الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها أنهم يرزقون ، وقد تقدم قوله عليه

(٥٠٢) حديث حسن . أخرجه النسائي (٧ / ٣١٤) ، والحاكم (٢ / ٢٥) وصححه ، وأقره الذهبي ، والبغوي (٢١٤٥) في شرح السنة ، والطبراني (١٩ / ٢٤٧) في الكبير . فيه العلاء بن عبد الرحمن ، وهو صدوق .

(٥٠٣) حديث حسن . أخرجه أحمد (١ / ٢٦٦) ، وابن أبي شيبة (٥ / ٢٩٠) ، وابن حبان (٧ / ٨٣) ، والحاكم (٢ / ٧٤) ، وصححه ، وأقره الذهبي ، والطبري (٢ / ٣٤) ، (٤ / ١١٣) في تفسيره ، والطبراني (١٠٨٢٥) في الكبير ، وفي سنده ابن إسحاق ، وهو صدوق .

(الصلاة و) السلام: « من مات مريضاً مات شهيداً وغدى وريح (عليه) برزقه من الجنة » وهذا نص في أن الشهداء مختلفو الحال وسيأتي : كم الشهداء ؟ إن شاء الله تعالى .

٥٠٤ - الفامس : فإن قيل فقد روى ابن ماجه عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لشهيد البحر مثل شهيد البر والمائد (259) في البحر كالمشحط (260) في دمه في البر ، وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله عز وجل ، وإن الله وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ، ولشهيد البحر الذنوب كلها والدين ؟ قلنا : الدين إذا أخذه المرء في حق واجب لفاقة (261) أو عسر ومات ولم يترك وفاء فإن الله تعالى لا يحبس عنه الجنة - إن شاء الله تعالى - شهيداً كان أو غيره ، لأن على السلطان فرضاً أن يؤدي عنه دينه .

٥٠٥ - قال رسول الله ﷺ : « من ترك ديناً أو ضياعاً (262) فعلى الله ورسوله ، ومن ترك مالا فلورثته فإن لم يؤد عنه السلطان فإن الله تعالى يقضى عنه ويرضى خصمه » .

(٥٠٤) حديث موضوع . أخرجه ابن ماجه (٢٧٧٨) ، وأبو نعيم (٨ / ٥١) في الحلية ، والطبراني (٧٧١٦) في الكبير ، وانظر السلسلة الضعيفة (٨١٩) للألباني .

259- المائد : من أصابه دوار البحر فمات .

260. - المشحط في دمه : شحط القتل في دمه : اضطرب وتخطب وتمرغ .

261- الفاقة : الفقر والحاجة .

(٥٠٥) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣ / ١٥٥) ، ومسلم (١٦١٩) ، وأحمد (٢ / ٣٣٧ ، ٤٦٤ ، ٥٢٧) ، وأبو داود (٢٩٥٥) ، والترمذي (٢٠٩٠) ، وابن ماجه (٢٤١٦) ، وابن خزيمة (١٧٨٥) ، وابن حبان (٧ / ٢٥٦) ، والبيهقي (٣ / ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤) من حديث أبي هريرة ، وعن جابر ، وفي الباب عن المقدم .

262- الضياع : عيال صغار جائعون .

٥٠٦- والدليل على ذلك ما رواه ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة إذا مات إلا من تدين في ثلاث خلال الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين ليتقوى به لعدو الله وعدوه ، ورجل يموت عنده رجل مسلم لا يجد ما يكفنه فيه ويواريه لإبدين ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه فإن الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة » .

٥٠٧- وأما من ادان في سفه أو سرف فمات ولم يوفه أو ترك له وفاء ولم يوص به أو قدر على الأداء فلم يوفه ، فهذا الذي يحبس به صاحبه عن الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات على ما يأتي ، فيحتمل أن يكون قوله عليه (الصلاة و)السلام في شهيد البحر عاماً في الجميع ، وهو الأظهر ، لأنه لم يفرق بين دين ودين ، ويحتمل أن يكون قوله فيمن ادان ولم يفرط في الأداء وكان عزمه ونيته الأداء لا إتلاف المال على صاحبه ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » أخرجه البخارى .

٥٠٨- على أن حديث أبي أمامة في إسناده لين ، وأعلى منه إسناداً وأقوى ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين » ولم يخص برأ من بحر .

(٥٠٦) حديث ضعيف . أخرجه ابن ماجه (٢٤٣٥) ، والبيهقى (٥٥٥٩) في شعب الإيمان ، فيه ابن أنعم ، وهو أحد الضعفاء .

(٥٠٧) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٥٢ / ٣) ، وأحمد (٣٦١ / ٢) ، (٤١٧) ، والنسائى (٣١٥ / ٧) ، وابن ماجه (٢٤٠٨) ، وابن حبان (١١٥٧) والبيهقى (٥ / ٣٥٤) في سننه الكبرى .

(٥٠٨) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٨٨٦) ، والبيهقى (٢٥ / ٩) في سننه الكبرى ، وفي الباب عن أنس ، وكعب بن عجرة ، وجابر ، وأبي هريرة ، وأبي قتادة رضى الله عنهم .

٥٠٩- وكذلك ما رواه أبو قتادة : أن رجلاً قال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أيكفر الله عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : «نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر» ثم قال رسول الله ﷺ : «كيف قلت ؟» فقال : «أرأيت إن قتلت في سبيل الله أيكفر الله عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين ، فإن جبريل قال لي ذلك .»

٥١٠- وخرج أبو نعيم الحافظ بإسناده عن قاضي البصريين شريح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «إن الله يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم فيم أضعت حقوق الآدميين ؟ فيم أذهبت أموالهم ؟ فيقول : يا رب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقاً وإما حرقاً، فيقول الله عز وجل : أنا أحق من قضى عنك اليوم فترجع حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة» رواه من طرق . وقال يزيد بن هارون في حديثه « فيدعو الله تعالى بشيء فيضعه في ميزانه فيثقل » . غريب من حديث شريح تفرد به صدقة بن أبي موسى عن أبي عمران الجوني .

قلت : هذا نص في قضاء الله سبحانه الدين إذا لم يؤخذ على سبيل الفساد ، والحمد لله الموفق للسداد ، والمبين على لسان رسوله ﷺ ما أبهم واستغلق من مشكل على العباد ، وقد قال بعض العلماء : إن أرواح المؤمنين

(٥٠٩) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٨٨٦) ، وأحمد (٣٠٤ / ٥) ، والترمذي (١٧١٢) ، والنسائي (٣٤ / ٦) ، والبيهقي (٢١٤٤) في شرح السنة ، وفي الباب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٥١٠) حديث ضعيف . أخرجه أبو داود الطيالسي (١٣٢٦) ، وأحمد (١ / ١٩٧) - (١٩٨) ، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٤١) في سننه موسى بن صدقة ، ضعفه ابن معين ، والنسائي ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وليس بقوي . وفي سننه قيس بن زيد في عداد المجهولين .

كلهم في جنة المأوى وإنما قيل لها : المأوى لأنها تأوى إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش ، فيتنعمون بنعيمها ، يتنسمون من طيب ريحها ، وهي تسرح في الجنة ، وتأوى إلى قناديل من نور تحت العرش ، وما ذكرناه أولاً أصبح . والله أعلم .

٥١١- وقد روى ابن المبارك : أخبرنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان قال : حدث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أرواح المؤمنين في طير كالزراير (263) يتعارفون ، ويرزقون من الجنة.

٥١٢- أخبرنا ابن لهيعة قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب أن منصور بن أبي منصور حدثه قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - ، فقلت أخبرني عن أرواح المسلمين أين هي حين يتوفون ؟ قال : ما تقولون أنتم يا أهل العراق ؟ قلت : لا أدري . قال : فإنها صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة . وذكر الحديث .

قلت : فهذه حجة من قال : إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة ، والله أعلم ، على أنه يحتمل أن يدخله من التأويل ما تقدم - والله أعلم - فيكون المعنى : أرواح المؤمنين الشهداء وكذا فقلت : أخبرني عن أرواح المؤمنين الشهداء والله أعلم .

٥١٣- وروى ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد أنه سمع ابن عباس

(٥١١) خير صحيح . أخرجه ابن المبارك (٤٤٦) في الزهد ، وابن أبي شيبه (٨ / ٧٠) في مصنفه ، وابن منده كما في أهوال القبور (ص / ١١٥) لابن رجب .
263- الزراير : مفردا الزرزور : وهو طائر من رتبة العصفوريات .

(٥١٢) خير حسن . أخرجه ابن المبارك (١٦٤) كما في زوائد الزهد ، وابن لهيعة يروى عنه ابن المبارك ، وهي من رواياته الصحيحة .

(٥١٣) خير صحيح . أخرجه ابن أبي شيبه (٨ / ٩٠) في مصنفه ، وسعيد بن منصور .
(٢٥٦١) في سننه ، وعبد الرزاق (٩٥٥٧) في مصنفه .

—رضى الله عنهما— يقول : « إن أرواح الشهداء تجول في طير خضر » .
 ٥١٤- فصله : وقع في حديث ابن مسعود : « أرواحهم في جوف طير خضر » وفي حديث مالك : « نسمة المؤمن طائر » وروى الأعمش عن عبد الله بن مرة قال : سئل عبد الله بن مسعود عن أرواح الشهداء ؟ فقال : أرواح الشهداء عند الله كطير خضر في قناديل تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها وذكر الحديث .

وروى ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « أرواح الشهداء طير خضر تعلق في شجر الجنة » وهذا كله مطابق لحديث مالك فهو أصح من رواية من روى أن أرواحهم في جوف طير خضر . قاله أبو عمر في الاستذكار . وقال أبو الحسن القاسبي : أنكر العلماء قول من قال في حواصل طير لأنها رواية غير صحيحة ، لأنها إذا كانت كذلك فهي محصورة مضيق عليها .

قلت : الرواية صحيحة لأنها في صحيح مسلم بنقل العدل عن العدل فيحتمل أن تكون (الفاء) بمعنى (على) فيكون المعنى : أرواحهم على جوف طير خضر كما قال تعالى : ﴿ وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جذوع النخل ﴾ (264) أى على جذور النخل وجائز أن يسمى الظاهر جوفاً إذ هو محيط به ومشمول عليه ، قال أبو محمد عبد الحق : وهو حسن جداً .

٥١٥ - وذكر شبيب بن إبراهيم في كتاب (الإفصاح المنعم) على

(٥١٤) سبق تخريجه برقمى (٤٩٨) ، (٥٠٠) .

وانظر : شرح الصدور (ص / ٢٤٥) فقد نقل كلام المصنف بنصه .

264- سورة طه من الآية : ٧١ .

(٥١٥) انظر : شرح الصدور (ص / ٢٤٨) نقلاً عن المصنف .

جهات مختلفة . منها ما هو طائر يعلق من شجر الجنة . ومنها ما هو في حواصل طير خضر ، ومنها ما يأوى في قناديل تحت العرش ، ومنها ما هو في حواصل (طير) بيض ، ومنها ما هو في حواصل طير كالز رازير ، ومنها ما هو في أشخاص صور من صور الجنة ، ومنها ما هو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم ، ومنها ما تسرح وتعود إلى جثتها تزورها ، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين ، ومن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل . ومنها ما هو في كفالة آدم ، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام ، وهذا قول حسن فإنه يجمع الأخبار حتى لا تتدافع ، والله بغيبه أعلم وأحكم .

باب كم الشهداء ؟ ولم سمى شهيدا ؟ ومعنى الشهادة

٥١٦- خرج الآجری وغيره عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « من فصل في سبيل الله (265) فمات أو قتل فهو شهيد ، أو وقصه فرسه أو بعيره ، أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأى حتف (266) شاء الله إنه شهيد ، وإن له الجنة » وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة بمعناه ، عن عبد الله بن عتيك ، عن النبي ﷺ .

(٥١٦) إسناده ضعيف . أخرجه أبو داود (٢٤٩٩) ، والحاكم (٧٨ / ٢) ، وصححه فتعقبه الذهبي بقوله : ابن ثوبان لم يحتج به مسلم وليس بذلك ، وابن غنم لم يدركه مكحول فيما أظن .

وأخرجه الطبراني (٣٥٣٠) في مسند الشاميين ، وفي الكبير (٣٤١٨) . وأخرجه ابن أبي شيبة (٤ / ٥٦٥) في مصنفه عن عبد الله بن عتيك مرسلًا ، وفيه ابن إسحاق ، ورواه بالنعنة وهو مدلس .

265- فصل في سبيل الله : خرج في سبيل الله .

266- الحتف : الهلاك والموت . والمراد أيا كان سبب موته فهو شهيد .

٥١٧- الترمذی ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الشهداء خمسة : المبطون ، والمطعون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله عزوجل » وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٥١٨- النسائي عن جابر : قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله : المطعون ، والمبطلون ، والغريق ، والحرق ، وصاحب ذات الجنب ، والذي يموت تحت الهدم ، والمرأة تموت بجمع » قيل : هي التي تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تم خلقه ، وقيل : إذا ماتت من النفاس فهي شهيدة ، سواء ألفت ولدها أو ماتت وهو في بطنها ، وقيل : التي تموت بكرة لم يمسه الرجال ، وقيل التي تموت قبل أن تحيض وتطمث⁽²⁶⁷⁾، فهذه أقوال لكل قول وجهان ، وفي جمع لغتان ضم الجيم وكسرها ، وفي بعض الآثار : « الجنوب شهيد » يريد : صاحب الجنب ، يقال منه : رجل جنب بكسر النون وفتح الجيم إذا كانت به ذات الجنب وهو الشوصة .

٥١٩- وفي كتاب الترمذی وأبي داود والنسائي عن سعيد بن زيد ،

(٥١٧) حديث صحيح . أخرجه البخاري (١ / ١٦٧) ، (٤ / ٢٩) ، ومسلم (١٩١٤) ، ومالك (١٣١) في الموطأ ، وأحمد (٢ / ٣٣٥ ، ٥٣٣) ، والترمذی (١٠٦٣) .

(٥١٨) حديث صحيح . أخرجه مالك (٢٣٤) في الموطأ ، وأحمد (٥ / ٤٤٥) ، (٤٤٦) ، وأبو داود (٣١١١) ، والنسائي (٤ / ١٣ - ١٤) ، (٦ / ٥١) ، وابن ماجه (٢٨٠٣) وابن حبان (٥ / ٧٦ - ٧٧) ، والحاكم (١ / ٣٥٢) وصححه ، وأقره الذهبي ، والبعثي (١٥٣٢) في شرح السنة ، والطبراني (١٧٧٩) في الكبير وله شواهد كثيرة .

267- تطمث : تحيض أول مرة ، وأصل الطمث : الإدماء من الوطء .

(٥١٩) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١ / ١٩٠) ، وأبو داود (٤٧٧٢) ، والترمذی (١٤٣٦) ، والنسائي (٧ / ١١٥ ، ١١٦) ، وابن ماجه (٢٥٨٠) ، وابن أبي شيبه (٩ / ٤٥٦) ، والشافعي (١٣٥٧) ، وابن حبان (٥ / ٧٩) ، والبيهقي (٨ / ١٨٧ ، ٣٣٥) ، والطبراني (٣٥٢) في الكبير .

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

٥٢٠ - وروى النسائي من حديث سويد بن مقرن قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون مظلمة فهو شهيد » .

٥٢١ - وروى ابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « موت غربة شهادة » .

٥٢٢ - وأخرجه الدار قطنى ولفظه : « موت الغريب شهادة » وذكره أيضاً من حديث ابن عمر وصححه .

٥٢٣ - وأخرجه أبو بكر الخرائطى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات غريباً مات شهيداً » .

٥٢٤ - وخرجه أيضاً من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال :

(٥٢٠) حديث حسن . أخرجه النسائي (١١٧ / ٧) ، وابن عدى (١٧٨٢ / ٥) فى الكامل ، والطبرانى (٦٤٥٤) فى الكبير ، وفى سنده أحد المجهولين . لكن له شاهد من حديث ابن عباس ، أخرجه أحمد (٣٠٥ / ١) .
(٥٢١) حديث ضعيف . أخرجه ابن ماجه (١٦١٣) ، وأبو نعيم (١١٩ / ٥) (٨٠ / ٢٠١) فى الحلية ، والطبرانى (١١٦٢٨) فى الكبير وابن عدى (٢٥٨٤ / ٧) ، والبخارى فى تاريخه الصغير (١٥١ / ٢) ، والدولابى (١٣١ / ٢) فى الكنى ، والعقلى (٣٦٥ / ٤) فى الضعفاء ، وابن عساكر (٨٠) ، (٨١) ، (٨٢) ، (٨٣) فى التعزية بتحقيقى .
(٥٢٢) حديث ضعيف . انظر : اللآلى المصنوعة (١٣١ ، ٧٣ / ٢) الفوائد المجموعة (٢٠٩) ، تلخيص الحبير (١٤١ / ٢) ، والعلل المنتاهية (٤٠٩ ، ٤٠٨ / ٢) .
(٥٢٣) حديث ضعيف . أخرجه ابن عساكر (٨٤) فى التعزية ، وانظر اللآلى المصنوعة (١٣٣ / ٢) للسيوطى .
(٥٢٤) حديث ضعيف جداً . أخرجه ابن ماجه (١٦١٥) وفى سنده ابن أبى يحيى من المتروكين .

قال رسول الله ﷺ: « من مات غريباً مات شهيداً » .

٥٢٥- وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام : « من مات مريضاً مات شهيداً » .

٥٢٦- وروى الترمذى عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ :
« من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، فإن مات من يومه مات شهيداً ، ومن قرأها حين يمسي فكذلك » . قال : حديث حسن غريب .

٥٢٧- وذكر الثعلبي عن يزيد الرقاشي ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ آخر سورة الحشر إلى آخرها : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾ (268) فمات من ليلته مات شهيداً » .

٥٢٨- وخرج الآجری عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :
« يا أنس إن استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل ، فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة » .

(٥٢٥) حديث ضعيف . سبق تخريجه برقم (٤٨٥) .

(٥٢٦) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٥ / ٢٦) ، والترمذى (٣٠٩٠) ، والدارمى (٢ / ٤٥٨) ، وابن السنى (٧٨) ، فى عمل اليوم والليلة ، والطبرانى (٢٠ / ٢٢٩) فى الكبير ، وانظر : إرواء الغليل (٣٤١) .

(٥٢٧) حديث ضعيف . أخرجه ابن مردويه كما فى الدر المنثور (٦ / ٢٠٢) فيه يزيد الرقاشى من الضعفاء .

268- سورة: الحشر من الآية : ٢١ .

(٥٢٨) حديث ضعيف . أخرجه العقيلي (١ / ١١٩) فى الضعفاء الكبير ، والطبرانى (٢ / ٢٠) فى الصغير ، وابن عدى (١ / ٣٦٧) ، (٣ / ١٢٠١) ، وابن الجوزى (١ / ٣٥١) فى العلل المتناهية (١ / ٣٥١) وقال العقيلي : هذا الحديث عن أنس له طرق ليس منها وجه يثبت .

- ٥٢٩- وروى الشعبي عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « من صلى الضحى ، وصام ثلاثة أيام من كل شهر ، ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر ، كتب له أجر شهيد » أخرجه أبو نعيم .
- ٥٣٠- وروى من حديث أبي هريرة وأبى ذر عن النبي ﷺ قال : « إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيداً » وبعضهم يقول : « ليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة » ذكره أبو عمر في كتاب (بيان العلم) .
- ٥٣١- وخرج مسلم من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من طلب الشهادة صادقاً أعطيتها ، وإن لم تصبه » .
- ٥٣٢- وعن سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه » .
- ٥٣٣- وخرج الترمذى الحكيم من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس من أحد إلا وله كرائم من ماله ، يأبى لهم الذبح ، وإن لله
-
- (٥٢٩) حديث ضعيف . أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤ / ٣٣٢) ، والطبرانى فى الكبير كما فى المجموع (٢ / ٢٤١) فيه أيوب بن نهيك ، وهو من الضعفاء .
- (٥٣٠) حديث ضعيف جداً . أخرجه ابن عبد البر (١ / ٢٥ ، ٣١ ، ٩٦) فى بيان العلم ، والخطيب (٩ / ٢٤٧) فى تاريخه ، وفى الفقيه والمتفقه (١ / ١٦) ، والعقلى (٤ / ٣٥٠) فى الضعفاء ، والبزار كما فى مجمع الزوائد (١ / ١٢٤) وقال الهيثمى : فيه هلال بن عبد الرحمن الحنفى ، وهو متروك .
- (٥٣١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٩٠٨) ، وفى الباب عن معاذ رضى الله عنه ، وأخرجه البغوى (٢٦٣٤) فى شرح السنة .
- (٥٣٢) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٩٠٩) ، وأبو داود (١٥٠٦) ، والترمذى (١٧٠٥) ، والنسائى (٦ / ٣٦ ، ٣٧) ، وابن ماجه (٢٧٩٧) ، والدارمى (٢ / ٢٠٥) ، وابن حبان (٥ / ٧٨) ، والبيهقى (٩ / ١٧٠) فى سننه الكبرى والطبرانى (٥٥٥٠) فى الكبير .
- (٥٣٣) أخرجه الحكيم (ص / ٤٣١) فى النوادر النسخة الغير مسندة ، ولم أقف على سنده بعد ، فيسر الله تعالى الوصول إليه .

خلقا من خلقه يأبى لهم الذبح: أقوام يجعل موتهم على فرشهم ، ويقسم لهم أجور الشهداء .

٥٣٤- فصل: الشهداء جمع الشاهد ، والشهيد : القتل في سبيل الله . كذا قال أهل اللغة : الجوهرى وغيره وسمى بذلك لأنه مشهود له بالجنة ، فالشهيد بمعنى : مشهود له فعيل بمعنى مفعول ، وقال ابن فارس اللغوى فى (المجل) : والشهيد القتل فى سبيل الله قالوا : لأن ملائكة الله تشهده . وقيل : سمي شهيداً ، لأن أرواحهم أحضرت دار السلام . لأنهم ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (269) وأرواح غيرهم لا تصل إلى الجنة . فالشهيد بمعنى الشاهد أى : الحاضر للجنة ، وقيل سمي بذلك : لسقوطه بالأرض ، والأرض الشاهدة ، وقيل : سمي بذلك : لشهادته على نفسه لله - عز وجل - حين لزمه الوفاء بالبيعة التى بايعه فى قوله الحق : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (270) . فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً . ولذلك قال عليه (الصلاة و) السلام : «والله أعلم بمن يكلم* فى سبيله» .

٥٣٥- وقال فى شهداء أحد: «أنا شهيد على هؤلاء» لبذلهم نفوسهم

(٥٣٤) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤ / ٢٢) ، ومسلم (١٨٧٦) ، وأحمد (٢ / ٢٤٢) ، والترمذى (١٦٥٦) ، والنسائى (٦ / ٢٨-٢٩) ، والبيهقى (٤ / ١١) ، (٩ / ١٦٤) فى سننه الكبرى .
269- سورة : آل عمران من الآية : ١٦٩ .
270- سورة : التوبة من الآية : ١١١ .
* يكلم : يجرح فى سبيل الله .

(٥٣٥) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٢ / ١١٤) ، (٥ / ١٣١) ، وأبو داود (٣١٣٤) ، والترمذى (١٠٣٦) ، والنسائى (٤ / ٦٢) ، وابن ماجه (١٥١٥) ، والبخارى (١٥٠٠) فى شرح السنة ، والبيهقى (٤ / ١٠) فى سننه الكبرى ، وفى الباب عن عقبه بن عامر بنحوه .

دونه وقتلهم بين يديه تصديقاً لما جاء به ﷺ هذا الكلام في الشهيد .
 فأما الشهادة : فصفة سمى حاملها بالشاهد ويبلغ بشهيد ، وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهي : الحضور ، والوعى ، والأداء ، أما الحضور : فهو شهود الشاهد المشهود ، والوعى : زم* ما شاهده وعلمه في شهوده ذلك ، والأداء : هو الإتيان بالشهادة على وجهها في موضع الحاجة إلى ذلك ، هذا معنى الشهادة ، والشهادة على الكمال ، وإنما هي لله سبحانه وتعالى ، وأن جميع الشاهدين سواء يؤدون شهادتهم عنده ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق ﴾ (271) والشهداء : هم العدول ، وأهل العدالة في الدنيا والآخرة هم القائمون بما أوجب الحق سبحانه عليهم في الدنيا .

باب منه

٥٣٦- روى النسائي عن العرياض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال : « يختصم الشهداء ، والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون من الطاعون ، فيقول الشهداء : قتلوا كما قتلنا ، ويقول المتوفون على فرشهم : إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا ؟ فيقول ربنا - عز وجل - : انظروا إلى جراحهم ، فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم ، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم » .

* كذا بالأصل ، ولعلها صحفت عن : جزم ، أو عزم .

271- سورة الزمر من الآية : ٦٩ .

(٥٣٦) حديث حسن . أخرجه أحمد (٤ / ١٢٨ ، ١٢٩) ، والنسائي (٦ / ٣٧) ، والطبراني (١٨ / ٢٥٠) في الكبير ، وله شاهد من حديث عتبة بن عبد السلمي ، أخرجه أحمد (٤ / ١٨٥) ، والطبراني (١٧ / ١١٨) في الكبير ، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٥٣٧- وروت عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ :
« إن فناء أمتي بالطعن والطاعون » قالت : أما الطعن فقد عرفناه ، فما
الطاعون ؟ قال : « غدة كغدة البعير تخرج في المراق (272) والإباط (273) ،
من مات منها مات شهيداً » - أخرجه أبو عمر في (التمهيد والاستذكار) .

باب ما جاء أن الإنسان يبلد ويأكله التواب إلا عجب الذنب

٥٣٨- مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« ليس من الإنسان شيء إلا يبلد إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ، ومنه
يركب الخلق يوم القيامة » .
٥٣٩- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل ابن آدم يأكله التراب
إلا عجب الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب » .
٥٤٠- فصله : يقال : عجم وعجب بالميم والباء : لغتان ، وهو جزء

(٥٣٧) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٦ / ١٣٣ ، ١٤٥ ، ٢٥٥) ، وأبو يعلى ، والبخاري
والطبراني في الأوسط كما في المجموع (٢ / ٣١٥) .
وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب « الطواعين » كما في الدر المنثور (١ / ٣١٢) .
272- المراق : جمع مرق وهو المكان اللين في الأنف والبطن .
273- الإباط : جمع الإبط ، وهو باطن المنكب والجنح .
(٥٣٨) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٦ / ٢٠٥) ، ومسلم (٢٩٥٥) ،
والبغوي (٦ / ٨٥) في تفسيره ، والطبري (٢١ / ٢٤) في تفسيره .
(٥٣٩) حديث صحيح . أخرجه مالك (١ / ٢٢٩) في الموطأ ، والبخاري (٦ / ١٥٨) ،
ومسلم (٢٩٥٥) ، وأحمد (٢ / ٣٢٢ ، ٤٢٨ ، ٤٩٩) ، وأبو داود (٤٧٤٣) ، والنسائي (٤ /
١١١) ، وابن ماجه (٤٢٦٦) .
(٥٤٠) حديث حسن في الشواهد أخرجه أحمد (٣ / ٢٨) ، وابن حبان (٥ / ٥٦) ،
وقال الهيثمي في المجموع (١٠ / ٢٣٢) : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

لطيف فى أصل الصلب ، وقيل : هو رأس العصص⁽²⁷⁴⁾ كما رواه ابن أبى داود فى كتاب البعث من حديث أبى سعيد الخدرى قيل : يا رسول الله ، وما هو ؟ قال : « مثل حبة خردل ومنه تنشؤون » ، وقوله « منه خلق ومنه يركب » أى أول ما خلق من الإنسان هو ، ثم إن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى .

باب لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء

ولا الشهداء ، وأنهم أحياء

قال الله تعالى : ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾⁽²⁷⁵⁾ ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم . ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة فى شهداء أحد وغيرهم ، وليس هذا موضع ذكرها .

٥٤١- مالك بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصارين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، وكانا فى قبر واحد ، وهما من استشهد يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن ، وهو كذلك فأميّطت⁽²⁷⁶⁾ يده عن جرحه ، ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين فيه دراج عن أبى الهيثم ، وهى نسخة ضعيفة ، لكنه فى الشواهد .

274- العصص - أصل الذنب عظم صغير فى نهاية العمود الفقارى فى الإنسان والقردة .

275- سورة : آل عمران من الآية : ١٦٩ .

(٥٤١) خبر صحيح . أخرجه مالك (١٠٣٨) بلاغاً ، وأخرجه ابن سعد (٣ / ٥٦٢ -

٥٦٣) فى طبقاته ، وابن عبد البر فى التمهيد (١٩ / ٢٤١) عن جابر بسند بن وسند ابن سعد صحيح ، وأورده ابن رجب (ص / ٧١ - ٧٢) فى أهوال القبور وفى الباب عن أبى قتادة ، وهشام بن عامر .

276- أميّطت يده : ابعدت يده .

أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة ، وقال أبو عمر : هذا حديث لم يختلف عن مالك في انقطاعه وهو حديث يتصل من وجوه صحاح عن جابر .

٥٤٢- قال المؤلف - رضى الله عنه - : وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم ممن قتل شهيداً فى سبيل الله ، أو قتل على الحق كأنبيائهم ، وفى الترمذى فى قصة أصحاب الأخدود : « وأن الغلام الذى قتله الملك دفن » ، قال : فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل . وقال حديث حسن غريب وقصة الأخدود . مخرجة فى صحيح مسلم ، وكانوا بنجران فى الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ وقد ذكرناها مستوفاة فى (البروج) فى كتاب (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان) .

٥٤٣- وروى نقلة الأخبار : أن معاوية - رحمه الله - لما أجرى العين التى استنبطها بالمدينة فى وسط المقبرة ، وأمر الناس بتحويل موتاهم ، وذلك فى أيام خلافته ، وبعد الجماعة بأعوام وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة ، فوجدوا على حالهم حتى إن الكل رأوا المسحاة⁽²⁷⁷⁾ وقد أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب فسال منه الدم ، وأن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس ، وهذا أشهر فى الشهداء من أن يحتاج فيه إلى إكثار .

(٥٤٢) خير صحيح . أخرجه الترمذى (٣٥٦١) ، وانظر : الأهوال لابن رجب (ص / ٧٢) .

(٥٤٣) خير صحيح . أخرجه ابن عبد البر (١٣ / ١٤٢) ، (١٩ / ٢٤٢) فى التمهيد وانظر : أهوال القبور (ص / ٧١) .

277- المسحاة : أداة حادة : يجرف بها مثل الفأس .

٥٤٤- وقد روى كافة أهل المدينة أن جدار قبر النبي ﷺ لما أنهدم أيام خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة، بدت لهم قدم فخافوا أن تكون قدم النبي ﷺ فجزع الناس حتى روى لهم سعيد بن المسيب - رضى الله عنه - : « أن أجساد الأنبياء لا تقيم في الأرض أكثر من أربعين يوماً ثم ترفع » وجاء سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فعرف أنها قدم جده عمر - رضى الله عنه - وكان - رحمه الله - قتل شهيداً .

٥٤٥- وروى عن النبي ﷺ : « المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه قتيلاً ، وإن مات لم يدود في قبره » وظاهر هذا : أن المؤمن المحتسب لا تأكله الأرض أيضاً .

٥٤٦- وخرج أبو داود وابن ماجه في سننهما عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أفضل أيامكم (يوم) الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي » قالوا : يا رسول الله ، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون : بليت فقال : « إن الله عز وجل حرم على الأرض أن

(٥٤٤) إسناده ضعيف أخرجه عمر بن شبة في تاريخ المدينة كما في الأوهال (ص ٧١) من طريق هشام بن عبد الله بن عكرمة عن ابن عروة عن أبيه به، في سنده هشام بن عبد الله ، قال ابن حبان : ينفرد بما لا أصل له من حديث هشام بن عروة ، لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد .

انظر : الميزان (٤ / ٣٠٠) ، واللسان (٦ / ١٩٥) .

(٥٤٥) حديث ضعيف . أخرجه الطبراني (١٣٥٥٤) في الكبير ، وابن الجوزي في العلل

المتناهية (١ / ٣٩٢) ، وانظر السلسلة الضعيفة (٨٥٣) .

(٥٤٦) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ٨) ، وأبو داود (١٠٤٧) ، (١٥٣١) ،

والنسائي (٣ / ٩٣) ، وابن خزيمة (١٧٣٣) ، وابن حبان (٢ / ١٣٢) ، والدارمي (١)

=

تأكل أجساد الأنبياء» لفظ أبي داود وقال ابن العربي: حديث حسن، قلت: وخرجه أبو بكر البزار عن شداد بن أوس، واتفقوا في السند، عن حسين بن علي، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني (فقالا)، عن أوس، بن أوس أو عن شداد بن أوس وقال البزار: لا يعلم أحدا يرويه بهذا اللفظ إلا شداد بن أوس، ولا نعلم له طريقاً غير هذا الطريق، عن شداد بن أوس، ولا رواه إلا الحسين بن علي الجعفي، وقال أبو محمد عبد الحق، ويقال: إن عبد الرحمن هذا هو ابن يزيد بن تميم قال البخاري وأبو حاتم وهو منكر الحديث ضعيفه.

٥٤٧- قلت: وقد خرج ابن ماجه من غير هذا الطريق فقال: حدثنا عمرو بن سواد المصري، وحدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا على الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود، تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلي على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها» قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» فنبى الله حى يرزق ﷺ ورواه أبو جعفر الطبري في تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال أبو محمد عبد الحق: وزيد بن أيمن لا أعلم رواه عنه إلا سعيد بن هلال.

قال المؤلف: (رضى الله عنه) قال البخاري في التاريخ: زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي مرسل روى عنه سعيد بن أبي هلال. والله أعلم.



=/ (٣٦٩) في سننه، والحاكم (١ / ٢٧٨)، والطبراني (٥٨٩) في الكبير. (٥٤٧) حديث حسن لغيره. أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وفيه انقطاع، وله شواهد كثيرة عن أبي مسعود الأنصاري، وأنس، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وأوس بن أوس، وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين.

باب في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصق وكم بين النفختين ؟ وذكر البعث والنشور والنار

٥٤٨- مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ :
 «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين يوماً أو أربعين - لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً - فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم - عليه (الصلاة و) السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشمال ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى إن أحدكم لو دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى قبضته ، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفها ولا ينكرون منكراً ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم ، وحسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً* ورفع ليتاً» قال : «فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس» ثم قال : «يرسل الله » أو قال : « ينزل الله مطراً كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (278) ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ﴿ وقفوه إنهم مسئولون ﴾ (279) ثم يقال : أخرجوا بعث النار فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف

278- سورة الزمر من الآية : ٦٨ .

279- سورة : الصافات من الآية ٢٤ .

(٥٤٨) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٤٠) ، وأحمد (٢ / ١٦٦) ، والحاكم (٤

/ ٥٥٠) .

* ليتاً : الليت : بكسر اللام . صفحة العنق ، والتعبير كناية عن شدة الأمر .

تسعمائة وتسعة وتسعين» قال : «فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق» .

٥٤٩- مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون » قالوا : يا أبا هريرة أربعين يوماً؟ قال : أبيت. قالوا : أربعين شهراً؟ قال : أبيت. قالوا : أربعين عاماً؟ قال : أبيت ، ثم ينزل الله (تعالى) من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال : « ليس من الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً » وفي رواية « لا تأكله الأرض أبداً » وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، وعند ابن وهب في هذا الحديث : «فأربعون جمعة ؟» قال أبيت . وإسناده منقطع .

فصل ، هذان الحديثان مع صحتهما في غاية البيان فيما ذكرناه ويزيدهما أيضاً بياناً في أبواب ، ويأتى ذكر الدجال مستوعباً في الأشراف ، إن شاء الله تعالى ، وأصغى معناه : أمال ، ليتا يعنى صفحة العنق . ويلوط معناه : يطين ويصلح ، وقول أبي هريرة : أبيت : فيه تأويلان .

الأول : أبيت : أى امتنعت من بيان ذلك ، وتفسيره وعلى هذا كان عنده علم من ذلك أى سمعه من النبي ﷺ .

الثاني ، أبيت أى أبيت أن أسأل عن ذلك النبي ﷺ وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك . والأول أظهر وإنما لم يبينه ولأنه لم ترهق لذلك حاجة ، لأنه ليس من البينات والهدى الذى أمر بتبليغه .

٥٥٠- وفي البخارى عنه أنه قال : حفظت وعائين من علم فأما

(٥٤٩) حديث صحيح . سبق برقم (٥٣٨) .

(٥٥٠) خبر صحيح . أخرجه البخارى (١٢٠) .

فائدة نفيسة : حمل العلماء الوعاء الذى لم يثبته على الأحاديث التى فيها تعيين أسامى أمراء السوء ، وأحوالهم ، وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يكتفى عن بعضه ، ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين ، وإمارة الصبيان ، يشير إلى =

التذكيرة

النفخ في الصور

أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم ، قال أبو عبد الله : (البلعوم : مجرى الطعام) وقد جاء أن بين النفختين أربعين عاماً ، والله أعلم وسيأتى .

٥٥١- وذكر هناد بن السرى قال : حدثنا وكيع عن سفيان ، عن السدى سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ (280) فلم يجبنى فسمعنا أنه ما بين النفختين .

٥٥٢- حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازى عن أبي العالية : (وما بين ذلك) قال : ما بين النفختين . والله أعلم .

باب في قول الله تعالى

﴿ ونفخ في الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ (281)

وهم الملائكة ، أو الشهداء أو الأنبياء ، أو حملة العرش ، أو جبريل ، أو ميكائيل أو ملك الموت . صعق : مات .

٥٥٣- روى الأئمة عن أبى هريرة قال : قال رجل من اليهود بسوق

= خلافة يزيد بن معاوية ، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبى هريرة فمات قبلها بسنة .

(٥٥١) خبر صحيح . أخرجه هناد (٣١٨) فى الزهد .

280- سورة : مريم من الآية : ٦٤ .

(٥٥٢) لا بأس به . أخرجه هناد (٣١٩) ، والطبرى (١٦ / ٧٩) ، وابن المنذر كما فى

الدر المنثور (٤ / ٢٧٩) فيه أبو جعفر الرازى ، حسن فى الشواهد .

281- سورة : الزمر من الآية : ٦٨ .

(٥٥٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣ / ١٥٩) ، (٨ / ١٣٤) ، ومسلم

(٢٣٧٣) ، وأحمد (٢ / ٢٦٤) وابن أبى شيبة (١١ / ٥٢٦) ، وأبو داود (٤٦٧١) =

المدينة : والذى اصطفى موسى على البشر . فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه ، قال : تقول هذا وفيما رسول الله ﷺ ؟ فذكرت ذلك لرسول الله « قال الله عز وجل ﴿ ونفخ في الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ فأكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله ومن قال : أنا خير من يونس بن متى ، فقد كذب » لفظ ابن ماجه أخرجه عن أبي بكر بن أبى شيبة عن على بن مسهر ، وأخرجه الترمذى عن أبى كريب محمد بن العلاء ، قال حدثنا عبدة ابن سليمان جميعاً ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وأخرجه البخارى ومسلم بمعناه .

٥٥٤- فصل : واختلف العلماء فى المستثنى : من هو ؟ فقليل : الملائكة ، وقيل : الأنبياء ، وقيل : الشهداء واختاره الحلیمى قال : وهو مروى عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (282) وضعف غيره من الأقوال على ما يأتى وقال شيخنا أبو العباس : والصحيح أنه لم يرد فى تعيينهم خبر صحيح ، والكل محتمل .

= والترمذى (٣٤٥٩) ، والنسائى (٤٧٧) ، (٤٧٨) فى تفسيره وابن ماجه (٤٢٧٤) ، والبغوى (١٣ / ٢٠٤) فى شرح السنة ، والبيهقى (٥ / ٤٩٢) فى دلائل النبوة . (٥٥٤) انظر كلام ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٦٣ - ٦٤) . 282 - سورة : آل عمران من الآية : ١٦٩ .

٥٥٥- قلت : وقد ورد حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء وهو الصحيح على ما يأتى وأسند النحاس في كتاب (معانى القرآن) له حدثنا الحسين (عن) ابن عمر الكوفى قال : حدثنا هناد بن السرى قال : حدثنا وكيع ، عن عمارة بن أبي حفصة ، عن حجر الهجرى عن سعيد بن جبير فى قول الله عز وجل ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (283) قال : هم الشهداء هم ثنية الله عز وجل متقلدو السيوف (284) حول العرش . وقال الحسن : استثنى طوائف من الملائكة يموتون بين النفختين .

٥٥٦- قال يحيى بن سلام فى تفسيره : بلغنى أن آخر من يبقى منهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت (عليهم الصلاة والسلام). ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل ثم يقول الله -عز وجل -ملك الموت: مت ، فيموت ، وقد جاء هذا مرفوعاً فى حديث أبي هريرة الطويل على ما يأتى ، وقيل : هم حملة العرش وجبريل وميكائيل . وملك الموت .

٥٥٧ - وقال الحلیمى : من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش أو

(٥٥٥) خبر ضعيف . أخرجه هناد (١٦٤) فى الزهد ، وسعيد بن منصور (٢٥٦٨) ، فى سننه وعبد الرزاق (٢٦٤٤) فى تفسيره ، والبخارى فى تاريخه الكبير (٢ / ١ / ٧٣) ، وابن أبى شيبة (٥ / ٢٩٨) فى مصنفه ، وابن أبى الدنيا (٦١) فى الأحوال بتحقيقى ، والطبرى (٢٤ / ٢٠) فى تفسيره ، وعبد بن حميد وابن المنذر ، كما فى الدر المنثور (٥ / ٣٣٦) . وفى سننه عند الجميع ، حجر الهجرى ، وهو من المجهولين ، انظر : الجرح والتعديل (٣ / ٢٦٨) لسان الميزان (٢ / ١٨١) .

283- سورة: الزمر من الآية : ٦٨ .

284- متقلدو السيوف . حاملو السيوف .

(٥٥٦) أورده بلاغاً . وهو من أنواع الضعيف ، وبنحوه أخرجه ابن أبى الدنيا (٥٨) فى الأحوال عن محمد بن كعب بسند ضعيف .

(٥٥٧) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣ / ٣١ ، ٣٣) ، وابن أبى شيبة (١١ / ٥٠٩) وأبو داود (٤٦٦٨) مختصراً .

جبريل أو ميكائيل وملك الموت أو زعم أنه لأجل الولدان والحدور العين في الجنة أو زعم أنه لأجل موسى فإن النبي ﷺ قال: «أنا أول من تنشق عنه الأرض، فأرفع رأسي، فإذا موسى متعلق بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل؟ فإنه لم يصح شيء منها .

أما الآلهة: فإن حملة العرش ليسوا من سكان السماوات والأرض لأن العرش فوق السماوات كلها، فكيف يكون حملته في السماوات؟ وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن (الملائكة الصافين المسبحين) حول العرش، وإذا كان العرش فوق السماوات لم يكن الاصطفاف حوله في السماوات. كذلك القول الثاني لأن الولدان والحدور في الجنة والجنات، وإن كان بعضها أرفع من بعض فإن جميعها فوق السماوات ودون العرش، وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك أنها بمعزل عما خلق الله تعالى للفناء، وصرفه إلى موسى فلا وجه لأنه قد مات بالحقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانية، ولهذا لم يعتد في ذكر اختلاف المتأولين في الاستثناء بقول من قال: إلا من شاء الله، أي الذين سبق موتهم قبل نفخ الصور، لأن الاستثناء إنما يكون لمن يمكن دخوله في الجملة، فأما من لا يمكن دخوله في الجملة فيها فلا معنى لاستثناءه منها، والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بغرض أن يصعقوا فلا وجه لاستثناءهم. وهذا في موسى موجود فلا وجه لاستثناءه.

٥٥٨- وقال النبي ﷺ في ذكر موسى ما يعارض الرواية الأولى وهو أن قال: « والناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو جوزى بصعقة الطور؟ » فظاهر هذا الحديث: أن هذه صعقة غشى تكون يوم القيامة،

(٥٥٨) حديث صحيح . سبق تخريجه برقم (٥٥٣) .

لاصعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور .

فإن حمل الحديث عليها فذاك ، وإن حمل على صعقة الموت عند نفخ الصور^٢. وصرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوائله قيل : المعنى : أن الصور إذا نفخ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أو جوزى بصعقة الطور ؟ أى : فلا أدري أبعثه قبلي كان وهباً له وتفضيلاً من هذا الوجه ، كما فضل فى الدنيا بالتكليم ، أو كان جزاء له بصعقة الطور ، أى قدم بعثه على بعث الأنبياء بقدر صعقته عندما تجلى ربه للجبل إلى أن أفاق ليكون هذا جزاء له بها .

وما عدا هذا فلا يثبت قال شيخنا أحمد بن عمر : وظاهر حديث النبي ﷺ : يدل على أن ذلك إنما هو بعد النفخة الثانية نفخة البعث ، ونص القرآن يقتضى أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق . ولما كان هذا قال بعض العلماء : يحتمل أن يكون موسى عليه (الصلاة والسلام) ، ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل بما تقدم من ذكر موته ، وقال القاضى عياض : يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق السماوات والأرض ، قال : فتستقل الأحاديث والآيات والله أعلم .

قال شيخنا أبو العباس : وهذا يرد ما جاء في الحديث أنه عليه (الصلاة والسلام) حين يخرج من قبره يلقي موسى وهو متعلق بالعرش ، وهذا إنما هو عند نفخة البعث قال شيخنا أحمد بن عمر والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى أن الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك : أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء فى الدنيا وإذا كان هذا فى الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى .

٥٥٩- مع أنه قد صح عن النبي ﷺ: « أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء » وأن النبي ﷺ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس ، وفي السماء وخصوصاً بموسى ، وقد أخبرنا النبي ﷺ بما يقتضى أن الله تبارك وتعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبروا عنا بحيث لا ندركهم ، إن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من أوليائه ، وإذا تقرر أنهم أحياء ، فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق ، صعق كل من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله فأما صعق غير الأنبياء فموت ، وأما صعق الأنبياء : فالأظهر : أنه غشية . فإذا نفخ في الصور نفخة البعث . فمن مات حياً ومن غشى عليه أفاق . وكذلك قال ﷺ في صحيح مسلم والبخاري: « فأكون أول من يفيق » وهي رواية صحيحة وحسنة فنبيناً أول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم قبل الأنبياء وغيرهم إلا موسى ، فإنه حصل له فيه تردد : هل بعث قبله من غشيته أو بقى على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقاً لأنه حوسب بغشية الطور وهذه فضيلة عظيمة في حق موسى عليه (الصلاة و) السلام ولا يلزم من فضيلة أحد الأمرين المشكوك فيهما فضيلة موسى عليه (الصلاة و) السلام على محمد ﷺ مطلقاً لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمراً كلياً . والله أعلم .

قال المؤلف (رضي الله عنه): ما اختاره شيخنا هو ما ذكره الحليمي ، واختاره في قوله فإن حمل عليه الحديث فذاك . قال الحليمي : وأما الملائكة الذين ذكرناهم صلوات الله عليهم فإننا لم ننف عنهم الموت ، ولا أحلناهم ، (٥٥٩) حديث صحيح . سبق برقم (٥٤٧) .

ولما أبينا أن يكونوا هم المرادين بالاستثناء من الوجه الذى ذكرناه ، ثم قد وردت الأخبار بأن الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يميت آخر من يميت : جبريل ويحييه مكانه ويحيى هؤلاء الملائكة (الذين ذكرناهم ، وأما أهل الجنة فلم يأت عنهم خبر : والأظهر أنها دار الخلد . فالذى يدخلها لا يموت فيها أبداً مع كونه قابلاً للموت . والذى خلق فيها أولى أن لا يموت فيها أبداً ، وأيضاً فإن الموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار إلى دار ، وأهل الجنة لم يبلغنا أن عليهم تكليفاً ، فإن أعفوا من الموت كما أعفوا من التكليف لم يكن بعيداً . فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾ (285) وهو يدل على أن الجنة نفسها تفنى ثم تعاد يوم الجزاء ، فلم أنكرتم أن يكون الولدان والحداد يموتون ثم يحيون ؟ قيل : يحتمل أن يكون معنى قوله : ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾ أى : ما من شئ إلا وهو قابل للهلاك فيهلك إن أراد الله به ذلك إلا وجهه أى إلا هو سبحانه ، فإنه تعالى قديم لا يمكن أن يفنى وما عداه محدث ، والمحدث إنما يبقى قدر ما يبقيه محدثه فإذا حبس البقاء عنه فنى ، ولم يبلغنا فى خبر صحيح ولا معلول أنه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله .

٥٦٠- فصل : قوله ﷺ فى الحديث : « ومن قال : أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب » للعلماء فيه تأويلات : أحسنها وأجملها ما ذكره القاضى

285- سورة : القصص من الآية : ٨٨ .

(٥٦٠) حديث صحيح . سبق برقم (٥٥٣) .

فائدة نفيسة . نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى الفتاوى (٥ / ٢٥٨) ما نصه : قال مالك بن أنس :

إن الله فوق السماء ، وعلمه فى كل مكان ، فمن اعتقد أن الله فى جوف السماء محصور محاط به ، وأنه مفتقر إلى العرش أو إلى غير العرش ، أو أن استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسىه ، فهو ضال مبتدع جاهل .

أبو بكر بن العربي قال : أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أنه سئل : هل الباري في جهة ؟ فقال : لا ، هو متعال عن ذلك ، قيل له : ما الدليل عليه ؟ قال الدليل عليه قول النبي ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى » فقليل له : ما وجه الدليل من هذا الخبر ؟ فقال : لا أقوله حتى يأخذ ضيفي ، هذه ألف دينار ، يقضى بها ديناً ، فقام رجلان فقالا : هي علينا . فقال : لا يتبع بها اثنين لأنه يشق عليه ، فقال واحد منهم هي علي . فقال : إن يونس بن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت ، وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (286) كما أخبر الله (تعالى) ولم يكن محمد ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر وارتقى به صعداً ، حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام (287) وناجاه ربه بما ناجاه به وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله من يونس في ظلمة البحر .

= ومن اعتقد أنه ليس فوق السموات إله يعبد ، ولا نزل القرآن من عنده ، فهو معطل فرعوني ، ضال مبتدع ، ومن اعتقد ما جاء في الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الله فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه ، فقد أصاب ، فإن من لم يعتقد ذلك يكون مكذباً للرسول ﷺ ، متبعاً لغير سبيل المؤمنين ، بل يكون في الحقيقة معطلاً لربه نافياً له ، فلا يكون له في الحقيقة إله يعبده . ولا رب يسأله ، ويقصده ، وهذا قول الجهمية ، ونحوهم من أتباع فرعون المعطل والله قد فطر العباد - عربهم وعجمهم - على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو ، ولا يقصدونه تحت أرجلهم .
أخى المسلم : أخى المسلمة ..

الخلاصة : الإيمان بصفة العلو للعلی الغفار من معتقد السلف الصالح ، والخير كل الخير في اتباع من سلف ، والشر كل الشر في ابتداء من خلف .
ولقد صنف العلامة ابن قدامة الحنبلي مصنفاً في ذلك ، واختصره الذهبي ، فليقرأ فيانه نفيس في بابه .

286- سورة : الأنبياء من الآية : ٨٧ .

287- صريف الأقلام : صوت حركتها وجريانها على الورق .

٥٦١- قال المؤلف (رضي الله عنه): فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم ، ولا يخفى عليه حالهم ، كيف ما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم ، فيسمع ويرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، تحت الأرض السفلى ، كما يسمع ويرى تسبيح حملة عرشه من فوق السبع السماوات العلى ، سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، ولقد أحسن أبو العلاء بن سليمان المغربي حيث يقول :

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل (288)
ويرى مناط عروقتها في لحمها والمخ في تلك العظام النحل
آجالها محتومة أرزاقها مقسومة بعطا وإن لم تسأل
فلقد سألتك بالنبي محمد الهاشمي المدثر المزل (289)
امن على بتوبة تمحوبها ما كان منى في الزمان الأول

باب يفند العباد ويبقى الملك لله وحده

٥٦٢- البخارى ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ:

288- البهيم : الأسود ، وليل بهيم أى لا ضوء فيه إلى الصباح .

الأليل : مبالغة في شدة ظلام الليل .

مناط عروقتها : تعلق العروق في اللحم مع دقتها وكثرتها .

289- المدثر المزل : الملتف بالثياب وهى إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها المزل ﴾ وقوله ﴿ يا أيها المدثر ﴾ .

(٥٦٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٧٣٨٢) ، ومسلم (٧٨٧) ، وأحمد (٢) / ٣٧٤) ، وابن ماجه (١٩٢) ، والدارمى (٢ / ٣٢٥) فى سننه ، وابن أبى الدنيا (٥٧) فى الأحوال ، وأبو الشيخ (١٤٤) فى العظمة ، والطبرى (٢٤ / ١٩) ، فى تفسيره ، وابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٥ / ٣٣٥) .

«يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » .

٥٦٣- وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوى الله السماء يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرض بشماله . ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » انفراد به مسلم .

٥٦٤- وعن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكى رسول الله ﷺ ؟ قال : « يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه . فيقول : أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها فيقول : « أنا الملك » حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل حتى إننى أقول : أساقط هو برسول الله ﷺ .

٥٦٥- **فصل** : هذه الأحاديث تدل على أن (الله) سبحانه يفنى جميع خلقه أجمع كما تقدم ، ثم يقول الله عز وجل : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فيجيب نفسه المقدسة بقوله ﴿ لله الواحد القهار ﴾ (290) .

وقيل : إن المنادى ينادى بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة

(٥٦٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٧٨٨) ، وأبو داود (٤٧٣٢) ، وابن أبي عاصم (٥٤٧) ، (١ / ٢٤١) فى السنة .

(٥٦٤) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٧٨٨) ، وأحمد (٢ / ٧٢ ، ٨٨) ، وابن ماجه (١٩٨) ، (٤٢٨٥) ، وابن خزيمة (٤٩) ، وابن أبى الدنيا (١٩٨) فى الأهوال وابن أبى عاصم (٥٤٦) فى السنة ، وابن جرير وابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، وسعيد بن منصور كما فى الدر المنثور (٥ / ٣٣٥) .

(٥٦٥) خبر حسن أخرجه ابن أبى الدنيا (١٤٦) فى الأهوال ، عبد بن حميد كما فى الدر المنثور (٥ / ٣٤٨) ، وابن المبارك (٣٨٨) فى زوائد الزهد ، والطبرى (١٣ / ١٤٩) فى تفسيره من كلام ابن مسعود رضى الله عنه .
290 - سورة : غافر من الآية : ١٦ .

لم يعص الله عليها على ما يأتى ﴿لمن الملك اليوم﴾ فيجيبه العباد: ﴿لله الواحد القهار﴾ رواه أبو وائل عن ابن مسعود، واختاره أبو جعفر النحاس قال: والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل.

٥٦٦- قال المؤلف- رضى الله عنه:- والقول الأول أظهر، لأن المقصود إظهاره انفراده تعالى بالملك عند انقطاع (دعاوى) المدعين وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك وملكه، وكل جبار ومتكبر وملكه، وانقطعت نسبتهم ودعاويهم وهذا أظهر. وهو قول الحسن ومحمد بن كعب وهو مقتضى قوله الحق: «أنا الملك، أين ملوك الأرض»؟.

٥٦٧- وفى حديث أبى هريرة: «ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق، فيصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، فإذا اجتمعوا أمواتاً جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول: قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت، فيقول الله سبحانه - وهو أعلم-: من بقى؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقي حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل: ليمنت جبريل

(٥٦٦) خبر ضعيف. أخرجه ابن أبى الدنيا (٥٨) فى الأحوال بسند ضعيف من كلام محمد بن كعب.

(٥٦٧) حديث ضعيف. أخرجه ابن أبى الدنيا (٥٥) فى الأحوال، والبيهقى (٦٠٩) فى البعث، والطبرى (٢٠ / ١٣) فى (٢٣ / ١٠) فى تفسيره، وعبد بن حميد، وعلى بن معبد فى «الطاعة والعصيان» وأبو يعلى، وأبو الحسن القطان فى «المطولات»، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه والطبرانى (٣٦) فى «الطولات»، وأبو موسى المدينى وأبو الشيخ كما فى الدر المنثور (٥ / ٣٣٩).

يدور على إسماعيل بن رافع، وهو من الضعفاء، وراجع الأحوال تجد المزيد من القول حول الحديث.

وميكائيل فينطق الله عز وجل العرش ، فيقول: أى رب، يموت جبريل وميكائيل ؟ فيقول : اسكت إننى كتبت الموت على من تحت عرشى فيموتان » قال : « ثم يأتى ملك الموت (عليه الصلاة والسلام) إلى الجبار جل جلاله ، فيقول يا رب ، قد مات جبريل وميكائيل ، فيقول: سبحانه - وهو أعلم - : من بقى ؟ فيقول يا رب ، بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقى حملة عرشك (وبقى إسرافيل) وبقيت أنا ، فيقول : ليمنت حملة العرش. فيموتون فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ، ثم يقول : ليمنت إسرافيل ، فيموت ، ثم يأتى ملك الموت فيقول يا رب قد مات حملة عرشك ، فيقول - وهو أعلم - : من بقى ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت ، وبقيت أنا ، فيقول الله : أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت ، فإذا لم يبق إلا الله الواحد (القهار) الأحد الصمد الذى لا يتخذ صاحبة ولا ولدا ﴿ لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾⁽²⁹¹⁾ ، فكان كما كان أو لا طوى السماء كطى السجل للكتاب .

ثم قال : أنا الجبار ، ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ؟ فلم يجبه أحد فيقول جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ لله الواحد القهار ﴾⁽²⁹²⁾ .

قلت : حديث أبى هريرة هذا فيه طول ، وهذا وسطه ، ويأتى آخره في الباب بعد هذا ، ويأتى أوله بعد ذلك إن شاء الله تعالى فيتصل جميعه إن شاء الله تعالى ، ذكره الطبري وعلى بن معبد والثعلبي وغيرهم .

٥٦٨- وفى حديث لقيط بن عامر عن النبى ﷺ : « ثم تلبثون ما لبثتم ،

291- سورة : الإخلاص الآيتان : ٣ ، ٤ .

292- سورة : غافر الآية : ١٦ .

(٥٦٨) حديث ضعيف . أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (٤ / ١٣ - ١٤) وأبو داود (٣٢٤٩) مختصراً ، والحاكم (٤ / ٥٦٠ - ٥٦٤) وصححه ، وتعقبه الذهبي بأن =

ثم تبعث الصيحة فلعمري إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات ،
والملائكة الذين مع ربك فأصبح (ربك) يطوف في البلاد وقد خلت عليه
البلاد وذكر الحديث ، وهو حديث فيه طول ، خرجه أبو داود الطيالسي
في مسنده وغيره .

قال علماؤنا : قوله : « فأصبح ربك يطوف بالبلاد وقد خلت عليه
البلاد » إنما هو تفهيم وتقريب إلى أن جميع من في الأرض يموت ، وأن
الأرض تبقى خالية وليس يبقى إلا الله كما قال : ﴿ كل من عليها فان
 ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾⁽²⁹³⁾ وعند قوله سبحانه ﴿ لمن الملك
اليوم ﴾ وهو انقطاع زمن الدنيا ، وبعده يكون البعث والنشر والحشر
على ما يأتي ، وفي فناء الجنة والنار عند فناء جميع الخلق قولان :
أحدهما : يفنيهما ولا يبقى شيء سواه وهو معنى قوله الحق : ﴿ هو
الأول والآخر ﴾⁽²⁹⁴⁾ وقيل : إنه مما لا يجوز عليهما الفناء وإنهما باقيان
بإبقاء الله سبحانه . والله أعلم وقد تقدم في الباب قبل هذا الإشارة إلى
ذلك . وقد قيل : إنه ينادى مناد فيقول : « لمن الملك اليوم » فيجيبه أهل
الجنة : « لله الواحد القهار » (ذكره الزمخشري) .

= فيه يعقوب بن محمد الزهري ، وهو ضعيف ، قلت : لكنه توبع ، والعلة ليست منه ،
وأخرجه ابن شاهين كما في الإصابة (٦ / ٨) ، والطبراني (١٩ / ٢١١) في الكبير .
سنده مسلسل بالجهولين وهم على التوالي عبد الرحمن بن عياش ، دلهم بن الأسود ،
والأسود بن عبد الله ، وعاصم بن لقيط .

وقال ابن حجر في التهذيب (٥ / ٥٧) حديث غريب جداً .

293- سورة: الرحمن الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .

294- سورة: الحديد من الآية : ٣ .

فصل في بيان ما أشكل من الحديث من ذكر اليدين والأصابع

٥٦٩- إن قال قائل : ما تأويل اليد عندكم، واليد حقيقتها في الجارحة المعلومة عندنا . وتلك التي يكون القبض والطي بها ؟ قلنا : لفظ الشمال أشد في الإشكال وذلك في الإطلاق على الله محال .

(٥٦٩) فائدة نفيسة : من صفات الله تعالى : صفة اليدين من غير تشبيه ، ولا تكييف ، ولا تحريف ، ولا تأويل .

ويم يرد على من أول اليد بالنعمة ، أو بالقدرة ، أو نحو ذلك ؟ .
بما ذكره الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق من الوجوه التالية :
أولاً : أن الأصل في الكلام الحقيقة لذا فدعوى المجاز مخالف الأصل .
الثاني : أن ذلك خلاف الظاهر فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى .
الثالث : أن اطراد لفظها في موارد الاستعمال ، وتنوع ذلك ، وتصريف استعماله يمنع المجاز .
ألا ترى في قوله ﴿ خلقت يدي ﴾ وقوله ﴿ يده مبسوطان ﴾ وقوله ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ .
فلو كان مجازاً في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين ، وقوله في الحديث الصحيح «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين» .
فلا يقال هذه يد النعمة ، والقدرة .

وقوله « يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى ، ثم يهزهن ، ثم يقول : « أنا الملك » فهانها هز ، و قبض ، وذكر يدين ، ولما أخبر النبي ﷺ جعل يقبض يديه ويسطهما تحقيقاً للصفة لا تشبيهاً .

الرابع : أن مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية ، ولا يستعمل إلا مفرداً ، أو مجموعاً كقولك : له عندى يد يجزيه الله بها ، وله عندى أياد ، وأما إذا جاء لفظ التثنية لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية .

الخامس : أنه ليس في المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بمعنى التثنية كقوله ﴿ أن القوة لله جميعاً ﴾ ،

وقد يجمع الله النعم كقوله ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ .
وأما أن يقول خلقتك بقدرتين ، أو بنعمتين فهذا لم يقع في كلامه ، ولا كلام رسوله ﷺ . =

والجواب : أن اليد في كلام العرب لها خمسة معان : تكون بمعنى : القوة . ومنه قوله تعالى : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد ⁽²⁹⁵⁾ ﴾ وتكون بمعنى الملك والقوة . ومنه قوله تعالى : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ⁽²⁹⁶⁾ ﴾ وتكون بمعنى النعمة . تقول العرب : كم يد لى عند فلان أى كم من نعمة أسديتها إليه . وتكون بمعنى الصلة ومنه قوله تعالى : ﴿ هما عملت أيدينا أنعاما ⁽²⁹⁷⁾ ﴾ أى مما عملنا نحن . وقال تعالى : ﴿ أوعفوا الذى بيده عقدة النكاح ⁽³⁹⁸⁾ ﴾ أى الذى له النكاح ، وتكون بمعنى الجارية ومنه قوله تعالى : ﴿ وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنث ⁽²⁹⁹⁾ ﴾ وقوله فى الحديث (بيده) عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته ، ويقال : ما فلان إلا فى قبضتى بمعنى : ما فلان إلا فى قدرتى . والناس يقولون : الأشياء

= السادس : أنه لو ثبت استعمال ذلك بلفظ الثنية لم يجز أن يكون المراد به هنا القدرة ، فإنه يبطل تخصيص آدم عليه الصلاة والسلام ، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرة الله سبحانه ، فأى مزية لآدم على إبليس فى قوله ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ .
سابعاً : أن هذا التركيب المذكور فى قوله : ﴿ خلقت بيدي ﴾ يأبى حمل الكلام على القدرة ، لأنه نسب الخلق إلى نفسه سبحانه ، ثم عدى الفعل إلى اليد ، ثم ثناها ، ثم أدخل عليها الباء التى تدخل على قوله كتبت بالقلم ، ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه .
ومن هنا فالإيمان بصفات الرحمن من الواجبات ، والتأويل أو التشبيه ، أو التعطيل من أعظم المخالفات .

295- سورة : ص من الآية : ١٧ .

296- سورة : آل عمران من الآية : ٧٣ .

297- سورة : يس من الآية : ٧١ .

298- سورة : البقرة من الآية : ٢٣٧ .

299- سورة : ص من الآية : ٤٤ .

فى قبضة الله يريدون فى ملكه وقدرته ، وقد يكون معنى القبض والطفى
إفناء الشيء ، وإذها به فقله عز وجل : ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم
القيامة﴾⁽³⁰⁰⁾ يحتفل أن يكون المراد به الأرض جميعاً ذاهبة فانية يوم
القيامة ، وقوله : ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾⁽³⁰¹⁾ ليس يريد به طياً
بعلاج وانتصاب ، وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب . يقال : قد انطوى عنا
ما كنا فيه وجاءنا غيره ، وانطوى عنا دهر بمعنى : المضى والذهاب .
٥٧٠- فإن قيل : فقد قال فى الحديث : « يقبض أصابعه ويبسطها »
وهذه حقيقة الجارحة قلنا : هذا مذهب المجسمة من اليهود والحشوية .
والله تعالى متعال عن ذلك ، وإنما المعنى حكاية الصاحب عن النبى ﷺ
يقبض أصابعه ويبسطها وليس معنى اليد فى الصفات بمعنى الجارحة ، حتى
يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع ، فدل على أن النبى ﷺ هو الذى يقبض
أصابعه ويبسطها . قال الخطابى وذكر الأصابع لم يوجد فى شيء من
الكتاب والسنة المقطوع بصحتهما .

٥٧١- فإن قيل : فقد ورد ذكر الأصابع فى غير ما حديث ، فما
جوابكم عنه ؟ فقد روى البخارى ومسلم قال : أتى النبى ﷺ رجل من
أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن الله تعالى يحمل السماوات على

300- سورة : الزمر من الآية : ٦٧ .

301- سورة : الزمر من الآية : ٦٧ .

(٥٧١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٨١١) ، ومسلم (٢٧٨٦) ، والترمذى
(٣٢٣٨) ، (٣٢٣٩) ، وابن حبان (٩ / ٢١٣) .

أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ،
والخلائق على أصبع ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت
نواجذه (302) فأنزل الله عز وجل ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره ، والأرض
جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ (303) .

٥٧٢- وروى عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ
(يقول): « إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن قلب
واحد يصرفها حيث شاء » ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف
القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » ومثله كثير .

٥٧٢م- قيل له : اعلم أن الأصبع قد يكون بمعنى الجارحة والله تعالى
يتقدس عن ذلك ، ويكون بمعنى القدرة على الشيء ويسارة تقليبه ، كما
يقول من استسهل شيئاً واستخفه مخاطباً لمن استثقله : أنا أحمله على
أصبعي وأرفعه على أصبعي ، وأمسكه بخنصري ، كما يقول من أطاع
بحمل شيء : أنا أحمله على عيني وأفعله على رأسي ، يعني به الطوعية وما
أشبه ذلك ، قد قال في معناه وهو كثير ، ومما قال عنترة ، وقيل : ابن زيادة
التميمي :

الرمح لا أملاً كفى به
واللبد لا أتبع تزواله (304)

302- النواجذ : الأضراس الأخيرة .

303- سورة : الزمر من الآية ٦٧ .

(٥٧٢) حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٦٥٤) ، وأحمد (٢ / ١٦٨) ، وابن أبي
عاصم (٢٢٢) ، (٢٣١) في السنة ، وفي الباب عن أنس ، وعائشة ، وكليب والنواس بن
سمعان رضي الله عنهم .

304- اللبد : ما يوضع تحت السرج أو هو السرج نفسه .

يريد: أنه لا يتكلف أن يجمع كفه ، فيشتمل على الرمح لكن يطعن به
خلساً بأصابعه لخفة ذلك عليه . وقوله : لا أتبع تزواله : أى إذا مال لم أمل
معه .

يقول : أنا ثابت على ظهر الخيل لا يضرني فقد بعض الآلة ، ولا تغير
السرّج عما يريده الراكب . يصف نفسه بالفروسية فى الركوب والطعن ،
فلما كانت السماوات والأرض أعظم الموجودات قدراً وأكبرها خلقاً كان
إمساكها بالنسبة إلى الله تعالى كالشئ الحقيق الذى نجعله نحن بين أصابعنا
ونهبه بأيدينا ، ونتصرف فيه كيف شئنا فتكون الإشارة بقوله : « ثم يقبض
أصابعه ويبسطها » وبقوله : « ثم يهزهن » كما جاء فى بعض طرق مسلم
وغيره . أى هى فى قدرته كالخبة مثلاً فى كف أحدنا التى لا نبالى بإمساكها
ولا بهزها ولا تحريكها ، ولا القبض والبسط عليها ، ولا نجد فى ذلك صعوبة
ولا مشقة ، وقد يكون الأصبع أيضاً فى كلام العرب بمعنى النعمة وهو المراد
بقوله عليه (الصلاة و) السلام : إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع
الرحمن « أى بين نعمتين من نعم الرحمن يقال : لفلان على أصبع ، أى أثر
حسن إذا أنعم عليه نعمة حسنة ، وللراعى على ما شئته أصبع أى أثر حسن ،
وأنشد الأصمعى للراعى :

ضعيف العصى بady العروق ترى له
عليها إذا ما أجذب الناس أصبعاً
وقال آخر :

صلاة وتسبيح وإعطاء سائل
وذى رحم تبل منك أصبع
أى أثر حسن . وقال آخر :

من يجعل الله عليه أصبعاً
فى الخير والشر يلقاه معاً

٥٧٣ - فإن قيل : كيف جاز إطلاق الشمال على الله تعالى وذلك
يقتضى النقص ؟ قيل : هو مما انفرد به عمر بن حمزة عن سالم ، وقد روى

هذا الحديث نافع وعبد الله بن مقسم عن ابن عمر لم يذكر فيه الشمال .
ورواه أبو هريرة وغيره عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه واحد منهم الشمال .
قال البيهقي : وروى ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة
إلا أنه ضعيف بمرة ، وكيف يصح ذلك وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمي
كلتا يديه يميناً ؟ وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له أو على
عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين .
قال الخطابي : ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليد شمال ،
لأن الشمال محل النقص والضعف . وقد روى : « كلتا يديه يمين » وليس
معنى اليد عندنا : الجارحة ، وإنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها
على ما جاء ولا نكيفها ، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والسنة
المأثورة الصحيحة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد يكون اليمين في
كلام العرب بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ ﴾⁽³⁰⁵⁾ يريد بها الملك . وقال : ﴿ لَأَخْذُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾⁽³⁰⁶⁾ أي :
بالقوة والقدرة أي : أخذنا قدرته وقوته . قال الفراء : اليمين : القوة والقدرة
وأنشد :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
وقال آخر :

ولما رأيت الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتي بيميني
فقلت شنيفا ثم فاران بعده وكان على الآيات غير أمين

305- سورة: النساء من الآية: ٣ .

306- سورة: الحاقة الآية: ٤٥ .

٥٧٤- قلت : وعلى هذا التأويل تخرج الآية والحديث ، والله أعلم .
وقد تكون اليمين في كلام العرب بمعنى : التبجيل والتعظيم . ويقال : فلان
عندنا باليمين أى : بالحل الجليل ، ومنه قول الشاعر :
أقول لناقتى إذ بلغتنى لقد أصبحت عندي باليمين
أى بالحل الرفيع وأما قوله : « كلتا يديه يمين » فإنه أراد بذلك : التمام
والكمال ، وكانت العرب تحب التيامن ، وتكره التياسر⁽³⁰⁷⁾، لما فى التياسر
من النقصان وفى التيامن من التمام . فإن قيل : فأين يكون الناس عند طى
الأرض والسماء ؟ قلنا: يكونون على الصراط على ما يأتى بيانه إن شاء الله
تعالى .

باب البرزخ

٥٧٥- روى هناد بن السرى قال : حدثنا محمد بن فضيل ، وو كيع
عن فطر قال : سألت مجاهدا عن قول الله تعالى : ﴿ ومن وراءهم برزخ إلى
يوم يبعثون ﴾⁽³⁰⁸⁾ قال : هو ما بين الموت والبعث .

٥٧٦- وقيل للشعبي : مات فلان ، قال : ليس هو فى الدنيا ولا فى
الآخرة ، هو فى برزخ ، والبرزخ فى كلام العرب الحاجز بين الشيئين ، ومنه

(٥٧٤) راجع رقم (٥٦٩) .

307- التياسر : اتخاذ الشمال فى أى شىء .

(٥٧٥) خير حسن . أخرجه هناد (٣١٤) فى الزهد ، والطبرى (١٨ / ٤١) فى
تفسيره ، وأبو نعيم فى الحلية (٣ / ٢٩٠) ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر كما فى الدر المنثور
(١٥ / ٥) .

308- سورة : المؤمنون من الآية : ١٠٠ .

(٥٧٦) خير حسن . أخرجه هناد (٣١٥) فى الزهد .

قوله تعالى: ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾⁽³⁰⁹⁾ أى : حاجزاً وكذلك هو فى الآيه من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل فى البرزخ ، وقوله تعالى : ﴿ومن ورائهم برزخ﴾⁽³¹⁰⁾ أى من أمامهم وبين أيديهم .

باب ذكر النفخ الثانى للبعث فى الصور وبيانه

وكيفية البعث وبيانه ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يحيى من الخلق ، وبيان السن الذى يخرجون عليه من قبورهم ، وفى لسانهم ، وبيان قوله تعالى ﴿وألقنا ما فيها وتخلت﴾⁽³¹¹⁾ قال الله عز وجل : ﴿يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة﴾⁽³¹²⁾ وقال : ﴿فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾⁽³¹³⁾ وقال ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾⁽³¹⁴⁾ وقال ﴿يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا﴾⁽³¹⁵⁾ وسماه الله تعالى أيضاً بالناقور فى قوله تعالى ﴿فإذا نقر فى الناقور﴾⁽³¹⁶⁾ .

309- سورة الفرقان من الآية : ٥٣

310- سورة : المؤمنون من الآية : ١٠٠ .

311- سورة : الانشقاق من الآية : ٤ .

312- سورة : الأنعام من الآية : ٧٣ .

313- سورة : المؤمنون الآية : ١٠١ .

314- سورة : الزمر من الآية : ٦٨ .

315- سورة : النبأ الآية : ١٨ .

316- سورة : المدثر من الآية : ٨ .

٥٧٧- قال المفسرون : الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتي بيانه ، قال الله تعالى مخبراً عن كفار قريش ﴿ ما ينظرون ﴾ أى ما ينتظرون كفار آخر هذه الأمة الدائنون بدين أبى جهل وأصحابه - ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ - يعنى : النفخة الأولى التى يكون بها هلاكهم ﴿ تأخذهم وهم يخصمون ﴾ (317) أى يختصمون فى أسواقهم وحوائجهم . قال الله (تعالى) : ﴿ لا تأتاكم إلا بغتة ﴾ (318) ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ (319) أى : أن يوصوا ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ أى من أسواقهم وحيث كانوا ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴾ (320) . ﴿ ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث ﴾ (321) والنفخة : هى النفخة الثانية نفخة البعث . والصور : قرن من نور يجعل فيه الأرواح يقال إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلائق على ما يأتى . قال مجاهد : هو كالقوق ذكروه البخارى ، فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده ﴿ فإذا هم من الأجداث ﴾ أى القبور : ﴿ ينسلون ﴾ أى يخرجون سراعاً يقال : نسل ينسل ، وينسل بالضم أيضاً : إذا أسرع فى مشيه فالمعنى يخرجون مسرعين وفي الخبر : أن بين النفختين أربعين عاماً .

317- سورة : يس من الآية : ٤٩ .

318- سورة : الأعراف من الآية : ١٨٧ .

319- سورة : يس الآية : ٥٠ .

320- سورة : يس من الآية : ٢٩ .

321- سورة : يس من الآية : ٥١ .

وسياتى ، وفى البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ (322) : الصور قال : « والراجفة » النفخة الأولى « والرادفة » : الثانية .

٥٧٨- وروى عن مجاهد أنه قال : للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم ، فإذا صبح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينظرون ما يراد بهم لقوله تعالى : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (323) وقد أخبر الله تعالى عز وجل عن الكفار أنهم يقولون ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ (324) ؟ فيقول لهم الملائكة أو المؤمنون على اختلاف المفسرين ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ (325) وقيل إن الكفار هم القائلون : ﴿ هذا ما وعد الرحمن ﴾ وذلك أنهم لما بعثوا قال بعضهم لبعض : ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ ، صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به ثم قالوا : ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ فكذبنا به أقروا حين لم ينفعهم الإقرار ثم يؤمر بحشر الجميع إلى الموقف للحساب .

322- سورة : المدثر الآية : ٨ .

323- سورة : الزمر من الآية : ٦٨ .

324- سورة : يس من الآية ٥٢

325- سورة : يس الآية : ٥٢

٥٧٩- وقال عكرمة : إن الذين يغرقون فى البحر تقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام ، فتلقىها الأمواج إلى الساحل ، فتمكث حيناً ثم تصير حائلة نخرة⁽³²⁶⁾ ، ثم تمر بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر⁽³²⁷⁾ ، ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر⁽³²⁸⁾ فيوقدونه . ثم تخذ تلك النار فيجىء الريح فيلقى ذلك الرماد على الأرض فإذا جاءت النفخة ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ يخرج أولئك وأهل القبور سواء ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ أى نفخة واحدة ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾⁽³²⁹⁾.

٥٨٠- قال علماؤنا -رحمهم الله-: فالنفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور وغيرهم، فيعيد الله (تعالى) الرفات⁽³³⁰⁾ من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرق منها فى البحار وبطون السباع وغيرها، حتى تصير كهيئاتها

(٥٧٩) أخرجه عبد بن حميد كما فى الدر المنثور (٥ / ٣٣٨) .

326- حائلة نخرة : مفتتة بالية ، تغيرت عن أصلها من البلى .

327- فتبعر : استخرجت ما فى أمعاءها من البعر .

328- البعر : رجيع ذوات الخف وذوات الظلف إلا البقر الأهلى .

329- سورة : يس من الآية ٥٣ .

(٥٨٠) حديث ضعيف . أخرجه العقيلي (٣ / ٢٥٣) فى الضعفاء الكبير ، وابن حبان

(٢ / ١١١) فى المجروحين من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

وسنده ضعيف ، فيه على بن نافع ، ويقال ابن الربيع ، أحد الضعفاء كما فى الميزان (٣ /

١٥٩) ، وانظر المجروحين .

وفى الباب عن على ، وسنده ضعيف أيضاً ، أخرجه ابن ماجه (١٦٠٨) ، وانظر : التسلى

والاغتياب (ص / ٤٦) للدمياطى بتحقيقى .

330- الرفات : المتبقى من كل شيء .

الأولى ، ثم يجعل فيها الأرواح فيقوم الناس كلهم أحياء حتى السقط فإن النبي ﷺ قال : « إن السقط ليظل محبباً (331) على باب الجنة . ويقال له : ادخل الجنة فيقول : لا حتى يدخل أبواي » وهذا السقط هو الذي تم خلقه ، ونفخ فيه الروح قال الله تعالى : ﴿ وإذا الموءودة سئلت (332) فدل على أن الموءودة تحشر وتساءل ، ومن قبرها تخرج وتبعث ، وأما من لم ينفخ فيه الروح فهو سائر الأموات سواء . قاله الحاكم أبو الحسين بن الحسن الحلبي رحمه الله في كتاب (منهج الدين) له . وبالْحَقِيقَةُ إنما خروج الخلق بدعوة الحق ، قال الله تعالى : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده (333) ﴾ فتقومون فتقولون : سبحانك اللهم وبحمدك . قالوا : فيوم القيامة يوم يبدأ بالحمد ويختم به ، قال الله تعالى : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ﴾ وقال في آية أخرى ﴿ وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (334) ﴾ .

٥٨١- ابن ماجه قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا عباد بن العوام ، عن حجاج بن عطية ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن صاحبى الصور بأيديهما - أو فى أيديهما - قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران » .

٥٨٢- الترمذى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : جاء أعرابي

331- المحبطين : الملتصق بالأرض .

332- سورة : التكوين الآية : ٨ .

333- سورة : الإسراء الآية : ٥٢ .

334- سورة : الزمر من الآية : ٧٥ .

(٥٨١) حديث ضعيف . أخرجه ابن ماجه (٤٢٧٣) ، والبخاري ، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٥ / ٣٣٨) فيه عطية العوفى أحد الضعفاء ، ومنته مخالف لما هو صحيح ، فهو منكرو . (٥٨٢) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (٢٧٤٢) ، والترمذى (٢٤٣٠) ، (٣٢٤٤) ، والنسائى (٣٣٢) فى تفسيره ، وأحمد (٢ / ١٦٢ ، ١٩٢) ، وابن المبارك =

إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه » قال : هذا حديث حسن .

٥٨٣- وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ ؟ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم : قولوا ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (335) قال : حديث حسن .

٥٨٤- وروى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أطرف صاحب الصور منذ وكل به مستعداً بحذاء العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه كأن عينيه كوكبان دريان » أخرجه أبو الحسن بن صخر في فوائده وغيره .

= (١٥٩٩) في الزهد ، والدارمي (٢ / ٣٢٥) في سننه ، وابن أبي الدنيا (٤٧) في الأحوال ، وابن حبان ، (٩ / ٢٠٩) ، وابن جرير (١٦ / ٢٤) في تفسيره ، والحاكم (٢ / ٥٠٦) ، وأبو نعيم (٧ / ٢٤٣) في الحلية .
(٥٨٣) حديث صحيح . أخرجه ابن المبارك (١٥٩٧) في الزهد ، وأحمد (٣ / ٧) ، والترمذي (٣٤٥٧) ، وابن ماجه (٤٢٧٣) ، وابن أبي الدنيا (٥٠) في الأحوال ، وأبو نعيم (٥ / ١٠٥) في الحلية ، والبغوي (١٥ / ١٠٣) ، في شرح السنة ، وابن أبي داود (١٨) في البعث .

وفي سننه العوفي ، وهو ضعيف ، لكن له شواهد عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وابن أرقم ، وأنس ، وجابر والبراء راجع الأحوال (ص / ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤) .
335- سورة : آل عمران من الآية : ١٧٣ .

(٥٨٤) حديث صحيح . أخرجه ابن أبي الدنيا (٤٦) في الأحوال ، والحاكم (٤ / ٥٥٨) - (٥٥٩) ، وصححه ، وأقره الذهبي ، والحسن بن سفيان في مسنده وعنه أبو نعيم (٤ / ٩٩) في الحلية ، وانظر السابق .

٥٨٥- وخرج ابن المبارك ومؤمل بن إسماعيل وعلى بن معبد عن ابن مسعود حديثاً ذكر فيه قال : « ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه ، والصور قرن فلا يبقى لله خلق في السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون ، فليس من بني آدم خلق إلا وفي الأرض شيء منه » زاد مؤمل بن إسماعيل : قال سفيان - يعني الثوري - عجب الذنب قال : « يرسل الله ماء من تحت العرش : منياً كمنى الرجال فتنبت جثمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض من الثرى » ثم قرأ عبد الله ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحييناه بالأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾³³⁶ قال : « ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فتنتطق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه ثم يقومون فيجيئون إجابة رجل واحد قياماً لرب العالمين وقال ابن المبارك ومؤمل : « ثم يقومون فيحيون تحية واحدة » .

٥٨٦- وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، عن عبد الله بن مسعود قال : « فيقومون فيحيون تحية رجل واحد قياماً لرب العالمين » قوله « فيحيون » التحية تكون في حالين :

أحدهما : أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم وهذا المعنى الذي في هذا الحديث ألا تراه .. يقول : « قياماً لرب العالمين » .

(٥٨٥) في إسناده ضعف . أخرجه ابن أبي الدنيا (٨٠) في الأحوال عن طريق ابن المبارك ، وابن جرير (٢٢ / ٧٩) في تفسيره ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥ / ٢٤٥) ، فيه أبو الزعراء ، وهو مقبول ، ولم أجد من يتابعه فهو لين .
336- سورة : فاطر الآية : ٩ .
(٥٨٦) انظر السابق .

والوجه الآخر: أن ينكب على وجهه باركاً وهذا هو الوجه المعروف عند الناس ، وقد حمله بعض الناس على قوله : « فيخرون سجداً لرب العالمين (237) » فجعل السجود هو التحية وهذا هو الذي يعرفه الناس من التحية. ٥٨٧- وروى عن علي بن معبد أيضاً عن أبي هريرة . قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، ونحن في طائفة من أصحابه وساق الحديث بطوله إلى قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ لله الواحد القهار (338) ﴾ ثم ﴿ تبدل الأرض غير الأرض والسموات (339) ﴾ فيسقطها بسطاً ثم يمدّها مد الأديم العكاظي (*) ﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً (340) ﴾ (341) ثم يزر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل ما كانوا فيه من الأولى : من كان في بطنها كان في بطنها ، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها. ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش يقال له : الحيوان فتمطر السماء عليكم أربعين سنة حتى يكون الماء من فوقكم اثني عشر ذراعاً . ثم يأمر الله - عز وجل : الأجساد فتنبت كنبات الطرائث (342) . وكنبات البقل حتى إذا تكلمت أجسادكم فكانت كما كانت يقول الله عز وجل : ليحي حملة العرش فيحيون. ثم يقول : ليحي جبريل وميكائيل وإسرافيل فيأمر الله إسرافيل فيأخذ

337- هذه العبارة ليست في القرآن ، وتصويب الآية في سورة الإسراء آية ١٠٧ ﴿ يخرون للأذقان سجداً ﴾ .

(٥٨٧) حديث ضعيف . سبق برقم (٥٦٧) .

338- سورة : غافر من الآية : ١٦ .

339- سورة : إبراهيم عليه السلام من الآية : ٤٨ .

* الأديم العكاظي : الجلد المنسوب إلى عكاظ .

340- أمتاً : الاختلاف في المكان ارتفاعاً وانخفاضاً ، ورقة وصلابة .

341- سورة : طه من الآية : ١٠٧

342- الطرائث : نبات طفيلي من الفصيلة السنومورية (المعجم الوسيط : (ط ر ث) .

الصور ، ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها . وتتوهج أرواح المسلمين نوراً والأخرى مظلمة ، فيأخذها الله تعالى فيلقبها في الصور ، ثم يقول لإسرافيل انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الأرواح كلها كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله - عز وجل - : وعزتي وجلالي ليرجع كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد ... ثم تدخل في الخياشيم فتشمى في الأجساد مشى السم في اللدغ ثم تنشق الأرض عنكم ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون منها شباناً كلكم أبناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسرانية سراعاً إلى ربهم ينسلون ﴿مسطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾⁽³⁴³⁾ ﴿ذلك يوم الخروج﴾⁽³⁴⁴⁾ ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾⁽³⁴⁵⁾ فتوقفون في موقف عراة غلفاً غرلاً مقدار سبعين عاماً ويعرقون حتى تبلغ منهم الأذقان ، ويلجمهم فيضجون ويقولون : من يشفع لنا إلى ربنا ؟ . وساق الحديث بطوله في الشفاعة ، وسيأتى حديث الشفاعة في صحيح مسلم وغيره إن شاء الله تعالى .

٥٨٨- وخرج الختلى أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم في كتاب (الديباج) له : حدثني أبو بكر خليفة بن الحارث بن خليفة ، وحدثنا محمد بن جعفر المدائني ، عن سلام بن سلم الطويل عن عبد الحميد ، عن نافع عن

343- سورة : القمر الآية : ٨ .

344- سورة : ق من الآية : ٤٢ .

345- سورة : الكهف من الآية : ٤٧ .

(٥٨٨) حديث ضعيف جداً في سننه المدائني ، وفيه لين ، وعلته سلام بن سلم ، ويقال : سليم الطويل ، فهو أحد المتروكين ، وانظر : الميزان (٢ / ١٧٥) ، التهذيب (٤ / ٢٨١ - ٢٨٢) .

ابن عمر ، عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ (346) قال : فقال رسول الله ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض فأجلس جالساً في قبري ، فيفتح لي باب إلى السماء بحيال (347) رأسي حتى أنظر إلى العرش ثم يفتح لي باب من تحتي حتى أنظر إلى الأرض السابعة ، حتى أنظر إلى الثرى ، ثم يفتح لي باب عن يميني حتى أنظر إلى الجنة ومنازل أصحابي ، وإن الأرض تحركت تحتي فقلت : ما بالك أيتها الأرض قالت : إن ربي أمرني أن ألقى ما في جوفي ، وأن أتخلي فأكون كما كنت إذ لا شيء في فذلك قول الله عز وجل ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ (348) أي سمعت وأطاعت وحق لها أن تسمع وتطيع وأذن لربها وحقت (349) قال رسول الله ﷺ : « أنا ذلك الإنسان » .

٥٨٩- وروى في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (350) ﴿ إِنَّ هَٰذَا خَطَابٌ لِلْأَرْوَاحِ بِأَن تَرْجِعَ إِلَىٰ أَجْسَادِهَا : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً ﴾ أي : صاحبك كما تقول : رب الغلام ، ورب الدار ، ورب الدابة ، أي صاحب الغلام ، وصاحب الدار ، وصاحب الدابة ، ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ أي في أجسادهم من مناخرهم كما ورد في

346- سورة : الانشقاق الآية : ١ ، ٢ .

347- بحيال : بجانب .

348- سورة : الانشقاق الآيتان : ٤ ، ٥ .

349- سورة : الانفطار من الآية : ٦ .

350- سورة : الفجر الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .

الخبر المتقدم ، وقد روى أن الله تعالى خلق الصور حين فرغ من خلق السموات والأرض ، وأن عظم دارته (351) كغلف السماء والأرض .

٥٩٠- وفي حديث أبي هريرة : « والذي نفسى بيده إن عظم دائرة فيه لكعرض السماء والأرض » وسيأتى . وروى : « أن له رأسين رأساً بالمشرق ورأساً بالمغرب » فالله أعلم .

٥٩١- فصل : الصور : بالصاد قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء ، وهى نفخة الصعق ويكون معها نقر لقوله تعالى : ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ (352) أى فى الصور فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ ، لتكون الصيحة أشد وأعظم ، ثم يمكث الناس أربعين عاماً ، ثم ينزل الله تعالى ماء كمنى الرجال على ما تقدم ، فتكون منه الأجسام بقدره الله تعالى حتى يجعلهم بشراً كما روى فى قصة الذين يخرجون من النار ، قد صاروا حمماً ، إنهم يغتسلون من نهر بيباب الجنة فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل (353) ، وعن ذلك عبر فى حديث أبي هريرة المتقدم فى صحيح مسلم وغيره : « فينبتون نبات البقل » فإذا تهيأت الأجسام ، وكملت نفخ فى الصور نفخة البعث من غير نقر ، لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنقيرها من أجسادها فالنفخة الأولى للتنقيير ، وهى نظير صوت

351- الدارة : ما أحاط بالشيء ، والمراد : أنه عظيم الدائرة .

(٥٩٠) حديث ضعيف . انظر رقم (٥٦٧) .

352- سورة المدثر : الآية : ٨ .

353- حميل السيل : ما حمله السيل من الغناء والطين .

الرعد الذى قد يقوى فيمات منه ، ونظير الصيحة الشديدة التي يصيحها الرجل بصبي فيفزع منه فيموت ، فإذا نفخ للبعث من غير نقر كما ذكرنا خرجت الأرواح من المجال التي هي فيه فتأتى كل روح إلى جسدها فيحيها الله، كل ذلك في لحظة كما قال تعالى: ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ (354) ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ (355) وعند أهل السنة: أن تلك الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم . قال بعضهم: بأوصافها . فيعاد الوصف أيضاً كما يعاد الجسم واللون . قال القاضي أبو بكر ابن العربى: وذلك جائز في حكم الله وقدرته وهين عليه جميعه ، ولكن لم يرد بإعادة الوصف خبر . قلت: فيه أخبار كثيرة فى هذا الباب بعد هذا .

٥٩٢- فصل: وليس الصور جمع صورة كما زعم بعضهم أى نفخ فى صور الموتى بدليل الأحاديث المذكورة ، والتنزيل يدل على ذلك . قال الله تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ (356) ولم يقل: فيها، فعلم أنه ليس جمع

354- سورة: الزمر من الآية: ٦٨ .

355- سورة: لقمان من الآية: ٢٨ .

356- سورة: الزمر من الآية: ٦٨ .

صورة . قال الكلبي : لا أدري ما الصور ؟ ويقال : هو جمع صورة مثل بسرة وبسر ، أى : ينفخ في صور الموتى : الأرواح وقرأ الحسن ﴿ يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة ﴾ (357) .

٥٩٣ - قلت : وإلى هذا التأويل في أن الصور بمعنى الصور جمع صورة . ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى وهو مردود بما ذكرنا ، وأيضاً لا ينفخ في الصور للبعث مرتين بل ينفخ مرة واحدة ، وإسرافيل عليه [الصلاة والسلام ينفخ في الصور الذى هو القرن ، والله سبحانه يحيى الصور فينفخ فيها الروح كما قال تعالى : ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ (358) و ﴿ نفخت فيه من روحي ﴾ (359) . قال ابن زيد : يخلق الله الناس في الأرض الخلق الآخر ثم يأمر السماء فتمطر عليهم أربعين يوماً ، فينبتون فيها ، حتى تنشق عن رؤوسهم كما تنشق عن رأس الكمأة (360) . فمثلها يومئذ مثل الماخض (361) تنتظر أن يأتيها أمر الله فتطرحهم على ظهرها . فلما كانت تلك النفخة طرحتهم .

قال علماؤنا : والأئم مجمعون على أن الذى ينفخ في الصور إسرافيل عليه [الصلاة و] السلام .

357- سورة: الأنعام من الآية : ٧٣ .

358- سورة: التحريم من الآية : ١٢ .

359- سورة: ص من الآية : ٧٢ .

360- الكمأة : نبات من الفصيلة الكمئية ، وهى أرضية الإنبات .

361- الماخض : المرأة التى تعانى آلام الوضع .

٥٩٤- قلت : قد جاء حديث يدل على أن الذي ينفخ في الصور غير إسرائيل . خرجه أبو نعيم الحافظ قال : حدثنا سليمان قال : حدثنا أحمد بن القاسم قال : حدثنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد ، عن عبد الله بن الحارث قال : كنت عند عائشة وعندها كعب الأخبار فذكر كعب إسرائيل فقالت عائشة : يا كعب أخبرني عن إسرائيل فقال كعب : عندكم العلم . قالت : أجل فأخبرني . فقال : « له أربعة أجنحة جناحان في الهواء ، وجناح قد تسربل (362) به ، وجناح على كاهله (363) ، والعرش على كاهله ، والقلم على أذنه ، فإذا نزل الوحي كتب القلم ، ثم درست الملائكة ، وملك الصور جاث على إحدى ركبتيه ، وقد نصب الأخرى ، ملتقم الصور ، ومحنياً ظهره ، شاخصاً بصره ينظر إلى إسرائيل ، وقد أمر إذا رأى إسرائيل قد ضم جناحيه أن ينفخ في الصور » قالت عائشة : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول . غريب من حديث كعب لم يروه [عنه] إلا عبد الله بن الحارث ، ورواه خالد الحذاء عن الوليد أبي بشر عن عبد الله بن رباح عن كعب نحوه .

٥٩٥- فصل : قلت : وما خرجه أبو عيسى الترمذى وغيره ، على أن صاحب الصور إسرائيل عليه [الصلاة و] السلام ينفخ فيه وحده ، وحديث أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه يدل على أن معه غيره .

(٥٩٤) خير ضعيف . أخرجه أبو نعيم (٦ / ٤٧) في الحلية ، فيه علي بن زيد بن جدعان ، وهو أحد الضعفاء ، وعزاه السيوطى في الجرائد (١٠٢) إلى عبد بن حميد والطبرانى فى الأوسط .

362- تسربل : التف به وستر به نفسه .

363- كاهله : كتفه .

(٥٩٥) صح حديث الترمذى ، ولم يصح حديث ابن ماجه ، وانظر : (٥٨١) ، (٥٨٣) .

٥٩٦- وقد خرج أبو بكر البزار في مسنده ، ، وأبو داود في كتاب الحروف من كتاب السنن من حديث عطية العوفى ، عن أبى سعيد الخدرى قال : ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور فقال : « عن يمينه جبريل ، وعن يساره ميكائيل » فعمل لأحدهما قرناً آخر ينفخ فيه والله أعلم .

٥٩٧- وذكر أبو السرى هناد بن السرى التيمى الكوفى ، قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبى عمرة قال : « ما من صباح إلا وملكان يقولان : يا طالب الخير أقبل ، ويا طالب الشر أقصر ، وملكان موكلان يقولان : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً ، وملكان موكلان يقولان : سبحان الملك القدوس ، وملكان موكلان بالصور » .

٥٩٨- قال : وحدثنا وكيع عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن ضميرة عن كعب قال : « ما من صباح مثله سواء » وزاد بعد قوله : « وملكان موكلان بالصور : ينتظران متى يؤمران فينفخان » وعطية لا يحتج أحد بحديثه على ما ذكره أبو محمد عبد الحق وغيره .

٥٩٩- (فصل) : واختلف في عدد النفخات : فقليل : ثلاث : نفخة

(٥٩٦) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٣ / ١٠) وأبو داود (٣٩٩٩) ، وابن أبى الدنيا (٤٩) فى الأهوال ، والحاكم (٢ / ٢٦٤) ، وسعيد بن منصور ، والبيهقى كما فى البدور السافرة (ص / ٣١) فيه العوفى أحد الضعفاء .

(٥٩٧) خير صحيح . أخرجه هناد (٦٢٤) ، (٨٨٦) فى الزهد .

(٥٩٨) إسناده ضعيف . أخرجه هناد (٦٢٥) ، وكيع (٣٧٩) ، (٣٨١) كلاهما فى الزهد ، والمروزي كما فى زوائد الزهد (٣٧٨) لابن المبارك ، والخرائطى (٣٨٢) فى المساوى ، فى سننه الأعمش يرويه عن مجاهد بالنعنة ، وهو مدلس وقال على بن المدينى : لا يثبت من سماعه عن مجاهد إلا ما قال سمعت ، انظر التهذيب (٤ / ٢٢٥) .

الفرع لقوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوا داخرين﴾⁽³⁶⁴⁾ ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث ، لقوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾⁽³⁶⁵⁾ وهذا اختيار ابن العربي وغيره . وسيأتي .

٦٠٠- وقيل : هما نفختان ، ونفخة الفرع هي نفخة الصعق ، لأن الأمرين لا زمان بينهما أى فزعوا فزعاً ماتوا منه . والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفرع فدل على أنهما واحدة .

٦٠١- وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «بين النفختين أربعون سنة ، الأولى : يميت الله تعالى بها كل حي ، والأخرى : يحيى الله بها كل ميت » وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

364- سورة: النمل الآية : ٨٧ .

365- سورة: الزمر الآية : ٦٨ .

(٦٠١) حديث ضعيف إسناده مرسل أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق كما في الدر المنثور (٣٣٧ / ٥) عن الحسن مرسلًا ، وانظر الفتحة (١١ / ٣٧٠) .

٦٠٢- وقال الحلبي : اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة . وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع ، وحيوانات الماء وبطن الأرض ، وما أصاب النيران منها بالحرق ، والمياه بالغرق ، وما أبلته الشمس ، وذرتة الرياح ، فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها . ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح في الصور ، وأمر إسرائفيل عليه [الصلاة] والسلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور ، فرجع كل ذي روح إلى جسده بإذن الله تعالى .

٦٠٣- وجاء في بعض الأخبار ما يبين أن من أكله طائر أو سبع : حشر من جوفه . وهو ما رواه الزهري عن أنس قال : مر رسول الله ﷺ بحمزة يوم أحد وقد جذع ومثل به فقال : « لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطيور » ، وقد أنكر بعض أهل الزيغ أن يكون الصور قرناً . قال أبو الهيثم : من أنكر أن يكون الصور قرناً ، فهو كمن ينكر العرش والصراط والميزان . وطلب لها تأويلات .



(٦٠٣) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣ / ١٢٨) وأبو داود (٣١٣٦) ، والترمذي (١٠١٦) ، والحاكم (١ / ٣٦٥-٣٦٦) وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي (٤ / ١٠-١١) في سننه الكبرى كلهم من حديث أنس ، وفي الباب عن ابن عباس وغيره .

باب منه فك صفة البحث وما آية ذلك فك الدنيا وأول ما يخلق من الإنسان وأسه

قال الله تعالى: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقنا لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ (366) وقال سبحانه : ﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء﴾ (367) إلى قوله ﴿فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها﴾ (368) .
﴿ومكذلك النشور﴾ (369) والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

٦٠٤- وخرج أبو داود الطيالسى والبيهقى وغيرهما عن أبى رزين العقيلي قال : قلت : يا رسول الله ، كيف يعيد الله الخلق ؟ وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال : « أما مررت بوادى قومك جدياً ، ثم مررت به يهتز خضراً » ؟ قال : نعم . قال : « فتلك آية الله فى خلقه » .

قلت : هذا حديث صحيح ، لأنه موافق لنص التنزيل والحمد لله .

٦٠٥- وفى حديث لقيط بن عامر عن النبى ﷺ : « فأرسل ربك إلى

366- سورة: الأعراف الآية : ٥٧ .

367- سورة: الروم من الآية ٤٨ .

368- سورة: الروم من الآية : ٥٠ .

369- سورة: فاطر من الآية : ٩ .

(٦٠٤) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٤ / ١١) ، وابن أبى عاصم (١ / ٢٩٠) فى السنة والطيالسى (١٠٨٩) ، وابن أبى الدنيا (٨١) فى الأحوال ، وفى سنده عندهم وكيع بن حدس ، ويقال : عدس فى عداد المجهولين .

وله طريق أخرى أخرجه منها أحمد (٤ / ١١) ، وابن المبارك كما فى زوائد الزهد (١٢١) وسنده فيه انقطاع ، فهو ضعيف .

(٦٠٥) حديث ضعيف : سبق برقم (٥٦٨) .

السماء تهضب⁽³⁷⁰⁾ من عند العرش فلعمري إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلق من قبل رأسه» وذكر الحديث .

باب يبحث كل عبد الله ما مات عليه

٦٠٦- مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول : « يبحث كل عبد على ما مات عليه » .

٦٠٧- وعن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على نياتهم » خروجه البخاري . ولفظ البخاري عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم » .

٦٠٨- مالك عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب⁽³⁷¹⁾ دماً اللون لون الدم ، والعرف عرف المسك » خروجه البخاري ومسلم .

٦٠٩- أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال : يا رسول الله أخبرني

370- تهضب : هضبت السماء القوم : بلتهم بلاءً شديداً، والهضبة : الدفعة الشديدة من المطر .

(٦٠٦) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٨٧٨) ، وأحمد (٣ / ٣٣١) ، وعبد الرزاق (٦٧٤٦) ، وابن حبان (٩ / ٢١٠-٢١١) ، والبيهقي (٢ / ٢٢٢) في تفسيره .

(٦٠٧) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٩ / ٧١) ، ومسلم (٢٨٧٩) ، وأحمد (٢ / ٤٠، ١١٠، ١٣٦) ، وابن حبان (٩ / ٢١٠) .

(٦٠٨) حديث صحيح . سبق برقم (٥٣٤) .

371- يثعب دماً : يسيل دمه .

(٦٠٩) حديث حسن . أخرجه أبو داود (٢٥١٩) ، والحاكم (٢ / ٨٥، ١١٢) وصححه ، وأقره الذهبي ، والبيهقي (٩ / ١٦٨) في سننه الكبرى له شواهد مر بعضها .

عن الجهاد والغزو ، فقال : يا عبد الله ، إن قتلت صابراً محتسباً ، بعثت صابراً محتسباً وإن قتلت مرثياً مكاثراً⁽³⁷²⁾ بعثت مرثياً مكاثراً على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال .

٦١٠- وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات سكران فإنه يعاين ملك الموت سكران ، ويعاين منكر أو نكيراً سكران ، ويبعث يوم القيامة سكران إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها دماً ، لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه » .

٦١١- مسلم عن ابن عباس أن رجلاً كان مع النبي ﷺ محرماً فوقصته⁽³⁷³⁾ ناقته فمات فقال رسول الله ﷺ : « اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبه ، ولا تمسوه بطيب ، ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً » وفي رواية « ملبداً⁽³⁷⁴⁾ » أخرجه البخارى .

٦١٢- وروى عباد بن كثير ، عن الزبير ، عن جابر قال : « إن المؤذنين

372- المكاثر : المفاخر بما لديه من مؤن .

(٦١٠) حديث ضعيف جداً . إن لم يكن موضوعاً وأخرجه الديلمى كما فى الفردوس (٥٥٧٨) وفيه ابن هذبة سبق ذكره .

(٦١١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٢٦٥) ، (١٨٣٩) ، ومسلم (١٢٠٦) ، وأحمد (١ / ٢١٥ ، ٣٢٨) ، وأبو داود (٣٢٢٢) ، والترمذى (٩٥٨) ، والنسائى (٥ / ١٤٤ ، ١٩٦) ، وابن ماجه (٣٠٨٤) ، والدارمى (٢ / ٥٠) ، والدارقطنى (٢ / ٢٩٧) ، وابن حبان (٦ / ١٠٩) ، والبيهقى (٣ / ٣٩٠) فى سننه الكبرى ، والبغوى (١٤٨٠) فى شرح السنة .

373- وقص : وقصت الدابة براكيها : رمت به ، فكسرت عنقه .

374- ملبداً : تلبيد الشعر أن يجعل فيه شىء من صمغ عند الإحرام ، لتلا يشعث ويقمل إبقاء على الشعر ، وإنما يلبد من يطول مكثه فى الإحرام .

(٦١٢) حديث موضوع . أخرجه الطبرانى فى الأوسط كما فى الجمع (١ / ٣٢٧) ، وقال الهيثمى : فيه مجاهيل لم أجد من ذكرهم .

والمبلين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ، ويلبى الملبى » ذكره الحلیمی الحافظ في كتاب (المنهاج) له وسيأتى بكماله .

٦١٣- وذكر أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن محمد الخستلى فى كتاب (الديباج) له (قال) : حدثنا أبو محمد عبد الله بن يونس بن بكير ، حدثنا أبي ، عن عمرو بن شمر عن جابر ، عن محمد بن على ، عن ابن عباس وعلى بن حسين أن رسول الله ﷺ قال : « أخبرنى جبريل عليه (الصلاة و) السلام أن : لا إله إلا الله أنس للمسلم عند موته ، وفى قبره ، وحين يخرج من قبره ، يا محمد ، لو تراهم حين يمرقون (375) من قبورهم ينفضون رؤوسهم هذا يقول : لا إله إلا الله ، والحمد لله فيبيض وجهه . وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ومسودة وجوههم » .

٦١٤- قال : وحدثنى يحيى بن عبد الحميد الحماني ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ، ولا منشورهم ، كأنى بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ، وهم يقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » .

= وأخرجه ابن شاهين كما فى تنزيه الشريعة (٢ / ٧٧-٧٨) وقال ابن عراق : فيه سلام الطويل ، ، وعباد بن كثير ، فأحدهما وضعه .

(٦١٣) حديث موضوع فى سنده عمرو بن شمر ، متهم بالوضع ، كما فى الميزان (٣ / ٢٦٨) ، واللسان (٤ / ٣٦٦) .

وفى سنده جابر الجعفى ، وهو من الضعفاء .

375- يمرقون : يخرجون فى شدة واندفاع .

(٦١٤) حديث ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا (٧٧) فى حسن الظن بالله ، وفى الأهل

(٢٢٢) ، وابن عدى (٤ / ١٥٨٢) ، والبيهقى (١٠٠) فى شعب الإيمان ، والخطيب (١ /

(٢٦٦) ، (١٠ / ٢٦٥) فى تاريخ بغداد ، فيه الحماني وشيخه من الضعفاء .

٦١٥- وروى النسائي عن النبي ﷺ أنه قال : « تخرج النائحة (376) من قبرها يوم القيامة شعثناء غبراء عليها جلاباب من لعنة الله ودرع من نار يدها على رأسها تقول : يا ويلاه ».

٦١٦- أخرجه بمعناه مسلم وابن ماجه عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « النياحة من أمر الجاهلية ، وإن النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثياباً من نار ودرعا من لهب النار » لفظ ابن ماجه . وقال مسلم : « تقام يوم القيامة ، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » .

٦١٧- وأسند الثعلبي في تفسيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « هذه النوائح يجعلن يوم القيامة ، صفين : صفاً عن اليمين و صفاً عن الشمال ، وينحن كما تنبح الكلاب ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يؤمر بهن إلى النار » أنبأناه الشيخ الحاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب شهر بن رواح ، والشيخ الإمام علي بن هبة الله الشافعي قالا : حدثنا السلفي قال : حدثنا الرئيس أبو عبد الله الثقفي قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن خولة الأبهري الأديب فيما قرئ عليه وأنا أسمع منه سنة ثلاث وأربع مائة قال : أخبرنا أبو عمر وأحمد بن محمد بن حكيم المدني أخبرنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي ، حدثنا سعيد بن سليمان ،

(٦١٥) حديث ضعيف . أخرجه ابن النجار في تاريخه ، وانظر : الميزان (٤٢٤٥٤) فقد ذكر علته .

376- النائحة : التي تنوح على الميت بكثرة العويل عليه .

(٦١٦) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٣٤) ، وأحمد (٥ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤) ، والبغوي (١٥٣٤) في شرح السنة ، والحاكم (١ / ٣٨٣) ، والطبراني (٣٤٢٥) في الكبير .

(٦١٧) حديث ضعيف جداً . أخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٣ / ١٤) في سنده سليمان بن داود اليمامي ، من المتروكين ، وانظر : الميزان (٢ / ٢٠٢) ، ولسان الميزان (٣ / ٢٩٧) .

حدثنا سليمان بن داود اليماني ، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفيين في جهنم صفاً عن يمينهن و صفاً عن شمالهن ، ينبحن على أهل جهنم كما تنبح الكلاب » غريب من حديث أبي نصر يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة تفرد به عنه سليمان بن داود .

٦١٨- وقال أنس قال النبي ﷺ : « تخرج النائحة من قبرها شعثناء غبراء مسودة الوجه ، زرقاء العينين ، ثائرة الشعر ، كالحلة الوجه وعليها جلباب من لعنة الله ودرع من غضب الله إحدى يديها مغلولة (377) إلى عنقها والأخرى قد وضعتها على رأسها . وهي تنادى : يا ويلاه ، يا ثبوراه (378) ، يا حزنه ، وملك وراءها يقول : آمين آمين . ثم يكون من بعد ذلك حظها النار » .

٦١٩- ابن ماجه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « النياحة على الميت من أمر الجاهلية ، وإن النائحة . وإذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرايل من قطران ، ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار » .

٦٢٠- وفي التنزيل : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُونَ ﴾

(٦١٨) حديث ضعيف سبق برقم (٦٢١) .

377- مغلولة إلى عنقها : أى مربوطة فى عنقها فهى لا تنفك منها .

378- الثبور : الهلاك ، والمراد : أنها تدعو على نفسها بالهلاك .

(٦١٩) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه (١٥٨٢) وفى سنده ابن راشد من الضعفاء ،

ولكنه فى الشواهد ، فقد صح من حديث أبى مالك برقم (٦٢٢) .

(٦٢٠) انظر : تفسير عبد الرزاق (١ / ١١٩) ، تفسير الطبرى (٣ / ٦٨) .

الذى يتخبطه الشيطان من المس (379) ﴿ (380) قال أهل التأويل : المعنى : لا يقومون من قبورهم ، قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والريعي والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم ، قال بعضهم يجعل معه شيطان يخنقه . وقالوا كلهم : يبعث كالمخنوق عقوبة له ، وتمقيتاً عند جميع أهل الحشر . فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا ، وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم ، فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم ، نسأل الله الستر والسلامة والعافية في الدنيا والآخرة . وقال تعالى : ﴿ ومن يغفل يأت بما غل (381) يوم القيامة (382) ﴾ وسيأتى .

٦٢١- وروى عن النبي ﷺ : « من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة » ذكره صاحب القوت وهو صحيح المعنى يدل على صحته ما ذكرناه وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان في باب بيان الحشر إلى الموقف إن شاء الله تعالى .

باب في بحث النبي ﷺ من قبره

٦٢٢- ابن المبارك قال : أخبرنا ابن لهيعة قال : حدثني خالد بن يزيد عن

379- المس : الجنون ، والمعنى أن أكل الربا لا يهنأ براحة أبداً فهو كالمجنون .

380- سورة : البقرة من الآية : ٢٧٥ .

381- غل : أى خان فى المغنم وغيره .

382- سورة : آل عمران من الآية : ١٦١ .

(٦٢١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٦ / ١٩ ، ٢٠) ، والحاكم (٢ / ١٤٤)

وصححه ، والطبراني (١٨ / ٣٠٥) فى الكبير ، والخطيب (١ / ٢٩) فى الفقيه والمتفقه ، وقد مر مختصراً .

(٦٢٢) إسناده صحيح ، والخبر من الإسرائيلية .

فيه ابن لهيعة ، ولكن الراوى عنه ابن المبارك ، وهى رواية صحيحة . =

سعيد بن أبي هلال ، عن نبيه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة -رضي الله عنها- فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر (383) يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ ، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار ، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه ﷺ ، والأخبار دالة ثابتة على أن جميع الناس يخرجون عراة ويحشرون كذلك على ما يأتي إن شاء الله تعالى .

٦٢٣- وخرج الترمذي الحكيم في (نوادير الأصول) : حدثنا بشر بن خالد قال : حدثنا سعيد بن مسلمة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : خرج النبي ﷺ ويمينه على أبي بكر وشماله على عمر فقال : «هكذا نبعث يوم القيامة»

باب ما جاء في بحث الأيام والليالي ويوم الجمعة

٦٢٤- عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها ، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة ، = وأخرجه ابن أبي الدنيا من طريق قتيبة عن الليث عن خالد بن يزيد ، كما في الفتن (ص / ١٩٦) .

383- حتى يحفوا بالقبر : أي يحوطون به ، يلتفون حوله .
(٦٢٣) إسناده ضعيف . أخرجه الترمذي (٣٦٦٩) ، وابن ماجه (٩٩) ، وابن أبي عاصم (١٤١٦) في السنة ، والحاكم (٣ / ٦٨) ، (٤ / ٢٨٠) ، والخطيب (٤ / ٣٦٥) ، (١٢ / ١٣٧) في تاريخه في سننه سعيد بن مسلمة أحد الضعفاء .
(٦٢٤) حديث صحيح . أخرجه ابن خزيمة (١٧٣٠) ، والحاكم (١ / ٢٧٧) وصححه ، ووافقه الذهبي على تصحيح السند ، وقال : الخبر شاذ ، وقد جمعت طرق الحديث في كتابي الأحاديث القدسية « طبع بدار الصحابة فليراجع .

أهلها محتفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها ، تضيء لهم يمشون في ضوئها . ألوانهم كالثلج بياضاً ، وريحهم يسطع كالملك ، يخوضون في جبال الكافور ، وينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجباً ، يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون » خرجه القاضي الشريف أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم - وإسناده صحيح .

٦٢٥- وقال أبو عمران الجوني : « ما من ليلة تأتي إلا تنادي : اعملوا في ما استطعتم من خير ، فلن أرجع إليكم (إلى) يوم القيامة » ذكره أبو نعيم .



**باب ما جاء أن العبد المؤمن إذا قام من قبره
يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا وعمله**

٦٢٦- تقدم من حديث جابر مرفوعاً : « فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فأنشطا كتاباً معقوداً في عنقه ، ثم حضرا معه واحد سائق ، والآخر شهيد » ذكره أبو نعيم أيضاً عن ثابت البناني أنه قرأ : حم السجدة حتى إذا بلغ : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ﴾ (384) وقف فقال : « بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له : لا تخف ، ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعده قال : فأمن الله خوفه وأقر الله عينه (385) فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة ، فالؤمن في قرة عين لما هداه

(٦٢٥) خير صحيح أخرجه أبو نعيم (٢ / ٣١٠) في الحلية .

(٦٢٦) سبق تخريجه .

384- سورة : فصلت الآيات : ١- ٣٠ .

385- أقر الله عينه : أي ثبتها وهذا كناية عن رضاه وسعادته .

الله له ، ولما كان يعمل له في الدنيا » .

٦٢٧- وقال عمرو بن قيس الملاي: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عمك الصالح ، طال ما ركبتك في الدنيا ، اركبني اليوم وتلا : ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ (386) ﴿(387) وأن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتن ريح فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد قبح صورتك و أنتن ريحك . فيقول : كذلك كنت في الدنيا أنا عمك السيئ ، طال ما ركبتني في الدنيا ، وأنا اليوم أركبك وتلا : ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ (388) ولا يصح من قبل إسناده ، قاله القاضي أبو بكر بن العربي .

باب أين يكون الناس ؟

﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ (389)

٦٢٨ - مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند

- (٦٢٧) خبر ضعيف . أخرجه ابن جرير (٧ / ١١٤) في تفسيره ، بسند ضعيف ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٣ / ٩) ، وأخرجه الطبري (١٦ / ٩٦) في تفسيره أيضاً بنفس السند الضعيف . وفي الباب عن السدي ، وزيد بن أسلم .
- 386- وفداً : أى جماعة وهذا من تكريم الله للمتقين أن يحشرهم فى جماعة .
- 387- سورة : مريم الآية : ٨٥ .
- 388- سورة : الأنعام من الآية : ٣١
- 389- سورة : إبراهيم عليه السلام من الآية : ٤٨

(٦٢٨) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٣١٥) ، وأبو عوانة (١ / ٢٩٤) ، وأبو نعيم (١ / ٣٥١) فى الحلية ، والبيهقى (١ / ١٦٩) فى سننه الكبرى ، والطبرانى (١٤١٤) فى الكبير .

رسول الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، وذكر الحديث وفيه : فقال اليهودى أين يكون الناس ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم في الظلمة دون الجسر » الحديث بطوله وسيأتى .

٦٢٩- وخرج مسلم أيضاً وابن ماجه جميعاً قالاً : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ فأين يكون الناس يومئذ ؟ قال : « على الصراط » .

٦٣٠- وأخرجه الترمذى قال : حدثنا ابن أبى عمر قال : حدثنا سفيان عن داود بن هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : يا رسول الله ﷺ ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ (٣٩٠) فأين يكون المؤمنون يومئذ ؟ قال : « على الصراط يا عائشة » قال : هذا حديث حسن صحيح .

٦٣١- وخرج عن مجاهد قال : قال ابن عباس : أتدرى ماسعة جهنم ؟

(٦٢٩) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٧٩١) ، وأحمد (٦ / ٣٥ ، ١١٦ ، ١٣٤ ، ٢١٨) والترمذى (٣١٢١) ، وابن ماجه (٤٢٧٩) ، والدارمى (٢ / ٣٢٩) ، وابن حبان (٩ / ٢٣٧) ، وابن أبى الدنيا (٦٧) فى الأحوال ، والمروذى فى زوائد الزهد (١٣٦٠) ، والطبرى (١٣ / ١٦٦) فى تفسيره ، والخطيب (١٠ / ١٢٢) فى تاريخه .

(٦٣٠) ، (٦٣١) انظر السابق .

٣٩٠- سورة : الزمر من الآية : ٦٧ .

قلت : لا . قال : أجل والله ما تدري . حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ قال : فقلت : فأين الناس يا رسول الله؟ قال : على جسر جهنم » قال : حديث صحيح غريب من هذا الوجه .

٦٣٢- فصل : هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط . لا كما قال كثير من الناس أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها ، وتسوية آكامها (391) ، ونسف جبالها ، ومد أرضها ورواه ابن مسعود -رضي الله عنه - . أخرجه ابن ماجه وسيأتي ذكره في الأشراف إن شاء الله .

٦٣٣- وذكر ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال : حدثني ابن عباس قال : « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم (392) وزيد في سعتها كذا وكذا » وذكر الحديث .

٦٣٤- وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : « تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم » ، ذكره الثعلبي في تفسيره .

٦٣٥- وروى علي بن الحسين -رضي الله عنهما - قال : « إذا كان

391- الآكام : التلال وهي جمع أكمة

(٦٣٣) خبر صحيح أخرجه ابن المبارك كما في زوائد الزهد (٣٥٣) ، وابن أبي الدنيا (١٧٣) في الأحوال ، وأبو نعيم (٦ / ٦١) في الحلية ، والطبري (٣٠ / ١١٨) في تفسيره ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي أسامة كما في الدر المنثور (٥ / ٦٧) .

392- الأديم : الجلد ، ويقال : أديم الأرض أى ظاهرها .

(٦٣٤) سبق تخريجه برقم (٥٦٧) .

(٦٣٥) خبر ضعيف . أخرجه ابن المبارك كما في زوائد الزهد (٣٧٥) ، وابن أبي الدنيا (١٥٠) في الأحوال ، والحاكم (٤ / ٥٧١) ، وابن جرير (١٥ / ٩٩) ، (٣٠ / ٧٢) في تفسيره ، وأبو نعيم في الحلية (٣ / ١٤٥) ، وانظر الكلام عليه في الأحوال مفصلاً .

يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدميه» ذكره الماوردي وما بدأنا بذكره أصح ، لأنه نص ثابت عن النبي ﷺ . فإن قال قائل : إن بدل في كلام العرب معناه : تغيير الشيء . ومنه قوله تعالى : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ (393) وقال : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم ﴾ (394) ولا يقتضى هذا إزالة العين ، وإنما معناه : تغيير الصفة ، ولو كان المعنى الإزالة لقال يوم تبدل الأرض مخففاً من أبدلت الشيء إذا أزلت عينه وشخصه ، قيل له ما ذكرته صحيح ، ولكن قد قرئ قوله عز وجل ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها ﴾ (395) مخففاً ومثقلاً بمعنى واحد قال : ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ (396) وقال ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ (397) وكذا ذكر تاج اللغة أبو نصر الجوهري في (الصحيح) ، وأبدلت الشيء بغيره ، وبدله الله من الخوف أمناً ، وتبديل الشيء أيضاً تغييره ، فقد دل القرآن وكلام العرب على أن بدل وأبدل بمعنى واحد ، وقد فسر النبي ﷺ أحد المعنيين ، فهو أعلى ولا كلام معه .

٦٣٦- قال ابن عباس وابن مسعود : تبدل الأرض أرضاً بيضاء كالفضة

393- سورة: النساء من الآية : ٥٦ .

394- سورة: البقرة من الآية : ٥٩ .

395- سورة: القلم من الآية : ٣٢ .

396- سورة: النور من الآية : ٥٥ .

397- سورة: الفرقان من الآية : ٧٠ .

(٦٣٦) خير صحيح . أخرجه ابن المبارك (٣٨٨) كما في زوائد الزهد ، وابن أبي الدنيا . (٢٦١) في الأهوال ، والطبري (١٣ / ١٤٩) في تفسيره ، وانظر الأهوال (١٤٦) ، وتفسير الطبري (١٣ / ١٦٥) .

لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط . قال ابن مسعود أيضاً :
تبدل الأرض ناراً ، والجنة من ورائها ، يرى أكوابها وكواعبها . وقال أبو
الجلد حيلان بن فروة : إني لأجد فيما أقرأ من كتب الله أن الأرض تشعل
ناراً يوم القيامة .

٦٣٧- وقال علي -رضي الله عنه- : تبدل الأرض فضة ، والسماء
ذهباً .

٦٣٨- وقال جابر : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قول الله
تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾⁽³⁹⁸⁾ قال تبدل خبزة يأكل منها
الخلق يوم القيامة . ثم قرأ : ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ﴾⁽³⁹⁹⁾ .

٦٣٩- وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب : تبدل الأرض خبزة
بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه .

٦٤٠- قلت : وهذا المعنى الذي قاله سعيد بن جبير ومحمد بن كعب
مروى في الصحيح وسيأتي ، وإليه ذهب ابن برجان في كتاب (الإرشاد)
له ، وأن المؤمن يطعم يومئذ من بين رجله ويشرب من الحوض ، فهذه أقوال
الصحابة والتابعين دالة على ما ذكرنا .

(٦٣٧) خير ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا (٦٦) في الأحوال ، والطبري (١٣ / ١٦٥) ،
وابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥ / ٩١) فيه أحد المجهولين .
(٦٣٨) إسناده ضعيف . جابر هو الجعفي ، أحد الضعفاء .

398- سورة : إبراهيم من الآية : ٤٨ .

399- سورة : الأنبياء من الآية : ٨ .

(٦٣٩) انظر تفسير الطبري (١٣ / ١٦٥) ، والدر المنثور (٤ / ٩١) .

٦٤١- وأما تبديل السماء فقليل : تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها .
قاله ابن عباس .

٦٤٢- وقيل : اختلاف أحوالها فتارة كالمهل⁽⁴⁰⁰⁾ ، وتارة كالدهان⁽⁴⁰¹⁾ . حكاه ابن الأنباري . وقال كعب : تصير السماء دخاناً ، وتصير البحار نيراناً ، وقيل : تبديلها : أن تطوى كطى السجل للكتاب ، وذكر أبو الحسن شبيب بن إبراهيم بن حيدرة في كتاب (الإفصاح) له : أنه لا تعارض بين هذه الآثار ، وأن الأرض والسموات تبدل كرتين إحداهما : هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أولاً كواكبها ، وتكسف شمسها وقمرها وتصير كالمهل ، ثم تكشف عن رؤوسهم ، ثم تسير الجبال ثم تموج الأرض ، ثم تصير البحار نيراناً ، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر فتصير الهيئة غير الهيئة ، والبنية غير البنية ، ثم إذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض ، وبدلت السماء سماء أخرى وهو قوله تعالى : ﴿ وأشرق الأرض بنور ربها ﴾⁽⁴⁰²⁾ وبدلت الأرض : تمدد الأديم العكاظي⁽⁴⁰³⁾ ، وأعيدت كما كانت فيها القبور ، والبشر على ظهرها وفي بطنها ، وتبدل أيضاً تبديلاً ثانياً وذلك إذا وقفوا في المحشر ، فتبدل لهم الأرض التي يقال لها (الساهرة) يجلسون عليها وهي أرض عفراء وهي البيضاء من فضة لم يسفك عليها دم

400- المهل : المعدن المذاب كالفضة والحديد والنحاس والمهل أيضاً : الزيت المغلي .

401- الدهان : الأديم الأحمر الصرف أى : تتلون من الفزع الأكبر ، كما تتلون الدهان المختلفة .

402- سورة : الزمر من الآية : ٦٩ .

403- العكاظي : نسبة إلى عكاظ وهي سوق من أسواق العرب بالقرب من مكة .

ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط، وهو لا يسع جميع الخلائق وإن كان قد روى أن مسافته ألف سنة صعوداً، وألف سنة هبوطاً، وألف سنة استواء، ولكن الخلق أكثر من ذلك فيقوم من فضل على الصراط، على متن جهنم، وهي كإهالة جامدة وهي الأرض التي قال عبد الله: إنها أرض من نار يعرق فيها البشر، فإذا حوسب عليها أعنى الأرض المسماة بالساهرة، وجاوزوا الصراط، وجعل أهل الجنان من وراء الصراط، وأهل النيران في النار وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون، بدلت الأرض كقرصة النقي (404)، فأكلوا من تحت أرجلهم، وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة أى قرصاً واحداً، يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة، وإدامهم زيادة كبد ثور في الجنة وزيادة كبد النون (405) على ما يأتي.

باب منه

أمر تكون قبل الساعة

٦٤٣- ذكر على بن معبد عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ ونحن في طائفة من أصحابه فقال: «إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور، وأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه، شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر» فقال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: «قرن» فقلت: وكيف هو؟ قال: «هو عظيم، والذي نفسى بيده إن عظم دارة فيه لكعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى، نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة:

404- قرصة النقي: القرصة الجيدة الدقيق.

405- النون: الحوت من أنواع السمك الكبير.

(٦٤٣) حديث ضعيف. سبق برقم (٥٦٧).

نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله (تبارك وتعالى) إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السماء والأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويديمها ويطولها « يقول الله عز وجل : ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ﴾ (406) مأخوذة من فواق الحالب وهي المهلة بين الحلبتين وذلك أن الحالب يحلب الناقة والشاة ثم يتركها ساعة يرضعها الفصيل لتدر (407) ثم يجلب ، ومنه سمى الفواق فواقاً لأنه ريح يتردد في المعدة بين مهلتين أى أن هذه النفخة ممتدة لا تقطع فيها ، ويكون ذلك يوم الجمعة في النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب ، ثم تكون سراباً ثم ترج الأرض بأهلها رجاً وهي التي يقول الله عز وجل : ﴿ يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة ﴾ (408) فتكون الأرض كالسفينة في البحر تضربها الأمواج فيميد (409) الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما في بطونها ، وتشيب الولدان ، وتتطاير الشياطين هاربة ، حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة هاربة فتضرب بها وجوهها ، ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً وهي التي يقول الله عز وجل ﴿ يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لهم من الله من عاصم ومن

406- سورة: ص الآية : ١٥ .

407- لتدر : أى لتنزل لبناً كثيراً .

408- سورة: النازعات الآية : ٦ .

409- فيميد : يتحرك ويضطرب ويفقد توازنه .

يضلل الله فماله من هاد (410) ﴿ فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، ورأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله ، فيأخذهم من ذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ، ثم ينظرون إلى السماء فإذا هي كالمهل ثم انشقت وانخسف شمسها وقمرها وانتشرت نجومها ، ثم كسحت السماء عنهم ، ثم قال رسول الله ﷺ : « والموتى لا يعلمون شيئاً من ذلك » ، قلت : يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل ، حين يقول ﴿ فنزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله (411) ﴾ ؟ قال : « أولئك هم الشهداء عند ربهم يرزقون . إنما يصل الفزع إلى الأحياء ، وقيهم الله شر ذلك اليوم ويؤمنهم منه . وهو عذاب يلقيه الله على شرار خلقه ، وهو الذى يقول الله (تبارك) وتعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم (412) ﴾ أى : شديد فتمكثون فى ذلك ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم كأطول يوم ، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق » الحديث بطوله ، وقد تقدم وسطه وهذا آخره .

٦٤٤ - فصل : هذا الحديث ذكره الطبرى والثعلبى وصححه ابن العربى فى (سراج المريدين) وقال : يوم الزلزلة وهو الاسم الثانى عشر يكون عن النفخة الأولى . بهذا الحديث الصحيح الواحد المفرد . ولما نبأ النبى ﷺ بذكر الزلزلة التى تكون عند النفخة الأولى ذكر ما يكون فى ذلك اليوم من الأهوال العظام التى يعظمها قوله ﴿ شىء عظيم ﴾ ومن فزعها ما لا

410 - سورة : غافر الآيتان : ٣٢ ، ٣٣ .

411 - سورة : النمل الآية ٨٧ .

412 - سورة : الحج الآية : ١ .

تطبيق حملة النفوس وهو قوله لآدم: « ابعث بعث النار » فيكون ذلك فى أثناء ذلك اليوم ، ولا يقتضى أن يكون ذلك متصلاً بالنفخة الأولى التى يشيب فيها الوليد ، وتضع الحوامل ، وتذهل المراضع ، ولكن يحتمل أمرين : أحدهما : أن يكون آخر الكلام منوطاً بأوله تقديره : يقال لآدم ابعث بعث النار أثناء يوم يشيب فيه الوليد ، وتضع الحوامل ، وتذهل المراضع من أوله الثانى : أن شيب الوليد ، ووضع الحوامل ، وذهل المراضع يكون فى النفخة الأولى حقيقة . وفى هذا القول الثانى تكون صفته بذلك إخباراً عن شدته وإن لم يوجد غير ذلك الشئ فيه وهذه طريقة العرب فى فصاحتها .

٦٤٥- قلت : ما ذكره ابن العربى من صحة الحديث وكلامه فيه ، فيه نظر لما بينته آنفاً وقد قال أبو محمد عبد الحق فى كتاب (العاقبة) له : ورد فى هذا الباب حديث منقطع لا يصح ذكره الطبرى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « ينفخ فى الصور ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع » فذكره قال : وهو عنده فى سورة يس .

٦٤٦- قلت : قد تقدم أن الصحيح فى النفخ إنما هو مرتان لا ثلاث ، وحديث مسلم فى قول الله تعالى لآدم : « يا آدم ابعث بعث النار » إنما هو بعد البعث يوم القيامة ونفخة الفزع هى نفخة الصعق على ما تقدم ، أو نفخة البعث على ما قيل على ما يأتى ، ولأنه لو كانت نفخة الفزع غير نفخة

(٦٤٥) حديث ضعيف أخرجه الطبرى (٢٠ / ٢٤) فى تفسيره ، والبغوى (٥ / ١٥٩) فى تفسيره فى سنده أحد الضعفاء ، وأحد المجهولين .

(٦٤٦) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٣٤٨) ، (٦٥٣٠) ، ومسلم (٢٢٢) ، وأحمد (٣ / ٣٢-٣٣) ، وكيع فى نسخته عن الأعمش (٢٧) ، وعبد بن حميد (٩١٧) فى مسنده ، وأبو عوانة (١ / ٨٩) ، وفى الباب عن أبى هريرة ، وابن مسعود وأبى الدرداء ، وعمران ، وأنس رضى الله عنهم أجمعين .

الصعق لاقتضى ذلك أن يكون بقاء الناس بعدها أحياء ما شاء (الله)، ويكون هنالك ليل ونهار، حتى تأتي نفخة الصعق التى يموت لسماعها جميع الخلق، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى هذا لا يكون قوله: ابعث في أثناء اليوم الذى يكون مبدؤه نفخة الفزع على ما ذكر ابن العربى والله أعلم.

ولا يلزم من زلزال الأرض أن تكون عن نفخة فإننا نشاهد تحرك الأرض وميدها بمن عليها وما عليها من جبال ومياه، كالسفينة في البحر إذا تلاطمت أمواجه من غير نفخ، وإنما تلك الزلزلة من أشرط الساعة ومقدماتها كسائر أشرطها.

٦٤٧- وقد قال علقمة والشعبي: الزلزلة من أشرط الساعة وهى في الدنيا وكذلك قال أنس بن مالك والحسن البصرى. وقد ذكر القشيري أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم في تفسيره: أن المراد بنفخة الفزع، والنفخة الثانية أى يحيون فزعين يقولون: ﴿من بعثنا من مرقدها﴾ (413) ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم. والله أعلم. ونحو ذلك ذكره الماوردى واختاره.

٦٤٨- وقد قيل: إن هذه الزلزلة تكون قبل الساعة في النصف من شهر رمضان بعدها طلوع الشمس من مغربها والله أعلم.

٦٤٩- وقوله تعالى ﴿ترونها﴾ الضمير المنصوب فى ﴿ترونها﴾ للزلزلة أو القيامة قولان: فعلى الأول أن ذلك في الدنيا قبل نفخة الصعق،

413- سورة: يس من الآية: ٥٢.

لعظم تلك الزلزلة، وقوة حركتها بالأرض ، لأن القيامة لا رضاع فيها ولا حمل فترى الناس سكارى يعنى من الخوف . وعلى القول الثانى يكون فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون مثلاً ، والمعنى أنه يكون يوماً لا يهم أحداً فيه إلا نفسه، والحامل تسقط من مثله كما تسقط الحوامل من الصبيحة الشديدة، ويكون الهول عظيماً .

والوجه الآخر : أن يكون ذلك حقيقة لا مثلاً ويكون المعنى أن من كانت محشورة مع ولد رضيع ، فإنها إذا رأت هول ذلك اليوم ذهلت عن من ولدت ، وأن الحوامل إذا بعثن أسقطن من فزع يوم القيامة الأحمال التى كانت أحياء فماتت بموت أمهاتها أحياء ، ثم لا يمتن بالإسقاط ، لأن الموت لا يتكرر عليهن مرتين لأنه لا موت فى القيامة ، وإنما هو يوم الحياة ، وتضع الحوامل حملها . ثم يحتمل أن يحيى الله كل حمل كان قد أتم خلقه ونفخ فيه الروح ويسويه ويعدله فإن الأم تذهل عنه ، ولو لم تذهل ما قدرت على إرضاعه لأنه لا غذاء يومئذ لها ولا لبن ، واليوم يوم الحساب لا يقبل فيه من عذر ولا علة، فكيف تخلى والاشتغال بالولد مع ما عليها من الحساب وهى بصده من الجزاء والحمل الذى لم ينفخ فيه قط إذا سقط يكون مع الوحوش تراباً ولم يتبدأ إحياءه لأن اليوم الإعادة ، فمن لم يمت فى الدنيا لم يحيى فى الآخرة ، قاله الحليمى فى (منهاج الدين) .

٦٥٠- وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وترى الناس سكارى﴾ أى من العذاب والخوف ﴿وما هم بسكارى﴾⁽⁴¹⁴⁾ من الشراب ومما يبين ما قلناه: أن إبليس قال: ﴿أنظرنى إلى يوم يبعثون﴾ سأل النظرة والإمهال إلى يوم البعث والحساب طلب أن لا يموت لأن يوم البعث لا موت بعده فقد قال تعالى: ﴿إنك من المنظرين﴾⁽⁴¹⁵⁾.

٦٥١- قال ابن عباس والسدى وغيرهما: أنظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم، وكان طلب الإنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين فأبى الله ذلك عليه.

٦٥٢- قال المؤلف رحمه الله: وما وقع فى هذا الحديث من انشقاق السماء، وتناثر نجومها وطمس شمسها وقمرها. فقد ذكر المحاسبى وغيره: أن ذلك يكون بعد جمع الناس في الموقف. وروى عن ابن عباس وسيأتى وقاله الحلیمی في كتاب (منهاج الدين).

(٦٥٠) أخرجه الطبرى (١٧ / ٨٨) فى تفسيره.

(٦٥١) خبر حسن. أخرجه ابن جرير (٨ / ٩٩) فى تفسيره بسند حسن.

414- سورة: الحج من الآية: ٢.

415- سورة: الأعراف من الآية: ١٥.

٦٥٣- فصلء : فأما التكوين يوم القيامة قبل الحساب . فقد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ إلى قوله ﴿ عذاب الله شديد ﴾⁽⁴¹⁶⁾ وقال (تعالى) : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾⁽⁴¹⁷⁾ إلى آخرها .

٦٥٤- والذي ثبت بسياق الآيات : أن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم ، لأنه لا يراد بها إلا إزعاج الناس والتهويل عليهم ، فينبغي أن يشاهدوها ليفزعوا منها ويهولهم أمرها ، ولا تمكن المشاهدة منهم وهم أموات . ولأنه تعالى قال : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾⁽⁴¹⁸⁾ أى : تخبر عما عمل عليها من خير وشر ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ﴾⁽⁴¹⁹⁾ فدل ذلك على أن هذه الزلزلة إنما تكون والناس أحياء واليوم يوم الجزاء وقال تعالى : ﴿ فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ﴾⁽⁴²⁰⁾ يعنى الآخرة ﴿ وحملت الأرض والجبال ﴾ إلى قوله ﴿ لا تخفى منكم خافية ﴾ فدلّت هذه السورة على أن اصطدام الأرض والجبال لا يكون إلا

416- سورة : الحج الآيتان : ١ ، ٢ .

417- سورة : الزلزلة الآية : ١ .

418- سورة : الزلزلة الآية : ٤ .

419- سورة : الزلزلة من الآية : ٦ .

420- سورة : الحاقة الآيات : ١٣ - ١٨ .

بعد الإحياء ، فدلّت هذه الآية على أن الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية . والله أعلم .

٦٥٥- وأما قوله: فيه يوم التناد ، فقال الحسن وقتادة ، وذلك يوم ينادى أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، وينادى أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء ، يوم تولون مدبرين ، يعنى عن النار أى غير قادرين غير معجزين في تفسير مجاهد . وقيل : معناه يوم ينادى أهل النار بالويل والثبور ويولون مدبرين من شدة العذاب . وقيل : إن ذلك نداء بعض الناس لبعضهم في المحشر وتوليهم مدبرين إذا رأوا عنقا من النار .

٦٥٦- وقال قتادة : معنى تولون مدبرين : منطلقاً بكم إلى النار مالكم من الله من عاصم أى : مانع يمنعكم .

٦٥٧- فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرْجفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ إلى أن قال : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾⁽⁴²¹⁾ وهذا يقتضى بظاهره أنها ثلاث ، قيل له: ليس كذلك ، وإنما المراد بالزجرة : النفخة الثانية التى يكون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهم ، قال مجاهد : هما صبيحتان ، وأما الأولى ، فيموت كل شىء بإذن الله (تعالى) ، وأما الأخرى فيحيا كل شىء بإذن الله (تعالى) .

421- سورة: الصافات الآية : ١٩ .

(٦٥٥) خبر صحيح . أخرجه عبد الرزاق (٢٦٧٤) فى تفسيره ، والطبرى (٢٤ / ٤٠) فى تفسيره ، وعبد بن حميد كما فى الدر المنثور (٥ / ٣٥١) .

(٦٥٦) خبر صحيح . أخرجه عبد الرزاق (٢٦٧٥) ، والطبرى (٢٤ / ٤٠) فى تفسيره .

(٦٥٧) انظر : تفسير الطبرى (٣٠ / ٢٠ - ٢١) ، الدر المنثور (٦ / ٣١١) .

٦٥٨- وقال مجاهد أيضاً : الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحدة . وقال عطاء : الراجفة القيامة ، والرادفة البعث ، وقال ابن زيد : الراجفة الموت ، والرادفة : الساعة ، فهذا يبين لك ما قلناه من أن المراد بالزجرة النفخة الثانية .

٦٥٩- واختلفوا في الساهرة اختلافاً كثيراً ، فقال ابن عباس : وأما الساهرة فأرض من فضة يبضاء لم يعص الله عليها طرفة عين ، خلقها الله يومئذ وهو قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ (422) .

وقال بعضهم : الساهرة : اسم الأرض السابعة يأتي الله بها فيحاسب عليها الخلائق ، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض . وقال قتادة : هي جهنم أى : فإذا هؤلاء الكفار في جهنم ، وقيل صحراء قريب من شفير جهنم .

وقال الثوري : الساهرة : أرض الشام ، وقيل غير هذا ، وإنما قيل لها : ساهرة ، لأنهم لا ينامون عليها حينئذ ، ومعنى ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (423) أى على الأرض بعدما كانوا في بطنها والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة ، وقال أمية بن أبي الصلت :

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم (424)

(٦٥٨) انظر السابق .

(٦٥٩) انظر : تفسير الطبري (٣٠ / ٢٢) ، تفسير عبد الرزاق (٣٤٨٦) ، والدر المنثور

(٦ / ٣١٢) .

422- سورة : إبراهيم الآية : ٤٨ .

423- سورة : النازعات الآية : ١٤ .

424- وما فاهوا به مقيم : أى وما نطقوا به سيجدون .

باب الحشر ومعناه الجمع

هو على أربعة أوجه : حشران في الدنيا ، وحشران في الآخرة .
أما الذى في الدنيا فقولہ تعالى : ﴿ هو الذى أخرج الذين كفروا من
أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ (425).

٦٦٠- قال الزهرى : كانوا من سبط لم يصبهم جلاء ، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا ، وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام .
٦٦١- قال ابن عباس : من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية ، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم : « اخرجوا » قالوا : إلى أين ؟ قال : « إلى أرض المحشر » قال قتادة : هذا أول الحشر .
٦٦٢- الثانى : ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي

425- سورة : الحشر من الآية : ٢ .

(٦٦٠) خبر صحيح . أخرجه عبد الرزاق (٣١٨٤) في تفسيره ، والطبرى في تفسيره (٢٨ / ٢٠) ، وتفسير البغوى (٤ / ٣١٤) .
(٦٦١) حديث صحيح . وإسناده ضعيف .
١- أخرجه البزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقى في البعث كما في الدر المنثور (٦ / ١٨٧) ، وتفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٢) .
في سنده أبو سعد البقال ، وهو سعيد بن المرزبان ، أحد الضعفاء ، وكان يدلس ، وقد رواه بالعننة .

٢- ثبت « الشام أرض المحشر » من حديث معاوية بن حيدة ، أخرجه أحمد (٤ / ٤٤٦) ، (٤ / ٥) ، وعبد الرزاق (٥ / ٢٠١) ، والطبرانى (١٩ / ٤٢٦) ، فى الكبير ، ومن حديث ميمونة بن سعد أخرجه أحمد (٦ / ٤٦٣) .
وفى الباب عن أبى ذر ، وابن عمر ، وعبد الله بن حوالة ، وعوف بن مالك .
(٦٦٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٣٥) ، ومسلم (٢٨٦١) ، وأحمد (٢ / ٣٥٤) ، وابن أبى شيبة (١٣ / ٢٤٨) ، والنسائى (٤ / ١١٥) ، وابن أبى الدنيا (٢٣٥) فى الأحوال .

ﷺ قال : يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا⁽⁴²⁶⁾ ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا » أخرجه البخارى أيضاً .

٦٦٣- وقال قتادة : الحشر الثانى نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تخلف . قال القاضى عياض : هذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة ، وهو آخر أشراطها كما ذكره مسلم بعد هذا فى آيات الساعة .

٦٦٤- قال فيه : وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تزجر الناس ، وفى رواية : تطرد الناس إلى محشرهم . وفى حديث آخر : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله : فتقبل معهم حيث قالوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا . قال : وفى بعض الروايات فى غير مسلم فإذا سمعتم به فاخرجوا إلى الشام كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم .

٦٦٥- قال المؤلف رحمه الله : وذكره الحليمى فى (منهاج الدين) له من حديث ابن عباس وذكر أن ذلك فى الآخرة فقال : يحتمل قوله عليه (الصلاة والسلام) : «تحشر الناس على ثلاث طرائق إشارة إلى الأبرار

426- تقبل معهم حيث قالوا : القيل : النوم وسط النهار عند القيلولة وهى شدة الحر .

(٦٦٣) خبر صحيح . أخرجه عبد الرزاق (٣١٨٥) وابن جرير (٢٨ / ٢٠) ، وعبد الرزاق (١١ / ٣٧٦) فى مصنفه .

(٦٦٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ٦ ، ٧) ، ومسلم (٢٩٠١) ، وأبو داود (٤٣١١) ، والترمذى (٢٢٧٤) ، (٢٢٧٨) ، وابن ماجه (٤٠٤١) من حديث حذيفة بن أسيد ومن حديث أبى هريرة ، أخرجه البخارى (٧١١٨) ، ومسلم (٢٩٠٢) ، والبيهقى (٤٦ / ١٥) فى شرح السنة .

والمخلصين والكفار، فالأبرار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه ، والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء ، فأما الأبرار فإنهم يؤتون بالنجائب⁽⁴²⁷⁾ كما في الحديث ، على ما يأتي في هذا الباب ، وأما المخلطون فهم الذين أريدوا في هذا الحديث وقيل : إنهم يحملون على الأبعرة ، وأما الفجار الذين تحشرهم النار، فإن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة فتقيض لهم ناراً تسوقهم ، ولم يرد في هذا الحديث إلا ذكر البعير ، فأما أن ذلك من إبل الجنة أو من الإبل التي تحيا وتحشر يوم القيامة ، فهذا لم يأت بيانه ، والأشبه ألا يكون من نجائب الجنة ، لأن من خرج من جملة الأبرار فكان مع ذلك من جملة المؤمنين . فإنهم بين الخوف والرجاء ، لأن من هؤلاء من يغفر الله تعالى ذنوبه فيدخل الجنة ، ومنهم من يعاقبه بالنار ، ثم يخرج منه ويدخله الجنة وإذا كانوا كذلك لم يلق أن يردوا موقف الحساب على نجائب الجنة ، ثم ينزل الله بعضهم إلى النار لأن من أكرمه الله بالجنة لم يهنه بعد ذلك بالنار ، قال : وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « يحشر الناس » الحديث وفي آخره أما أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك ، فهذا إن ثبت مرفوعاً فالركبان هم المتقون السابقون الذين يغفر الله ذنوبهم عند الحساب ولا يعذبهم ، إلا أن المتقين يكونون على نجائب الجنة والآخرين على دواب سوى دواب الجنة . والصنف الثاني الذين يعذبهم الله بذنوبهم ثم يخرجهم من النار إلى الجنة وهؤلاء يكونون مشاة على أقدامهم ، وقد يحتمل على هذا أن يمشوا وقتاً ثم يركبوا أو يكونوا ركباناً فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا وقتاً ثم يركبون أو يكونوا ركباناً ، فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا ليتفق الحديثان . والصنف الثالث : المشاة على وجوههم هم الكفار، وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف :

427- النجائب: جمع نجبة ، وهى الناقة القوية السريعة .

صنف مسلمون وهم ركبان، وصنفان من الكفار أحدهما العتاة وأعلام الكفر، فهؤلاء يحشرون على وجوههم والآخرين الأتباع فهم يحشرون على أقدامهم .

٦٦٦- قال المؤلف رحمه الله : وإلى هذا القول ذهب أبو حامد فى كتاب (كشف علم الآخرة) فى قوله عليه (الصلاة و)السلام كيف تحشر الناس يا رسول الله ؟ قال : « اثنان على بعير ، وخمسة على بعير ، وعشرة على بعير » ومعنى هذا الحديث والله أعلم. أن قوماً يأْتلفون فى الإسلام برحمة الله يخلق الله لهم من أعمالهم بعيراً يركبون عليه ، وهذا من ضعف العمل لكونهم يشتركون فيه كقوم خرجوا فى سفر بعيد وليس مع واحد منهم ما يشتري به مطية توصله فاشترك فى ثمنها رجلان أو ثلاثة ، فابتاعوا مطية يتعقبون عليها فى الطريق ، ويبلغ بعير مع عشرة ، فاعمل هداك الله عملاً يكون لك به بعير خالص من الشراكة ، واعلم أن ذلك هو المتجر الرابع ، فالمتقون وافدون كما قال الجليل : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ (428).

٦٦٧- وفى غريب الرواية أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : « كان رجل من بنى إسرائيل كثيراً ما يفعل الخير حتى إنه ليحشر فيكم » قالوا له : وما كان يصنع ؟ قال : « ورث من أبيه مالا كثيراً فاشترى بستانا ، فحبسه للمساكين ، وقال : هذا بستانى عند الله تعالى ، وفرق دنائير عديدة فى الضعفاء وقال بهذا أشترى جارية من الله تعالى وعبداً ، وأعتق رقاباً كثيرة وقال : هؤلاء خدمى عند الله تعالى ، والتفت ذات يوم لرجل ضريير

(٦٦٦) حديث صحيح . سبق برقم (٦٦٢) .

428- سورة: مريم من الآية : ٨٥

(٦٦٧) أورده بصيغة التضعيف ولم أقف عليه .

البصر فرآه تارة يمشى وتارة يكبو⁽⁴²⁹⁾، فابتاع له مطية يسير عليها وقال: هذه مطيتي عند الله تعالى أركبها، والذي نفس محمد بيده لكانى أنظر إليه وقد جيء بها إليه مسرجة ملجمة تسير به إلى الموقف .

٦٦٨- قال المؤلف رحمه الله : ما ذكره القاضى عياض من أن ذلك فى الدنيا أظهر والله أعلم لما فى الحديث نفسه من ذكر المساء والمبيت والصباح والقائلة، وذلك ليس فى الآخرة . وقد خرج الترمذى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاةً وصنفاً ركبناً وصنفاً على وجوههم » قيل يا رسول الله : كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : « إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ، أما أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك » قال : هذا حديث حسن ، فقوله يتقون بوجوههم كل حذب وشوك يدل على أنه فى الدنيا إذ ليس فى الآخرة ذلك على ما يأتى من صفة أرض المحشر والله أعلم .

٦٦٩- وخرج النسائى عن أبى ذر قال : « إن الصادق المصدق حدثنى أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج ، فوجاً راكبين طاعمين كاسين ، وفوجاً تسحبهم الملائكة على وجوههم ، ويحشر الناس فوجاً يمشون ويسعون يلقي الله الآفة⁽⁴³⁰⁾ على الظهر فلا تبقى حتى إن الرجل لتكون له

429- يكبو : يتعثر فى سيره

(٦٦٨) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٢ / ٣٥٤) ، والترمذى (٣١٤٢) فى سنده على بن زيد ، وهو من الضعفاء .

(٦٦٩) حديث حسن . أخرجه أحمد (٥ / ١٦٤) ، والنسائى (٤ / ١١٦) ، وابن أبى الدنيا (٢٣٠) فى الأهوال ، والحاكم (٢ / ٣٦٧) ، (٤ / ٥٦٥) ، والطبرانى (٢ / ١١٣) فى الصغير ، وصححه الحاكم ، وقال الذهبى : على شرط مسلم ، ولكنه منكر ، قلت : للحديث شواهد ومتابعات تراجع فى الأهوال (٢٣٠) بتحقيقى .

430 - الآفة : الموت

الحديقة يعطيها بذات القتب(431) لا يقدر عليها .

٦٧٠- وذكر عمر بن (شيبة) في كتاب (المدينة) على ساكنها السلام. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : آخر من يحشر رجلاً من رجل من جهينة، وآخر من مزينة ، فيقولان أين الناس؟ فيأتیان المدينة فلا يريان إلا الثعلب ، فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقان بالناس . وهذا كله مما يدل على أن ذلك في الدنيا كما قال القاضي عياض، وأما الآخرة ، فالناس أيضاً مختلفو الحال على ما ذكره ، وسنذكر من ذلك ما فيه كفاية في الباب بعد هذا .

والحشر الثالث : حشرهم إلى الموقف على ما يأتي بيانه في الباب بعد هذا إن شاء الله. قال الله تعالى ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ (432).

٦٧١ - والرابع : حشرهم إلى الجنة والنار . قال الله تعالى : ﴿يوم

431- القتب : الرجل الصغير على قدر سنام البعير ، والمراد هنا الدابة التي لها قتب ،

(٦٧٠) حديث صحيح . أخرجه البخاري (١٨٧٤) ، وأحمد (٢ / ٢٣٤) ، والحاكم (٤ / ٥٦٥) مرفوعاً عن أبي هريرة ، وأخرجه الحاكم (٤ / ٥٦٦) من حديث أبي سريحة الغفاري .

432- سورة :الكهف من الآية : ٤٧ .

(٦٧١) حديث ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» مخطوط ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٤ / ٢٨٥) ، والبدور السافرة (ص / ٤٦٦) مرفوعاً من طريق الحارث الأعور عن علي ، فيه الأعور من الضعفاء .

وأخرجه موقوفاً بسند ضعيف أيضاً ، ابن أبي شيبة (٨ / ٧٧) في مصنفه ، وابن جرير (١٦ / ٦٩) في تفسيره ، والحاكم (٢ / ٣٧٧) ، وصححه على شرط مسلم ، من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي به .

قال الذهبي متعقباً : بل عبد الرحمن بن إسحاق هذا لم يرو له مسلم ، ولا لخاله النعمان ، وضعفه .

قلت : ابن إسحاق ، وهو أبو شيبة من الضعفاء ، وابن سعد من المقبولين .

نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً⁽⁴³³⁾ ﴿ أي : ركبانا على النجب ، وقيل : على الأعمال كما تقدم . وقد وردت أخبار منها ما رواه النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ قال : أما إنهم ما يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقا ، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها ، رحالها الذهب ، وأزمتها⁽⁴³⁴⁾ الزبرجد ، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة ، وسمى المتقون (وفداً) لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه فهم لا يتباطئون ، ولكنهم يجدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات . قال الله تعالى : ﴿ وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾⁽⁴³⁵⁾ فيزيدهم ذلك إسراعاً وحق للمتقين أن يسبقوا لسبقهم في الدنيا بالطاعات ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾⁽⁴³⁶⁾ ﴿ أي عطاشا . قال ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ﴾⁽⁴³⁷⁾ وقال : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ﴾⁽⁴³⁸⁾ وقال : ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً ﴾⁽⁴³⁹⁾ .

433- سورة مريم الآية : ٨٥ .

434- أزمتها : جمع زمام ، وهو ما توثق به الناقة .

435- سورة : الأنبياء من الآية : ١٠٣ .

436- سورة : مريم الآية : ٨٦ .

437- سورة طه : الآية : ١٠٢ .

438- سورة الإسراء : الآية : ٩٧ .

439- سورة الفرقان : الآية : ٣٤ .

٦٧٢- مسلم عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذى أمشاه على الرجلين قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا. أخرجه البخارى أيضاً.

٦٧٣- فصلة: قال أبو حامد وذكر هذا الفصل: وفي طبع الآدمى إنكار ما لم يأنس به ولم يشاهده، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها لأنكر المشى من غير رجل، والمشى بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك، فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا، فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة. لكنت أشد إنكاراً لها، فأحضر رحمك الله فى قلبك صورتك، وأنت قد وقفت عارياً ذليلاً مدحوراً (440) متحيراً مبهوراً (441) منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء.



- (٦٧٢) حديث صحيح. أخرجه البخارى (٦ / ١٣٧)، (٨ / ١٣٦)، ومسلم (٢٨٠٦)، وأحمد (٣ / ٢٢٩)، والبيهقى (٤٣١٥) فى شرح السنة. (٦٧٣) انظر: العاقبة (ص / ١٨٠ - ١٨١).
- 440- مدحوراً: مطروداً غير مبالى بك، ولا لما أنت فيه من شدة وكرب.
- 441- مبهوراً: دهش ومبهور.

باب بيان الحشر إلى الموقف كيف هو؟ وفي

أحد أرض المحشر؟

وذكر الصخرة . وقوله تعالى ﴿ واستمع يوم ينادى

المنادى من مكان قريب ﴾ (442) الآية

٦٧٤- أبو نعيم قال: (قال بعض العلماء): حدثنا أبي قال : حدثنا إسحاق قال ، حدثنا محمد قال : قال حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا المنذر ابن النعمان أنه سمع وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى الصخرة بيت المقدس : « لأضعن عليك عرشي ، ولأحشرن عليك خلقي ، وليأتينك يومئذ داود ركباً » .

٦٧٥- وقال بعض العلماء فى قوله تعالى : ﴿ واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب ﴾ قال : إنه ملك قائم على صخرة بيت المقدس فينادى : أيتها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، ويا عظاماً نخرة ، ويا أكفاناً فانية ، ويا قلوباً خاوية ، ويا أبداناً فاسدة ، ويا عيوناً سائلة قوموا لعرض رب العالمين . قال قتادة : المنادى هو صاحب الصور ، ينادى من الصخرة من بيت المقدس ، قال كعب : وهى أقرب الأرض إلى السماء

442 - سورة ق : الآية : ٤١ .

(٦٧٤) إسناده صحيح ، والخبر من الإسرائيليات . أخرجه أبو نعيم (٤ / ٦٦) فى حلية الأولياء .

(٦٧٥) إسناده ضعيف أخرجه ابن أبى الدنيا (٧٦) فى الأهوال بسنده عن قتادة ، وفى سنده سعيد بن بشير ، وهو ضعيف .

وأخرجه ابن جرير (٢٦ / ١١٤) عن قتادة عن كعب ، وفيه ابن بشير أيضاً وفى الباب عن يزيد بن جابر ، أخرجه ابن عساكر ، والواسطى فى فضائل بيت المقدس كما فى الدر المنثور (١١٠ / ٦) ، وانظر تفسير عبد الرزاق (٢٩٦٩) ، والعاقبة (ص / ١٧٢) .

بثمانية عشر ميلاً . وقيل : باثنى عشر ميلاً ذكره القشيري ، والأول ذكره
الماوردي ، وقيل : إن المنادى جبريل والله أعلم . وقال عكرمة : ينادى
منادى الرحمن فكأنما ينادى في آذانهم يوم يسمعون الصيحة بالحق يريد
النفخ في الصور ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾ * يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً
(443) ﴿ إلى المنادى صاحب الصور إلى بيت المقدس أرض المحشر : ﴿ ذلك
حشر علينا يسير ﴾ (444) أي هين سهل .

٦٧٦- فإن قيل : فإذا كانت الصيحة للخروج فكيف يسمعونها
وهم أموات ؟

قيل له : إن نفخة الإحياء تمتد وتطول ، فتكون أوائلها للإحياء ، وما
بعدها للإزعاج من القبور ، فلا يسمعون ما يكون للإحياء ويسمعون ما
يكون للإزعاج ، ويحتمل أن تتناول تلك النفخة والناس يحيون منها أولاً
فأولاً ، وكلما حيى واحد سمع ما يحيى به من بعده إلى أن يتكامل الجميع
للخروج ، وقد تقدم أن الأرواح في الصور ، فإذا نفخ فيه النفخة الثانية
ذهب كل روح إلى جسده ﴿ فإذا هم من الأجداث ﴾ أي : القبور ﴿ إلى
ربهم ينسلون ﴾ (445) وهذا يبين لك ما ذكرنا وبالله توفيقنا .

٦٧٧- وقال محمد بن كعب القرظي : يحشر الناس يوم القيامة في

443- سورة ق : من الآيتين : ٤٢ ، ٤٣ .

444- سورة ق : من الآية : ٤٤ .

445- سورة يس : من الآية : ٥١ .

(٦٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » كما في الدر المنثور (٤ / ٣٠٨) .

ظلمة ، وتطوى السماء ، وتتناثر النجوم ، وتذهب الشمس والقمر ، وينادى مناد فيتبع الناس الصوت يومئذ ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ (446) الآية . وقال الله عز وجل ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (447) ﴿فَجَرَّ عَذِبَهَا فِي مَلْحَهَا ، وَمَلْحَهَا فِي عَذِبِهَا فِي تَفْسِيرِ قَتَادَةَ﴾ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (448) ﴿أَي : أَخْرَجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ ، وَقَالَ تَعَالَى﴾ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ ﴿أَي سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ﴾ ﴿وَحَقَّتْ﴾ ﴿أَي وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَفْعَلَ﴾ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مَدَّتْ﴾ (449) ﴿تَمُدُّ مَدَّ الْأَدِيمِ وَهَذَا إِذَا بَدَلَتْ بِأَرْضٍ بِيضَاءَ كَأَنَّهَا فُضَّةٌ لَمْ تَعْمَلْ عَلَيْهَا خَطِيئَةٌ قَطْ ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ فَصَارُوا عَلَى ظَهْرِهَا .

٦٧٨- مسلم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء (450) كقرصة النقي ليس فيه علم لأحد » .

446- سورة طه : من الآية : ١٠٨ .

447- سورة الانفطار : الآيات ١ - ٣ .

448- سورة الانفطار : الآية : ٤ .

449- سورة الانشقاق : من الآيات : ١ : ٣ .

450- عفراء : الأرض العفراء : الأرض البيضاء التي لم توطأ من قبل .

(٦٧٨) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٢١) ، ومسلم (٢٧٩٠) ، وابن حبان (٢١٢ / ٩) ، والطبراني (٥٨٣١) ، (٥٩٠٨) في الكبير ، والطبري (١٤ / ١٦٤) في تفسيره .

٦٧٩- وخرج أبو بكر أحمد بن على الخطيب ، عن عبد الله بن مسعود : « يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأظماً ما كانوا ، قط ، وأعرى ما كانوا قط ، وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه ، ومن سقا لله سقاه ، ومن كسا لله كساه ، ومن عمل لله كفاه ، ومن نصر الله أراحه الله فى ذلك اليوم .

٦٨٠- وروى من حديث معاذ بن جبل قال : قلت يا رسول الله ، رأيت قول الله ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ فقال النبى ﷺ «يا معاذ بن جبل ، لقد سألت عن أمر عظيم ، ثم أرسل عينيه بالبكاء والدموع ، ثم قال : تحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتاً ، قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم ، فمنهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكسين أرجلهم أعلاهم ، ووجوههم يسحبون عليها ، وبعضهم عمى يترددون ، وبعضهم صم بكم لا يعقلون ، وبعضهم يعضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح (451) من أفواههم لعباً فيقذروهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع (من) النار ، وبعضهم أشد نتناً من الجيف (452) ، وبعضهم يلبسون جلايب سابعة من القطران ، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى : النمام ، وأما الذين على صورة

(٦٧٩) أخرجه ابن أبى الدنيا فى « اصطناع المعروف » كما فى شرح الصدور (ص / ١٧٧) وانظر : شرح الصدور (ص / ٤٤) للسيوطى .

(٦٨٠) حديث ضعيف . أخرجه ابن مردويه كما فى الدر المنثور (٦ / ٣٠٧) ، وابن عساكر ، وقال : منكر كما فى تنزيه الشريعة (٢ / ٣٩٠) ، قال فى إسناده غير واحد من الجهولين ، تنمة كلام ابن عساكر .

451- القيح : إفراز ينشأ من التهاب الأنسجة بتأثير الجراثيم الصديدية .

452- الجيف : جمع جيفة ، وهى الجسد المتن الخبيث الرائحة .

الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس (453)، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا، والعمى : من يجور (454) فى الحكم ، والصم البكم الذين يعجبون بأعمالهم ، والذين يعضفون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم ، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران ، والمصلبون على جذوع النار السعاة بالناس إلى السلطان ، والذين هم أشد نتناً من الجيف الذين يتمتعون بالشهوات والملذات ويمنعون حق الله تعالى من أموالهم ، والذين يلبسون الجلايب فأهل الكبر والفخر والخيلاء .

٦٨١- وقال أبو حامد فى كتاب (كشف علم الآخرة) : ومن الناس من يحشر بفتنته الدنيوية ، فقوم مفتنونون بالعود معتكفون عليه دهرهم ، فعند قيام أحدهم من قبره يأخذه يمينه فيطرحه من يده ويقول : سحقاً لك ، شغلتنى عن ذكر الله ، فيعود إليه ، يقول : أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وكذلك يبعث السكران سكران ، والزامر زامراً ، وكل واحد على الحال الذى صده عن سبيل الله . قال : ومثل الحديث الذى روى فى الصحيح ، أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق فى عنقه ، والقدح بيده ، وهو أنتن من كل جيفة على الأرض ، يلعنه كل من يمر به من الخلق ، وقال أيضاً فى هذا الكتاب : فإذا استوى كل واحد قاعداً على قبره

453 - المكس : المكس فى البيع هو النقص فى الثمن .

454 - يجور : يظلم فى حكمه ويحكم لواحد . على حساب الآخر .

فمنهم العريان ، ومنهم المكسو والأسود والأبيض ، ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ، ومنهم من يكون كالشمس لا يزال كل واحد منهم مطرقاً برأسه ألف عام ، حتى تقوم من الغرب نار لها دوى (455) تساق ، فيدهش لها رؤوس الخليقة إنساً وجناً وطيراً ووحشاً فيأتى كل واحد من المخاطبين عمله ويقول له : قم فانهض إلى المحشر ، فمن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عمله بغلاً ، ومنهم من يشخص عمله حماراً ، ومنهم من يشخص له كبشاً تارة يحمله ، وتارة يلقيه يجعل لكل واحد منهم نور شعاعى بين يديه وعن يمينه ومثله (يسير) بين يديه في الظلمات ، وهو قوله تعالى : ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ (456) وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع البصر نفاذا ، يحار فيها الكفار ، ويتردد المرتابون ، والمؤمن ينظر إلى قوة حلكتها ، وشدة حنودها (457) ، ويحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور المهتدى به في تلك الشدة يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، لأن الله تعالى يكشف للعبد المؤمن المنعم عن أحوال المعذب الشقى ليستبين له سبيل الفائدة ، كما فعل بأهل النار حيث يقول فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، وكما قال سبحانه : ﴿ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ (458) لأن أربعا لا يعرف قدرها إلا أربع : لا يعرف قدر الحياة إلا الموتى ، ولا يعرف قدر الأغنياء إلا الفقراء ، ولا يعرف قدر الصحة إلا أهل البلاء والسقم :

455- الدوى : الصوت الذى يصدر منها لشدة توهجها .

456- سورة الحديد : من الآية : ١٢ .

457- الحنود : الليل الشديد الظلمة ، وأسود حنود شديد السواد .

458- سورة الأعراف : من الآية : ٤٧ .

ولا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ ، وفي نسخة: ولا يعرف قدر النعيم إلا أهل الجحيم ، ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى طرف بنانه ونوره يطفأ تارة ، ويشتعل أخرى ، وإنما هم عند البعث على قدر إيمانهم وأعمالهم، وقد مضى في باب (يبعث كل عبد على ما مات عليه) ما فيه كفاية ، والحمد لله .

باب الجمع بين آيات وردت في الكتاب

في الحشر ظاهرها التفاضل

٦٨٢- منها قوله تعالى: ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ﴾ (459) وقال تعالى: ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ﴾ (460) ، وفي آية ثالثة أنهم يقولون ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ (461) وهذا كلام وهو مضاد للبكم . والتعارف: تخاطب وهو مضاد للصمم والبكم معا ، وقال تعالى ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ (462) والسؤال لا يكون إلا بالإسماع ، وإلا لناطق (يستمع) للجواب ، وقال ﴿ ونحشر الجحريم يومئذ زرقاً ﴾ (463) وقال: ﴿ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ (464) قال:

459- سورة يونس : من الآية : ٤٥ .

460- سورة الإسراء : من الآية : ٩٧ .

461- سورة يس : من الآية : ٥٢ .

462- سورة الأعراف : الآية : ٦ .

463- سورة طه : من الآية : ١٠٢ .

464- سورة يس : من الآية : ٥١ .

﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَاعاً كَانَهُمْ إِلَى نَصَبٍ يَوْفُضُونَ﴾ (465)
والنسلان والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه .

والجواب لمن سأل عن هذا الباب أن يقال له : إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم ، فليست حالهم حالة واحدة ، ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً ، ولكن لهم مواقف وأحوال ، واختلفت الأخبار عنهم لا اختلاف مواقفهم وأحوالهم ، وجملة ذلك أنها خمسة أحوال : حال البعث من القبور ، والثانية حال السوق إلى موضع الحساب ، والثالثة : حال المحاسبة ، والرابعة : حال السوق إلى دار الجزاء ، والخامسة : حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها .

٦٨٣- فأما حال البعث من القبور : فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح لقول الله تعالى : ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ (466) وقوله : ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً﴾ (467) وقوله : ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (468) وقوله : ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (469) إلى قوله ﴿تَرْجِعُونَ﴾ (469) .

والحالة الثانية : حال السوق إلى موضع الحساب ، وهم أيضاً في هذه الحال بحواس تامة لقوله عز وجل : ﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا

455- سورة المعارج : الآية : ٤٣ .

466- سورة يونس : من الآية : ٤٥ .

467- سورة طه : الآية : ١٠٣ .

468- سورة الزمر : من الآية : ٦٨ .

469- سورة المؤمنون : الآيات : ١١٢-١١٥ .

كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسئولون⁽⁴⁷⁰⁾ ﴿﴾ ومعنى (فاهدوهم) أى دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم ، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة.

الحالة الثالثة : وهى حالة المحاسبة وهم يكونون فيها أيضاً كاملى الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرؤوا كتبهم الناطقة بأعمالهم ، وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون ﴿﴾ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها⁽⁴⁷¹⁾ ﴿﴾ . وأنهم يقولون لجلودهم: ﴿﴾ لم شهدنا علينا⁽⁴⁷²⁾ ﴿﴾ وليشاهدوا أحوال القيامة وما كانوا مكذبين فى الدنيا به من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها .

وأما الحالة الرابعة : وهى السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى : ﴿﴾ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم⁽⁴⁷³⁾ ﴿﴾ ويحتمل أن يكون قوله تعالى : ﴿﴾ يعرف المجرمون بسيماهم⁽⁴⁷⁴⁾ ﴿﴾ فيؤخذ بالنواصي⁽⁴⁷⁵⁾ والاقدام⁽⁴⁷⁶⁾ ﴿﴾ إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق .

470- سورة الصافات :، الآيات : ٢٢- ٢٤ .

471- سورة الكهف : من الآية : ٤٩ .

472- سورة فصلت : من الآية : ٢١ .

473- سورة الإسراء : من الآية : ٩٧ .

474- سيماهم : علاماتهم ، وما يتميزون به عن غيرهم .

475- النواصي : جمع ناصية وهى أعلى موضع فى الإنسان .

476- سورة الرحمن : من الآية : ٤١ .

والحالة الخامسة ، حال الإقامة فى النار ، وهذه الحالة تنقسم إلى بدو ومآل⁽⁴⁷⁷⁾ فبدوها أنهم إذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عميا وبكما وصما إذا لآلهم تمييزاً عن غيرهم ، ثم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار ، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين ، فيستقرون فى النار ناطقين سامعين مبصرين ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى ﴾⁽⁴⁷⁸⁾ وقال ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾⁽⁴⁷⁹⁾ وقال: ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ﴾ إلى قوله ﴿ وقالت أولاهم لأخراهم ﴾⁽⁴⁸⁰⁾ وقال : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير * فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ﴾⁽⁴⁸¹⁾ وأخبر تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون ﴿ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾⁽⁴⁸²⁾ وأن أهل الجنة ينادونهم : ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل

477- بدو ومآل : البدو : الظهور ، والمآل : المصير .

478- سورة الشورى : من الآية : ٤٥ .

479- سورة الأنعام : من الآية : ٢٧ .

480- سورة الأعراف : من الآيتين : ٣٨ ، ٣٩ .

481- سورة الملك : من الآيتين : ٨ ، ٩ .

482- سورة الأعراف : من الآية : ٥٠ .

وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ﴿٤٨٣﴾ وأنهم يقولون: ﴿يا مالك ليقتض علينا ربك﴾ ﴿٤٨٤﴾ فيقول لهم ﴿إنكم ما تكثون﴾ ﴿٤٨٥﴾ وأنهم يقولون لخزنة جهنم ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ ﴿٤٨٦﴾ فيقولون لهم: ﴿أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ ﴿٤٨٧﴾. وأما العقبي والمآل فإنهم إذا قالوا: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ ﴿٤٨٨﴾ فقال الله تعالى: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ ﴿٤٨٩﴾ وكتب عليهم الخلود بالمثل الذي يضرب لهم وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى الموت، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار، وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، سلبوا في ذلك الوقت أسماعهم، وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام، لكن سلب السمع يقين، لأن الله تعالى يقول: ﴿لهم فيها زفير﴾ ﴿٤٩٠﴾ وهم فيها لا يسمعون ﴿٤٩١﴾ فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق، ويحتمل

483- سورة الأعراف: من الآية: ٤٤ .

484- سورة الزخرف: من الآية: ٧٧ .

485- سورة الزخرف من الآية: ٧٧ .

486- سورة غافر: من الآية: ٤٩ .

487- سورة غافر: من الآية: ٥٠ .

488- سورة المؤمنون: من الآية: ١٠٧ .

489- سورة المؤمنون: الآية: ١٠٨ .

490- الزفير: إخراج النفس بشدة عكس الشهيق .

491- سورة الأنبياء: الآية: ١٠٠ .

أن تكون الحكمة في سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على ألسنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه ، وكذبوا به بعد قيام الحجّة عليهم بصحته ، فلما كانت حجة الله عليهم في الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم في الأخرى ، بسلب الأسماع يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ، وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وإن قوم نوح عليه الصلاة والسلام كانوا يستغشون ثيابهم تستراً منه ، لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه ، وقد أخبر الله تعالى عن الكفار في وقت نبينا محمد ﷺ مثله فقال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ ﴾ (892) صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون (893) ثيابهم (894) ﴿ وإن سلبت أبصارهم فلائهم أبصروا الغير فلم يعتبروا ، والنطق فلائهم أوتوه فكفروا فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا والله أعلم .

باب ما جاء في حشر الناس إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلاً وفك أول من يكسده منهم وفك أول ما يتكلم من الإنسان

٦٨٤- مسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال : « يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما

492- يثنون صدورهم : يلون .

493- يستغشون : استغشى ثوبه : تغطى به كى لا يسمع ولا يرى .

494- سورة هود : من الآية : ٦

(٦٨٤) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٦٥٢٦) ، ومسلم (٢٨٦٠) ، والترمذى (٢٤٢٥) ، والنسائى (١١٧ / ٤) ، وأحمد (٢٥٣ / ١) ، والدارمى (٣٢٦ / ٢) ، وابن أبى الدنيا (١٧٩) فى الأهوال ، والطبرى (١١٧ / ٨) فى تفسيره ، وابن حبان (٢٢١ / ٩) .

بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ، ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام ، ألا وإنه يؤتى برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب أصحابي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ﴾ إلى قوله ﴿ العزيز الحكيم ﴾⁽⁸⁹⁵⁾ قال : فيقال : إنهم لم يزلوا مدبرين مرتدين على أعقابهم⁽⁴⁹⁶⁾ منذ فارقتهم . أخرجه البخاري أيضاً والترمذي .

٦٨٥- عن معاوية بن (جبله) -رضى الله عنه- عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال : وأشار بيده إلى الشام فقال : « ههنا إلى ههنا تحشرون ركبانا ومشاةً وتجرون على وجوهكم يوم القيامة ، (على) أفواهكم الفدام ، توفون سبعين أمة ، أنتم خيرهم على الله ، وأكرمهم على الله وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه » وفي رواية أخرى ذكرها ابن أبي شيبه : « وإن أول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه » .

٦٨٦- فصل : قوله « غرلاً » أى غير مختونين ، النقى : الحوارى ، وهو

495- سورة المائدة : من الآيتين : ١١٧ ، ١١٨

496- مرتدين على أعقابهم : العقب عظم مؤخر القدم ومعنى العبارة أنهم رجعوا عن أوامرك ولم ينفذوها .

(٦٨٥) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ٤٤٦) ، (٥ / ٤٠٥) ، وعبد الرزاق (٥ / ٢٠١) ، والطبراني (١٩ / ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨) فى الكبير ، وابن أبي شيبه (٨ / ٣٥٩ - ٣٦٠) فى مصنفه .

(٦٨٦) انظر : فتح البارى (١١ / ٣٨٤) نقلاً عن المصنف ، وكذا شرح الصدور (ص / ١١٢) للسيوطي .

الدرمك⁽⁸⁹⁷⁾ من الدقيق ، والعفر بياض ليس بخالص يضرب إلى الحمرة قليلاً ، والفدام مصفاة الكوز والإبريق ، قاله الليث . قال أبو عبيدة : يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فنسبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الإبريق وقوله « أول من يكسى إبراهيم » فضيلة عظيمة لإبراهيم ، وخصوص له كما خص موسى عليه الصلاة (والسلام) بأن النبى ﷺ يجده معلقاً بساق العرش مع أن النبى ﷺ أول من تنشق عنه الأرض ، ولا يلزم من هذا أن يكون أفضل منه مطلقاً ، بل هو أفضل من وافى القيامة على ما يأتى بيانه في أحاديث الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله تعالى .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب (المفهم) له : يجوز أن يراد بالناس من عده من الناس ، فلم يدخل تحت خطاب نفسه ، والله أعلم . ٦٨٧- قلت : هذا حسن لولا ما جاء منصوباً خلافة ، فقد روى ابن المبارك في رقائقه : أخبرنا سفيان عن عمر بن قيس ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن على رضى الله عنه قال : « أول من يكسى خليل الله إبراهيم قبطينين* ، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة⁽⁴⁹⁸⁾ » عن يمين العرش» [خرجه] البيهقي أيضاً .

٦٨٨- وروى عباد بن كثير ، عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله عنه قال : « إن المؤذنين والمليين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن

497- الدرمك : الدقيق الأبيض

* قبطينين : مثني قبطية ، وهى ثوب من كتان أبيض رقيق .

(٦٨٧) خبر صحيح . أخرجه ابن المبارك كما فى زوائد الزهد (٣٦٤) وابن أبى شيبة (٨ / ٣٤٨) فى مصنفه ، وأحمد (ص / ١٠١) فى الزهد ، وابن راهويه فى « مسنده » ، وأبو يعلى كما فى البدور السافرة . (ص / ١١١) .

498- حبرة : الثوب الناعم الموشى : أى المنقوش

(٦٨٨) حديث موضوع . سبق برقم (٦١٨) .

ويلبى الملبى ، وأول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم خليل الله ، ثم محمد ﷺ ثم النبيون والرسل عليهم (الصلاة و) السلام ، ثم يكسى المؤذنون وتتلقاهم الملائكة على نجائب من نور أحمر ، أزمتها من زمرد أخضر ، رحالها من الذهب ، ويشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك إلى المحشر » ذكره الحلیمی فی کتاب (منهاج الدين) له .

٦٨٩- وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث الأسود وعلقمة وأبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود- رضى الله عنه- قال : جاء ابنا مليكة إلي النبي ﷺ الحديث وفيه : « فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة (و) السلام) يقول : اكسوا خليلي فيؤتى بربطتين⁽⁴⁹⁹⁾ بيضاوين فيلبسهما ، ثم يقعد مستقبل العرش ، ثم أوتى بكسوتى فألبسها ، فأقوم عن يمينه مقاماً لا يقوم به أحد غيرى يغبطنى فيه الأولون والآخرون » وذكر الحديث .

٦٩٠- وخرج البيهقي بإسناده في كتاب (الأسماء والصفات) عن ابن عباس- رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم تحشرون حفاة عراة ، وأول من يكسى من الجنة إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام يكسى

(٦٨٩) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (١ / ٣٩٨) ، والحاكم (٢ / ٣٦٤) ، وأبو نعيم (٤ / ٢٣٨) فى الحلية ، والبخارى فى تاريخه الكبير (٤ / ٧٣) وابن منده كما فى أسد الغابة (٦ / ٣٤٧) ، والطبرانى (١٠١٧) فى الكبير ، واليزار كما فى المجموع (١٠ / ٣٦٢) صححه الحاكم ، فقال الذهبي : لا والله ، فعثمان بن عمير ، ضعفه الدارقطني والباقون ثقات . وقال أبو نعيم : حديث غريب ، وقال الهيثمي : فى أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير ، وهو ضعيف .

499- بریطتين : الریطة : الثوب اللين الرقيق .
(٦٩٠) إسناده ضعيف . أخرجه البيهقي (ص / ٣٩٥) فى الأسماء والصفات ، فيه أبو قلابة الرقاشى ، صدوق كثير الخطأ ، وقد خالف الأثبات الثقات ، فلقد روى عن ابن عباس ، وليس عندهم زيادة الكسوة ، والجلوس ، فهى من هذا الوجه منكرة .

حلة من الجنة ، ويؤتى بكرسى ، فيطرح عن يمين العرش ، ويؤتى بى ، فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر ، ثم أوتى بكرسى ، فيطرح لى على ساق العرش » وهذا نص بأن إبراهيم أول من يكسى ، ثم نبينا ، بإخباره ﷺ فطوبى ثم طوبى لمن كسى فى ذلك الوقت من ثياب الجنة ، فإنه من لبسه فقد لبس جبة تقية مكاره الحشر وعرقه وحر الشمس وغير ذلك من أهواله .

٦٩١- فصل : وتكلم العلماء في حكمة تقديم إبراهيم عليه (الصلاة

و) السلام بالكسوة ، فروى أنه لم يكن فى الأولين والآخرين لله عز وجل عبد أخوف من إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فتعجل له كسوته أمانا له ليطمئن قلبه ، ويحتمل أن يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أمر بلبس السراويل إذا صلى مبالغة فى التستر ، وحفظاً لفرجه من أن يماس مصلاه ففعل ما أمر به ، فيجزى بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون الذين ألقوه فى النار وجردوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين الناس كما يفعل بمن يراد قتله ، وكان ما أصابه من ذلك فى ذات الله عز وجل ، فلما صبر واحتسب وتوكل على الله تعالى دفع الله عنه شر النار فى الدنيا والآخرة ، وجزاه بذلك العرى أن جعله أول من يدفع عنه العرى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، وهذا أحسنها ، والله أعلم .

وإذا بدئ فى الكسوة بإبراهيم وثنى بمحمد ﷺ أوتى محمد بحلة لا يقوم لها البشر لينجبر التأخير بنفاسة الكسوة ، فيكون كأنه كسى مع إبراهيم عليهما الصلاة والسلام قاله الحليمى . وقوله : « تجدون على أفواهكم الفدام » ، والفدام : مصفاة الكوز والإبريق ، قاله الليث . قال أبو عبيد يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الإبريق .

(٦٩١) انظر : فتح البارى (١١ / ٣٨٤ - ٣٨٥) الفتن والملاحم (ص / ١٩٨) لابن

كثير كلاهما نقلاً عن القرطبى .

(و) قال سفيان : وفدامهم أن يؤخذ على ألسنتهم وهذا مثل .

باب منه

وبيان قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ

يَغْنِيهِ ﴾ (500)

٦٩٢- مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » قلت : يا رسول الله ، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة ، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض .

٦٩٣- الترمذي عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال : « تحشرون حفاة عراة غرلاً فقالت امرأة : أيبصر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » قال : حديث حسن صحيح .

٦٩٤- فصل : قلت : هذا الباب والذي قبله يدل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً أى غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده .

500- سورة عبس : الآية : ٣٧ .

(٦٩٢) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٨٥٩) ، وأحمد (٦٠ / ٥٣) ، والنسائي (٤ / ١١٥) ، وابن ماجه (٤٢٧٦) ، وابن أبي الدنيا (٢٣٢) فى الأهوال ، والطبرى (٧ / ١٨٤) فى تفسيره ، والبغوى (٤٣١٣) فى شرح السنة .
(٦٩٣) حديث صحيح . أخرجه الترمذى (٣٥٥١) بلفظه ، والحاكم (٢ / ٢٥١) ، وأصله عند البخارى (٨ / ١٣٦) ، ومسلم (٢٨٦٠) ، وأحمد (١ / ٢٢٠) ، والترمذى (٢٤٢٥) ، والنسائي (٤ / ١١٧) ، وابن أبى شيبه (١٣ / ٢٤٧) ، والطبرى (١٧ / ٨٠) . بألفاظ أخرى كلهم عن ابن عباس رضى الله عنه .

قال العلماء : يحشر العبد غداً وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد ، فمن قطع منه عضو يرد في القيامة عليه حتى الختان .

٦٩٥- وقد عارض هذا الباب ما (رواه) أبو داود في سننه ، عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه- لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الميت يبعث في ثيابه التي دفن فيها » قال أبو عمر بن عبد البر : وقد احتج بهذا الحديث من قال : إن الموتي يبعثون جملة على هيئاتهم ، وحمله الأكثر من العلماء على الشهيد الذى أمر أن يزمّل في ثيابه، ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه، ولا يغير عليه شيء من حاله بدليل حديث ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما ، قالوا : ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم ، والله أعلم .

قلت : ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قوله الحق : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾⁽⁵⁰¹⁾ وقوله : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾⁽⁵⁰²⁾ ولأن الملابس في الدنيا أموال ، ولا مال في الآخرة ، زالت الأملاك بالموت ، وبقيت الأموال في الدنيا ، وكل نفس يومئذ ، فإنما يقيها المكارة (ثواب) وجب لها بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله (تعالى) عليها ، فأما الملابس فلا غنى فيها يومئذ إلا ما كان من لباس الجنة على ما تقدم في الباب قبل (قاله الحليمي) .

(٦٩٥) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (٣١١٤) ، وعبد الرزاق (٦٢٠٣) ، وابن حبان (٢١١ / ٩) ، والحاكم (٣٤٠ / ١) ، وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي (٣ / ٣٨٤) في سننه الكبرى .

501- سورة الأنعام : من الآية : ٩٤ .

502- سورة الأعراف : من الآية : ٢٩ .

٦٩٦- وذهب أبو حامد في كتاب (كشف علوم الآخرة) إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بالغوا في أكفان موتاكم ، فإن أمتي تحشر بأكفانها وسائر الأمم عراة » رواه أبو سفيان مسنداً .

قال المؤلف رحمه الله : وهذا الحديث لم أقف عليه . والله أعلم بصحته ، وإن صح فيكون معناه : فإن أمتي الشهداء تحشر بأكفانها حتى لا تتناقض الأخبار والله أعلم . ولا يعارض هذا الباب ما تقدم أول الكتاب من أن الموتى يتزاورون في قبورهم بأكفانهم ، فإن ذلك يكون في البرزخ ، فإذا قاموا من قبورهم خرجوا عراة ما عدا الشهداء ، والله أعلم .

باب منه

٦٩٧- ذكر أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، عن عبد الله بن إبراهيم ابن أبي عمرو الغفاري قال : حدثنا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أحشر يوم القيامة بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - حتى أقف بين الحرمين ، فيأتى أهل المدينة ومكة » غريب من حديث مالك ، تفرد به عبد الله بن إبراهيم عنه ، ويقال لم يروه غير عبد العزيز بن عبد الله الهاشمي البغدادي عن الغفاري .

(٦٩٦) حديث شاذ ومنكر ، خالف الروايات الصحيحة الموثقة ولا أصل له في دواوين السنة المطهرة .

(٦٩٧) حديث موضوع . أخرجه الخطيب في « الرواة عن مالك » ، والحكيم الترمذي (ص / ٣٨ ، ٥٦ ، ٢٩٠) في النوادر ، وابن عساكر في تاريخه كما في الكنز (٣٢٦٩٨) فيه عبد الله بن إبراهيم متهم بالوضع .

وأورده الذهبي (٢ / ٣٨٩) في الميزان ، وقال : هذا غير صحيح . وأخرجه ابن أبي الدنيا في « البعث والنشور » كما في الفتن والملاحم (ص / ١٩٦) ، وله لفظ آخر ، وهو « هكذا نبعث يوم القيامة » وهو ضعيف ، انظر : رقم (٦٢٩) .

باب قول النبي ﷺ

من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ

﴿إذا الشمس كورت﴾ (503) و ﴿إذا السماء انفطرت﴾ (504)

و ﴿إذا السماء انشقت﴾ (505) وفي أسماء يوم القيامة

٦٩٨- الترمذي عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله

ﷺ: «من سره أن ينظر إلي يوم القيامة فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ و

﴿إذا السماء انفطرت﴾ و ﴿إذا السماء انشقت﴾ وقال : هذا حديث حسن .

٦٩٩- فصل : قلت : وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة ،

لما فيها من انشقاق السماء ، وانفطارها ، وتكور شمسها ، وانكدار نجومها ،

وتناثر كواكبها ، إلى غير ذلك من أفزعها وأهوالها ، وخروج الخلق من

قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم ، بعد نشر صحفهم ، وقراءة كتبهم ،

وأخذها بأيامهم ، وشمائلهم ، أو من وراء ظهورهم ، في موقفهم على ما يأتي

بيانه . قال الله تعالى : ﴿إذا السماء انشقت﴾ وقال ﴿إذا السماء انفطرت﴾

503- سورة التكوير .

504- سورة الانفطار .

505- سورة الانشقاق .

(٦٩٨) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٢٧ ، ٣٦ ، ١٠٠) ، والترمذي

(٣٣٣٣) ، وابن أبي الدنيا (١٩) في الأهوال ، والحاكم (٤ / ٥٧٦) وصححه ، وأقره

الذهبي ، وأخرجه ابن المنذر ، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣١٨١٦) ، والطبراني كما في

المجمع (٧ / ١٣٤) .

(٦٩٩) انظر : تفسير عبد الرزاق (٢ / ٢٨٤) ، والطبري (٣٠ / ٤١ - ٤٥) الأهوال

(٢٠) ، (٢١) لابن أبي الدنيا ، الدر المنثور (٦ / ٣١٨) .

وقال: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾⁽⁵⁰⁶⁾ فتراها واهية منفطرة متشقة كقوله تعالى: ﴿وفتحت السماء فكانت أبوابا﴾⁽⁵⁰⁷⁾ ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض . وقيل : إن (الباء) بمعنى (عن) أى : تشقق عن سحب أبيض . ويقال : انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم ، وذلك إذا بطلت المياه وبرزت النيران ، فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن ، وتشقق لما يريد الله من نقض هذا العالم ورفعها ، وقد قيل : إن السماء تتلوث فتصفر ثم تحمر ، أو تحمر ثم تصفر ، كالمهرة تميل في الربيع إلى الصفرة ، فإذا اشتد الحر مالت إلى الحمرة ثم إلى الغبرة . قاله الحلبي .

وقوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال ابن عباس رضى الله عنه تكويرها إدخالها في العرش . وقيل : ذهاب ضوئها . قاله الحسن وقتادة . وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد . وقال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة تلف فتحمل ، وقال الربيع بن خيثم كورت رمى بها ، ومنه كورته فتكور أى : سقط .

قلت : وأصل التكوير : الجمع ، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أى لانها وجمعها فهى تكور ثم يحى ضوءها ثم يرمى بها والله أعلم .

وقوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾⁽⁵⁰⁸⁾ أى انثرت قيل : تتناثر من أيدى الملائكة لأنهم يموتون . وفي الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي الملائكة . وقال ابن عباس رضى الله عنه : انكدرت تغيرت ،

506- سورة الفرقان من الآية : ٢٥

507- سورة النبأ : الآية : ١٩ .

508- سورة التكوير : الآية : ٢ .

وأصل الانكدار: الانصباب ، فتسقط في البحار ، فتصير معها نيراناً إذا ذهب المياه .

وقوله ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سِيرَتْ﴾⁽⁵⁰⁹⁾ هو مثل قوله ﴿وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالُ﴾⁽⁵¹⁰⁾ أى تحول عن منزلة الحجارة فتكون كشيء مهيلأى : رملأ سائلاً وتكون كالعهن⁽⁵¹¹⁾ ، وتكون هباء منبثأ ، وتكون سراباً مثل السراب الذى ليس بشيء ، وقيل : إن الجبال بعد اندكاكها أنها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل . قال الحليمى : وهذا والله أعلم لأن مياه الأرض كانت حاجزة بين السماء والأرض ، فإذا ارتفعت وزيد مع ذلك في إحماء جهنم أثر في كل واحد من السماء والأرض ما ذكر .

وقوله : ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾⁽⁵¹²⁾ أى عطلها أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم . والعشار : الإبل الحوامل واحدا عشر ، وهى التى أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ، ثم يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ، وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما يكون على العرب ، فأخبر أنه تعطل يوم القيامة . ومعناه : أنهم إذا قاموا من قبورهم ، وشاهد بعضهم بعضاً ، ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التى كانت أنفس أموالهم لم يعبؤوا بها ولم يهتمهم أمرها ، ويحتمل (تعطيل) العشار : إبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملكهم إياها في الدنيا ، وأهل العشار يرونها فلا يجدون إليها سبيلاً . وقيل : العشار السحاب يعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر ، وقيل :

509- سورة التكوير : الآية : ٣ .

510- سورة الكهف : الآية : ٤٧ .

511- العهن : الصوف المنتفش المصبوغ ألواناً

512- سورة التكوير : الآية : ٤ .

العشار: الديار تعطل فلا تسكن . وقيل : الأرض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع ، والقول الأول أشهر وعليه من الناس الأكثر .
وقوله : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾⁽⁵¹³⁾ أى : جمعت ، والحشر: الجمع وقد تقدم .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾⁽⁵¹⁴⁾ أى : أوقدت وصارت ناراً ، رواه الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال قتادة : غار ماؤها فذهب ، وقال الحسن والضحاك : فاضت . قال ابن أبي زمنين ﴿ سُجِّرَتْ ﴾ حقيقة ملئت فيفيض بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً وهو معنى قول الحسن ، ويقال : إن الشمس تلف ثم تلقى في البحار فمنها تحمى وتنقلب ناراً . قال الحلیمی : يحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار في قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئذ تكون أكثرها ، لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة ، فإذا كورت وألقيت في البحر فصارت ناراً ازدادت امتلاء .
وقوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾⁽⁵¹⁵⁾ تفسير الحسن أن تلحق كل

شيعة شيعتها، اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئاً يلحق بعضهم ببعض والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين . وقال عكرمة : المعنى : تقرن بأجسادها ، أى : ترد إليها، وقيل يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان . وقيل : يقرن المؤمنون

513- سورة التكوير : الآية : ٥ .

514- سورة التكوير : الآية : ٦ .

515- سورة التكوثر : الآية : ٧ .

516- الموءودة : البنت التى دفنها أبوها حية، وكان ذلك فى الجاهلية .

بالخور العين والكافرون بالشیاطین وقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ (517)

یعنی: بنات الجاهلیة كانوا یدفنونهن أحياء لخصلتین :

إحداهما : كانوا یقولون إن الملائكة بنات الله ، فألحقوا البنات به .

الثانیة : مخافة الحاجة والإملاق ، وسؤال الموءودة على وجه التوبيخ

لقاتلها ، كما یقال للطفل إذا ضرب : لم ضربت وما ذنبك ؟ وقال الحسن :

أراد الله أن یوبخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وبعضهم یقرأ ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ

سألت﴾ تعلق الجارية بأبيها فتقول بأى ذنب قتلتنى ؟ وقيل : معنى سألت

یسأل عنها ، كما قال : ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (518) .

وقوله : ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (519) أى : للحساب ، وسيأتى .

وقوله : ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (520) قيل : معناه : طويت ، كما قال

الله تعالى : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (521) أى كطوى

الصحيفة على ما فيها ، فاللام بمعنى « على » يقال : كشطت السقف أى قلعتہ

فكان المعنى قلعت فطويت . والله أعلم . والكشط والقشط سواء وهو

القلع ، وقيل : السجل كاتب للنبي ﷺ ولا يعرف في الصحابة من اسمه :

سجل .

وقوله : ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ (522) أى أوقدت .

517- سورة التكویر : الآية : ٨ .

518- سورة الإسراء : من الآية : ٣٤ .

519- سورة التكویر : الآية : ١٠ .

520- سورة التكویر : الآية : ١١ .

521- سورة الأنبياء : من الآية : ١٠٤ .

522- سورة التكویر : من الآية : ١٢ .

وقوله: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (523) أى قربت لأهلها وأدريت ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُحْضِرَتْ﴾ (524) أى : من عملها وهو مثل قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدِمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (525) ومثل قوله: ﴿يَنْبَأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (526) فهو يوم الانشقاق ويوم الانفطار ويوم التكوير ويوم الانكدار ويوم الانتثار ، ويوم التسيير ، قال الله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ (527) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سِيرَتْ﴾ ويوم التسجير ، ويوم التعطيل ويوم التفجير ويوم المشط والطي ويوم المد لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مَدَّتْ﴾ (528) إلى غير ذلك من أسماء القيامة ، وهى الساعة الموعود أمرها ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها لرسول الله ﷺ حتى أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا﴾ (529) قل إنما علمها عند ربى لا يجليها (530) لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة (531) ﴿﴾ (532) وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ، وهذا

523- سورة التكوير : الآية : ١٣ .

524- سورة التكوير : الآية : ١٤ .

525- سورة الانفطار : الآية : ٥ .

526- سورة القيامة : الآية : ١٣ .

527- سورة الطور : الآية : ١٠ .

528- سورة الانشقاق : الآية : ٣ .

529- مرساها : أى إرساؤها بمعنى وقوعها .

530- لا يجليها : لا يظهر خبرها لأحد ، ولا يطلع عليه أحداً .

531- بغتة : فجأة على حين غفلة من الناس .

532- سورة الأعراف : من الآية : ١٨٧ .

جميع كلام العرب ، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم ، وله نظائر ، فالقيامة لما عظم أمرها ، وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة ، منها ما ذكرناه ، مما وقع في هذه السور الثلاث .

وقيل : إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها فتوقف بين يدي الله تعالى ويوم الجمعة فيها زهراء مضيئة يعرفها الخلائق فيوم القيامة يوم يتضمن الأيام كلها فسمى بكل حال يوما فقل ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (533) ثم قيل : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (534) ﴿(535)﴾ ثم قيل : ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (536) فهذه حالة أخرى . ثم قيل : يومئذ تعرضون ثم قيل : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ (537) . فهذه أحوال فقد يجرى يوم القيامة بطوله على هذه الأحوال كل حال منها كالיום المتجدد ولذلك كررت في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ * ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴿(538)﴾ لأن ذلك اليوم وما بعده يوم ، واليوم العظيم متضمن لهذه الأيام فهو لله تعالى يوم وللخلائق أيام فقد عرفت أيامهم في يومه وقد بطل الليل والنهار . قاله الترمذى الحكيم ، ومما قيل في معنى ما ذكرنا من النظم قول بعضهم :

533- سورة النبأ : من الآية : ١٨ .

534- المبعث : المنتشر في كل مكان .

535- سورة القارة : الآية : ٤ .

536- سورة النبأ : من الآية : ٤٠ .

537- سورة الزلزلة : من الآية : ٦ .

538- سورة الانفطار : الآيتان ، ١٧ ، ١٨ .

مثل لنفسك أيها المغرور
إذ كورت شمس النهار وأدنت
وإذا الجبال تفجرت من خوفها
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت
وإذا الجبال تقلعت بأصولها
وإذا العشار تعطلت وتخربت
وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت
وإذا تقاة المسلمين تزوجت
وإذا الموءودة سئلت عن شأنها
وإذا الجليل طوى السما يمينه
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت
وإذا السماء تكشفت عن أهلها
وإذا الجحيم تسعرت وتلهبت
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت
وإذا الجنين بأمه متعلق
هذا بلا ذنب يخاف جناية
ومنها: الساعة ، قال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةَ يُقْسَمُ الْجَاهِلُونَ

539- تمور : تتحرك وتضطرب اضطراباً شديداً .

540- تفور : تتحرك وتضطرب من كثرة التوهج .

ما لبثوا غير ساعة ﴿٥٤١﴾ وقال ﴿وبوم تقوم الساعة يبلس﴾ (٥٤٢) المجرمون ﴿٥٤٣﴾. ﴿وبوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ (٥٤٤) ﴿وبوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (٥٤٥) وهو في القرآن كثير ، والساعة : كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءاً من يوم وليلة واللذين هما أصل الأزمنة ، وتقول العرب أفعل كذا الساعة ، وأنا الساعة في أمر كذا تريد الوقت ، الذي أنت فيه ، والذي يليه تقريباً له وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بالآلف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت ، والذي أنت فيه وهو المسمى بالآن ، وسميت به القيامة إما لقربها فإن كل آت قريب ، وإما أن تكون سميت بها تنبيها على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام ، وقيل : إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة ، وقيل إنما سميت بالساعة لأن الله تعالى أمر السماء أن تمطر بماء الحيوان حتى تنبت الأجساد في مدافنها ، ومواضعها حيث كانت من بحر أو بر وتستقل وتحرك بحياتها بماء الحيوان ، وليست فيها أرواح ثم تدعى الأرواح ، فأرواح المؤمنين تتوقد نوراً ، وأرواح الكافرين تتوهج ظلمة ، فإذا دعا الأرواح ألقاها في الصور ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور فإذا نفخ فيه

541- سورة الروم : من الآية : ٥٥ .

542- يبلس : أبلس سكت لحيرة أو انقطاع حجة وسكوت المجرمين يوم القيامة سكوت خزي وندامة .

543- سورة الروم : الآية : ١٢ .

544- سورة الروم : الآية : ١٤ .

545- سورة غافر : من الآية : ٤٦ .

خرجت من الصور ثم أمرت أن تلحق الأجساد فتبعث إلى الأجساد في أسرع من اللمحة ، وإنما سميت الساعة لسعي الأرواح إلى الأجساد في تلك السرعة فهي سائق وجمعها ساعة كقولك ، بائع وباعة، وصائغ وصاغة ، وكائل وكالة ، فوصف أن سائر أموره في السرعة كلمح البصر وأمر الساعة أقرب من لمح البصر . قاله الترمذى الحكيم (أبو عبد الله) .

٧٠٠ - وذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال : إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العصاة دما ، ومنها القيامة قال الله تعالى : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾⁽⁵⁴⁶⁾ وهي في العربية مصدر قام يقوم ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب ، واختلف في تسميتها بذلك على أربعة أقوال :
الأول : لوجود هذه الأمور فيها .

الثاني : لقيام الخلق من قبورهم إليها . قال الله تعالى ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعا ﴾⁽⁵⁴⁷⁾ .

٧٠١ - الثالث : لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾⁽⁵⁴⁸⁾
(٧٠٠) خبر حسن . أخرجه ابن أبي الدنيا (١٠) في الأحوال ، وأبو نعيم (٤ / ٦٣) في الحلية ، وانظر : البدور السافرة (ص / ٩٤) .

546- سورة القيامة : الآية : ١ .

457- سورة المعارج : من الآية : ٤٣ .

(٧٠١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٣٨) ، ومسلم (٢٨٦٢) ، وأحمد (٣١٢ / ٣١٣٦) ، والترمذى (٣٣٣٦) ، وهناد (٣٢٦) في الزهد ، ابن ماجه (٤٢٧٨) ، وابن أبى شيبة (١٣ / ٢٣٣) في مصنفه ، وابن أبى الدنيا (٩٣) في الأحوال ، والطبرى (٣٠ / ٥٨) ، (٦٠) في تفسيره .

548- سورة المطففين : الآية : ٦ .

قال: يوم يقوم أحدكم في رشحته إلى نصف أذنيه.

٧٠٢- قال: ابن عمر رضى الله عنهما: «يقومون مائة سنة».

٧٠٣- ويروى عن كعب «يقومون ثلاثمائة سنة».

الرابع: لقيام الروح والملائكة صفاءً. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ
الروح والملائكة صفاءً﴾ (549).

٧٠٤- قال علماءنا: واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته،
ولكنها قيامة صغرى فالقيامه قيامتان: صغرى وكبرى، فالصغرى: هى ما
يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه
وحصوله على عمله. إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، والقيامه
الكبرى هى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة، والدليل على أن كل
ميت يموت فقد قامت قيامته: قول النبى ﷺ لقوم من الأعراب وقد سألوه
متى القيامة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: «إن يعيش هذا لم يدركه
الهزم (550) قامت عليكم ساعتكم» أخرجه مسلم وغيره، وقال الشاعر:

(٧٠٢) خبر صحيح. أخرجه ابن أبى الدنيا (٩١) فى الأحوال، وابن جرير (٣٠ /
٥٩).

(٧٠٣) خبر ضعيف. أخرجه ابن أبى الدنيا (٩٢) فى الأحوال، وابن جرير (٣٠ / ٥٩)
وابن المنذر كما فى الدر المنثور (٦ / ٣٢٤).

549- سورة النبأ: من الآية: ١٨.

(٧٠٤) حديث صحيح. أخرجه البخارى (٨ / ١٣٣) برقم (٦٥١١)، ومسلم
(٢٩٥٢)، وابن أبى شيبه (٨ / ٦٦٥) كلهم من حديث عائشة رضى الله عنها.
وأخرجه مسلم (٢٩٥٣)، وأحمد (٣ / ٢١٣، ٢٢٨، ٢٦٩، ٢٧٠) من حديث أنس بن
مالك رضى الله عنه.

550- الهزم: التقدم فى السن.

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى غداة أقيل⁽⁵⁵¹⁾ الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصبروا خروجى وتعجيلى إليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط سيرتى غداة أتى يومى على وساعتى
ومنها : يوم النفخة . قال الله تعالى : ﴿ يوم ينفخ فى الصور ﴾⁽⁵⁵²⁾

وقد مضى القول فيه .

ومنها : يوم الزلزلة ، ويوم (الراجفة) . قال الله تعالى : ﴿ يوم ترجف
الراجفة تتبعها الرادفة ﴾⁽⁵⁵³⁾ وقد تقدم .

ومنها : يوم الناقور ، كقوله تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾⁽⁵⁵⁴⁾ وقد
تقدم القول فيه والحمد لله .

ومنها : القارعة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها يقال : قد
أصابتهم قوارع الدهر أى أهواله وشدائده ، قالت الخنساء :
تعرفنى الدهر نهشاً وحزاً * وأوجعنى الدهر قرعاً وغمزاً *
أرادت أن الدهر أوجعها بكبريات نوائبه وصغرياتها .

551- أقيل الحاملون جنازتى : أى تركوها ووضعوها عن أكتافهم . وأصل الإقالة : الترك
والصفح .

552- سورة النبأ : من الآية : ١٨ .

553- سورة النازعات : الآيتان : ٦ ، ٧ .

554- سورة المدثر الآية : ٨ .

555- نهشاً : يقال نهشه الدهر جهده وأوقعه فى الحاجة والشدة وأصل النهش العض بالأسنان
من غير إحداث جرح .

*حزاً : الحز القطع من شىء فى غير إبانة .

**غمزاً : الغمز الطعن وإظهار العيب .

ومنها يوم البعث وحقيقته إثارة الشيء عن خفاء وتحريكه عن سكون ،
قال عنتره :

وعصابة شم الأنوف بعثتهم
وقال امرؤ القيس :

وفتيان صدق قد بعثت بسحرة فقاموا جميعاً بين غات⁽⁵⁵⁷⁾ ونسوان*
وقد تقدم القول فيه وفي صفته والحمد لله .

ومنها : يوم النشور هو عبارة عن الإحياء . يقال : قد أنشر الله الموتى
فنشروا أى أحياهم الله فحيوا ومنه قوله تعالى : ﴿ وانظر إلى العظام كيف
ننشزها ﴾⁽⁵⁵⁸⁾ أى نحيتها ، وقد يكون معناه التفريق من ذلك (كقولك)
أمرهم نشر .

ومنها : يوم الخروج ، قال الله تعالى : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث
سراعاً ﴾⁽⁵⁵⁹⁾ فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار ثم لا
خروج ولا دخول على ما يأتى .

ومنها : يوم الحشر ، وهو عبارة عن الجمع ، وقد يكون مع الفعل إكراه

556- عصابة : المجموعة القوية من الرجال من العشرة إلى الأربعين .

* شم الأنوف : بمعنى مرتفعى الأنوف ، وهذا التعبير كناية عن صلابتهم وقوتهم وعزتهم .

* أنكروا : النوم .

* طلاها : يقال : طلى الليل الآفاق وغيرها : غشاها بظلمته .

557- غات : راکض وهو شدة الجرى .

* نسوان : متروك . فأصلها : نسيان بالياء وجاءت بالواو على المعاقبة .

558- سورة : البقرة من الآية : ٢٥٩ .

559- سورة : المعارج من الآية : ٤٣ .

قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (560) أَي مَنْ يسوق السحرة كرها وقد مضى القول في الحشر مستوفى والحمد لله .
ومنها : يوم العرض قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (561) ، وقال : ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ (562) وحقيقته إدراك الشيء بإحدى الحواس ليعلم حاله وغايته السمع والبصر فلا يزال الخلق قياماً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما شاء الله أن يقوموا حتى يلهموا أو يهتموا . فيقولون : قد كنا نستشفع في الدنيا فهلهم فلنسأل الشفاعة إلى ربنا فيقولون : ائتوا آدم الحديث وسيأتى .
٧٠٥- قال ابن العربي : وفي كيفية العرض أحاديث كثيرة المعول منها على تسعة أحاديث في تسعة أوقات :

الأول : الحديث المشهور الصحيح ، رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما واللفظ له قال : إن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : « هل تضارون » (363) في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ، وهل

560 - سورة : الشعراء ، الآية : ٥٣ .

561 - سورة : الحاقة ، الآية : ١٨ .

562 - سورة : الكهف من الآية : ٤٨ .

(٧٠٥) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٨ / ١٤٧) ، (٩ / ١٥٦) ، ومسلم (١٨٣) ، وأحمد (٢ / ٢٥٧ ، ٢٩٣) ، (٣ / ١٦) وأبو داود (٤٧٣٠) مختصراً ، وعبد الرزاق (٢٠٨٥٦) وأبو عوانة (١ / ١٩٧ ، ١٩٨) ، وابن أبي عاصم (٤٥٢) ، (٤٥٣) ، (٤٥٤) ، (٤٥٥) ، (٤٥٦) ، (٤٥٧) ، (٤٥٨) في السنة ، والترمذي (٢٦٨٢) ، وابن حبان (٩ / ٢٥٩ ، ٢٦٨) .

563 - تضارون : تشكون أو تنكرون .

تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوً ليس فيها سحاب» قالوا: لا يارسول الله، قال: «ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيزاً بن الله. فيقال لهم: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح بن الله. فيقال لهم: كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا (قال): فيشار (إليهم) ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً. حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، وذكر الحديث وسيأتي تمامه إن شاء الله تعالى.

٧٠٦- الثاني : صح من حديث عائشة رضی الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نوقش الحساب عذب » قلت : يا رسول الله أليس الله يقول : ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ (564) قال : « ليس ذلك الحساب ذلك العرض » وسيأتى .

٧٠٧- الثالث : روى الحسن ، عن أبي هريرة رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات » الحديث وسيأتى .

٧٠٨- الرابع : روى عن أنس رضی الله عنه أنه قال : عن النبي ﷺ : « يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج » الحديث ، وسيأتى .

٧٠٩- الخامس : ثبت عن أبي هريرة رضی الله عنه وأبى سعيد الخدري واللفظ له « يؤتى بعد يوم القيامة فيقال له : ألم أجعل لك سمعاً

(٧٠٦) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٣٩) برقم (٦٥٣٦) ، ومسلم (٢٨٧٦) وابن المبارك (٤٦٤) فى الزهد ، وأحمد (٦ / ٩١ ، ١٢٧ ، ٢٠٦) ، والشافعى (١٣٨٩) ، وأبو داود (٣٠٩٣) ، والترمذى (٢٤٢٦) ، (٣٣٣٧) ، وابن أبى عاصم (٨٨٥) فى السنة ، والطبرى (٥ / ١٨٩) ، (٣٠ / ٧٤) فى تفسيره .

564- سورة : الانشقاق ، الآية : ٨

(٧٠٧) حديث ضعيف . أخرجه الترمذى (٢٥٤٢) وقال الترمذى : لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة .

وأخرجه أحمد (٤ / ٤١٤) وابن ماجه (٤٣٢٨) ابن الجوزى (٥٨) فى المقلق من حديث أبى موسى ، ولكن من رواية الحسن ، وكذلك لم يسمع من أبى موسى ، وقد رواه على كلا الحالين بالنعنة ، وهو مدلس ، وأخرجه البغوى (٤٣٢٨) فى شرح السنة عن أبى موسى مرسلأ ، من رواية الحسن أيضاً بالنعنة .

(٧٠٨) حديث ضعيف . أخرجه الترمذى (٢٤٢٩) ، وقال : قد روى غير واحد هذا الحديث عن الحسن ، ولم يسندوه ، وإسماعيل بن مسلم يضعف فى الحديث ، وأخرجه البغوى (٤٠٥٨) فى شرح السنة من هذا الطريق ، وأخرجه أبو نعيم (٦ / ٣١٠) فى الحلية ، وفى سنده ضعيفان ، وأخرجه ابن المبارك كما فى زوائد الزهد (١٠٠٩) عن الحسن مرسلأ .

(٧٠٩) حديث صحيح . سبق برقم (٧٠٥) .

وبصراً ومالاً وولداً وتركتك ترأس وترتع⁽⁵⁶⁵⁾ فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقال له: اليوم أنساك كما نسيتني « وهذا حديث صحيح. قلت: خرج مسلم والترمذي مطولاً.

٧١٠- السادس: ثبت من طرق صحاح أن النبي ﷺ قال: « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقول له: عبدى تذكر يوم كذا وكذا حين فعلت كذا وكذا فلا يزال يقرره حتى يرى أنه (قد) هلك، ثم يقول له: عبدى، أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ».

٧١١- السابع: وفى الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها » وذكر الحديث.

٧١٢- الثامن: وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول: أى رب، إذا أخرجتني منها فلا تعدنى فيها فينجيه الله منها ».

565- ترأس وترتع: ترأس: أى تقود غيرك، وترتع: تلهو وتنعم

(٧١٠) حديث صحيح. أخرجه البخارى (٣ / ١٦٨)، (٦ / ٩٣)، ومسلم (٢٧٦٨)، وأحمد (٢ / ٧٤)، وابن أبى شيبه (١٣ / ١٨٩)، وابن ماجه (١٨٣)، وابن حبان (٩ / ٢٢٥)، والبيهقى (٤٣٢٠) فى شرح السنة من حديث ابن عمر وفى الباب عن ابن مسعود.

(٧١١) حديث صحيح. أخرجه مسلم (١٩٠)، وأحمد (٥ / ١٥٧)، وأبو عوانة (١ / ١٦٦)، وابن حبان (٩ / ٢٣٣)، والبيهقى (٤٣٦٠) فى شرح السنة. (٧١٢) حديث صحيح. أخرجه مسلم (١٩٢)، وأحمد (٣ / ٢٢١)، وابن أبى عاصم (٢ / ٤١١) فى السنة، وابن أبى الدنيا (٧٠) فى حسن الظن بالله، وأبو نعيم (٢ / ٣١٥) فى الحلية.

٧١٣- وروى مسلم : « يجمع الله الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة ، فيقول لهم : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك » وذكر حديث الشفاعة قال الله تعالى : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ (566) وذلك قوله في الحديث المتقدم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً » قال القاضي أبو بكر بن العربي : وهذا مما أغفله الأئمة في التفسير .

التاسع : العرض على الله (سبحانه) ولا أعلمه في الحديث إلا قوله في النص المتقدم حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين ، وذكر الحديث .

قلت : إذا تتبعنا الأحاديث في هذا الباب على هذا السياق كان الحسن والصحيح منها أكثر من تسعة .

٧١٤- وقد خرج (مسلم) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع الحديث وسيأتي .

(٧١٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٩٥) ، والبيهقي (٤٣٤٧) في شرح السنة والحاكم (٤ / ٥٨٨) .

566- سورة : الأحقاف من الآية : ٢٠ .

(٧١٤) حديث حسن . أخرجه الترمذي (٢٥٣٢) وقال : حسن صحيح ، والدارمي (١ / ١٣١) ، وأبو نعيم (١٠ / ٢٣٢) في الحلية ، والخطيب (١) في اقتضاء العلم العمل . ومن حديث ابن مسعود ، أخرجه الترمذي (٢٥٣١) ، وقال : غريب ، والطبراني (١ / ٢٦٩) في الصغير ، وابن عدي (٢ / ٧٦٣) في الكامل والخطيب (١٢ / ٤٤٠) في تاريخه ، وفي الباب عن ابن عباس ، ومعاذ ، انظر السلسلة الصحيحة (٩٤٦) .

٧١٥- وقوله في الحديث الآخر: «إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله» .

٧١٦- وخرج مسلم عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث وسيأتي .

٧١٧- وخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب» الحديث وسيأتي .

ويتضمن من غير رواية البخاري عرض اللوح المحفوظ، ثم إسمرافيل، ثم جبرائيل، ثم الأنبياء نبيا نبيا صلوات الله عليهم أجمعين، وسيأتي .

٧١٨- وخرج الترمذي وابن ماجه حديث الرجل الذي ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا وسيأتي .

(٧١٥) حديث ضعيف جداً. أخرجه الطبراني في «الصغير» كما في المجمع (١٠ / ٣٤٦)، وابن حبان في المجروحين (٣ / ١٣٧)، والخطيب (٨ / ٩٩) في تاريخه .

(٧١٦) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، وأحمد (٤ / ٢٥٦، ٣٧٧)، والترمذي (٢٥٢٩)، وابن ماجه (١٨٥)، (١٨٤٣)، وابن أبي عاصم (١ / ٢٦٩) في السنة، والطبراني (١٧ / ٨٢-٨٣) في الكبير، والبيهقي (٤ / ١٧٦) في سننه والبيهقي (٦ / ١٣٧) في شرح السنة .

(٧١٧) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٣٣٣٩)، (٤٤٨٧)، وأحمد (٣ / ٩، ١٢، ٥٨٤)، ووكيع في نسخته عن الأعمش (٢٦)، وابن أبي شيبة (١١ / ٤٥٤)، والترمذي (٢٩٦١) وابن ماجه (٤٢٨٤) والنسائي (٢٦)، (٢٧) في تفسيره، وابن أبي الدنيا (١٥٣) في الأهوال، وابن حبان (٨ / ٣٦)، والحاكم (٢ / ٢٦٨)، والطبري (٣ / ٤٦) في تفسيره .

(٧١٨) حديث صحيح. أخرجه أحمد (٢ / ٢١٣)، وابن المبارك (٢ / ١٠٩) في الزهد، والترمذي (٢٧٧٦)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم (١ / ٦، ٥٢٩) .

وهذا كله من باب العرض على الله ، وإذا تتبعت الأحاديث كانت أكثر من هذا في مواطن مختلفة وأشخاص متباينة ، والله أعلم ، وفي بعض الخبر أنه يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ، ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ، ولا يكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق .

قلت : وأما ما وقع ذكره في الحديث من كشف الساق وذكر الصورة فيأتي إيضاح ذلك وكشفه إن شاء الله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

٧١٩- وأما ما جاء من طول هذا اليوم ووقوف الخلائق فيه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقد جاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » ، فقلت : ما أطول هذا . فقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصلّيها في الدنيا » ذكره قاسم بن أصبغ وقيل غير هذا وسيأتي . ومنها : يوم الجمع ، وحقيقته في العربية ضم واحد إلى واحد ، فيكون شفعاً أو زوجاً إلى زوج فيكون جمعاً . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ (567) وقال ﴿ لِيَجْمَعَ كُفْرُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (568) وهو في القرآن كثير .

ومنها : يوم التفرق قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون * وأما

(٧١٩) إسناده ضعيف . أخرجه أحمد (٣ / ٧٥) ، وابن حبان (٩ / ٢١٦) ، وابن أبي الدنيا (١٠٣) في الأحوال ، وأبو يعلى كما في الجمع (١٠ / ٣٣٧) ، والبيهقي (٣٦١) في شعب الإيمان ، وابن جرير (٢٨ / ٤٤) في تفسيره .

567- سورة : التغابن من الآية : ٩ .

568- سورة : النساء من الآية : ٨٧ . وسورة الأنعام من الآية : ١٢ .

الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون ﴿٥٦٩﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ (٥٧٠).

ومنها يوم الصدع أيضاً، قال الله تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ (٥٧١)

وقال: ﴿يومئذ يصدعون﴾ ومعناها معنى الاسم الذى قبله

٧٢٠- ومنها: يوم البعثرة ومعناه تتبع الشيء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى الأجسام من التراب والكافرين من المؤمنين والمنافقين، ثم يخلص المؤمنين من المنافقين كما فى الحديث الصحيح: «إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد» (٥٧٢) خرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

٧٢١- ومنها: ما روى «أنه يخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم» وهو صحيح أيضاً وسيأتى.

569- سورة: الروم الآيات: ١٤-١٦.

570- سورة: الشورى من الآية: ٧.

571- سورة: الزلزلة من الآية: ٦.

(٧٢٠) حديث صحيح. أخرجه البخارى (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، وأحمد (٢ / ٤٣٥، ٤٣٦)، والترمذى (٢٤٣٤)، وابن ماجه (٣٣٠٧)، والنسائى (٣٠٦) فى تفسيره، وابن خزيمة (١٩٧)، وابن أبى عاصم (٨١١) فى السنة، وابن أبى شيبه (١١ / ٤٤٤)، وابن حبان (٨ / ١٣٠).

572- صعيد واحد: الصعيد وجه الأرض والمراد هنا مكان واحد أو طريق واحد.

(٧٢١) حديث صحيح. أخرجه ابن المبارك كما فى زوائد الزهد (٣٥٣)، وابن أبى الدنيا (١٧٣) فى الأهوال، وأبو نعيم (٦ / ٦١) فى الحلية، والطبرى (٣٠ / ١١٨) فى تفسيره عن ابن عباس موقوفاً.

٧٢٢- وقال ﷺ « يؤخذ برجال ذات الشمال فأقول يا رب ، أصحابي ، فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

ومنها : يوم الفرع ، وحقيقته ضعف النفس عن حمل المعاني الطارئة عليها خلاف العادة ، فإن استمر كان جبناً وعند ذلك تشسوق النفس إلى ما يقويها فلاجل ذلك قالوا : فرغت من كذا أى ضعفت عن حمله عن طريانه على خلاف العادة، وفرغت إلى كذا أى تشوقت نفسى عند ذلك إلى ما يقويها على ما نزل بها والآخرة كلها خلاف العادة وهى فرع كلها وفى التنزيل ﴿ لا يحزنهم الفرع الأكبر ﴾ (573) ، وقد اختلف فيه فقيل هو قوله ﴿ لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ (574) . وقيل : إذا طبقت النار ، على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار . وقال الحسن : هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار وعنه أن الفرع الأكبر النفخة الآخرة وتلقاهم الملائكة بالبشارة حتى يخرجوا من قبورهم .

ومنها : يوم التناد، بتخفيف الدال من النداء وتشديدها من ند إذا ذهب وهو قوله تعالى (يوم تولون مدبرين) ﴿ (575) وهو الذهاب فى غير قصد .

٧٢٣- وروى أيضاً عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الفرع فيفرع أهل السموات والأرض » الحديث وقد تقدم التى يقول الله ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من

(٧٢٢) حديث صحيح . سبق برقم (٦٨٤) .

573- سورة: الأنبياء من الآية : ١٠٣ .

574- سورة: الفرقان من الآية : ٢٢ .

575- سورة: غافر الآية : ٣٣ .

(٧٢٣) حديث ضعيف . سبق برقم (٥٦٧) .

فواق ﴿٥٧٦﴾ فيسير الله الجبال ويرج الأرض بأهلها رجاً وهي التي يقول الله ﴿ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة﴾ ﴿٥٧٧﴾ فيميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً وهو الذي يقول الله تعالى : ﴿يوم التنادي يوم تولون مدبرين﴾ ﴿٥٧٨﴾ قال ابن العربي : وقد رويت في ذلك آثار كثيرة هذا أمثلها فدعوها ، فالمعنى الواحد يكفينا منها ومن هولها ومن تحقيق المعنى لها .

٧٢٤- قلت : قد بينا أقوال العلماء في ذلك عند ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه في باب (أين يكون الناس) فتأمله هناك .
ومنها : يوم الدعاء وهو النداء أيضاً .

والنداء على ثمانية وجوه فيما ذكر ابن العربي .

الأول : نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع ﴿٥٧٩﴾

الثاني : نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة كما أخبر الله عنهم .

الثالث : يدعى كل أناس بإمامهم ، وهو قوله : «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد» قال المؤلف رضي الله عنه : ويقال بكتابهم ، وقيل : بنبيهم . قال سري السقطي : تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها فيقال : يا أمة موسى ، يا أمة عيسى ، ويا أمة محمد ، غير المحبين لله فإنهم ينادون يا أولياء الله تعالى هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً .

576- سورة : ص من الآية : ١٥ .

577- سورة : النازعات ، والآيات : ٦ - ٩ .

578- سورة : غافر من الايتين : ٣٢ ، ٣٣ .

579- التقريع : التوبيخ والاستهزاء .

الرابع : نداء الملك ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن فلاناً بن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وسيأتى .
الخامس : النداء عند ذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت .

السادس : نداء أهل النار يا حسرتنا ويا ويلتنا .
السابع : قول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين .

الثامن : نداء الله تعالى أهل الجنة ، فيقول : يا أهل الجنة ، هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : أعطيتكم أفضل من ذلك : رضائي .

٧٢٥- قال المؤلف رضى الله عنه : ونداء تاسع ذكره أبو نعيم عن مروان بن محمد قال : قال أبو حازم الأعرج : يخاطب نفسه يا أعرج ينادى يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا وكذا وكذا فتقوم معهم ، ثم ينادى يا أهل خطيئة أخرى فيقوم معهم فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة وفى التنزيل ﴿يوم يناديهم فيقول أين شركائي﴾⁽⁵⁸⁰⁾ الآية التى فى القصص ، وحم السجدة ﴿يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾

والنداء فى الأخبار كثير يأتى بيانها وذكرها فى باب من يدخل الجنة بغير حساب .

ومنها : يوم الواقعة . وأصل وقع فى كلام العرب : كان ووجد .
(٧٢٥) خبر صحيح . أخرجه أبو نعيم (٣ / ٢٣٠ - ٢٣١) فى الحلية ، وابن الجوزى (٢ / ١٦٤) فى صفة الصفوة .

(580) - سورة : القصص من الآية : ٦٢ ، وسورة فصلت من الآية : ٤٧ .

وجاءت الشريعة في تأكيد ذلك بثبوت ما وجد ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ (581) والمراد بالقول هنا إخبار الباري عن الساعة وأنها قريبة ، ومن أعظم علاماتها الدابة ، وسيأتي ذكرها وما للعلماء فيها من الأشراف إن شاء الله تعالى وقوله كاذبة مصدر كالباقية والعاقبة أى ليس لوقعها مقالة كاذبة .

ومنها: الخافضة الرافعة أي ترفع قوماً في الجنة وتخفض أخرى في النار، والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والإهانة ، ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل ، يقولون: ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (582) والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده ، فرفع أوليائه في أعلى الدرجات وجعل أعداءه في أسفل الدرجات قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً﴾ (583)

٧٢٦- وقال ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه: «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس» قال ابن العربي : وهذا حديث فيه تخليط في كتاب مسلم لم يتقنه رواية . ومعناه: أن جميع الخلق على بساط من الأرض سواء إلا محمداً ﷺ وأمتة فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من الكوم ويخفض الناس عنهم ، وفي رواية: أكون أنا وأمتي يوم القيامة على تل فيكسوني ربي حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فذلك المقام المحمود

581- سورة: النمل الآية من : ٨٢ .

582- سورة: سبأ من الآية : ٣٣ .

583- سورة: مريم ، الآيتان : ٨٥ ، ٨٦ .

(٧٢٦) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٩١) ، وأحمد (٣ / ٣٤٥ ، ٣٨٣) .

٧٢٧- قلت : وهذا الرفع في المكان بحسب الزيادة في المكانة . قال ابن العربي : وهي أنواع فرفع محمد ﷺ بالشفاعة في أول الخلق ، وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرر بابها ، ورفع العادلين بالحديث الصحيح : المقسطون (584) يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم . يقال : اقرأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ، وسيأتي .

٧٢٨- ورفع الشهداء في سبيلة فقال في الحديث الصحيح : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله » الحديث وسيأتي .

٧٢٩- ورفع كافل اليتيم (585) فقال ﷺ « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وأشار مالك بالسبابة والوسطى يريد : في الجوار .

٧٣٠- وقال ﷺ : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغائر (586) في أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء ، ورفع عائشة على فاطمة رضى الله عنهما ، فإن عائشة مع النبي ﷺ وفاطمة مع علي رضى الله عنهما .

(٧٢٧) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٨٢٧) ، وأحمد (٢ / ١٦٠ ، ٢٠٣) ، والنسائي (٨ / ٢٢١) ، وابن حبان (٧ / ٩) والبيهقي (٢٤٧٠) في شرح السنة ، والبيهقي (١٠ / ٨٨ ، ٨٧) في سننه الكبرى .

584- المقسطون : العادلون في حكمهم .

(٧٢٨) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٤ / ١٩) ، (٩ / ١٥٣) وابن حبان (٧ / ٦٤) (٩٠ / ٢٤٢) ، والبيهقي (٢٦١٠) في شرح السنة .

(٧٢٩) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٧ / ٨٦) ، ومسلم (٢٩٨٣) ، وأبو داود (٥١٥٠) وابن المبارك (٢٢٩) ، (٢٣٠) في الزهد ، ومالك (٩٤٨) في الموطأ ، وابن حبان (١ / ٣٤١) ، والبيهقي (٣٤٥٤) في شرح السنة .

585- كافل اليتيم : الذي يتعهد بالرعاية والحفظ .

(٧٣٠) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٥٥) ، ومسلم (٢٨٣٠) ، وأحمد (٥ / ٣٤٠) ، والترمذي (٩٢٨) ، وابن ماجه (٢٩٢١) ، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضى الله عنهما .

586- الغائر : المتعمق في البعد .

ومنها : يوم الحساب ومعناه أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة يعدد عليهم نعمه ، ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوق بحكمه الذي عينه للخير بالخير وللشر بالشر .

٧٣١- وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » فقل إن الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معاً ولا يحاسبهم واحداً بعد واحد والمحاسبة حكم . فلذلك تضاف إليه كما يضاف الحكم إليه قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ﴾ (587) وقال : ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (588) .

٧٣٢- وفي الخبر : أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له : يا شيخ ، ما أنصفت !! غذوتك بالنعم (589) صغيراً فلما كبرت ك عصيتني أما إني لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل ، وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضعضعت (590) أركاناه واصططكت (591) ركبته فيقول الرب جل جلاله : أما استحييتني ؟ أما راقبتني ؟ أما خشيت نعمتي ؟ أما علمت أني مطلع عليك خذوه إلى أمه الهاوية ، وقيل : إن الملائكة يحاسبون بأمر الله كما أن الحكام يحكمون بأمر الله تعالى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (592) وإن من لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى

(٧٣١) حديث صحيح . سبق برقم (٧١٦) .

587- سورة : الأنعام من الآية : ٦٢ .

588- سورة : يوسف عليه السلام من الآية : ٨٠ .

(٧٣٢) الخبر من الإسرائيليات المسكوت عنها .

589- غذوتك بالنعم : أى أكثرتها لك وقدمتها لك من غير طلب منك .

590- تضعضعت : وهنت وضعفت .

591- اصططكت ركبته : اضطربت ركبته اضطراباً شديداً .

592- سورة : آل عمران من الآية : ٧٧ .

يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حساباً يسيراً من غير ترجمان إكراماً لهم ،
كما أكرم موسى عليه (الصلاة و) السلام في الدنيا بالتكليم ولا يكلم الكفار
فتحاسبهم الملائكة ويميزهم بذلك عن أهل الكرامة فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق
كلهم معا كما تتسع قدرته لأحداث خلائق كثيرة معاً ، قال الله تعالى : ﴿ ما
خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ ⁽⁵⁹³⁾ أى إلا كخلق نفس واحدة .
٧٣٣- ويروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه وسئل عن
محاسبة الخلق فقال : « كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في
ساعة واحدة » .

٧٣٤- وفي صحيح مسلم حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال :
سأل الناس رسول الله ﷺ : « هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون
في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فهل
تضارون في رؤية القمر ليلة البدر وليس في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فوالذى
نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية
أحدهما » . قال : « فيلقى العبد فيقول : أيا فل ⁽⁵⁹⁴⁾ ألم أكرمك وأسودك
وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وترتع ؟ فيقول : بلى ،

593- سورة : لقمان من الآية : ٢٨ .

(٧٣٤) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٦٨) ، وأبو داود (٤٧٣٠) مختصراً ،
والبغوى (٤٣٢٨) في شرح السنة .

594- أيا فل : أسلوب : ترخيم وهو اختصار - لكلمة أيا فلان .

فيقول : أفظنت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول : إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقي الثاني فيقول له : ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول : يا رب آمنت بك ، وبكتابك ، وبرسلك ، وصليت ، وتصدقت ، وصمت ، ويثني بخير ما استطاع ، قال : فيقول : ها هنا إذا ثم يقول : الآن نبعث شاهداً عليك فيقول في نفسه من ذا الذي يشهد علي ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه : انطقي فتنطق فخذه ، ولحمه ، وعظامه ، بعمله وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه ، وقد قال الله تعالى ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ (595) أى : حاسباً ، فعلاً بمعنى فاعل .

٧٣٥- وإذا نظر فيها ورأى أنه قد هلك فإن أدركته سابقة حسنة وضعت له لا إله إلا الله في كفة فرجحت له السموات والأرض ، وفي رواية فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وسيأتى .

٧٣٦- وقال : « من نوقش الحساب عذب » .

ومنها : يوم السؤال والبارى سبحانه وتعالى يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريراً لإقامة الحجة وإظهاراً للحكمة ، قال الله تعالى ﴿ سئل ﴾ (596)

بنى إسرائيل كرم آتيناهم من آية بينة ﴿ ﴾ (597) وقال : ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾ (598) وقال : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك

595- سورة : الإسراء ، الآية : ١٤ .

(٧٣٥) حديث صحيح . سبق برقم (٧١٨) .

(٧٣٦) حديث صحيح سبق تخريجه .

596- سئل : أى أسأل ، أمر من الفعل : سأل .

597- سورة : البقرة من الآية : ٢١١ .

598- سورة : الأعراف من الآية : ١٦٣ .

من رسلنا» (599) وهو في القرآن كثير وقال: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ (600) وقال: ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ (601) وقال: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ (602) قيل: عن لا إله إلا الله، وقال: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (603) وقال عليه (الصلاة و) السلام: « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع » الحديث وسيأتي .

٧٣٧- وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ألا كلكم راع (604) وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . »

ومنها : يوم الشهادة ، ويوم يقوم الأشهاد .

والشهادة على أربعة أنواع :

شهادة محمد ﷺ وأمة تحقيقاً لشهادة الرسل على قومها .

599- سورة : الزخرف من الآية : ٤٥ .

600- سورة : الأحزاب من الآية : ٨ .

601- سورة : التكوير ، الآية : ٨ .

602- سورة : الحجر الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .

603- سورة : الإسراء من الآية : ٣٦ .

(٧٣٧) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٩ / ٧٧) ، ومسلم (١٨٢٩) ، والترمذى

(١٧٠٥) ، وأبو نعيم (٨ / ٢٨١) فى الحلية .

604- راع : أى يرعاهم ، ويوفر لهم مطالبهم ، وينظر فى أحوالهم ويصلحها .

الثاني : شهادة الأرض والأيام والليالي بما عمل فيها وعليها .
الثالث : شهادة الجوارح ، قال الله تعالى : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ﴾⁽⁶⁰⁵⁾ . وقال : ﴿ وقالوا لجلودهم لم تشهدنا علينا ﴾⁽⁶⁰⁶⁾ وذلك بين أيضا في حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

الرابع : حديث أنس رضى الله عنه وفيه « ويختتم على فيه ويقال لأركانه انطقى ، فتنتطق بأعماله ، وسيأتى بيان هذا الباب كله إن شاء الله تعالى .

ومنها يوم الجدل ، قال الله تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾⁽⁶⁰⁷⁾ أى : تخاصم وتحتاج عن نفسها . وجاء فى الخبر : « أن كل أحد يقول يوم القيامة نفسى نفسى من شدة أهوال يوم القيامة سوى محمد ﷺ فإنه يسأل فى أمته » على ما يأتى .

٧٣٨- وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه قال لكعب الأحبار : يا كعب : خوفنا ، هيجنا ، حدثنا ، نبهنا ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، والذى نفسى بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأنت عليك تارات⁽⁶⁰⁸⁾ ولا يهملك إلا نفسك ، وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب

605- سورة النور من الآية : ٢٤ . 606- سورة فصلت من الآية : ٢١ .

607- سورة النحل من الآية : ١١١ .

(٧٣٨) خبر صحيح له طرق عديدة . أخرجه ابن المبارك (١٥٩) ، (٢٢٥) فى الزهد ، وعبد الرزاق (١٥٢٥) فى تفسيره ، وأحمد (ص / ١٥١) فى الزهد وأبو نعيم (٣٦٨ / ٥) - (٣٦٩) فى حلية الأولياء ، وابن أبى شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم كما فى الدر المنثور (٤ / ١٣٣) ، والبغوى كما فى تفسيره (٣ / ٨٧) .

608- تارات : المقصود بها مصاعب وأهوال لا يقدر الإنسان عليها .

ولا نبي منتخب إلا وقع جاثياً على ركبتيه ، حتى إن إبراهيم الخليل ليدلى بالخلعة فيقول رب ، أنا خليلك إبراهيم لا أسألك اليوم إلا نفسي قال : يا كعب : أين نجد ذلك في كتاب الله تعالى ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ .

٧٣٩- وقال ابن عباس رضى الله عنه فى هذه الآية : ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد ، فتقول الروح : رب ، الروح منك ، أنت خلقتة ، لم يكن لى يد أبطش بها ، ولا رجل أمشى بها ، ولا عين أبصر بها ، ولا أذن أسمع بها ، ولا عقل أعقل به ، حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى . فيقول الجسد : رب أنت خلقتنى بيدك فكنت كالحشبة ليس لى يد أبطش بها ولا قدم أسعى بها ، ولا بصر أبصر به ، ولا سمع أسمع به ، فجاء هذا كشعاع الشمس ، فبه نطق لسانى ، وبه أبصر عيني ، وبه مشيت رجلى ، وبه سمعت أذنى ، فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى قال : فيضرب الله لهما مثلاً أعمى ومقعد⁽⁶⁰⁹⁾ أدخلهما بستاناً فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا ينالها ، فنادى المقعد للأعمى : ائتنى فاحملنى آكل وأطعمك فدنا منه فحمله فأصابا من الثمرة فعلى من يكون العذاب ؟ قالا : عليهما ، قال : عليكم جميعاً العذاب . قال المؤلف رضى الله عنه وأرضاه : ومن هذا الباب قول الأعمى : كيف يشهد علينا من لم يدر كنا إلى غير ذلك مما فى معناه حسب ما يأتى . ومنها : يوم القصاص . وفيه أحاديث كثيرة (يأتى) ذكرها فى باب إن شاء الله تعالى .

(٧٣٩) أورده البغوى (٣ / ٨٧) فى تفسيره .

609- أعمى ومقعد : أى رجلان أحدهما أعمى والثانى لا يستطيع السير .

ومنها : يوم الحاقة . وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها . قاله الطبرى
 كأنه جعلها من باب : ليلى نائم كما تقدم .
 وقيل : سميت حاقة لأنها كانت من غير شك . وقيل : سميت بذلك
 لأنها أحقت (لأقوام الجنة وأحقت) لأقوام النار .
 ومنها : يوم الطامة . معناها الغالبة من قولك : طم الشيء إذا علا
 وغلب ، ولما كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل
 شيء .

قال الحسن : الطامة النفخة الثانية ، وقيل (هو) : حين يساق أهل النار
 إلى النار .

ومنها : يوم الصاخة ، قال عكرمة : الصاخة : النفخة الأولى ،
 والطامة : النفخة الثانية ، قال الطبرى : أحسبه من صخ فلان فلانا إذا أصمه .
 قال ابن العربى : الصاخة التى تورث الصمم وإنها المسمة ، وهذا من بديع
 الفصاحة حتى لقد قال بعض أحداث الأسنان حديثى الأزمان :
 * أصم بك الناعى ⁽⁶¹⁰⁾ وإن كنت أسمعا *

وقال آخر :

أصمنى شرم أيام فرقتهم فهل سمعتم بشر يورث الصمما ؟ ⁽⁶¹¹⁾
 ولعمرو الله ⁽⁶¹²⁾ إن صيحة القيامة مسمة تصم عن الدنيا وتسمع أمور
 الآخرة ، وبهذا كله كان يوماً عظيماً كما قال الله تعالى فى وصفه بالعظيم .
 وكل شيء كبر فى أجزائه فهو عظيم وكذلك ما كبر فى معانيه ، وبهذا المعنى

610 - الناعى : هو الذى يسوق خبر المتوفى إلى السامع .

611 - أصمنى شرم : أى أفقدنى السمع ما وقع منهم من شر

يورث الصمما : أى يترك صاحبه أصم لا يسمع .

612 - لعمرو الله : هذا الأسلوب أسلوب قسم .

كان البارى عظيما ، لسعة قدرته وعلمه وكثرة ملكه الذى لا يحصى ، ولما كان أمر الآخرة لا ينحصر كان عظيما بالإضافة إلى الدنيا ولما كان محدثاً له أول صار حقيراً بالإضافة إلى العظيم الذى لا يحد .

ومنها : يوم الوعيد وهو أن البارى سبحانه أمر ونهى ووعد وأوعد فهو أيضاً يوم الوعد والوعيد والوعد للنعم ، والوعيد للعذاب الأليم ، وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة ، والوعد : الخبر عن المثوبة عند الموافقة ، وقد ضل في هذه المسألة المبتدعة وقالوا : إن من أذنب ذنباً واحداً فهو مخلد فى النار تخليد الكفار أخذاً بظاهر هذا اللفظ فى آى فلم يفهموا العربية ولا كتاب الله تعالى ، وأبطلوا شفاعة رسول الله ﷺ وسيأتى الرد عليهم فى أبواب من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ومنها : يوم الدين ، وهو فى لسان العرب الجزاء ، قال الشاعر :
حصادك يوماً ما زرعت وإنما يدان الفتى فيه كما هو دائن
وقال آخر :

واعلم يقيناً أن ملكك زائل واعلم بأنك كما تدين تدان
ومنها : يوم الجزاء . قال الله تعالى : ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾⁽⁶¹³⁾ وقال : ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾⁽⁶¹⁴⁾ وهو أيضاً يوم الوفاء . قال الله تعالى : ﴿يومئذ يوفيه الله دينهم الحق﴾⁽⁶¹⁵⁾ أى حسابهم وجزاؤهم والجنة جزاء الحسنات والنار جزاء السيئات ، قال الله تعالى فى المعنيين : ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾⁽⁶¹⁶⁾ و﴿جزاء بما كانوا

613- سورة : الجاثية من الآية : ٢٨ .

614- سورة : غافر من الآية : ١٧ .

615- سورة : النور من الآية : ٢٥ .

616- سورة التوبة من الآية ٨٢ والآية : ٩٥ .

يعملون ﴿٦١٧﴾ وقال في جهة الوعيد ﴿كذلك نجزي كل كفور﴾ (٦١٨) .

ومنها : يوم الندامة . وذلك أن المحسن إذا رأى جزاء إحسانه والكافر جزاء كفره ندم المحسن أن لا يكون مستكثراً ، وندم المسيء أن لا يكون استعتب ، فإذا صار الكافر إلى عذاب لا نفاذ له تحسر ، فلذلك سمي يوم الحسرة قال الله تعالى : ﴿وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾ (٦١٩) وذلك عند ذبح الموت على ما يأتي وهم في غفلة يعنى الآن عن ذلك اليوم . والحسرة : عبارة عن استكشاف المكروه بعد خفائه .

ومنها : يوم التبديل ، قال الله تعالى : ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ (٦٢٠) وقد تقدم القول في ذلك مستوفى .

ومنها : يوم التلاق ، قال الله تعالى : ﴿لينذريوم التلاق﴾ (٦٢١) وهو عبارة عن اتصال المعنيين بسبب من أسباب العلم والجسمين . وهو أنواع أربعة :

الأول : لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا كما تقدم .

والثاني : عمله ، وقد تقدم .

الثالث : لقاء أهل السماوات لأهل الأرض في المحشر ، وقد تقدم .

617- سورة السجدة من الآية : ١٧ وسورة الواقعة من الآية : ٢٤ . وسورة الأحقاف من الآية : ١٤ .

618- سورة : فاطر من الآية : ٣٦ .

619- سورة : مريم من الآية : ٣٩ .

620- سورة : إبراهيم من الآية : ٤٨ .

621- سورة : غافر من الآية : ١٥ .

الرابع : لقاء الخلق للبارى سبحانه وتعالى ، وذلك يكون فى عرصات (622) القيامة وفى الجنة على ما يأتى .

ومنها : يوم الآزفة . تقول العرب أزف كذا أى : قرب قال الشاعر :
أزف الترحل غير أن ركبنا لما نزل برحالنا وكأن قد (623)
وهى قرية جداً وكل آت قريب وإن بعد مداه قال الله تعالى : ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ (624) وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة .

ومنها : يوم المآب . ومعناه الرجوع إلى الله تعالى ولم يذهب عن الله شيء فيرجع إليه ، وإنما حقيقته أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله لما خلق فيه علماً وخلق فيه إثارة واختياراً ظن الناس أنه شيء أو أن له فعلاً ، فإذا أماته وسلب ما كان أعطاه أذعن (625) وآب فى وقت لا ينفعه الإياب ، ولم يزل عن الله تعالى فى حال فهو الأواب .

ومنها : يوم المصير . وهو المآب بعينه قال الله تعالى : ﴿ ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ﴾ (626) فالخلق سائرون إلى أمر الله تعالى . وآخر ذلك دار القرار وهى الجنة أو النار قال الله تعالى فى حق الكافرين : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ (627) .

622- العرصات : جمع عرصة وهى المكان الواسع الفسيح .

623- الترحل : هو الرحيل وهو مغادرة المكان إلى غيره

الركاب : الإبل التى يسار عليها .

624- سورة : الأحزاب من الآية : ٦٣ .

625- أذعن : اعترف ، بما فعل .

626- سورة : النور الآية : ٤٢ .

627- سورة : إبراهيم من الآية : ٣٠ .

٧٤٠ - ومنها : يوم القضاء ، وهو أيضاً يوم الحكم والفصل وسيأتى أن أول ما يقضى فيه الدماء وقال ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها » الحديث وفيه كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، والفصل هو : الفرق والقطع فيفصل يومئذ بين المؤمن والكافر والمسيء والمحسن ، قال الله تعالى : ﴿ يوم القيامة يفصل بينكم ﴾ (628) الآية وهو يوم الحكم لأن إنفاذ الحكم هو إنفاذ العزم قال الله تعالى : ﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم ﴾ (629) الآية . وقال ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ (630) .

ومنها : يوم الوزن ، قال الله تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾ (631) الآية ، وسيأتى الكلام فى الميزان ووزن الأعمال فيه فى أبواب إن شاء الله (تعالى) .

ومنها : يوم عقيم . وهو فى اللغة عبارة عن من لا يكون له ولد . ولما كان الولد يكون بين الأبوين ، وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع بالتعدية فيها كهيئة الولادة ، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم . ومنها : يوم عسير . وهذا فى حق الكافرين خاصة . والعسر ضد اليسر فهو عسير على الكافرين ، لأنهم يرون فيه أملاً ولا يقطعون فيه رجاء

(٧٤٠) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٨٧) ، وأحمد (٢ / ٢٦٢ ، ٣٨٣) بنحوه وأبو داود (١٦٥٨) بنحوه ، والبغوى (١٥٦٢) فى شرح السنة ، والبيهقى (٤ / ٨٢ ، ١١٩) فى سننه الكبرى .

628- سورة : الممتحنة من الآية : ٣ .

629- سورة : الحج من الآية : ٥٦ .

630- سورة : الممتحنة من الآية : ١٠ .

631- سورة : الأعراف من الآية : ٨ .

حتى إذا خرج المؤمنون من النار طلبوا مثل ذلك ، فيقال لهم : ﴿ اخسثوا ﴾⁽⁶³²⁾ فيها ولا تكلمون ﴿⁽⁶³³⁾ فحينئذ يكون المنع الصريح على ما يأتي بيانه في أبواب النار إن شاء الله تعالى ، وأما المؤمنون فتتحل عقدهم بيسر إلى يسر ، فينحل طول الوقوف إلى تعجيل الحساب وتثقل الموازين وجواز الصراط والظلال بالأعمال ، ولا تنحل للكافرين من هذه العقد عقدة واحدة إلا إلى أشد منها حتى إلى جهنم دار القرار .

ومنها : يوم مشهود سمي بذلك : لأنه يشهده كل مخلوق وقيل : سمي بذلك : لأن الشهداء يشهدون فيه على ما يأتي والله أعلم .

ومنها : يوم التغابن . سمي بذلك لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله : فريق في الجنة وفريق في السعير ، وحقيقته في لسان العرب : ظهور الفضل في المعاملة لأحد المتعاملين والدنيا والآخرة دار العملين وحالين وكل واحد منهما لله ولا يعطى أحدهما إلا لمن ترك نصيبه من الأخرى قال الله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾⁽⁶³⁴⁾ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴿⁽⁶³⁵⁾

وقال : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا ﴾⁽⁶³⁶⁾ نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴿⁽⁶³⁷⁾ ومن أراد الآخرة فسعيه مشكور ، وحظه في الآخرة موفور .

ومنها : يوم عبوس قمطرير ، والقمطرير : الشديد وقيل الطويل ، وأما

632- اخسثوا : ابتعدوا عن رحمتي مفضوباً عليكم .

633- سورة : المؤمنون من الآية : ١٠٨

634- العاجلة : المقصود بها الدنيا وما يتعجله الإنسان من مطالب فيها .

635- سورة : الإسراء من الآية : ١٨ .

636- حرث الدنيا : متاعها من بنين وأموال .

637- سورة الشورى ، الآية : ٢٠

العبوس فهو الذى يعبس فيه سمي باسم ما يكون فيه ، كما يقال ليل قائم ونهار صائم ، وكلوح الوجه ، وعبوسه هو قبض ما بين العينين وتغيير السحنة⁽⁶³⁸⁾ عن عاداتها الطلقة . ويقال : يوم طلق إذا كانت شمسه نيرة فاترة ، وإذا كانت شمسه مدجية⁽⁶³⁹⁾ قد غطاها السحاب . قيل : يوم عبوس وأول العبوس والكلوح عند الخروج من القبور ورؤية الأعمال فى الصور القبيحة كما تقدم ، وآخر ذلك كلوح النار وهو الكلوح الأعظم يشوى الوجوه ويسقط الجلود على ما يأتى ، ومع العبوس تشخص الأبصار وهى ثبوتها راكدة على منظر واحد لهول لا ينتقل منه إلى غيره كما قال سبحانه ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾⁽⁶⁴⁰⁾ .

ومنها : «يوم تبلى السرائر»^{*} . ومعناه : إخراج المخبات بالاختبار بوزن الأعمال فى الصحف ويكشف الساق عند السجود على ما يأتى .
ومنها : يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . وهو مثل قوله (تعالى) : ﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعَةٌ ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾⁽⁶⁴¹⁾ وقال (تعالى) : ﴿يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً﴾⁽⁶⁴²⁾ فكل نفس بما كسبت رهينة لا يغنى أحد عن أحد شيئاً ، بل

638- السحنة : بشرة الوجه وملامحه .

639- مدجية : مسترة من الغيم لاتين .

640- سورة : إبراهيم عليه السلام من الآية : ٤٢ .

* سورة : الطارق الآية : ٩

641- سورة : البقرة الآية : ٤٨ .

642- سورة : الدخان من الآية : ٤١ .

ينفصل كل واحد عن أخيه وأبيه ، ولذلك كان يوم الفصل ويوم الفرار . قال الله تعالى : ﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً ﴾ (643) وقال تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ (644) أما إنه يجزى ويقضى ويعطى ويغنى بغير اختياره من حسناته ما عليه من الحقوق على ما يأتي بيانه في أحاديث المفلس إن شاء الله تعالى . ومنها : ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دعا ﴾ * . والدع الدفع أى يدفعون إلى جهنم ويسحبون فيها على وجوههم كما قال تعالى : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ﴾ (645) .

ومنها : يوم التقلب ، وهو : التحول . قال الله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ (646) أى قلوب الكفار وأبصارهم فتقلب قلوب الكفار انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر فلا هى ترجع إلى أماكنها ولا هى تخرج ، فأما تقلب الأبصار فالزرقة بعد الكحل والعمى بعد البصر . وقيل : تتقلب القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك والأبصار تنظر من أى ناحية يعطون كتبهم وإلى أى ناحية يؤخذ بهم . وقيل : إن قلوب المشركين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين إلا أن ذلك لا ينفعهم فى الآخرة .

643- سورة : النبأ الآية : ١٧ .

644- سورة : عبس ، الآيات : ٣٤ - ٣٧ .

* سورة : الطور آية : ١٣

645- سورة : القمر من الآية : ٤٨ .

646- سورة : النور من الآية : ٣٧ .

ومنها : يوم الشخصوس والإقناع ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾⁽⁶⁴⁷⁾ أى لا تغمض فيه من هول ما ترى فى ذلك اليوم . قاله الفراء .

٧٤١- وقال ابن عباس رضى الله عنه : تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغمضون ﴿ مهطعين ﴾⁽⁶⁴⁸⁾ أى : مديى النظر . قال مجاهد والضحاك : ﴿ مقتنعى رؤوسهم ﴾⁽⁶⁴⁹⁾ أى رافعى رؤوسهم وإقناع الرأس : رفعه . قاله ابن عباس ومجاهد ، وقال الحسن : وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد ، فإن قيل : فقد قال الله تعالى فى غير هذه الآية : ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾⁽⁶⁵⁰⁾ وقال : ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾⁽⁶⁵¹⁾ فكيف يكون الرافع رأسه الناظر نظراً طويلاً حتى إن طرفه لا يرتد إليه خاشع البصر ؟ .

فالجواب أنهم يخرجون حال المضى إلى الموقف خاشعة أبصارهم ، وفى هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار ، وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا قلوب لهم ، ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل ، ولا يرتد إليهم طرفهم ، كأنهم

647- سورة : إبراهيم عليه السلام من الآية : ٤٢ .

(٧٤١) انظر : تفسير عبد الرزاق (١ / ٢٩٧) ، وتفسير الطبرى (١٣ / ١٥٦) وتفسير

البغوى (٣ / ٣٨) ، والدر المنثور (٤ / ٨٨) .

648- سورة : إبراهيم عليه السلام من الآية : ٤٣ ، والقمر من الآية : ٨ وسورة المعارج من

الآية : ٣٦

649- سورة إبراهيم عليه السلام من الآية : ٤٣ .

650- سورة المعارج من الآية : ٤٤ ، وسورة القلم من الآية : ٤٣ .

651- سورة : القمر من الآية : ٧ .

قد نسوا الغمض أو جهلوه فهو تعسير عليهم .
ومنها : ﴿يَوْمَ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (652).
وذلك حين يقال لهم ﴿اُخْسُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ (653) وتطبق عليهم
جهنم على ما يأتي بيانه في أبواب النار .
ومنها : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ (654) وإن أذن لهم بأن
يمكنوا منها لا بأن يقال لهم اعتذروا كقوله : ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا
وَكِبْرَاءَنَا﴾ (655) الآية وكقوله ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ (656) الآية .
ومنها : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (657)
ومنها : يوم الفتنة. قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ
يُفْتَنُونَ﴾ (658) أى يعذبون من قولك فتنن الذهب إذا رميت به فى النار .
ومنها : ﴿يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (659) يريد يوم القيامة أى : لا يردّه
أحد بعد ما حكم الله به وجعل له أجلاً ووقتاً .

652- سورة: المرسلات من الآيتين : ٣٥ ، ٣٦ .

653- سورة: المؤمنون من الآية : ١٠٨ .

654- سورة: غافر من الآية : ٥٢ .

655- سورة: الأحزاب من الآية : ٦٧ .

656- سورة: المؤمنون من الآية : ١٠٧ .

657- سورة: النساء من الآية : ٤٢ .

658- سورة: الذاريات الآية : ١٣ .

659- سورة الروم من الآية : ٤٣ وسورة الشورى من الآية : ٤٧ .

ومنها : يوم الغاشية . وسميت بذلك : لأنها تغشى الناس بإفزاعها . أى تعمهم بذلك ، ومنه غاشية السرج ، ومنها : ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ * .

ومنها : يوم لا بيع فيه ولا خلال قال الله تعالى : ﴿ قد لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴾ (660) وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ (661) والخلة والخلال الصداقة والمودة .

ومنها : يوم لا ريب فيه ، وإن وقع فيه ريب الكفار أى : شك فليس فيه ريب لقيام الأدلة الظاهرة عليه كما قال الله تعالى : ﴿ أفى الله شك ﴾ (662) فليس فى البارى شك لقيام الأدلة عليه ، ولشهادة أفعاله ولا قتضاء المحدث أن يكون له محدث ، ولكن قد شك فيه قوم ونفاه آخرون ، ولم يوجب ذلك شكاً فيه لقيام الأدلة عليه ، فكذلك يوم القيامة لا ريب ولا شك فيه مع النظر فى الدليل والعلم ، فإذا خلق الله تعالى الرين (663) على القلب كان الشك ، قال الله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ (664) .

* سورة الفجر الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ .

660- سورة : إبراهيم عليه السلام الآية : ٣١ .

661- سورة : البقرة من الآية : ٢٥٤ .

662- سورة : إبراهيم من الآية : ١٠ .

663- الرين : الدنس والطبع .

664- سورة : الحج الآيتان : ٦ ، ٧ .

ومنها: ﴿يَوْمَ تَبْيِضُ وَجُوهٌ وَتَسْوَدُ وَجُوهٌ﴾⁽⁶⁶⁵⁾ وسيأتى إن شاء الله تعالى .

٧٤٢- ومنها : يوم الأذان ، دخل طاوس على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله واحذر يوم الأذان فقال : وما يوم الأذان ؟ قال : قوله تعالى : ﴿فَأَذِّنِ مَوْذِنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾⁽⁶⁶⁶⁾ فصعق هشام ، فقال طاوس : هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة .

ومنها : يوم الشفاعة قال الله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁽⁶⁶⁷⁾ وقال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾⁽⁶⁶⁸⁾ وقال ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾⁽⁶⁶⁹⁾ وقال : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾⁽⁶⁷⁰⁾ وسيأتى بيانه .

ومنها : يوم العرق ، وسيأتى بيانه في أحاديث في الباب بعد هذا بحول الله وقوته .

ومنها : يوم القلق والجولان . وهو عبارة عن عدم الاستقرار والثبوت . ويقال : قلق الرجل يقلق قلقاً إذا لم يستقر ومثله جال يجول إذا لم يثبت .
ومنها : يوم الفرار . قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ

665- سورة : آل عمران من الآية : ١٠٦ .

(٧٤٢) انظر : الكبائر (ص / ١٥٤) للذهبي .

666- سورة : الأعراف الآية : ٤٤ .

667- سورة : البقرة من الآية : ٢٥٥ .

668- سورة : الأنبياء من الآية : ٢٨ .

669- سورة : سبأ من الآية : ٣٢ .

670- سورة : الشعراء الآية : ١٠٠ .

وأبيه وصاحبته وبنيه⁽⁶⁷¹⁾ فيفر كل واحد من صاحبه حذراً من مطالبته إياه إما لما بينهم من التبعات⁽⁶⁷²⁾ أو لئلا يروا ما هو فيه من الشدة ، قال عبد الله بن طاهر الأبهري : يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ، ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئاً سوى ربه تعالى ، وقال الحسن : أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم ، وأول من يفر من ابنه نوح ، وأول من يفر من امرأته لوط . وقال : فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم ، وهذا فرار التبري⁽⁶⁷³⁾ نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبي الرحمة وصحبه الكرام البررة ، وجعلنا ممن حشر في زمرتهم ولا خالف بنا عن طريقهم ومذهبهم بمنه وكرمه آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

٧٤٣- قال المؤلف (رضي الله عنه) : وقد سرد تسمية هذه الأيام على التوالي من غير تفسير غير واحد من العلماء ، منهم ابن نجاح في (سبل الخيرات) ، وأبو حامد الغزالي في غير موضع من كتبه (كالإحياء) وغيره ، والفتبي في كتاب (عيون الأخبار) ، وهذا تفسيرها حسب ما ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في (سراج المريدين) ، وربما زدنا عليه في ذلك والحمد لله على ذلك . ولا يمتنع أن تسمى غير ما ذكرنا بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام ، والحزى ، والسهوان ، والذل ،

671- سورة: عبس الآيات ٣٤-٣٦ .

672- التبعات : كل ما يتعلق بالإنسان ويسأل عنه ويحاسب عليه .

673- التبري : التبرؤ التنصل مثل تنصل الأب من الابن والأخ من أخيه يوم القيامة .

والافتقار ، والصغار ، والانكسار ، ويوم الميقات ، والمرصاد إلى غير ذلك من الأسماء ، وسيأتى التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى فى الباب بعد هذا .

باب ما يلقى الناس فى الموقف من الأهوال العظام والأمور الجسام

٧٤٤- قال المحاسبى فى كتاب (التوهم والأهوال) : يحشر الله الأمم من الإنس والجن عرأة أذلاء قد نزع الملك من ملوك (أهل) الأرض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم على عباد الله (تعالى) فى أرضه . ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم التشور من غير رية ولا خطيئة أصابتها حتى وقفت من وراء الخلق بالذلة والانكسار لذلك الجبار ، وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الملك الديان ، حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها ، وجنها ، وشياطينها ، ووحوشها ، وسباعها ، وأنعامها ، وهوامها⁽⁶⁷⁴⁾ ، تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلموا عليهم ومارت سماء الدنيا⁽⁶⁷⁵⁾ من فوقهم فدارت من فوقهم بعظمها فوق رؤوسهم (وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف ينظرون إلى هوله ثم انشقت بغلظها فوق رؤوسهم) وهى خمسمائة عام فى هول صوت انشقاقها فى سمعهم وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظم يوم الطامة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالى : ﴿فَإِذَا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾⁽⁶⁷⁶⁾ وقال ﴿يَوْمَ تَكُونُ

674- الهوام : جميع أنواع الحشرات التى تدب على الأرض .

675- مارت سماء الدنيا : ذابت سقطت عليهم .

676- سورة الرحمن الآية : ٣٧

(٧٤٤) انظر : التوهم (ص / ٥ - ٦) للمحاسبى .

السماء كالمهل وتكون الجبال كالعين ﴿٦٧٧﴾ أى كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من حافاتهما إلى الأرض بالتقديس لربها فتوهم انحذارهم من السماء لعظيم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم ﴿٦٧٨﴾ من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محدقين* بالخلائق منكسى رؤوسهم لعظيم هول يومهم ، قد تسربلوا أجنحتهم ونكسوا رؤوسهم بالذلة والخضوع لربهم ، وكذلك ملائكة كل سماء إلى السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم فى العدة وعظم الأجسام والأصوات حتى إذا وافى الموقف أهل السماوات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ، ثم أدنيت من الخلائق قاب قوسين أو قوس ﴿٦٧٩﴾ فلا ظل ذلك اليوم إلا ظل عرش الرحمن ، فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضج بحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الأمم وتضايقت ودفع بعضها بعضا ، واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش قد اجتمع عليهم فى مقامهم حر الشمس مع وهج ﴿٦٨٠﴾ أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم على وجه الأرض ، ثم على أقدامهم ، ثم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم

٦٧٧- سورة المعارج ، ٨ ، ٩

٦٧٨- الفرق : الخوف الشديد

* محدقين : محيطين

٦٧٩- قاب قوسين أو قوس : عبارة يعبر بها عن مدى القرب الشديد بين الشيئين وقاب القوس : طوله من المقبض إلى السية .

٦٨٠ - الوهج : شدة التوقد ، والمراد : أن أنفاسهم ساخنة كأنهار نار موقدة .

من السعادة والشقاء ، فمنهم من يبلغ العرق منكبيه⁽⁶⁸¹⁾ وحقويه⁽⁶⁸²⁾ ، ومنهم إلى شحمة أذنيه ، ومنهم من قد ألجمه⁽⁶⁸³⁾ العرق فكاد أن يغيب فيه . قلت : ذكر المحاسبي وغيره أن انفطار السماء : انشقاقها بعد جمع الناس في الموقف ، وقد قدمنا أن ذلك يكون قبل ذلك وهو ظاهر القرآن كما ذكرنا والله أعلم ، وقد جاء ذلك مرفوعاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد تقدم

٧٤٥- وما ذكره المحاسبي مروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد جهنم وإنسهم ، فإذا كان ذلك قبضت هذه السماء عن أهلها فينتشرون على وجه الأرض فلأهل السماء أكثر من أهل جميع الأرض جهنم وإنسهم بالضعف » . الحديث بطول ما ذكره ابن المبارك في رقائقه . قال : أخبرنا عوف عن أبي المنهال سيار بن سلامة الرياحي قال : أخبرنا شهر بن حوشب . قال : حدثني ابن عباس فذكره .

٧٤٦- قال ابن المبارك وأخبرني جويسر عن الضحاك قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقت بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمر الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ، ثم يأمر السماء التي تليها فينزلون فيكونون صفاً خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة

681- المنكين : مثنى المنكب وهو مجتمع رأس العضد والكف .

682- الحقوين : الحق الجانب وهو الخصر والحقوين الخصرين .

683- ألجمه العرق : غلبه العرق ووصل إلى فيه فلا يستطيع أن يفتحه لئلا يدخل العرق .

(٧٤٥) خبر صحيح . سبق برقم (٧٢١) .

(٧٤٦) خبر حسن . أخرجه ابن المبارك كما في زوائد الزهد (٣٥٤) ، وابن جرير (٢٩)

/ (٣٦) في تفسيره ، وابن أبي الدنيا (١٦٠) في الأهوال .

في سنده جويسر ، وهو متروك ، ولكنه توبع عليه من الأجلح .

ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فينزل الملك الأعلى في بهائه وجلاله وملكه ويجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً قياماً من الملائكة فذلك قوله تعالى ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ (684) والسلطان العذر ، وذلك قوله عز وجل ﴿وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً﴾ (685) وقال ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ (686) والملك على أرجائها (687) يعني على حافاتهما يعني بأرجائها ما تشقق منها ، فيناهم كذلك إذ سمعوا الصوت فأقبلوا إلى الحساب.

٧٤٧- قلت : ولا يصح إسنادهما ، فإن شهراً وجوير قد تكلم فيهما وضعفهما .

قال البخارى فى التاريخ: جوير بن سعيد البلخى عن الضحاك قال لى على: قال يحيى : كنت أعرف جويراً بحديثين ، ثم أخرج هذه الأحاديث بعد فضعه ، وأما شهر فقال مسلم فى صدر كتابه: سئل ابن عوف عن حديث شهر وهو قائم على أسكفة (688) الباب ، فقال : إن شهراً تركوه ، إن

684- سورة : الرحمن ، الآية : ٣٣ .

685- سورة : الفجر الآية : ٢٢ .

686- واهية : ضعيفة هينة .

687- سورة : الحاقة الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(٧٤٧) هذا فى حالة تفرد شهر بن حوشب ، أو جوير ، أما وقد تويعا من قبل الثقات وأهل الصدق فلا يحكم بضعف الروايتين ، راجع التخريج السابق .

688- أسكفة الباب : عتبة التى يوطأ عليها .

شهرأ تركوه . قال مسلم : يقول أخذته السنة الناس تكلموا فيه ، وقال عن شعبة وقد لقيت شهرأ فلم أعتد به .

٧٤٨- وذكر أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة) نحواً مما ذكر المحاسبى عن ابن عباس رضى الله عنه والضحاك فقال: إن الخلائق إذا [جمعا] فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولواهم فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين إنسا وجناً ووحشاً وطيراً وحولواهم إلى الأرض الثانية ، وهى أرض بيضاء من فضة نورية ، وصارت الملائكة من وراء العالمين حلقة واحدة ، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ، ثم إن الله سبحانه وتعالى يأمر ملائكة السماء الثانية فيحذقون بهم واحدة فإذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة فإذا هم أكثر منهم ثلاثين ضعفاً ، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة أكثر منهم بأربعين (ضعفاً)، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحذقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحذقون السابعة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ، وتخوض الناس فى العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدر وإلى الحقوين وإلى الركبتين ، ومنهم من يصبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ، ومنهم من تصيبه البلة كالعاطش إذا شرب الماء ، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها ، ويضاعف حرها سبعين مرة .

٧٤٩- وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيتها يوم

القيامة لأحرقت الأرض وذابت الصخر وجفت الأنهار ، فبينما الخلائق يموجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله تعالى حيث يقول : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ (689) وهم على أنواع في المحشر على ما تقدم في حديث معاذ ، والملوك كالذر كما قد ورد في الخبر في وصف المتكبرين وليس هم كهيئة الذر غير أن الأقدام عليهم حتى صاروا كالذر (690) في مذلتهم وانخفاضهم ، وقوماً يشربون ماء بارداً عذبا صافياً ، لأن الصبيان يطوفون على آبائهم بكؤوس من أنهار الجنة يسقونهم .

٧٥٠- وعن بعض السلف : أنه نام فرأى القيامة قد قامت ، وكأنه في الموقف عطشان وصبيان صغار يسقون الناس قال : فناديتهم ناولوني شربة ، فقال : لي واحد منهم ألك فينا ولد ؟ فقلت : لا . فقال : فلا إذا ولهذا فضل التزويج . . ولهذا الولد الساقى شروط ذكرناها في (الإحياء) وقوم قدموا على رؤوسهم ظل يمنعهم من الحروهي الصدقة الطيبة لا يزالون كذلك ألف عام حتى إذا سمعوا نقر الناقور الذي وصفناه في كتاب (الإحياء) وهو بعض أسرار القرآن فتوجل له القلوب وتخشع الأبصار لعظيم نقره ، وتشتاف* الرؤوس من المؤمنين ، والكافرين يظنون أن ذلك عذاب يزداد بهم في هول يوم القيامة ، فإذا بالعرش تحمله ثمانية أملاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة ، وأفواج الملائكة وأنواع الغمام بأصوات التسبيح ، لهم هرج عظيم لا تطيقه العقول حتى يستقر العرش في تلك الأرض البيضاء التي خلقها الله تعالى لهذا الشأن خاصة ، فتطرق الرؤوس وتخنس وتشفق البرايا وترعب

689- سورة : إبراهيم عليه السلام من الآية : ٤٨ .

690 -الذر : صغار النمل .

* تشتاف : تملو .

الأنبياء وتخاف العلماء وتفزع الأولياء والشهداء من عذاب الله سبحانه الذى لا يطيقه شيء إذ غشاهم نور حتى غلب عليه نور الشمس التى كانوا في حرها فلا يزالون يموج بعضهم في بعض ألف عام والجليل سبحانه لا يكلمهم كلمة واحدة ، فحينئذ يذهب الناس إلى آدم فيقولون : يا أبا البشر، الأمر علينا شديد ، وأما الكافر فيقول : يا رب أرحنى ولو إلى النار من شدة ما يرى من الهول . يقولون : أنت الذى خلقت الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه اشفع لنا فى فصل القضاء وذكر أمر الشفاعة من نبي إلى نبي وأن ما بين إتيانهم من نبي إلى نبي ألف عام حتى تنتهى الشفاعة إلى نبينا محمد ﷺ على ما يأتى (بيانه) من أمر الشفاعة فى أحاديث إن شاء الله تعالى، ونحو من هذا (أيضاً) ذكره الفقيه أبو بكر بن بركان فى كتاب (الإرشاد) له قال : فإذا كان يومئذ جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد وكورت الشمس وانكدرت النجوم ومارت السماء فوق الخلائق مورا، وتفطرت من عظيم هول ذلك اليوم، وتشققت بالغمام المنزل عليهن من فوقهن ، ثم صارت وردة كالدهان وكشطن سماء، ونزلت الملائكة تنزيلاً وقام الخلائق وطال قيامهم أقل ما قيل فى قيامهم مقدار أربعين عاماً إلى ثلاثمائة عام ، وإياماً كان فاليوم يسعه قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب إبل » الحديث وفيه «وردت عليه أولاهـا» فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وسيأتى بكماله وهم فى قيامهم ذلك فى الظلمة دون الجسر كما فى صحيح مسلم من حديث ثوبان عزة عزلاً. أعطش ما كانوا وأجوع ما كانوا عليه قط عزة، فلا يسقى ذلك اليوم إلا من سقى الله عز وجل ، ولا يطعم إلا من أطعم الله ، ولا يكسى يومئذ إلا من كسا لله ، ولا يكفى إلا من إتكل على الله. ومصدق هذا من كتاب الله عز وجل قوله الحق : ﴿يوفون بالنذر﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ (691) أى من إزالة الجوع والعطش والعري إلى غير ذلك من أهوال القيامة وأفزاعها على ما يأتى بيانه فى هذا الباب ، والذى يليه .

٧٥١- أبو بكر بن أبي شيبة ، عن أبي معاوية عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم⁽⁶⁹²⁾ الناس حتى تكون قاب قوسين . قال : فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة⁽⁶⁹³⁾ ، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل ، قال سلمان : حتى يقول الرجل غرغر ، فإذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ائتوا أباكم آدم فيشفع لكم . الحديث بطوله ، وسيأتى مرفوعاً من حديث أبي هريرة ، وأخرجه ابن المبارك قال : أنبأنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال : « تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤوسهم قاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على أحد يومئذ طحرية ولا يرى فيها عورة مؤمن ولا مؤمنة لا يضر حرها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة ، وأما الآخرون أو قال الكفار (فتطحنهم طحناً) فإنما تقول أجوافهم : غق غق »⁽⁶⁹⁴⁾ قال نعيم : الطحرية : الخرقعة ، وأخرجه هناد بن السرى ، حدثنا قبيصة عن سفيان عن سليمان التيمي فذكره سواء إلا أنه قال : « ولا يجد حرها » بدل : « ولا يضر » وقال : « وأما الكافر أو الآخرون فتطبخهم طبخاً* حتى يسمع لأجوافهم غق غق » .

٧٥٢- مسلم عن سليم بن عامر ، عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه

(٧٥١) خبر صحيح . أخرجه ابن المبارك (١٠٠) كما فى زوائد الزهد ، وعبد الرزاق (١١ / ٤٠٣) فى مصنفه ، وهناد (٣٣١) فى الزهد ، وابن أبى شيبة (١١ / ٤٤٧) فى مصنفه ، وابن أبى الدنيا (١٠٢) فى الأهوال ، وابن أبى عاصم (٢ / ٣٨٣) فى السنة .

692- جماجم : جمع جمجمة وهى عظام الرأس .

693- قامة : أى يكون قدر قامة إنسان .

694- غق غق : حكاية صوت الغليان وصوت الطير والماء فى بعض حالاتهما .

* فى المخطوطة : فتطحنهم طحناً .

(٧٥٢) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٦ / ٣ - ٤) ، ومسلم (٢٨٦٤) ، والترمذى (٢٥٣٦) ، وابن أبى الدنيا (٩٠) ، (١٤٨) ، (٢٠٦) فى الأهوال والطبرانى (٢٠ / ٢٥٥) فى الكبير والبيهقى (٢٥٨) فى شعب الإيمان .

قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال : « فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه [العرق] إلجاماً » قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه ، وأخرجه الترمذي وزاد قوله تكحل به العين فتصهرهم الشمس .

٧٥٣- وذكر ابن المبارك (قال): أخبرنا ملك بن مغول ، عن عبيد الله ابن العيزار قال : إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل فى القرن والسعيد الذى يجد لقدميه موضعاً يضعهما عليه ، وإن الشمس تدنى من رؤوسهم حتى لا يكون بينها وبين رؤوسهم إماما قال ميلاً أو ميلين ثم يزداد فى حرها بضعة وستون ضعفاً ، وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى : ألا إن فلان ابن فلان قد ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، ألا إن فلان ابن فلان قد خفت موازينه وشقى شقاء لا يسعد بعده أبداً .

٧٥٤- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعاً⁽⁶⁹⁵⁾ وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو آذانهم» يشك ثور أيهما . قال : أخرجه البخارى .

(٧٥٣) خبر صحيح . أخرجه ابن المبارك (٣٧٢) كما فى زوائد الزهد ، وابن أبي الدنيا (١٤٩) فى الأهوال ، وانظر : البدور السافرة (ص / ٩٣) .

(٧٥٤) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٣٨) برقم (٦٥٣٢) ، ومسلم (٢٨٦٣) ، وأحمد (٢ / ٤١٨) .

695- الباع : ما بين ذراعى الإنسان مبسوطتين بصدده .

٧٥٥- وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي ﷺ : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ قال : « يوم يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه » أخرجه البخاري والترمذى وقال : حديث صحيح مرفوعاً وموقوفاً .

٧٥٦- وروى هناد بن السرى قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن ضرار بن مرة ، عن عبد الله بن المكتب ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال له رجل إن أهل المدينة ليوفون الكيل يا أبا عبد الرحمن ، قال : وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى : ﴿ ويد للمطففين ﴾ حتى بلغ : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ ⁽⁶⁹⁶⁾ قال : إن العرق ليبلغ أنصاف أذانهم من هول يوم القيامة وعظمه .

٧٥٧- وخرج الرائل من حديث ابن وهب قال : حدثنى عبد الرحمن ابن ميسرة ، عن ابن هانئ ، عن أبي عبد الرحمن (الختلى) ، عن عبد الله بن

696- سورة : المطففين الآيات : ١- ٦ .

(٧٥٥) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٣٨) برقم (٦٥٣١) ، ومسلم (٢٨٦٢) ، وأحمد (٢ / ٣١) ، والترمذى (٣٣٣٦) ، وابن ماجه (٤٢٧٨) ، وهناد (٣٢٦) فى الزهد ، وابن أبى شيبة (١٣ / ٢٢٣) فى مصنفه ، وابن أبى الدنيا (٩٣) فى الأهوال ، والطبرى (٣٠ / ٥٨ - ٦٠) فى تفسيره .

(٧٥٦) خبر صحيح . أخرجه النسائى (٦٧٤) فى تفسيره ، وهناد (٣٢٩) فى الزهد ، وابن ماجه (٢٢٢٣) ، وابن حبان (٤٨٩٨) ، وابن أبى الدنيا (٤٤) فى الأهوال والحاكم (٢ / ٣٣) وصححه ، وأقره الذهبى ، والطبرانى (١٢٠٤١) فى الكبير ، والبيهقى (٥٢٨٦) فى شعب الإيمان .

(٧٥٧) حديث ضعيف . أخرجه الحاكم (٤ / ٥٧٢) وصححه وأقره الذهبى ، مع أن فيه عبد الرحمن بن ميسرة ، وهو من المجهولين كما فى الجرح والتعديل (٥ / ٢٨٥) وأخرجه الطبرانى كما فى الجمع (٧ / ١٣٥) وقال الهيثمى : رجاله ثقات !! . وأبو الشيخ وابن مردويه ، والبيهقى كما فى الدر المنثور (٦ / ٣٢٤) .

رضى الله عنهما قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ ثم قال رسول الله ﷺ : « كيف بكم إذا جمعكم الله عز وجل كما يجمع النبل في الكنانة ⁽⁶⁹⁷⁾ خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم » ؟ قال الوائلي : غريب جيد الإسناد .

٧٥٨- وقد خرج مسلم لابن وهب عن أبي هانئ نفسه عن (الختلي) عن عبد الله أحاديث ابن المبارك قال : أخبرنا الأوزاعي قال : سمعت بلال ابن سعيد يقول : إن للناس يوم القيامة جولة وهو قوله عز وجل ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾ ⁽⁶⁹⁸⁾ وقوله ﴿ ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت ﴾ ⁽⁶⁹⁹⁾ .

٧٥٩- وفي حديث جوير عن الضحاك : فينزل الملك ومجنبتة اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً قياماً من الملائكة فذلك قوله : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ ⁽⁷⁰⁰⁾ والسلطان : العذر .

٧٦٠- وقال رسول الله ﷺ : « خوفني جبريل من يوم القيامة حتى

697- الكنانة : جعبة صغيرة من جلد يجمع فيها النبل .

(٧٥٨) خبر صحيح أخرجه ابن المبارك (٣٥٥) كما في زوائد الزهد ، وأبو نعيم في الحلية (٣ / ٢٢٧) عن طريقه .

698- سورة : القيامة ، الآية : ١٠ .

699- سورة : سبأ من الآية : ٥١ .

(٧٥٩) خبر صحيح . سبق برقم (٧٤٦) .

700 - سورة : الرحمن الآية : ٣٣ .

(٧٦٠) لم أقف عليه . والمتن منكّر .

أبكاني ، فقلت يا جبريل ، ألم يغفر لي ربي ذنبي ما تقدم وما تأخر ؟ فقال لي : يا محمد ، لتشهدن من هول ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة » ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله .

٧٦١- فصل : قلت : ظاهر ما رواه ابن المبارك عن سلمان أن الشمس لا يضر حرها مؤمنا ولا مؤمنة العموم في المؤمنين ، وليس كذلك لحديث المقداد المذكور بعده ، وإنما المراد لا يضر حرها مؤمناً كامل الإيمان أو من استظل بظل عرش الرحمن كما في الحديث الصحيح : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » الحديث رواه الأئمة مالك وغيره وسيأتى في الباب بعد هذا (إن شاء الله تعالى) .

وكذلك ما جاء أن المرء في ظل صدقته وكذلك الأعمال الصالحة أصحابها في ظلها إن شاء الله ، وكل ذلك من ظل العرش ، والله أعلم .
وأما غير هؤلاء فمتفاوتون في العرق على ما دل عليه حديث مسلم ، قال ابن العربي : وكل واحد يقوم عرقه معه فيغرق فيه إلى أنصاف ساقيه وإلى جانبه مثلاً يمنة من يبلغ كعبيه ، ومن الجهة الشمال من يبلغ ركبتيه ، ومن أمامه من يكون عرقه إلى نصفه ، ومن خلفه من يبلغ العرق صدره ، وهذا المعتاد في الدنيا فإن الجماعة إذا وقفوا في الأرض المعتدلة أخذهم الماء أخذاً واحداً ولا يتفاوتون كما ذكرنا مع استواء الأرض ومجاورة المحل ، وهذا من القدرة التي تخرق العادات في زمن الآيات .

(٧٦١) حديث صحيح . سبق برقم (٧٥١) ، (٧٥٢) .

٧٦٢- وقال الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب (الإرشاد) له : ولا (يبعد) عليك هذا - يرحمك الله- أن يكون الناس كلهم في صعيد واحد ومواقف سواء يشرب أحدهم أو بعضهم من الحوض ولا يشرب الغير ، ويكون النور يسعى بين يدي البعض في الظلمات مع قرب المكان وازدحام الناس ، ويكون أحدهم يغرق في عرقه حتى يلجمه أو يبلغ (منه) عرقه ما شاء الله جزاء لسعيه في الدنيا ، [وآخر] في ظل العرش على قرب المكان والمجاورة ، وكذلك كانوا في الدنيا يمشى المؤمن بنور إيمانه في الناس والكافر في ظلام كفره ، والمؤمن في وقاية الله وكفايته والكافر والعاصي في خذلان الله لهما وعدم العصمة ، والمؤمن السني يكرع ⁽⁷⁰¹⁾ في سنة رسول الله ﷺ ، ويروى ببرد اليقين ويمشى في [سبيل] الهداية بحسن الاقتداء والمبتدع عطشان إلى ما روى المؤمن به حيران لا يشعر سالك في مسالك ضلالات البدع وهو لا يدري ، وكذلك في الوجود الأعمى لا يجد نور بصر البصير ولا ينفعه دواء إنما هي بواطن وظواهر بطنت فتشعر لذلك وتفطن واستعن بالله يعنك ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

٧٦٣- وقال أبو حامد : واعلم أن كل عرق لم يخرجته التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ، ولو سلم ابن آدم من الجهل (والغرور) لعلم أن تعب (العرق) في تحمل مصاعب الدنيا أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة ، فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته .

701- يكرع : يشرب ومعناها هنا ينهل .

٧٦٤- وذكر أبو نعيم عن أبي حازم أنه قال : لو نادى مناد من السماء أمن أهل الأرض من دخول النار لحق عليهم الوجع من هول ذلك الموقف ومعاناة ذلك اليوم .

باب ما ينجي من أهوال يوم القيامة ومن كربها

٧٦٥- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » وذكر الحديث .

٧٦٦- وخرج الترمذى الحكيم في (نواذر الأصول) قال : حدثنا أبي رحمه الله فقال : حدثنا عبد الله بن نافع قال : حدثني ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن أبى عبد الله ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال : « إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه به بوالديه [فردّه] عنه ، ورأيت رجلاً من

(٧٦٤) إسناده ضعيف . أخرجه أبو نعيم (٣ / ٢٣٠) فى الحلية ، وفى سنده ابن داود ضعفه أبو حاتم وغيره ، كما فى الميزان (١ / ٢٢٦) .

(٧٦٥) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٦٩٩) ، وأحمد (٢ / ٢٥٢) ، (٢ / ٥٠٠) ، (٥٠٤) ، وأبو داود (٤٩٤٦) ، والترمذى (١٩٣٠) ، وابن ماجه (٢٢٥) ، وابن أبى شيبة (٩ / ٨٦) ، والبغوى (١٢٧) فى شرح السنة .

(٧٦٦) حديث ضعيف . أخرجه الحكيم الترمذى (ص / ٣٢٤) فى النوادر ، والأصبهاني فى الترغيب كما فى شرح الصدور (ص / ١٨٢) ، والطبرانى كما فى المجموع (٧ / ١٧٩) من حديث عبد الرحمن بن سمرة .

قال الهيثمى : رواه الطبرانى بإسنادين فى أحدهما سليمان بن أحمد الواسطى ، وفى الآخر خالد بن عبد الرحمن الخزومى ، وكلاهما ضعيف .

وقال العراقى (٢٤٤٠) فى المعنى : رواه الخرائطى فى المكارم بسند ضعيف .

أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته⁽⁷⁰²⁾ الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلاً من أمتى والنبيون قعود حلقاً حلقاً كلما دنا حلقة طرده ، فجاء اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده بجنبى ، ورأيت رجلاً من أمتى من بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن شماله ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، فهو متحير فيها ، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ، ورأيت رجلاً من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم ، فقالت : يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه ، ورأيت رجلاً من أمتى يتقى شرر النار ووهجها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه ، ورأيت رجلاً من أمتى قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلاً من أمتى جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ، ورأيت رجلاً من أمتى قد هوت صحيفته من قبل شماله

702- احتوشته : منعته وحجبته .

فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه⁽⁷⁰³⁾ فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة⁽⁷⁰⁴⁾ فجاءه حسن ظنه بالله [تعالى] فسكن رعده ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي علي الصراط [يزحف أحياناً، ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً ، فجاءته صلاته على فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط]، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة» .

قلت : هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة ، والله أعلم .

٧٦٧- وقد ينجي منها كلها ما ثبت في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانَه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال : قال الله عز وجل أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدی » .

٧٦٨- وخرج عن حذيفة عن النبي ﷺ أن رجلاً مات فدخل الجنة،

703- أفراطه : أولاده الصغار الذين ماتوا قبله .

704- السعفة : جريد النخل .

(٧٦٧) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٥٦٠) ، والترمذي (١٣٠٧) ، وأحمد (٤ / ١٢٠) ، وابن أبي شبة (٧ / ٢٥٠) ، والبيهقي (٥ / ٣٥٦) في سننه الكبرى .

(٧٦٨) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٥ / ٣٩٩) ، ومسلم (١٥٦٠) ، والنسائي (٧ / ٣١٨) بنحوه ، وابن ماجه (٢٤٢٠) .

فقيل له : ما كنت تعمل ؟ فقال : (أما ذكروا ما ذكر ، فقال :) إني كنت أبايع الناس ، فكنت أنظر المعسر وأتجاوز في السكة⁽⁷⁰⁵⁾ أو في النقد فغفر له « فقال له أبو مسعود رضى الله عنه : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ رواه مسلم من طرق ، وخرجه البخارى .

٧٦٩- وروى مسلم عن أبي قتادة رضى الله عنه أنه طلب غريماً له فتوارى عنه ، ثم وجده فقال : إني معسر . قال : آله؟ فقال : آله . قال : فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » .

٧٧٠- وعن أبي اليسر واسمه كعب بن عمرو رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله » خرجه مسلم .

٧٧١- وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : « من أنظر⁽⁷⁰⁶⁾ مديونا فله بكل يوم عند الله وزن أحد ما لم يطلبه » .

٧٧٢- وروى الأئمة عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ

705- السكة : نوع من أنواع العملة .

(٧٦٩) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٥٦٣) ، وابن أبي الدنيا (٩٦) فى قضاء الحوائج بتحقيقى ، والبيهقى (٥ / ٣٥٧) ، (٦ / ٢٨) فى سننه الكبرى . (٧٧٠) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٣٠٠٦) ، (٣٠٠٧) ، وأحمد (٣ / ٤٢٧) ، والبخارى فى الأدب المفرد (١٨٧) ، وابن ماجه (٢٤١٩) ، والدارمى (١ / ٢٦١) ، وابن حبان (٧ / ٢٥١) ، والبعغوى (٢١٤٢) فى شرح السنة .

706- أنظر : أمهل وأتريث بعض الوقت عند حلول الأجل للسداد .

(٧٧٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١ / ١٦٨) ، (٨ / ١٢٦) ، ومسلم (١٠٣١) ، ومالك (٩٥٢) فى الموطأ ، وأحمد (٢ / ٤٣٩) ، ابن المبارك (٤٧٣) فى الزهد ، والترمذى (٢٣٩١) ، والنسائى (٨ / ٢٢٢) ، وابن خزيمة (٣٥٨) ، وابن حبان (٧ / ١٠) ، والبعغوى (٤٧٠) فى شرح السنة .

قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » ، : معنى « في ظله » أى : فى ظل عرشه وقد جاء هكذا تفسيراً في الحديث .

٧٧٣- وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال : حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشبع جائعاً أو كسا عرياناً أو آوى مسافراً أعاده الله من أهوال يوم القيامة » .

٧٧٤- وخرج الطبراني عن سليمان بن أحمد عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لقم أخاه لقمة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة » وفى التنزيل تحقيقاً لهذا الباب وجامعاً له قوله الحق : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ إلى قوله : ﴿ فوقامر الله شر ذلك اليوم ﴾ (707) مع قوله ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ (708) مع قوله فى غير موضع بعد ذكر الأعمال الصالحة : ﴿ فلا خوف عليهم ولا

(٧٧٣) حديث ضعيف جداً . إن لم يكن موضوعاً . أخرجه الطوسى فى « عيون الأخبار » كما فى البدور السافرة (ص / ١٠٩) وفيه أبو هذبة من المتروكين ، وقد اتهم . (٧٧٤) حديث ضعيف . أخرجه أبو نعيم (٣ / ٥٤) فى الحلية ، والخطيب (٤ / ٨٥ ، ٨٦) فى تاريخه ، والديلمى كما فى الفردوس (٣ / ٥٢٥) فى سننه الرقاشى ، وهو من الضعفاء ، انظر : الموضوعات (٣ / ٢٨) لابن الجوزى ، تنزيه الشريعة (٢ / ٢٥٦) ، الفوائد المجموعة (١٨٢) ، (٢٣٥) للشوكانى .

707- سورة : الإنسان ، الآيات : ٧ - ١١ .

708- سورة : الكهف من الآية : ٣٠ .

همريحزنون ﴿ (709) .

باب منه

٧٧٥- ذكر أبو نعيم الحافظ قال : حدثنا سليمان بن أحمد قال :
حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد قال : حدثنا محمد بن سلام قال : حدثنا
يحيى بن بكير قال : حدثنا مالك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الذنوب ذنوبا
لا يكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ولا العمرة ، قال : وما يكفرها يا
رسول الله ؟ قال : الهموم في طلب المعيشة » . وقال أحمد بن يحيى :
فقلت : كيف سمعت هذا من يحيى بن بكير فلم يسمعه أحد غيرك ؟ قال :
كنت عند يحيى جالسا فجاءه رجل فذكر [ضعف حاله] فقال : قال ابن
بكير : حدثنا مالك فذكره .

باب في الشفاعة العامة لنبيينا محمد ﷺ لأهل المحشر

٧٧٦- مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ يوما
709 - سورة: المائدة : ٦٩ . الأنعام من الآية ٤٨ ، الأعراف من الآية : ٣٥ الأحقاف من
الآية ١٣ .
(٧٧٥) حديث موضوع . أخرجه الطبراني في « الأوسط » كما في المجموع (٤ / ٦٣) ،
وأبو نعيم (٦ / ٢٣٥) في الحلية) ، وانظر : السلسلة الضعيفة (٩٢٤) للألباني .
(٧٧٦) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ، ومسلم (١٩٤) ، وأحمد (٢ /
٤٣٦ ٤٣٥) ، والترمذي (٢٤٣٤) ، وابن ماجه (٣٣٠٧) ، والنسائي (٣٠٦) في تفسيره ،
وابن خزيمة (١٩٧) ، وابن أبي الدنيا (١٥٤) في الأهوال ، وابن حبان (٨ / ١٣٠) ، وابن
أبي عاصم (٨١١) في السنة ، وابن أبي شيبه (١١ / ٤٤٤) ، والبغوي (١٥ / ١٥٣) ،
والبيهقي (٥ / ٤٧٧) في دلائل النبوة .

بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبونا أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى [غيري] ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومي : نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفساً لم أو مر بقتلها ، نفسي نفسي ، اذهبوا

إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى (إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى (إلى) ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولم يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً . نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون مثله فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك (ألا ترى إلى) ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى ثم قال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول: يا رب أمتى أمتى ، فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين⁽⁷¹⁰⁾ من مصاريح الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى « وفي البخارى » كما بين مكة وحمير» .

٧٧٧- فصل : هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هى المراد بقوله عليه (الصلاة و)السلام : « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى » رواه الأئمة البخارى ومسلم وغيرهما، وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما

710- المصراعين : مثنى مصراع والمصراع أحد جزأى الباب .

(٧٧٧) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ٨٣) ، ومسلم (١٩٩) ، وأحمد (٢ / ٣٩٦ ، ٤٠٩) ، (٣ / ٢١٩) ، وأبو عوانة (١ / ٩٠ - ٩١) وابن المبارك (٥٦٣) فى الزهد، والترمذي (٣٦٠٢) ، وابن ماجه (٤٣٠٧) ، ومالك (٢١٢) فى الموطأ وابن حبان (٨ / ١٢٧) ، والبيهقى (٥ / ٦٠٥) ، وابن أبى عاصم (٢ / ٣٧١) فى السنة .

هى ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهى الخاصة به ﷺ وقوله : «أقول: يا رب، أمتى أمتى» اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم ، وقوله : فيقال: يا محمد ، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم . وكان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر فى ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ الحمود الذى وعده ، ولذلك قال كل نبى : لست لها ، لست لها، حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال: «أنا لها» .

٧٧٨- وروى مسلم ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك » . وفى رواية « فيلهمون فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال : فيأتون آدم ، وذكر الحديث .

٧٧٩- وذكر أبو حامد أن بين إتيانهم من آدم إلى نوح ألف عام ، وكذا بين كل نبى إلى محمد ﷺ .

وذكر أيضا أن الناس فى الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب جرائمهم ، كمانع الزكاة والغال والغادر على ما يأتى بيانه ، وآخرون قد عظمت فروجهم وهى تسيل صديدا يتأذى بنتنها جيرانهم ، وآخرون قد صلبوا على جذوع النيران ، وآخرون قد خرجت ألسنتهم على

(٧٧٨) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٩٣) ، وأبو عوانة (١ / ١٧٨) ، والبخارى (٩ / ١٤٩ ، ١٨٢) بنحوه وابن ماجه (٤٣١٢) ، وابن أبى عاصم (٨٠٦) (٨٠٧) فى السنة وكذا أخرجه أبو عوانة (١ / ١٧٨) بنحوه ، وابن حبان (٨ / ١٢٨) ، والبخارى (٤٣٣٤) فى شرح السنة .

صدورهم أقبح ما يكون ، وهؤلاء المذكورون هم الزناة واللوطية والكاذبون ، وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسي وهم آكلو الربا وكل ذى ذنب قد بدا سوء ذنبه . قاله فى كتاب (كشف) (علم) (الآخرة) ، وذكر فى آخر (هذا) الكتاب أن الرسل يوم القيامة على المنابر والأنبياء والعلماء على منابر صغار ، ومنبر كل رسول على قدره ، والعلماء العاملون على كراسي من نور ، والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كسبان من مسك ، وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب (الإرشاد) له : ويلهم رؤوس المحشر ممن يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك .

باب ما جاء أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود

٧٨٠- الترمذى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وييدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم ومن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال : فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون : أنت أبونا فاشفع لنا إلى (ربنا) فيقول : أنا أذنبت ذنباً فأهبطت به إلى الأرض (ولكن) اتتوا نوحاً (فيأتون نوحاً) فيقول : إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن (اذهبوا) إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول : إني كذبت ثلاث كذبات ، ثم قال رسول الله ﷺ : ما منها كذبة إلا ما حل

(٧٨٠) حديث حسن . أخرجه أحمد (٣ / ٢) ، والترمذى (٣٣٥٦) ، وابن ماجه (٤٣٠٨) ، فيه ابن جسدعان من الضعفاء ، لكن يشهد له حديث أبي هريرة سبق تخريجه برقم (٧٧٦) ، وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٧١) .

بها عن دين الله، ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى ، فيقول : إني قد قتلت نفساً ، ولكن ائتوا عيسى (فيأتون عيسى) فيقول: إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمداً ﷺ فيأتوني فأنطلق معهم » . قال ابن جدعان: قال أنس: فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ قال : « فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها ، فيقال من هذا ؟ فيقال : محمد ، فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحباً فأخر ساجداً لله فيلهمني من الثناء والحمد ، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك هو المقام المحمود الذي قال الله فيه : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ⁽⁷¹¹⁾ . وقال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها ⁽⁷¹²⁾ ، قال الترمذي : حديث حسن .

٧٨١- وخرجه أبو داود الطيالسي بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنه فقال : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا (أحمد حدثنا) علي بن زيد عن أبي نضرة قال : خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي إلا وله دعوة، كلهم قد تنجزها في الدنيا وإنني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ألا وإنني سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، ويبدى لواء الحمد تحته آدم ﷺ ومن دونه ولا فخر ، ويشتد كرب ذلك اليوم على الناس فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربنا عز

711- سورة: الإسراء من الآية : ٧٩

712- أقعقها : قعق الشيء إذا أحدث صوتاً عند تحركه .

(٧٨١) حديث حسن . أخرجه الطيالسي (٢٧١١) ، وفيه ابن جدعان ، انظر التعليق السابق ، وأخرجه البيهقي (٥ / ٤٨١) في الدلائل .

وجل حتى يقضى بيننا». الحديث وفيه: فيأتون عيسى عليه (الصلاة و) السلام فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فيقول: إني لست هنا كم، إني اتخذت وأمي إلهين من دون الله، ولكن أرأيتم لو أن متاعاً في وعاء قد ختم عليه أكان يوصل إلى ما في الوعاء حتى يفض الخاتم؟ فيقولون: لا. فيقول: إن محمداً ﷺ قد خصه اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال رسول الله ﷺ: «فيأتي الناس، فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فأقول: أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد الله أن يقضى بين خلقه نادى مناد أين محمد ﷺ وأمته؟ فأقوم وتتبعني أمتي غراً محجلين⁽⁷¹³⁾ من أثر الطهور» قال رسول الله ﷺ: «فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب ويفرج لنا في الأمم عن طريقنا، ويقولون: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها» وذكر الحديث.

٧٨٢- وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً كل أمة تتبع نبيها تقول: يا فلان، اشفع، يا فلان، اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود».

713- محجلين: التحجيل: بياض في قوائم الفرس يميز به عن غيره.

(٧٨٢) خبر صحيح، أخرجه البخاري (٤٧١٨)، والنسائي (٣١٥) في تفسيره، وابن أبي الدنيا (١٥٢) في الأحوال، وابن جرير (١٥ / ٩٩) في تفسيره، وسعيد بن منصور، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٤ / ١٩٢).

٧٨٣- وروي الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى قوله (تعالى): ﴿عسى أن يعثرك ربك مقاماً محموداً﴾

سئل عنها قال : « هى الشفاعة » . قال : هذا حديث (حسن) صحيح .
٧٨٤- فصل : قوله : فيفزع الناس ثلاث فزعات إنما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تجر بأزمتها وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديان ، فإذا نظرت إلى الخلائق فارت وثارَت وشهقت إلى الخلائق وزفرت نحوهم وتوثبت عليهم غضباً لغضب ربهم على ما يأتى بيانه فى كتاب النار إن شاء الله تعالى ، فتساقط الخلائق حيثئذ على ركبهم جثاة حولها قد أسبلوا الدموع من أعينهم ونادى الظالمون بالويل والثبور . ثم تزفر الثانية فيزداد الرعب والخوف فى القلوب . ثم تزفر الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم ويشخصون بأبصارهم وهم ينظرون من طرف خفى خوفاً أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها . أجارنا الله منها .

فصل : واختلف الناس فى المقام المحمود على خمسة أقوال :
٧٨٥- الأول : أنه الشفاعة (العامة) للناس يوم القيامة كما تقدم .
قاله حذيفة بن اليمان وابن عمر رضى الله عنهما .
٧٨٦- الثانى : أنه إعطاؤه عليه (الصلاة و) السلام لواء الحمد يوم القيامة

(٧٨٣) الحديث صحيح ، وإسناده ضعيف . أخرجه الترمذى (٣١٣٧) ، وابن أبى عاصم .
(٧٨٤) فى السنة ، وابن جرير (٩٨ / ١٥) فى تفسيره ، وفى سننه داود بن يزيد الأودى ، وهو ضعيف ، لكن للحديث شواهد ، منها حديث ابن عمر السابق ، وانظر : السلسلة الصحيحة (٢٣٦٩) ، (٢٣٧٠) للألبانى .
(٧٨٥) خير صحيح . أثر حذيفة ، أخرجه الطيالسى (٤١٤) ، والنسائى (٣١٤) فى تفسيره ، وابن أبى شيبة (٨ / ٢٠١) ، وابن أبى الدنيا (١٥١) ، وابن أبى عاصم (٧٨٩) وأثر ابن عمر ، سبق برقم (٧٨٢) .
(٧٨٦) حديث ضعيف . أخرجه الترمذى (٣١٣٧) ، والبيهقى (٥ / ٤٨٤) فى دلائل النبوة ، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٦ / ٣٠١) .

قلت : وهذا القول لا تنافى بينه وبين الأول، فإنه يكون بيده لواء الحمد ويشفع .

وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا
آيسوا ، لواء الحمد بيدي فأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر » وفي
رواية : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا
خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شفيعهم إذا آيسوا ، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا ، لواء
الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ
مكنون » .

٧٨٧ - الثالث : ما حكاه الطبرى عن فرقة منها مجاهد . أنها قالت :
المقام المحمود هو أن يجلس الله محمداً ﷺ معه على كرسيه ، وروت في
ذلك حديثاً .

قلت : وهذا قول مرغوب عنه وإن صح الحديث ، فيتأول على أنه
يجلسه مع أنبيائه وملائكته . قال ابن عبد البر فى كتاب (التمهيد) :
ومجاهد وإن كان أحد الأئمة بتأويل القرآن فإن له قولين ، مهجورين عند
أهل العلم . أحدهما : هذا ، والثانى : فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وجوه
يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (714) قال : تنتظر الثواب وليس من النظر .

= فى سنده حبان بن على ، وهو من الضعفاء ، وليث بن أبى سليم وهو ضعيف آخر ، وابن زحر
وهو صدوق يخطئ .

(٧٨٧) انظر : تفسير الطبرى (١٥ / ٩٩) ، أخرجه عن ابن أبى سليم عن مجاهد ،
وسنده ضعيف ، وقال الطبرى : الأول أولى ، على أن الثانى ليس بمدفوع لا من جهة النقل ،
ولامن جهة النظر ، وانظر كلام أهل العلم فى تلك المسألة فى فتح البارى (١١ / ٤٢٦ -
٤٢٧) .

714 - سورة : القيامة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

٧٨٨- الرابع : إخراج طائفة من النار . (كما) روى مسلم عن يزيد الفقير قال : كنت قد شغفني رأى من رأى الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوى عدد نريد الحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة ، فإذا جابر ابن عبد الله رضى الله عنه يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال : إذا هو قد ذكر الجهنميين قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله ﷺ : ما هذا الذى تحدثون والله تعالى يقول : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ (715) ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ (716) فما هذا الذى تقولون ؟ فقال : أتقرأ القرآن ؟ فقلت : نعم . فقال : فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعنى : الذى يبعثه الله عز وجل فيه ؟ قلت : نعم . قال : فإنه مقام محمد ﷺ الذى يخرج الله به من يخرج . وذكر الحديث .

٧٨٩- وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ وفيه : « وقد سمعته يقول فأخرجهم وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى : وجب عليه الخلود قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال : هو المقام المحمود الذى وعده نبيكم ﷺ .

الخامس : ما روى أن مقامه المحمود شفاعته رابع أربعة وسيأتى .

(٧٨٨) خبر صحيح . أخرجه مسلم (١٩١) ، والآجرى (ص / ٣٣٣ ، ٣٣٤) فى الشريعة .

715- سورة : آل عمران من الآية : ١٩٢ .

716- سورة : السجدة من الآية : ٢٠ .

(٧٨٩) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٦٥٦٥) ، ومسلم (١٩٣) ، وسبق مفصلاً برقم (٧٧٨) .

٧٩٠- فصل : إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم (الصلاة و) السلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليراحوا من هول موقفهم، فاعلم أن العلماء اختلفوا في شفاعاته وكم هي ، فقال النقاش : لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات : العامة ، وشفاعة في السبق إلى الجنة وشفاعة في أهل الكبائر . وقال ابن عطية في تفسيره : والمشهور أنهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة في إخراج المذنبين من النار ، وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء .

قال القاضي عياض : شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات : الأولى : العامة .

الثانية : إدخال قوم الجنة بغير حساب .

الثالثة : في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفعه فيهم نبينا ﷺ ، ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة ، فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقبيح .

الرابعة : فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا ﷺ محمد ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين .

قلت : وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضاً وإذا منعوها فيمن استوجب النار بذنبه وإن لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها .

الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفعها . قال القاضي عياض : وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعته الحشر الأول .
٧٩١- قلت : وشفاعة سادسة لعمه أبى طالب في التخفيف عنه ، كما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل في ضحضاح⁽⁷¹⁷⁾ من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه » فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾⁽⁷¹⁸⁾ قيل له : لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

٧٩٢- فصل : واختلف العلماء (أيضاً) هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعد النبوة صفائر من الذنوب يؤخذون بها ويعاتبون عليها ويشفقون على أنفسهم منها أم لا بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن الصفائر التي ترمى بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته إجماعاً ؟ عند القاضي أبى بكر وعند الأستاذ أبى بكر أن ذلك مقتضى دليل المعجزة وعند

(٧٩١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٦٥٦٤) ، ومسلم (٢١٠) ، وأحمد (٣ / ٩) ، (٥٠) وابن حبان (٨ / ٥٦) ، والبغوى (٣ / ١٥٤) في تفسيره ، والبيهقى (٢ / ٣٤٧) في الدلائل .

717- ضحضاح : ماء قليل لاعمق فيه والمراد : نار قليلة هادئة .

718- سورة : المدثر الآية : ٤٨ .

(٧٩٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ٣١٩) في الفتاوى ما نصه :

القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصفائر ، وهو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم ينقل عن السلف والأئمة إلا ما يوافق هذا القول وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصفائر ولا يقرون عليها ، ولا يقولون إنها لا تقع بحال فأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً ، وأعظمهم قولاً لذلك : الرافضة ، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل .

المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم فقال الطبرى وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين : تقع الصغائر منهم خلافاً للرافضة حيث قالوا : إنهم معصومون من جميع ذلك كله ، واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر لا خفاء به .

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبى حنيفة والشافعى : إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر (أجمعها) لأننا أمرنا باتباعهم فى أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة ، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة والحظر أو (المعصية) ولا يصح أن يؤمر المرء بامتنال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضاً من الأصوليين .

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراينى : واختلفوا فى الصغائر والذى عليه الأكثرون أن ذلك غير جائز عليهم ومال بعضهم إلى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة .

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى القول الأول : والذى ينبغى أن يقال : إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا ، وكل ذلك ورد فى مواضع كثيرة لا تقبل التأويل جملتها ، وإن قبل ذلك آحادها وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم وإنما تلك الأمور التى وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك فهى بالنسبة إلى غيرهم حسنات ، وفى حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم إذ قد يؤخذ الوزير بما يثاب عليه السائس فأشفقوا من ذلك فى موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة (قال) وهذا هو الحق .

ولقد أحسن الجنيد رضى الله عنه حيث قال : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فهم صلوات الله عليهم وسلامه وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم ، فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح فى رتبهم ، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم (واختارهم) واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه .

باب منه

٧٩٣- ذكر ابن المبارك قال : أخبرنا رشدين بن سعد قال : أخبرني عبد الرحمن بن زياد ، عن دخين الحجرى ، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، وذكر حديث الشفاعة وفيه فيقول عيسى عليه (الصلاة والسلام) : « أدلكم على النبى الأُمى ، فيأتون فيأذن الله لى أن أقوم فيثور من مجلسى أطيب ريح شمها أحد حتى آتى ربي فيشفعنى ويجعل لى نوراً من شعر رأسى إلى ظفر قدمى ، ثم يقول الكافر: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ؟ فيقولون : ما هو غير إبليس ، هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون : قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فإنك قد أضللتنا ، فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم يعظهم للجهنم ويقول عند ذلك : ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ﴾ (٧١٩) الآية .

(٧٩٣) حديث ضعيف . أخرجه ابن المبارك (١٠٢) فى مسنده ، والدارمى (٣٢٧ / ٢) فى سننه ، وابن جرير (١٤ / ١٣٤) فى تفسيره والطبرانى (١٧ / ٣٢٠) برقم (٨٨٧) فى الكبير ، وقال الهيثمى (١٠ / ٣٧٦) فى المجمع : فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وهو ضعيف .

وعزاه فى الدر المنثور (٤ / ٧٤) إلى ابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وابن عساكر ، وضعفه .

719- سورة : إبراهيم عليه السلام من الآية : ٢٢ .

باب من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ [يوم القيامة]

٧٩٤- البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قلت : يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد (أولى) منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه .

٧٩٥- وروى زيد بن أرقم رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قيل : يا رسول الله ما إخلاصها ؟ قال : أن تحجزه عن محارم الله « أخرجه الترمذى الحكيم في (نوادير الأصول) .



(٧٩٤) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٤٦) فى صحيحه ، وفى الأدب المفرد (٣٤٠) ، وأحمد (٢ / ٣٧٣) ، وابن سعد (٤ / ١ / ٥٦) فى طبقاته ، وابن حبان (٢٥٩٤) ، وابن أبى عاصم (٨٢٥) فى السنة .

(٧٩٥) حديث ضعيف جداً . إن لم يكن موضوعاً .

أخرجه الحكيم الترمذى (ص / ١٣ ، ٣٤٦) فى النوادر ، والطبرانى (٥٠٧٤) فى الكبير وفى «الأوسط» .

قال الهيثمى فى المجمع (١ / ١٨) فى إسناده - الأوسط - محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو وضاع ، وفى إسناده - الكبير - أبو داود نفع متروك ، وقد كذبه ابن معين ، والهيثم بن جمار ، ضعيف .

قلت : وقد أخرجه من هذا الطريق الأخير أبو نعيم (٩ / ٢٥٤) فى الحلية .

باب ما جاء في تطاير الصحف عند العرض والحساب، وإعطاء الكتب باليمين والشمال، ومن أول من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمة، وفي كيفية وقوفهم للحساب وما يقبل منهم من الأعمال، وفي دعائهم بأسماء آبائهم، وبيان قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾⁽⁷²⁰⁾ وفي تعظيم خلق الإنسان الذي يدخل الناس به النار أو الجنان، وذكر القاضي العدل، ومن نوقش عذب

٧٩٦- قال الترمذي: وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب على من حاسب نفسه في الدنيا».

٧٩٧- وقال عطاء الخراساني: يحاسب العبد يوم القيامة عند معرفة ليكون أشد عليه. ذكره أبو نعيم.

٧٩٨- البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «من حوسب يوم القيامة عذب». قالت: فقلت يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فسوف يحاسب حساباً يسيراً⁽⁷²¹⁾؟ فقال: «ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب» أخرجه مسلم والترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

720- سورة الإسراء من الآية: ٧١.

(٧٩٦) خبر صحيح. أخرجه أحمد (ص / ١٤٩) في الزهد، وابن أبي شيبة (٨ / ١٤٩) في مصنفه، وابن المبارك (٣٠٦) في الزهد، والترمذي (٢٥٧٧)، وأبو نعيم (١ / ٥٢) في الحلية.

(٧٩٧) إسناده ضعيف. أخرجه أبو نعيم (٥ / ١٩٧) في الحلية، في سنده عثمان بن عطاء، وهو من الضعفاء.

(٧٩٨) حديث صحيح. سبق تخريجه.

721- سورة الانشقاق، الآيتان: ٧، ٨.

٧٩٩- أبو داود الطيالسي قال : حدثنا عمر بن العلاء الشكري قال :
حدثني صالح بن سرج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت
عائشة رضي الله عنها تقول وذكر عندها القضية ، فقالت : سمعت رسول
الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما
يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قط » .

٨٠٠- الترمذي عن الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان :
فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ
بشماله » قال أبو عيسى : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع
من أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد رواه بعضهم عن علي بن علي الرفاعي
عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ .

قلت : قوله : وقد رواه بعضهم هو وكيع بن الجراح . ذكره ابن ماجه
قال : « حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا وكيع عن علي بن علي
فذكره .

قال الترمذي : وتكلم يحيى بن سعيد القطان في علي بن علي ،
وخرجه أبو بكر البزار أيضاً عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ قال :
« يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان : فجدال ، وأما الثالثة

(٧٩٩) حديث ضعيف . أخرجه الطيالسي (١٥٤٦) ، والبيهقي (١٠ / ٩٦) في سننه
الكبرى عن طريقه ، في سننه صالح بن سرج ، في عداد المجهولين ، انظر : الميزان (٢ / ٢٩٥) ،
واللسان (٣ / ١٦٩) . وأخرجه أحمد (٦ / ٧٥) ، والبيهقي (١٠ / ٩٦) في سننه من
حديث عائشة ، لكنه من نفس طريق ابن سرج ، وأخرجه ابن حبان (٧ / ٢٥٧) من هذا
الطريق .

(٨٠٠) حديث ضعيف . سبق برقم (٧٠٧) .

فتطايير الكتب يمينا وشمالاً» .

٨٠١- وذكره الترمذي الحكيم في (الأصل السادس والثمانين) قال :
فروى لنا عن رسول الله ﷺ : « أن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم
القيامة ، فأما عرضتان : فجداًل ومعاذير ، وأما العرضة الثالثة : فتطايير
الصحف ، فالجداًل لأهل الأهواء يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون
أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم إلى آدم
وإلى أنبيائه و يقيم حجته عندهم على الأعداء ، ثم يبعثهم إلى النار ، فإنه
يجب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهراً حتى لا تأخذهم الحيرة» .

٨٠٢- ولذلك قيل عن رسول الله ﷺ : « لا أحد أحب إليه المدح من
الله (تعالى) ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو
العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتبهم في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبهم حتى
يذوق وبال الحياء ويرفض عرقاً بين يديه ويفيض العرق منهم على
أقدامهم من شدة الحياء ، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم» .

٨٠٣- وذكر أبو جعفر العقيلي من حديث يغنم بن سالم ، عن أنس
بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الكتب كلها تحت العرش فإذا
كان يوم الموقف بعث الله ريحاً فتطيرها بالآيمان والشمائل أول خط فيها :
﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾⁽⁷²²⁾ .

(٨٠١) حديث ضعيف . أخرجه الحكيم كما في النوادر (ص / ١٢٦) ، وانظر رقم
(٧٠٧) .

(٨٠٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٩ / ١٥١) ، ومسلم (٢٧٦٠) ، وأحمد (١
/ ٣٨١ ، ٤٣٦) ، والترمذي (٣٥٣٠) ، والبيهقى (١٠ / ٢٢٥) في سننه الكبرى .
(٨٠٣) حديث موضوع . أخرجه العقيلي (٤ / ٤٦٨) في الضعفاء الكبير ، وقال : يغنم
منكر الحديث ، قلت : وقد اتهم بالوضع كما في المجروحين (٣ / ١٤٥) والميزان (٤ /
٤٥٩) .

722- سورة الإسراء الآية : ١٤ .

٨٠٤- أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله ﷺ : « ما يبكيك » ؟ قلت : ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال : « أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا . عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز » (723).

٨٠٥- وذكر أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب ، عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول من يعطى كتابه يمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس فقليل له : أين يكون أبو بكر يا رسول الله ؟ قال : « هيهات ، زفته الملائكة إلى الجنان » .

٨٠٦- وخارج الحافظ أبو القاسم بن عبد الرحمن بن مسنده فى (٨٠٤) حديث حسن . أخرجه أحمد (٦ / ١٠١) ، وأبو داود (٤٧٥٥) والحاكم (٤ / ٥٧٨) من طريق الحسن عن عائشة .
وفيه عننة الحسن ، وهو مدلس ، لكنه توبع عند أحمد (٦ / ١١٠) فقد أخرجه من طريق ابن لهيعة عن ابن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة وهذا سند حسن فى الشواهد .
وأخرجه ابن أبي شيبة (٨ / ١٤٠ فى الزهد) من مصنفه عن الشعبي عن عائشة والشعبي عن عائشة مرسل ، كما قال ابن معين .

723- يجوز : أى يمر على الصراط .

(٨٠٥) حديث موضوع . أخرجه الخطيب (١١ / ٢٠٢) فى تاريخه ، فى سنده عمر بن إبراهيم الكردى ، اتهمه الدارقطنى بالكذب ، وقال الخطيب : غير ثقة ، يروى المناكير عن الأثبات ، انظر : الميزان (٣ / ١٨٠) .
ويراجع الموضوعات (١ / ٣٢٠) لابن الجوزى ، اللآلى المصنوعة (١ / ١٥٦) للسيوطى .
(٨٠٦) حديث ضعيف . أخرجه ابن منده فى التوحيد ، والديلمى فى مسنده كما فى الكنز (٣٨٩٩٢) ، وإتحاف السادة (٤٢٣٤) .
وقال ابن السبكي : لم أجده لإسناداً .

كتاب (التوحيد) له ، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن الله تبارك وتعالى ينادى يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع : يا عبادى ، أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين ، وأسرع الحاسين ، يا عبادى ، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم ، فإنكم مسئولون محاسبون ، يا ملائكتى ، أقيموا عبادى صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب » .

٨٠٧- وأسند شمر بن عطية قال : « يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب ، وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات ، فيقول رب العزة تبارك وتعالى : صليت يوم كذا وكذا ، ليقال : فلان صلى ، أنا الله لا إله إلا أنا ، لى الدين الخالص ، صمت يوم كذا وكذا ليقال : صام فلان ، أنا الله لا إله إلا أنا ، لى الدين الخالص ، تصدقت يوم كذا وكذا ليقال : تصدق فلان ، أنا الله لا إله إلا أنا ، لى الدين الخالص ، فما زال يمحى شيء بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء ، فيقول ملكاه : ألغير الله كنت تعمل ؟ » .

٨٠٨- قلت : ومثل هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع ، وقد رفع معناه الدار قطنى فى سننه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدي الله عز وجل فيقول الله تعالى (للملائكة) : ألقوا هذا واقبلوا هذا ، فتقول الملائكة :

(٨٠٧) إسناده مقطوع . وأخرجه ابن منده فى « التوحيد » كما فى البدور السافرة (ص ٢٣٣) /

(٨٠٨) حديث ضعيف . أخرجه الدارقطنى (١ / ٥١) فى سننه ، والعقيلى (١ / ٢١٨) فى الضعفاء الكبير ، والبار والطبرانى فى الأوسط ، والأصبهاني فى الترغيب كما فى البدور السافرة (ص ٢٣٢) .

فى سننه الحارث بن غسان عن أبى عمران الجونى عن أنس ، وابن غسان من المجهولين ، انظر : الميزان (١ / ٤٤١) .

وعزتك ما رأينا إلا خيراً فيقول الله عز وجل - وهو أعلم - : إن هذا كان لغيري ولا أقبل (اليوم) من العمل إلا ما ابتغى به وجهي . خرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

٨٠٩- الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ ⁽⁷²⁴⁾ قال : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً ، ويبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأل فينطلق إلى أصحابه فيرونه من (بعيد) ، فيقولون : اللهم آتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم ، ويقول : أبشروا لكل مسلم مثل هذا ، قال : وأما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم ، ويلبس تاجاً من نار فيراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا قال : فيأتيهم فيقولون : اللهم اخزه ، فيقول : أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

٨١٠- وروى أن عيسى عليه (الصلاة و) السلام مر بقبر فوكزه برجله وقال : يا صاحب هذا القبر قم بإذن الله فقام إليه رجل ، قال : يا روح الله ما الذى أردت (منى) فإننى لقائم فى الحساب منذ سبعين سنة حتى أتتنى الصيحة الساعة أن أجب روح الله ، فقال (له) عيسى : يا هذا ، لقد كنت كثير الذنوب

(٨٠٩) حديث ضعيف . أخرجه الترمذى (٣١٣٦) ، وابن حبان (٢٥٨٨) ، والحاكم (٢)

/ (٢٤٣) ، وأبو نعيم (٩ / ١٦) في الحلية .

فى سنده عبد الرحمن بن أبى كريمة ، من المجهولين .

724- سورة : الإسراء من الآية : ٧١ .

والخطايا ما كان عملك ؟ فقال : والله يا روح الله ، ما كنت إلا خطاباً أحمل
الخطب على رأسى آكل حلالاً وأتصدق ، فقال عيسى : يا سبحان الله
خطاباً يحمل الخطب على رأسه ، يأكل حلالاً ويتصدق وهو قائم فى
الحساب منذ سبعين سنة ، ثم قال له : يا روح الله كان من تويخ ربي لى أن
قال : اكتراك⁽⁷²⁵⁾ عبدى لتحمل له حزمة ، فأخذت منها عوداً فتخللت به
وألقيته فى غير مكانه امتهاناً منك بى ، وأنت تعلم أنى أنا الله المطلع عليك
وأراك ؟!

٨١١- فصل : قال الله تعالى: ﴿وكل إنسان أئزمنلا طائر﴾⁽⁷²⁶⁾ فى
عنقه⁽⁷²⁷⁾ قال الزجاج : ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة⁽⁷²⁸⁾
للعنق ، وقال إبراهيم بن أدهم : كل آدمى فى عنقه قلادة يكتب فيها نسخة
عمله فإذا مات طويت وإذا بعث نشرت وقيل له : ﴿اقرأ كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾⁽⁷²⁹⁾ وقال ابن عباس رضى الله عنه : طائر
عمله ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيباً﴾⁽⁷³⁰⁾ قال الحسن : يقرأ الإنسان كتابه أمياً كان أو غير
أمى .

725- اكتراك : استأجرك .

(٨١١) انظر : تفسير عبد الرزاق (١٥٤٤) ، (١٥٤٥) ، وتفسير الطبرى (١٥ / ٣٩ -
٤١) ، الدر المنثور (٤ / ١٦٧ - ١٦٨) .

726- طائر : المقصود بطائر هنا عمله .

727- سورة الإسراء من الآية : ١٣ .

728- القلادة : العقد الذى يتزين به ويلف حول الرقبة .

729- سورة : الإسراء من الآية : ١٤ .

730- سورة : الإسراء الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

وقال أبو السوار العدوى : وقرأ هذه الآية ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾⁽⁷³¹⁾ قال : هما نشرتان وطية أما ما حييت يا ابن آدم ، فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت فإذا مت طويت ، حتى إذا بعثت نشرت ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها . قال الله تعالى : ﴿فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيراً﴾⁽⁷³²⁾ فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب ، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم ، قال الله تعالى : ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه﴾⁽⁷³³⁾ .

وقد تقدم القول في محاسبة الله تعالى لخلقه في يوم الحساب من أسماء القيامة ، فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه ما شاء الله تعالى على ما تقدم حفاة عراة وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها ، فمنهم من يؤتى كتابه يمينه فأولئك هم السعداء ، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره وهم الأشقياء ، فعند ذلك يقرأ كل كتابه ، وأنشدوا :
مثل وقوفك يوم العرض عرياناً مستوحشاً قلق الأحشاء حيراناً⁽⁷³⁴⁾
والنار تلهب من غيظ ومن حنق⁽⁷³⁵⁾ على العصاة ورب العرش غضباناً

731- سورة : الإسراء جزء من الآية : ١٣ .

732- سورة : الانشقاق ، الآيتان : ٧ ، ٨ .

733- سورة : المجادلة : الآية : ٦ .

734- الأحشاء : الضلوع .

735- الحنق : الغضب الشديد .

أقرأ كتابك يا عبدى على مهل
لما قرأت ولم تنكر قراءته
فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
(أقررت) إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل : خذوه يا ملائكتى
وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المشركون غدا فى النار يلتهبوا
والمؤمنون بدار الخلد سكاناً
فتوهم نفسك يا أخى إذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديت
باسمك على رؤوس الخلائق أين فلان ابن فلان هلم إلى العرض على الله
تعالى ، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء
باسمك واسم أبيك إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذ قرع النداء قلبك ،
فعلمت أنك المطلوب ، فارتعدت فرائصك ، واضطربت جوارحك ، وتغير
لونك ، وطار قلبك ، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف
بين يديه ، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت فى أيديهم وقد طار قلبك
واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك .

فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك فى يدك (صحيفتك) مخبرة بعملك
لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها ، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل
وقلب منكسر ، والأحوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك ، فكم من
بلية قد كنت نسيته (ذكرها) ، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها وقد أظهرها
وأبداها ، وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك فى ذلك
الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً ، فيا حسرة قلبك ويا أسفك
على ما فرطت فيه من طاعة ربك ﴿ فأما من أوتى كتابه يمينه ﴾ (736)
فعلم أنه من أهل الجنة ﴿ فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه ﴾ (737) (أى : هاكم)
وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه .

736- سورة :الحاقة من الآية : ١٩ .

737- سورة :الحاقة من الآية : ١٩ .

فإذا كان الرجل رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دعى باسمه واسم أبيه فيتقدم ، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات ، فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه سيئاتك وقد غفرت لك ، فيفرح عند ذلك فرحاً شديداً ، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحاً ، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض وجهه ، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل فيه ويطول ستين ذراعاً وهي قامة آدم ، ويقال له : انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فإذا أدبر قال : ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ ⁽⁷³⁸⁾ قال الله تعالى : ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ ⁽⁷³⁹⁾ : أى مرضية قد رضيها ﴿ فى جنة عالية ﴾ ⁽⁷⁴⁰⁾ فى السماء ﴿ قطوفها ﴾ : ثمارها وعناقيدها ﴿ دانية ﴾ ⁽⁷⁴¹⁾ أدنيت منهم فيقول لأصحابه : هل تعرفوننى؟ فيقولون قد غمرتك كرامة الله ، من أنت ؟ فيقول : أنا فلان ابن فلان ، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية ﴾ ⁽⁷⁴²⁾ أى قدمتم فى أيام الدنيا .

وإذا كان الرجل رأساً فى الشر يدعو إليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه نودى باسمه واسم أبيه ، فيتقدم إلى حسابيه فيخرج له كتاب أسود بخط أسود

738- سورة : الحاقة ، الآية : ٢٠ .

739- سورة : الحاقة الآية : ٢١ .

740- سورة : الحاقة الآية : ٢٢ .

741- سورة : الحاقة الآية : ٢٣ .

742- سورة : الحاقة الآية : ٢٤ .

فى باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات ، فيبدأ بالحسنات فيقرأها ويظن أنه سينجو ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخبر ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً ولا يزداد وجهه إلا سواداً ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك أي يضاعف عليه العذاب ليس المعنى أنه يزداد عليه ما لم يعمل . قال : فينظر إلى النار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سراويل القطران ، ويقال له : انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول : ﴿ يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتنى كانت القاضيه ﴾ (743) يعنى: الموت ﴿ هلك عني سلطانيه ﴾ (744) تفسير ابن عباس رضى الله عنهما هلكت عني حاجتى . قال تعالى ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ﴾ (745) أى اجعلوه يصلى الجحيم ﴿ ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾ (746) والله أعلم أى ذراع ، (قاله) الحسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما : سبعون ذراعاً بذراع الملك . وسيأتى فى كتاب (النار) لهذه السلسلة مزيد بيان ، فاسلكوه فيها أى : تدخل من فيه حتى تخرج من دبره قاله الكلبي ، وقيل : (بالعكس) ، وقيل : يدخل عنقه فيها ثم يجربها ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لأذابته فينادى أصحابه فيقول : هل تعرفوننى فيقولون : لا ، ولكن قد نرى ما

743- سورة : الحاقة الآية : ٢٥ - ٢٧ .

744- سورة : الحاقة الآية : ٢٩ س .

745- سورة الحاقة الآية : ٣٠ ، ٣١ .

746- سورة : الحاقة الآية : ٣٢ .

بك من الخزي فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان لكل إنسان منكم مثل هذا .

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فتخلع كتفه اليسرى فتجعل يده خلفه (يدخلها و) يأخذ بها كتابه ، وقال مجاهد : يحول وجهه في موضع قفاه فيقرأ كتابه كذلك ، فتوهم نفسك إن كنت من السعداء وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه ، قد حل لك الكمال والحسن والجمال ، كتابك في يمينك آخذ بضبعيك ^٢ ملك ينادى على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

أما إن كنت من أهل الشقاوة فيسود وجهك وتتخطى الخلائق ، كتابك في شمالك أو من وراء ظهرك تنادى بالويل والثبور وملك آخذ بضبعيك ينادى على رؤوس الخلائق ، ألا إن فلان ابن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً .

٨١٢- قلت : قوله : ألا إن فلان ابن فلان دليل على أن الإنسان يدعى في الآخرة باسمه واسم أبيه ، وقد جاء صريحاً من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم » . أخرجه أبو نعيم الحافظ . قال : حدثنا أبو عمر بن حمدان الحافظ قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا زكريا بن يحيى قال : حدثنا هشيم عن داود بن عمرو عن عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء فذكره .

^٢ ضبعيك : عضدك

(٨١٢) حديث ضعيف . أخرجه أحمد (٥ / ١٩٤) ، وأبو داود (٤٩٤٨) ، وابن حبان (٧ / ٥٢٨) ، والدارمي (٢ / ٢٩٤) ، والبخاري (٣٣٦٠) في شرح السنة ، وأبو نعيم (٥ / ١٥٢) ، (٩ / ٥٨) في الحلية .
فيه عبد الله بن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء ، فهو منقطع ، وهو من أنواع الضعيف .

باب في قوله تعالى : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود

وجوه﴾ [747]

٨١٣- الترمذى عن أبي غالب قال : رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على برج دمشق ، فقال أبو أمامة : « كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه » ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ إلى آخر الآية فقلت لأبى أمامة الباهلى : أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً حتى عد سبعا ما حدثتكموه ، قال : هذا حديث حسن .

٨١٤- وخرج أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب ، عن مالك ابن (سليمان) الهروى أخى غسان ، عن مالك بن أنس ، عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ قال : يعنى تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة . (قال أبو بكر: منكر من حديث مالك . قال المؤلف رضى الله عنه: هذا قول ابن عباس وغيره فى الآية تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة) .

747- سورة آل عمران من الآية : ١٠٦

(٨١٣) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٥ / ٢٥٣ ، ٢٦٩) ، وعبد الرزاق (١٨٦٦٣) فى مصنفه ، والترمذى (٤٠٨٦) ، وابن ماجه (١٧٦) ، والحاكم (٢ / ١٤٩) ، والطبرانى (٨٠٣٣) ، (٨٠٣٤) ، (٨٠٥٣) ، (٨٠٣٦) ، (٨٠٣٧) فى الكبير ، والبيهقى (٨ / ١٨٨) فى سننه الكبرى ، من طرق عن أبى أمامة .
(٨١٤) حديث ضعيف ، أخرجه الخطيب فى « الرواة عن مالك » من طريق مالك بن سليمان الهروى عن مالك عن نافع عن ابن عمر .
وقال الخطيب : منكر من حديث مالك انظر : تفسير القرطبى (٤ / ١٠٨) فيه الهروى ضعفه الدار قطنى وغيره كما فى الميزان (٣ / ٤٢٧) .
وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى ، ولا يصلح شاهداً .

٨١٥- وقال مالك بن أنس رضى الله عنه هي في أهل الأهواء . وقال الحسن هي في المنافقين ، وقال قتادة في المرتدين ، وقال أبى بن كعب هي في الكفار وهو اختيار الطبرى . اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجوهنا يوم تسود وجوه أعدائك بحق رسلك وأنبياك وأصفياك بفضلِكَ يا ذا الفضل العظيم وكرمك يا كريم .

باب فيه قوله تعالى ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ الآية

٨١٦- ابن المبارك قال : أخبرنا الحكم أو أبو الحكم - شك نعيم - عن إسماعيل بن عبد الرحمن ، عن رجل من بنى أسد قال : قال عمر لكعب: ويحك يا كعب حدثنا من حديث الآخرة قال نعيم : يا أمير المؤمنين إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله قال ، ثم يوتى بالصحف التى فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش وذلك قوله تعالى ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ (748) قال السدى : الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك «إلا أحصاها» قال كعب: ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه يمينه فينظر فيه فحسانته باديات للناس وهو يقرأ سيئاته فذكر معنى ما تقدم .

(٨١٥) انظر : تفسير الطبرى (٤ / ٢٧) ، تفسير القرطبي (٤ / ١٠٩) ، الدر المنثور (٢ / ٦٣) ، البدور السافرة (ص / ٢٤٤) .
(٨١٦) إسناده ضعيف . وأخرجه ابن المبارك (٣٩٦) كما فى زوائد الزهد ، فيه جهالة أحد رواته ، وأورده القرطبي (١٠ / ٢٧٢) فى تفسيره .
748- سورة : الكهف من الآية : ٤٩ .

٨١٧- وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ - هذه الآية يقول : يا ويلنا ضجوا إلى الله من الصغائر قبل الكبائر .

٨١٨- قال ابن عباس رضى الله عنه : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك يعنى ما كان من ذلك فى معصية الله .

٨١٩- وقد روى أن النبى ﷺ ضرب بصغائر الذنوب مثلاً فقال : «إنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل منهم يحتطب فجعل الرجل يجيء بالعود والآخر بالعودين، حتى جمعوا سواداً وأججوا⁽⁷⁴⁹⁾ ناراً فشؤوا خبزهم ، وأن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله ، واتقوا محقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً .

٨٢٠- أنبأنا الشيخان أبو محمد عبد الوهاب القرشى (والفقيه) الإمام أبو الحسن الشافعى قالا: أخبرنا السلفى قال: أخبرنا الثقفى (قال)، أخبرنا أبو طالب

(٨١٧) انظر : تفسير القرطبى (١٠ / ٢٧٢) فقد أورده هنالك .

(٨١٨) إسناده ضعيف . أخرجه ابن أبى الدنيا (٢٩٠) فى الصمت ، وفى سنده الضحاك لم يدرك ابن عباس ، وأخرجه الطبرى (١٥ / ١٦٨) فى تفسيره من طريق آخر ، وفى سنده زياد بن عمرو من المجهولين كما فى اللسان (٢ / ٤٩٦) .

وأخرجه ابن مردويه ، وابن أبى حاتم كما فى الدر المنثور (٤ / ٢٢٦) .

وانظر : تفسير البغوى (٣ / ١٦٦) ، وتفسير القرطبى (١٠ / ٢٧٢) .

(٨١٩) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٥ / ٣٣١) ، والطبرانى (٥٨٧٢) فى الكبير ،

وفى الصغير (٢ / ٤٩) ، وابن أبى الدنيا (٣) فى التوبة بتحقيقى ، والبغوى (٣ / ١٦٦) فى تفسيره .

وقال الهيثمى فى الجمع (١٠ / ١٩٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والطبرانى فى الثلاثة من طريقين ، ورجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة .

وفى الباب عن عائشة رضى الله عنها .

749- أججوا ناراً : أشعلوا ناراً .

(٨٢٠) حديث صحيح . انظر السابق .

محمد بن (محمد بن أحمد بن) محمش الزيادي إملاء بنيسابور قال : أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي قال : أخبرنا محمد بن حماد الأبيوردي قال : أخبرنا أنس بن عياض الليثي ، عن أبي حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » غريب من حديث أبي حازم سلمة بن دينار تفرد به عنه أبو ضمرة أنس بن عياض الليثي ، ولقد أحسن القائل :

خل الذنوب صغيرها	وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق	أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة	إن الجبال من الحصى

وقال جماعة من العلماء : إن الذنوب كلها كبائر ، قال بعضهم : لا تنظر إلى صغر الذنوب ، ولكن انظر من عصيت فهي من حيث المخالفة كبائر ، والصحيح أن فيها صغائر وكبائر ليس هذا موضع الكلام في ذلك ، وقد بيناه في سورة النساء في كتاب جامع أحكام القرآن ، والله أعلم .

باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى : ﴿ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كَدَّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (750) وقال : ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (751) وقال : ﴿ قَدْ بَلَغَ أُولَئِكَ مَآلَهُمْ رَبِّي لَتَبْعَثَنَّهُمْ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (752)

750 - سورة : الإسراء من الآية : ٣٦ .

751 - سورة : يونس من الآية : ٢٣ .

752 - سورة : التغابن من الآية : ٧ .

أى ما عملتموه وقال ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (753) أى سأل عن ذلك ويجازى عليه والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقال ﴿ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ﴾ (754) .

٨٢١- الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ لتسئلن يومئذ عن النعيم ﴾ قال الناس يا رسول الله : عن أى نعيم نسأل ، فإنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا (755) ؟ قال : « إن ذلك سيكون »

٨٢٢- وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد » قال الترمذى : حديث غريب .

٨٢٣- وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش ، عن أبى وائل 753- سورة : الزلزلة الايتان : ٧ ، ٨ .

754- سورة : التكاثر الآية : ٨ .

(٨٢١) حديث حسن . أخرجه الترمذى (٣٥٧٧) ، (٣٥٧٨) ، وأحمد (١ / ١٦٤) ، (٥ / ٤٢٩) ، وابن أبى شيبة (١٣ / ٢٢١) فى مصنفه ، والطبرى (٣٠ / ١٨٦) فى تفسيره ، والطبرانى كما فى المجمع (٧ / ١٤٢) ، والبيهقى (٤٥٩٨) فى شعب الإيمان ، وعبد بن حميد كما فى الدر المنثور (٦ / ٢٨٨) .

من حديث أبى هريرة ، والزبير ، ومحمود بن لبيد رضى الله عنهم أجمعين .

755- عواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين المنكب والعنق (الكتف) .

(٨٢٢) حديث صحيح . أخرجه الترمذى (٣٥٧٩) ، وأحمد (ص / ٤٠) فى الزهد ، وابن حبان (٩ / ٢٢٨) ، والطبرى (٣٠ / ١٨٦) فى تفسيره ، والبغوى (٧ / ٢٨٦) فى تفسيره ، والبيهقى (٤٦٠٧) فى الشعب ، والخطيب (٧ / ٢٢٤) فى تاريخه . وعزه فى الدر المنثور (٦ / ٣٨٨) إلى عبد بن حميد ، وابن مردويه .

(٨٢٣) حديث ضعيف . أخرجه أبو نعيم (١ / ٣٧٦) ، (٤ / ١٠٧) ، (٨ / ٢١٢) فى الحلية ، وقال: غريب من حديث الأعمش وابن السماك لم نكتبه إلا من هذا الوجه وأخرجه =

شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يخطو خطوة إلا سئل عنها ما أراد بها » .

٨٢٤- مسلم عن أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن جسده فيم أبلاه ؟ وعن عمله ما عمل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ » خرجه الترمذى ، وقال فيه : حديث حسن صحيح ، ورواه عن ابن عمر عن ابن مسعود رضى الله عنهما عن النبي ﷺ وقال فيه : حديث غريب لا أعرفه إلا من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس ، والحسين يضعف في الحديث .

٨٢٥- وفي الباب عن أبي برزة وأبي سعيد ، قلت : ومعاذ بن جبل أخبرنا الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب بثغر الإسكندرية قراءة عليه قال : قرأ على البيهقي وأنا أسمع قال : حدثنا الحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلاف ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران المعدل ، وقال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى بمكة في شوال سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة قال : أخبرنا أبو سعيد الفضل بن محمد الجندی إملاء في المسجد الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين قال : أخبرنا صامت بن معاذ الجندی ، (قال : حدثنا) عبد الحميد عن سفيان بن سعد الثوري ، عن صفوان بن سليم ، عن عدى ابن عدى عن الصنابجى ، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن =الدليلى فى الفردوس (٦٠٤٧) . ضعفه المناوى فى الفيض (٨٠٦٦) وقال : شقيق إن

كان الضبى فخارجى ، أو الأسدى ، أو حيان فمجهول ذكره الذهبى .

وضعه الألبانى كما فى ضعيف الجامع (٥٢٠٦) .

(٨٢٤) ، (٨٢٥) حديث حسن سبق برقم (٧١٤) .

عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن عمله ماذا عمل فيه؟» .

٨٢٦- وخرج الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ، (حدثنا) أحمد بن خالد الحلبي ، (حدثنا) يوسف بن يونس الأقطس قال: (حدثنا) سليمان بن بلال ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله » .

٨٢٧- مسلم عن صفوان بن محرز قال : قال رجل لابن عمر رضي الله عنه . كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ قال : سمعته يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ، فيقول هل تعرف ؟ فيقول : رب أعرف . قال فيقول : إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . قال : فيعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار والمنافقون ، فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله . أخرجه البخاري وقال في آخره : ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ (756) .

٨٢٨- وروى من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة خلا الله عز وجل بعبد المؤمن يوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً ، ثم يغفر الله له لا يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل وستر عليه من ذنوبه ما يكرهه أن يقف عليها ثم يقول

(٨٢٦) حديث ضعيف . سبق برقم (٧١٥) .

(٨٢٧) حديث صحيح . سبق برقم (٧١٠) .

756- سورة: هود من الآية : ١٨ .

(٨٢٨) لم أقف عليه ، ويغنى عنه السابق واللاحق .

لسيئاته كوني حسنة .

قال المؤلف (رضي الله عنه): خرج مسلم بمعناه وسيأتي آنفاً إن شاء الله تعالى.

٨٢٩- وخرج أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الختلى في كتاب الدياج له . حدثنا هارون بن عبد الله قال : حدثنا سيار قال : حدثنا جعفر قال : حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « يذني الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول له : اقرأ يا ابن آدم كتابك قال : فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ، ويمر بالسيئة فيسود لها وجهه ، قال : فيقول الله تعالى له : أتعرف يا عبدى ؟ قال : فيقول نعم يا رب أعرف ، قال : فيقول : (فإنى) أعرف بها منك، قد غفرتها لك ، قال : فلا تزال حسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد ، فلا يرى الخلائق منه إلا ذلك حتى ينادى الخلائق بعضها بعضاً طوبى لهذا العبد الذى لم يعص قط فلا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله تعالى مما قد وقفه عليه .

٨٣٠- قلت : نسخة من هنا إلى الفصل قوله: لا يزول ، أخبرنا الشيخ الراوية القرشى عبد الوهاب قراءة عليه بثغر الإسكندرية حماء الله ، قال : قرئ على الحافظ السلفى ، وأنا أسمع ، قال : حدثنا الحاجب أبو الحسن بن العلاء ، وقال : أخبرنا أبو القاسم بن بشران ، أخبرنا الآجرى ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى السونيطى . حدثنا أحمد بن أبي رجاء المصيصى ، حدثنا وكيع بن الجراح ، حدثنا الأعمش عن المعرور

(٨٢٩) خير حسن . أخرجه عبد الله بن أحمد (ص / ٢١٥) في زوائد الزهد ، وانظر : شرح الصدور (ص / ٢١٣) .

(٨٣٠) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٩٠) ، وأحمد (٥ / ١٥٧) وأبو عوانة (١ / ١٧٠) ، والبغوى (٤٣٦٠) في شرح السنة .

ابن سويد ، عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبأ كبارها ، فيقال له : عملت يوم كذا وكذا ثلاث مرات ، قال : وهو يقر ليس ينكر قال : وهو مشفق من الكبائر أن تجيء قال : فإذا أراد الله به خيراً قال : أعطوه مكان كل سيئة حسنة ، فيقول حين طمع : يا رب إن لى ذنباً ما رأيته ها هنا ، قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . ثم تلا ﴿ فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ ⁽⁷⁵⁷⁾ أخرجه مسلم فى

صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نمير قال : حدثنا الأعمش فذكره .

٨٣١- فصل : قوله : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل » : عام لأنه نكرة فى سياق النفى لكنه مخصوص بقوله عليه (الصلاة و) السلام ، « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب » على ما يأتى .

٨٣٢- وبقوله لمحمد عليه (الصلاة و) السلام : أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن الحديث وقد تقدم .

وبقوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُ الْجَنَّةَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ ⁽⁷⁵⁸⁾ (على ما يأتى) قوله عليه (الصلاة و) السلام : « وعن عمله ما عمل فيه » .

757- سورة : الفرقان من الآية : ٧٠ .

(٨٣١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٨ / ١٢٤) ، ومسلم (٢١٧) ، وأحمد (١ / ٣٢١) ، (٢ / ٣٥١ ، ٤٠٠ ، ٤٥٦) ، (٤ / ٤٣٦ ، ٤٤١) ، (٥ / ٣٣٥) ، وأبو عوانة (١ / ١٤٠) وابن سعد (٧ / ١٩٤) ، وابن أبي الدنيا (٩) فى التوكل على الله ، والبيهقى (٩ / ٣٤١) فى سننه الكبرى من حديث ابن عباس ، وأبى هريرة وعمران بن حصين رضى الله عنهم أجمعين .

(٨٣٢) حديث صحيح . سبق برقمى (٧٢٠) ، (٧٧٦) .

758- سورة : الرحمن ، الآية : ٤١ .

قلت : هذا مقام مخوف لأنه لم يقل وعن عمله ما قال فيه ، وإنما قال: ما عمل فيه فلينظر العبد ما عمل فيما علمه هل صدق الله في ذلك وأخلصه حتى يدخل فيمن أثنى الله (تعالى) عليه بقوله ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ (759) أو خالف علمه بفعله فيدخل في قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ﴾ (760) الآية وقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾ (761) وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ (762)

٨٣٣- والأخبار في هذا المعنى كثيرة ، وسيأتي ذكرها في أبواب النار إن شاء الله تعالى ، وقوله «حتى يضع عليه كنفه» أي ستره ولطفه وإكرامه (فيخاطبه) خطاب الملائكة ويناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول:

759- سورة : البقرة من الآية : ١٧٧ .

760- سورة : الأعراف من الآية : ١٦٩ .

761- سورة : البقرة من الآية : ٤٤ .

762- سورة : الصف الآيتان : ٢ ، ٣ .

(٨٣٣) إسناده ضعيف . أخرجه أبو نعيم (٥ / ٢٢٦) في الحلية ، وانظر : البدور السافرة (ص / ٢١٤) .

في سنده سليم بن منصور تكلم فيه ، والده منصور بن عمار أحد الضعفاء ، وأسباط منكر الحديث ، فهو مسلسل بالضعفاء .

انظر : الميزان (١ / ١٧٥) ، (٢ / ٢٣٢) ، (٤ / ١٨٧) .

هل تعرف ؟ فيقول : رب أعرف ، فيقول الله تعالى : ممتناً عليه ومظهرها فضله لديه : فإننى قد سترتها عليك فى الدنيا أى لم أفضحك بها فيها ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم قيل : هذه ذنوب تاب منها . كما ذكره أبو نعيم عن الأوزاعى عن بلال بن سعد قال : إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب منها .

قال المؤلف (رضى الله عنه): ولا يعارض هذا ما فى التنزيل والحديث من أن السيئات تبدل بالتوبة حسنات ، فلعل ذلك (يكون) بعد ما يوقفه عليها والله أعلم .

وقيل: فى صفائى اقترفها ، وقيل : كبائر بينه وبين الله تعالى اجترحها ، وأما ما كان بينه وبين العباد فلا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات على ما يأتى وقيل : ما خطر بقلبه ما لم يكن فى وسعه ويدخل تحت كسبه ، ويثبت فى نفسه وإن لم يعمل به وهذا اختيار الطبرى والنحاس وغير واحد من العلماء جعلوا الحديث مفسراً بقوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ (763) فتكون الآية على هذا محكمة غير منسوخة والله أعلم .

قد بينا فى كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة ، وآى الفرقان والحمد لله .

763- سورة : البقرة من الآية : ٢٨٤ .

٨٣٤- وروى عن ابن مسعود أنه قال : « ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة » وهذا مأخوذ من حديث النجوى ، ومن قوله عليه الصلاة والسلام: « لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » أخرجه مسلم .

٨٣٥- وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة .

٨٣٦- « وروى » من ستر على مسلم عورته ، ستر الله عورته يوم

القيامة» .

(٨٣٤) حديث صحيح .

أخرجه مسلم (٢٥٩٠) ، وأحمد (٤٠٤ / ٢) ، وابن أبي شيبة (٨٢ / ٩) ، والحاكم (٣٨٤ / ٤) ، وفي الباب عن عائشة وغيرها .
(٨٣٥) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٦٩٩) ، وأحمد (٢٥٢ / ٢) ، وأبو داود (٤٩٤٦) ، والترمذي (١٤٢٥) ، وابن ماجه (٢٢٥) ، وابن أبي الدنيا (١١٢) في قضاء الحوائج بتحقيقى ، والبغوى (١٢٧) في شرح السنة ، وابن عبد البر (٣٣٧ / ٥) في التمهيد .
(٨٣٦) حديث حسن لغيره أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس ، وفيه الجمعى ، وهو ضعيف ، وأخرجه أحمد (١٥٩ / ٤) من حديث عقبة بن عامر وفيه انقطاع ، وأخرجه الطبرانى (١٥٨ / ١٩) في الكبير من حديث كعب بن عجرة وفيه مجهول ، وليث بن أبى سليم من الضعفاء ، وأخرجه الطبرانى في الكبير كما فى المجمع (١٩٣ / ٨) من حديث =

٨٣٧- قال أبو حامد : فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ، ولم يحرك لسانه بذكر مساوئ الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة .

٨٣٨- فصل : وفي قوله : «سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم نص منه تعالى على صحة قول أهل السنة في ترك إنفاذ الوعيد على العصاة من المؤمنين ، والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم : ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ولا أخشى من روعة التهديد (764) وإنى متى أوعده أو وعدته لخلف إيعادى ومنجز موعدى (765) قال ابن العربى : إنه كذلك عند العرب ، وأما ملك الملوك القدوس الصادق فلا يقع أبدا خبره إلا على وفق مخبره كان ثواباً أو عقاباً ، فالذى قال المحققون في ذلك قول بديع ، وهو أن الآيات وقعت مطلقة في الوعد والوعيد عامة فخصصتها الشريعة ، وبينها البارى تعالى في كتابه في آيات أخر ، كقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

= أبى هريرة ، وكذا في الأوسط ، وفيه عبيد الله بن زحر ، وقد وثقه جماعة ، وضعفه آخرون ، وبقية رجاله ثقات ، قاله الهيثمى .

(٨٣٧) انظر : البدور السافرة (ص / ٢٢٣) .

764- الصولة : السطو وضرب الناس والتطاول عليهم .

التهديد : تخويف الغير له .

765- أوعد : التوعد : يستخدم في الشر عادة .

والوعد : يستعمل في الوعد بالخير بخلاف أوعد .

منجز : محقق ما قطعته على نفسه من وعد .

يشاء ﴿٧٦٦﴾ وقوله تعالى: ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ ﴿٧٦٧﴾
الآية وكقوله تعالى: ﴿حمر تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو﴾ ﴿٧٦٨﴾ وبالشفاعة التي
أكرم الله (تعالى) بها (محمداً ﷺ) ومن شاء من الخلق من بعده .

باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

٨٣٩- مسلم عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « ما
منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا
يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى
إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » زاد ابن حجر قال الأعمش:
وحدثني عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدى مثله وزاد فيه « ولو بكلمة
طيبة ». أخرجه البخاري والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .
٨٤٠- ابن المبارك قال : (أنبأنا) إسماعيل بن مسلم، عن الحسن وقتادة
، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يجاء بابن آدم يوم القيامة فيوقف
بين يدي الله تعالى فيقول له: أعطيتك وخولتك ﴿٧٦٩﴾ وأنعمت عليك، فماذا

766- سورة: النساء من الآية: ٤٨ ، والآية: ١١٦ .

767- سورة: الرعد من الآية: ٦ .

768- سورة: غافر الآيات ، ١- ٣ .

(٨٣٩) حديث صحيح . سبق برقم (٧٣١) .

(٨٤٠) حديث ضعيف . سبق برقم (٧٠٨) .

769- خولتك : بمعنى أعطيتك ، وقيل : إعطاء المال تفضلاً وتمليكاً إياه .

صنعت ؟ فيقول : يا رب ، جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعني آتيك به ، فيقول الله تعالى : أرني ما قدمت . فيقول : فإذا عبد لم يقدم خيراً فيمضى به إلى النار » خرجه ابن العربي في سراج المريدين وزاد فيه بعد قوله كأنه بذج . وقال فيه حديث صحيح من مراسيل الحسن ، وقال الهروي : كأنه (بذج) من الذل .

قال أبو عبيد : هو ولد الضأن وجمعه : بذجان . وقال الجوهري : البذج من الضأن بمنزلة العقود من أولاد المعز وأنشدوا :

قد هلكت جارتنا من الهمج وإن تجع تأكل عقوداً أو بذج قلت : قوله : ما منكم من أحد مخصوص بما ذكرناه في الباب قبل أي ما منكم ممن لا يدخل الجنة بغير حساب من أمتي إلا وسيكلمه الله ، والله أعلم . فتفكر في عظيم حياتك إذا ذكرك ذنوبك شقاها إذ يقول : يا عبدی أما استحييت مني فبارزتنی بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادي واستخففت بنظري إليك فلم تكثر (770) به ، واستعظمت نظر غيري ألم أنعم عليك فماذا غرك بي ؟ .

٨٤١- وعن ابن مسعود قال : « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، ثم يقول : يا ابن آدم ما غرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيباً على أذنك ؟ وهكذا عن سائر الأعضاء فكيف ترى حيائك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك ؟ فإن أنكرت شهدت عليك 770- فلم تكثر به : أي لم تبأوتهم به .

(٨٤١) خبر صحيح . أخرجه ابن المبارك (٣٨) في الزهد ، وأبو نعيم (١ / ١٣١) في الحلية ، والطبراني (٨٨٩٩) ، (٨٩٠٠) في الكبير ، وانظر : مجمع الزوائد (١٠ / ٣٤٧) .

جوارحك ، فنعود بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله وعد (المؤمنين) أن يستر (عليهم) ، ولا يطلع (عليهم) غيره كما ذكرنا ، وذلك بفضل منه

وهل يكلم الكفار عند المحاسبة لهم؟ فيه خلاف تقدم بيانه فى أسماء القيامة ويأتى أيضاً فى باب ما جاء فى شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ، ولقائهما بالله عز وجل مستوفى إن شاء الله تعالى .

٨٤٢- فصل : فإن قيل : أخبر الله تعالى عن الناس أنهم مجزيون محاسبون ، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء فما القول فى ذلك عندكم ؟ وهل يكلمهم الله؟ فالجواب: أن الله تعالى أخبر أن الإنس والجن يسألون فقال خبراً عما يقال لهم : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ (٧٧١) الآية وهذا سؤال فإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله ، ولما

كانت الجن ممن يخاطب ويعقل ، قال « منكم » وإن كانت الرسل من الإنس وغلب الإنس فى الخطاب كما تغلب المذكر على المؤنث ، وأيضاً لما كان الحساب عليهم دون الخلق قال : « منكم » فيصير الرسل فى مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتها عرصة القيامة ، فلما صاروا فى تلك العرصة فى حساب واحد فى شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة لأن بدء خلقهم للعبودية كما قال

(٨٤٢) انظر : البدور السافرة (ص / ٢٢٤ - ٢٥٥) نقلاً عن المصنف .

٧٧١- سورة : الأنعام من الآية : ١٣٠ .

تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾⁽⁷⁷²⁾ والثواب والعقاب على العبودية إلا أن الجن أصلهم من مارج⁽⁷⁷³⁾ من نار، وأصلنا من تراب وخلقهم غير خلقنا ، ومنهم مؤمن وكافر ، وعدونا إبليس عدو لهم يعادى مؤمنهم ويوالى كافرهم ، وفيهم أهواء شيعية، وقدرية ومرجئة وهو معنى قوله: ﴿كنّا طرائق قدداً﴾⁽⁷⁷⁴⁾ .

وقيل : إن الله تعالى لما قال : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ممر فيها خالدون﴾⁽⁷⁷⁵⁾ دخل في الجملة الجن والإنس ، فثبت للجن من وعد الجنة لعموم الآية ما ثبت للإنس .
فإن قيل : فما الحكمة في ذكر الجن مع الإنس في الوعيد وترك إفراده الإنس عنهم في الوعد ؟

فالجواب :أنهم قد ذكروا أيضاً في الوعد لأنه سبحانه يقول: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمر قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾⁽⁷⁷⁶⁾ ثم قال: ﴿ولكن درجات مما عملوا﴾⁽⁷⁷⁷⁾ وإنما أراد لكل من الإنس والجن فقد ذكروا في الوعد مع الإنس .
فإن قيل :فقد ذكر يخاطب الجن والإنس في النار لأن الله تعالى قال : ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق﴾ إلى قوله ﴿ولو لموا

772- سورة: الذاريات من الآية : ٥٦ .

773- المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب ، أو هو اللهب المختلط بسواد .

774- سورة: الجن من الآية : ١١ .

775- سورة: البقرة ، الآية : ٨٢ .

776- سورة: الأحقاف ، الآية : ١٨ .

777- سورة: الأحقاف من الآية : ١٩ .

أنفسكم ﴿٧٧٨﴾ (قال تعالى): ﴿وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ ﴿٧٧٩﴾ ولم يأت عن تفاوض الفريقين في الجنة خبر . قيل : إنما ذكر من تفاوضهم في النار أن الواحد من الإنس يقول للشيطان الذي كان قرينه في الدنيا: إنه أظفاني وأضلني فيقول له قرينه: ربنا ما أطغيته ولكنه كان ضالاً بنفسه ولا سبب بين الفريقين يدعو أهل الجنة فيهما إلى التفاوض فلذلك سكت عنهما ، وأيضاً فإن الله تعالى أخبر الناس أن عصاتهم يكونون قرناء الشياطين يتخاصمون في النار ليزجرهم بذلك عن التمرد والعصيان ، وهذا المعنى مقصود في الأخبار ، فلهذا سكت عن ذلك في الوعد .

باب القصاص يوم القيامة ممن استطال فك حقوق الناس وفك حبسه لهم حتك ينصفوا منه

٨٤٣- مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
«لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء» (780) من
الشاة القرناء» (781).

778- سورة: إبراهيم من الآية : ٢٢ .

779- سورة: ق ، الآية : ٢٧ .

(٨٤٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٥٨٢) ، وأحمد (٢ / ٢٣٥ ، ٣٠١ ، ٣٦٣) ، والبخارى (١٨٢) في الأدب المفرد ، والترمذى (٢٤٢٠) ، وابن أبي الدنيا .
(١٨٥) في الأهل ، والبيهقى (٦ / ٩٣) في سننه الكبرى .

780- الجلحاء : التى لا قرن لها من الحيوان .

781- القرناء: التى لها قرن من الحيوان .

٨٤٤- البخارى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

٨٤٥- مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفلس من أمتى ، من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » .

٨٤٦- وخرج ابن ماجه ، حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء ، حدثنا عمى محمد بن سواء عن حسين المعلم ، عن مطر الوراق ، عن نافع ، عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته ، ليس ثم دينار ولا درهم من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله » .

(٨٤٤) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣ / ١٧٠) ، وأحمد (٢ / ٤٣٥) ، (٥٠٦) ، وابن حبان (٩ / ٢٢١) ، والبيهقى (٣ / ٣٦٩) ، (٦ / ٨٣) فى سننه الكبرى .
(٨٤٥) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٥٨١) ، والترمذى (٢٤١٨) ، وابن حبان (٦ / ٢٩٦) ، (٩ / ٢٢٦) ، والطبرى (٢٨ / ٩٩) فى تفسيره ، والبلغوى (١٤ / ٣٦٠) .
فى شرح السنة .

(٨٤٦) حديث صحيح . ورد من طرق . أخرجه أحمد (٢ / ٧٠ ، ٨٢) ، وابن ماجه (٢٤١٤) ، والحاكم (٢ / ٢٧) وصححه ، وأقره الذهبى ، والبيهقى (٦٧٣٥) ، (٦٧٣٦) ، (٧٦٧٣) فى شعب الإيمان ، وأبو نعيم (٣ / ٣٠٢) فى الحلية .

٨٤٧- الحارث بن أبي أسامة ، وعن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يحشر الله العباد أو قال : الناس - شك - وأوماً بيده إلى الشام عراة غرلاً بُهْمًا ، قال : ما بهمًا ؟ قال : ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب : أنا الملك ، وأنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ، قال : قلنا : كيف وإنما نأتى الله عراة حفاة ، قال : بالحسنات والسيئات »

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا الحديث الذى أراد البخارى بقوله ، ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد .
٨٤٨- سفيان بن عيينه ، عن مسعر عن عمرو بن مرة قال : سمعت الشعبي يقول : حدثنى الربيع بن خيثم وكان من معادن الصدق قال : إن أهل الدين فى الآخرة أشد تقاضياً له منكم فى الدنيا يحبس لهم فيأخذونه فيقول : يا رب ألسنت ترانى حافياً ؟ فيقول : خذوا من حسناته بقدر الذى لهم ، فإن لم يكن له حسنات يقول : زيدوا على سيئاته من سيئاتهم .
٨٤٩- وذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث البراء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « صاحب الدين مأسور يوم القيامة بالدين » .

(٨٤٧) حديث صحيح . أخرجه البخارى تعليقا (٩ / ١٧٢) برقم (٧٤٨١) ، وفى الأدب المفرد (٩٧٠) ، وفى التاريخ الكبير (٧ / ١٧٠) ، وابن أبى عاصم (١ / ٢٢٥) فى السنة ، والحاكم (٢ / ٤٣٨) وصححه ، وأقره الذهبى ، وخرجته مفصلاً فى « الأحاديث القدسية » طبع بدار الصحابة .

(٨٤٨) انظر البدور السافرة (ص / ٢٨٧) نقلاً عن أبى نعيم .
(٨٤٩) حديث ضعيف . أخرجه البغوى (٢١٤٨) فى شرح السنة ، والطبرانى فى الأوسط كما فى المجموع (٤ / ١٢٩) وفيه ابن فضالة وهو مدلس وقد رواه بالنعنة ، وفيه كثير أبو محمد ، وهو من المقبولين ، وهو من يتابع على حديثه ، وإلا فلين الحديث . =

٨٥٠- وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن زاذان أبي عمر قال : دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخنز (782) واليمنة (783) قد سبقوني إلى المجلس ، فقلت : يا عبد الله ، من أجل أنى رجل أعجمى أدنيت هؤلاء وأقصيتنى ، قال : ادن فدنوت حتى ما كان بينى وبينه جليس فسمعتة يقول : يؤخذ بيد العبد أو الأمة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ، ثم ينادى مناد : هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق فليأت إلى حقه ، فتفرح المرأة بأن يدون لها الحق على ابنها أو أختها أو أبيها أو على زوجها ، ثم قرأ ابن مسعود ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ (784) ، فيقول الرب تعالى للعبد : ائت هؤلاء حقهم ، فيقول : يا رب ، ففيت الدنيا فمن أين أوتيتهم ؟ فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته ، فإن كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ (785) وإن كان عبداً شقياً قالت الملائكة : رب ففيت حسناته وبقي طالبون فيقول للملائكة . خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكاً إلى النار .

= ومن حديث سمره ، بسند فيه انقطاع ، أخرجه أحمد (٥ / ٢٠) ، وأبو داود (٣٣٤١) ، والنسائي (٧ / ٣١٥) بمعناه .

(٨٥٠) خبر حسن . أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٤٩) فى الأحوال ، وابن أبي حاتم كما فى تفسير ابن كثير (١ / ٤٩٧) ، وأبو نعيم (٤ / ٢٠٢) فى الحلية ، وابن جرير (٥ / ٥٧ ، ٥٨) فى تفسيره ، وعبد بن حميد كما فى الدر المنثور (٢ / ١٦٣) .

782- الخنز : ثياب ينسج من صوف وإبريسم (الحرير) .

783- اليمنة : ضرب من ثياب اليمن .

784- سورة : المؤمنون من الآية : ١٠١ .

785- سورة النساء : الآية : ٤٠

٨٥١- وعنه ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه ليكون للوالدين على ولدهما دين ، فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به ، فيقول : أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك » .

٨٥٢- وروى رزين عن أبي هريرة قال : كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول : مالك إلي وما بينى وبينك معرفة ؟ فيقول : كنت ترانى على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهانى . وقال ابن مسعود : تفرح المرأة يوم القيامة أن يكون لها حق وعلى أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها أو أختها ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ * .

٨٥٣- ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال : لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال : ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ فقال فتية منهم : بلى يا رسول الله ، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت على ركبتها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا . قال : يقول رسول الله ﷺ : « صدقت صدقت كيف (٨٥١) حديث ضعيف . أخرجه الطبرانى (١٠٥٢٦) فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية (٤ / ٢٠٢) فى الحلية ، وقال الهيثمى (١٠ / ٣٥٥) فى المجمع : رواه الطبرانى عن عمرو بن مخلد عن زكريا بن يحيى الأنصارى ولم أعرفهما بيقية رجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم .

(٨٥٢) انظر : البدور السافرة (ص / ٢٩١) نقلاً عن رزين .

* سورة المؤمنون من الآية : ١٠١ .

(٨٥٣) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠) ، وابن حبان (٧ / ٢٥٩) ، وابن أبى الدنيا (٢٤٣) فى الأحوال ، والخطيب (٧ / ٣٩٦) فى تاريخه .

وفى الباب عن بريدة ، وابن عباس ، ومعاوية ، وعبد الله بن عمرو ، تراجع تلك الشواهد (ص / ٢٥٠) فى الأحوال بتحقيقى .

يقدر الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم .
 ٨٥٤- فصل : أنكر بعض المتغفلة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من
 الله إعجاباً برأيهم وتحكماً على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ بعقول
 ضعيفة وأفهام سخيصة ، فقالوا : لا يجوز فى حكم الله تعالى وعدله أن يضع
 سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى
 من لم يعملها ، وهذا زعموا جوراً وأولوا قول الله تعالى : ﴿ ولا تزرزروا زررة
 وزر أخرى ﴾ (786) فكيف تصح هذه الأحاديث وهى تخالف ظاهر القرآن
 وتستحيل فى العقل ؟ .

والجواب : أن الله سبحانه وتعالى لم يبين أمور الدين على عقول العباد ،
 ولم يعد ولم يعد على ما تحتمله عقولهم ويدركونها بأفهامهم ، بل وعدوا
 وعداً بمشيئته وإرادته وأمر ونهى بحكمته ، ولو كان كلما لا تدركه العقول
 مردوداً لكان أكثر الشرائع مستحيلًا على موضوع عقول العباد ، وذلك أن
 الله (سبحانه و) تعالى أوجب الغسل بخروج المنى الذى هو طاهر عند بعض
 الصحابة وكثير من الأئمة ، وأوجب غسل الأطراف من الغائط (787) الذى
 لا خلاف بين الأئمة وسائر من يقول بالعقل وغيره فى نجاسته وقذارته وبقائه ،
 وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الغائط الكثير

786- سورة: الأنعام من الآية: ١٦٤ ، والإسراء من الآية: ١٥ ، وفاطر: الآية: ١٨ ، والزمر
 الآية: ٧ .

787- الغائط : المنخفض الواسع من الأرض يقال : ذهب . إلى الغائط ، وجاء منه : كناية
 عن التبرز .

المتفاحش ، فبأى عقل يستقيم هذا وبأى رأى تجب مساواة ربح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه وتزيد على الريح نتناً وقذراً ، وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن بعشرة دراهم ، وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك . ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار فيكون القطع فيهما سواء ، وأعطى الأم من ولدها الثلث ، ثم إن كان للمتوفى إخوة جعل لها السدس من غير أن ترث الإخوة من ذلك شيئاً ، فبأى عقل يدرك هذا إلا تسليماً وانقياداً من صاحب الشرع إلى غير ذلك ، فكذلك القصاص بالحسنات والسيئات ، وقد قال وقوله الحق ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس ﴾ (788) شيئاً الآية ، وقال : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ (789) وقال : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ (790) وهذا يبين معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أى لا تحمل حامله ثقل أخرى إذا لم تتعد ، فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها ، كما تقدم فى أسماء القيامة عند قوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ﴾ (791) .

٨٥٥- فصل : وإذا تقرر هذا ، فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه ، كما قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية

788- سورة : الأنبياء من الآية : ٤٧ .

789- سورة : العنكبوت من الآية : ١٣ .

790- سورة : النحل من الآية : ٢٥ .

791- سورة : البقرة من الآية : ٤٨ .

(٨٥٥) أثر صحيح . سبق برقم (٧٩٦) .

قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله عز وجل، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده (وسوء ظنه) بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت، ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته، وهذا يقول ظلمتني، وهذا يقول شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتنني في الغيبة بما يسوؤني وهذا يقول: جاورتنني فأسأت إلى جوارى، وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول: بايعتني وأخفيت عني عيب متاعك، وهذا يقول: كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني وأخفيت عني عيب متاعك، وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتنني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم فداهنت⁽⁷⁹²⁾ الظالم وما راعيتني، فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبتهم وأحكموا في تلايبك أيديهم، وأنت مبهور متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾⁽⁷⁹³⁾ فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبور، وتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله ﷺ حيث قال: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ إلى قوله ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم

792- داهن: بمعنى نافق، ومكر.

793- سورة غافر من الآية: ١٧.

هواء (794) .

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك (795) بأعراض الناس وتناولك أموالهم ! وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل ، وشوفهت بخطاب السيئات ، وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً ! ، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى (خصمائك) عوضاً عن حقوقهم ، كما ورد في الأحاديث المذكورة في هذا الباب .

فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة قد سلمت من آفات الرياء ومكائد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ، ويقال : لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبياً وله خصم بنصف دانق (796) لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه ، وقيل : يؤخذ بدانق قسط سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم . ذكره القشيري في (التحبير) له عند اسمه المقسط الجامع .

٨٥٦- قال أبو حامد : ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل ، لعلمت أنه لا (ينقضى) عليك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك . فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام ، (والشبهات) والتقصير في الطاعات ؟ وكيف ترجو الخلاص

794- سورة : إبراهيم . الآيتان : ٤٢ ، ٤٣ .

795- التمضمض : معناه هنا كثرة كلامك عن الناس بالغيبة والتميمة .

796- الدانق : سدس الدرهم .

من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء؟ ﴿٧٩٧﴾ ويقول الكافرياً ليتنى كنت تراباً﴾ (٧٩٧) فكيف بك يا مسكين فى يوم ترى فيه صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك؟ فتقول: أين حسناتى؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك، فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط. فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء، وظلمتهم فى المعاملة والمبالغة والمجاورة والمخاطبة، والمناظرة والمذاكرة والمدارسة، وسائر أصناف المعاملة، فاتق الله فى مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أبواب المظالم (فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الإخلاص) من حيث لا يطلع عليه إلا الله (تعالى) فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه، فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذى ادخره لأرباب المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم بإرضائهم إياهم على ما يأتى بيانه فى باب إرضاء الخصوم بعد هذا إن شاء الله تعالى.

٨٥٧- فصل: قوله فى الحديث: فيناديهم بصوت استدل به من قال:

797- سورة: النبأ من الآية: ٤٠.

(٨٥٧) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: -

سلف الأمة وأئمتها كانوا على الإيمان، الذى بعث الله به نبيه ﷺ: يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكليف ولا تمثيل. فيصفون الله بما وصف به نفسه من التكليم والمناجاة، والمناداة، وما جاءت به السنن والآثار موافقة لكتاب الله تعالى.

فلم يكن فى الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسائر أئمة المسلمين من قال: إن كلام الله مخلوق خلقه فى غيره، ولم يقم به كلام، كما قالته الجهمية من المعتزلة وغيرهم، =

بالحرف والصوت . وأن الله يتكلم بذلك تعالى الله عما يقوله المجسمون والجاحدون علواً كبيراً ، وإنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقرين بإذن الله تعالى وأمره ، ومثل ذلك سائغ في الكلام غير مستنكر أن يقول القائل نادى الأمير وبلغنى نداء الأمير كما قال تعالى ﴿ونادى فرعون فى قومه﴾ (798) وإنما المراد: نادى المنادى عن أمره وأصدر نداءه عن إذنه ، وهو كقولهم أيضاً : قتل الأمير فلاناً ، وضرب فلاناً ، وليس المراد توليه لهذه الأفعال وتصديه لهذه الأعمال ، ولكن المقصود صدورها عن أمره ، وقد ورد فى صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد فيخاطبون أهل التقى والرشد : ألا إن فلان ابن فلان كما تقدم .

٨٥٨- ومثله ما جاء فى حديث التنزيل مفسراً فيما أخرجه النسائي

= بل لما أظهروا هذه البدعة ، اشتد نكير السلف والأئمة لها . انظر الفتاوى (٦ / ٥١٨) . وقال أيضاً رحمه الله : وليس من طوائف المسلمين من أنكر أن الله يتكلم بصوت إلا ابن كلاب ، ومن اتبعه .

ولمزيد من التفصيل عليك بالرجوع إلى الفتاوى (١٢ / ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٥٣١) ، (١٣ / ١٥٦) .

أخيه المسلم .. أختي المسلمة ..

الخلاصة : هو الاعتقاد بأن الله متكلم بكلام ، وأنه لم يزل يتكلم بحرف وصوت ، بكلام يسمعه من شاء من خلقه ، سمعه موسى عليه الصلاة والسلام من غير واسطة ، ومن أذن له من ملائكته ورسله ، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة ، ويكلمونه . كل ذلك على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى .

798- سورة : الزخرف من الآية : ٥١ .

(٨٥٨) منكر بهذا اللفظ . والحديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٣٨٣) ، (٣ / ٣٤) ، ومسلم (٧٥٨) وعبد الرزاق (١٩٦٥٤) ، وابن أبي شيبة (١٠ / ٣٤١) ، وابن أبي عاصم (١ / ٢١٩ ، ٢٢٠) ، وابن خزيمة (١١٤٦) ، والبيهقي (٤ / ٦٥) فى شرح السنة وابن حبان (٢ / ١٣٧) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً يقول : هل من داع (فيستجاب) له ؟ هل من مستغفر (فيغفر) له ؟ هل من سائل يعطى ؟» صححه أبو محمد عبد الحق ، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء ، فهذا التأويل فيه وأن ذلك من باب حذف المضاف . والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ما هو مذكور في كتاب (الديانات).

٨٥٩- فإن قال بعض الأغبياء : لا وجه لحمل (هذا) الحديث على ما ذكرتموه فإن فيه (أنا الديان) وليس يصدر هذا الكلام حقاً وصدقاً إلا من رب العالمين .

قيل له : إن الملك إذا كان يقول عن الله تعالى وينبئ عنه فالحكم يرجع إلى الله رب العالمين ، والدليل عليه أن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى ﴿إني أنا الله﴾⁽⁶⁹⁹⁾ فليس يرجع إلى القارئ وإنما القارئ ذاكر لكلام الله تعالى ودال عليه بأصواته ، وهذا بين ، وقد أتينا عليه فى الصفات من كتاب (الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا).

= وليس عندهم ، ثم يأمر منادياً « بل ينزل ربنا إلى السماء فيقول » وقد ثبت النزول والكلام كصفتين لله تعالى ، على ما يليق بجلاله وعظمته .

(٨٥٩) الحديث لم يصح بهذا اللفظ المذكور ، بل يعد منكراً .

انظر لتمام الفائدة الفتاوى لابن تيمية رحمه الله ، فى المواضع التالية (٥ / ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣ ، ٥٢٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٦٥) .

والخلاصة : يفهم من الحديث إثبات صفة النزول إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر على ما يليق بجلاله وعظمته ، ولا يجوز تحريف معناه إلى نزول أمره ، أو رحمته ، أو ملك من الملائكة .

799- سورة : طه من الآية : ١٢ .

٨٦٠- فصل : واختلف الناس فى حشر البهائم وفي قصاص بعضها من بعض ، فروى عن ابن عباس أن حشر الدواب والطير موتها ، وقال الضحاك : وروى عن ابن عباس فى رواية أخرى: أن البهائم تحشر وتبعث ، (و)قاله أبو ذر ، وأبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والحسن البصرى ، وغيرهم وهو الصحيح لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾⁽⁸⁰⁰⁾ وقوله ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾⁽⁸⁰¹⁾ .

٨٦١- وقال أبو هريرة : يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم والطير والدواب وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماة من القرناء ، ثم يقول : كونى تراباً فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾⁽⁸⁰²⁾ ونحوه عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وفي الخبر : إن البهائم إذا صارت تراباً يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ ﴾⁽⁸⁰³⁾ أى: غبار ، وقالت طائفة : الحشر فى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ راجع إلى الكفار . وما تخلل من قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾

(٨٦٠) انظر: الأهوال (١٨٢) لابن أبى الدنيا، والطبرى (٣٠ / ١٧ - ١٨) . فى تفسيره، الدر المنثور (٦ / ٣١٠) ، تفسير البغوى (٤ / ٤٤٠) .
(٨٦١) خبر حسن . أخرجه عبد الرزاق (٣٤٧٦) فى تفسيره ، وعنه الطبرى (٣٠ / ١٧) فى تفسيره ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى كما فى الدر المنثور (٦ / ٣١٠) .

800- سورة: التكوير ، الآية : ٥ .

801- سورة: الأنعام من الآية : ٣٨ .

802- سورة: النبأ من الآية : ٤٠ .

803- سورة: عبس الآية : ٤٠ .

ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمر أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴿٨٠٤﴾ كلام معترض وإقامة حجج ، وأما الحديث فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص (والأغيا)* فيه حتى يفهم منه أنه لا بد لكل أحد منه وأنه لا محيص لمخلوق عنه ، وعضدوا ذلك بما روى في غير الصحيح عن بعض رواته من الزيادة ، فقال : حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء ، وللحجر لما ركب الحجر ، والعود لما خدش العود . قالوا : فظهر من هذا أن المقصود التمثيل المفيد للاعتبار والتهويل ، لأن الجمادات لا تعقل خطاياها ولا عقابها وثوابها ولم يصير إليه أحد من العقلاء ومتخيله من جملة المعتوهين الأغبياء . أجاب بعض من قال إنها تحشر وتبعث بأن قال : إن من الحكمة الإلهية أن لا يجرى أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا على سنة مسنونة وحكمة موزونة .

ومن قال هنا بما قالته طائفة من المتوسمة بالعلم المتسمة بالفقه والفهم على الزعم أن الجامد لا يفقه والحيوان غير الإنسان لا يعقل وإنما هو منزل في الحيوان ولسان حال في الجامد والنامي ، قال : إن الله تعالى يقول في الضالين المكذبين : ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ (٨٠٥) ولو كان عندها عقل أو فهم ما نزل بالكافر الفاسق إلى درجتها في موضع التنقيص والتقصير ، والله سبحانه قد وصفه بالموت والصمم في موضع التبصير والتذكير ، فقال : ﴿ ولا تسمع الصر الدعاء إذا ولوا مدبرين ﴾ (٨٠٦) وقال : ﴿ أفأنت تسمع الصر أو تهدي العمى ﴾ (٨٠٧) ﴿ صر بكم عمى فهم ﴾

٨٠٤- سورة : الأنعام من الآية : ٣٨ .

* كذا بالمخطوط ، ولعلها صحفت عن : ولا غبار .. والله أعلم .

٨٠٥- سورة : الفرقان : الآية : ٤٤ .

٨٠٦- سورة : النمل من الآية : ٨ ، والروم من الآية : ٥٢ .

٨٠٧- سورة : الزخرف من الآية : ٤٠ .

لا يرجعون ﴿ (808) .

قيل له : ليس الأمر كما ذكرت ولا الحق على شيء مما زعمت ، وأنه ليس عليك من حيث الزعم ورؤية النفس في درجة العلم أبداً من الآية التي وقفت فيها إلى (الآية) التي قبلها إن شئت ، فارجع بصرك في الذي رأيت تجده قد وصفهم عز وجل بالموت والصمم ، كما وصفهم بالعمى والبكم وليسوا في الحقيقة الظاهرة بموتى ولا صم ولا بعميان ولا بكم ، وإنما هم أموات بالعقول والأذهان عن صفة الإيمان وحياة دار الحيوان . صم عن كلمة الأحياء ، عمى عن النظر في مرآة وجوه الأخلاء ، كذلك وصف الأنعام بضلال وليست في الحقيقة بضلال من حيث شرعتها وحكماتها ، وإنما ذلك من حيث قد كنا وافقنا فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول : ﴿ وما من دابة في الأرض ﴾ إلى قوله ﴿ يحشرون ﴾ (809) فوربك لنحشرنهم جماعاً غفيراً (810) ولنحاسبن حساباً يسيراً ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، وأنه تعالى لا يسأل إلا عاقلاً ولا يحاسب إلا مفضولاً (وفاضلاً) ، وإنما جعل لكل موجود من موجوداته في أشتات الخلائق وأجناس العوام دار دنيا ودار أخرى ، وجعل لها أفلاكاً وآفاقاً وظلماً وأضواءً ، فكل في فلكه ، وأفقه بليله ونهاره وسمعه وبصره وعلمه وفهمه ، وحاكم من عقله أو جهله ، وقائم بنحلته وحكمته وسنته وشرعته ، فأدنى وأعلى من الروحانية الأقصى إلى الجمادية الأقسى ، فالملائكة الروحانية في مصافها ترانا من حيث لا (نعلم) وتعلم منا أكثر مما نعلم ، وإنها لتشاهد من نقصنا وقلة عقلنا في الموضع الذي

808- سورة: البقرة ، الآية : ١٨ .

809- سورة: الأنعام ، الآية : ٣٨ .

810- جماعاً غفيراً : جمعاً كثيراً في وقت واحد .

يجب العلم به وإعمال العقل فيه ما تحكم به علينا أكثر مما نحكم به على الأنعام من قلة العقل وتحقيق المعرفة ، فمن نظر فيه نظر إلى الأنعام وجدها من حيث نحن لا من حيث فلكها وأفقها ولا تسمع ولا تعقل إلا ميزاً ما قدر ما تتسخر به وتتذلّل طبعاً ، فتلقن المراد منها من هذا الفن خاصة لا غير وأما ما نحن بسبيله من تصرفات وتعاملات فليس لها ذلك من حيث الفلكية التي أحازتها عنا والأفقية التي اقتطعتها منا ، فهي في طرقاتنا ضلالاً وتعاملاتنا وأحوال تصرفاتنا جهال ، وأما من حيث شرعتها وباطن رؤيتها فعارفة عقال .

٨٦٢- قال رسول الله ﷺ حين أخذ الجمل القضم (811) الذي ند (812) وامتنع بحائط بنى النجار وغلب الخلق عن أخذه والوصول إليه حتى جاء ﷺ فلما مشى إليه ورآه الجمل برك لديه وجعل يمر بمشفره (813) على الأرض بين يديه تذلاً وتسخييراً فقال ﷺ « هات الخطام » (814) فلما خطمه ورأى الناس يعجبون منه رد رأسه إليهم فقال : « ألا تعجبون - أو كما قال - إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله غير عاصي الجن والإنس ».

٨٦٣- وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من دابة إلا وهى

(٨٦٢) حديث حسن . أخرجه أحمد (٣ / ٣١٠ ، وابن أبي شيبة (٧ / ٤٢٨) فى مصنفه ، والدارمى (١ / ١١) فى سننه ، وأبو نعيم (ص / ١٣٥) فى دلائل النبوة ، فيه الأجلح وهو صدوق ، والذيال بن حرمة لا بأس به .

811- القضم : الأكل بأطراف الأسنان .

812- لد : شرد عن طالبه وامتنع منهم ببعده عنهم .

813- بمشفره : شفة البعير الغليظة .

814- الخطام : الزمام وهو ما تقاد به الإبل .

(٨٦٣) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٢٧٢ ، ٤٥٧ ، ٤٨٦) ، ومالك فى الموطأ =

مصيخة⁽⁸¹⁵⁾ بأذنها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة.»

٨٦٤- وقال ﷺ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة».

٨٦٥- قال المؤلف رحمه الله: خرج مالك في موطنه وابن ماجه في سننه واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري، وقد تقدم أن الميت يسمع صوته كل شيء إلا الإنسان، وفي رواية: إلا الثقلين. والأخبار في هذا المعنى كثيرة قد أتينا على جملة منها في هذا الكتاب، فكل حيوان وجماد محشور لما عنده من الإدراك والملاحظة والحضور من حيث هي لا من حيث نحن. قال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِحَمْدِهِ﴾⁽⁸¹⁶⁾ وقال:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظَلالهم بالغدو والآصال﴾⁽⁸¹⁷⁾ وقال عز من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾⁽⁸¹⁸⁾ لا يقال إن هذا السجود والتسبيح لسان حال ليس بلسان

(١٠٨) وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٤٩١)، والنسائي (٣/ ١١٣، ١١٥) والشافعي (٧٢) في مسنه، وابن حبان (٤/ ١٩٢)، والبعثي (١٠٥٠) في شرح السنة، والبيهقي (٣/ ٢٥١)، في سننه الكبرى.

815- مصيخة: مستمعة منصتة.

(٨٦٤) حديث صحيح. أخرجه البخاري (١/ ١٥٨)، ومالك (١٤٨)، وأحمد (٣/ ٤٣، ٣٥)، والنسائي (٢/ ١٢)، والشافعي (١٥٥)، وابن خزيمة (٣٨٩).

816- سورة: الإسراء من الآية: ٤٤.

817- سورة: الرعد، الآية: ١٥.

818- سورة: الحج من الآية: ١٨.

المقال ، فإننا نقول هذا مجاز والله سبحانه يقص الحق كما أخبر في كتابه:
﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقْصُ الْحَقُّ﴾ (819) .

ومن نظر بنور الله جاز العين إلى المعنى وحل الرمز وفك المعنى وهم
إنما نظروا من حيث هم ومن حيث العقل البشرى ولم ينظروا الحياة الفلكية
من حيث هي فغابوا عن الحضور ، وجمدوا على القصور ﴿ومن لم يجعل
الله له نوراً فما له من نور﴾* .

٨٦٦- قلت : هذا كله صحيح لحديث أبي سعيد الخدري المذكور
وهو صحيح ، وكذلك حديث أبي هريرة في شهادة الأرض بما عمل عليها ،
وهو صحيح وكذلك حديث أبي سعيد الخدري في شهادة المال صحيح
وسياتي .

٨٦٧- وقد روى ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن مروان ، عن
الزهري ، عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه مر بشاتين تنتطحان فقال : « إن الله
تعالى ليقضين يوم القيامة لهذه الجلهاء من هذه القرناء » .

(٨٦٧) حديث حسن . أخرجه أحمد (٥ / ١٦٢) ، وابن أبي الدنيا (١٨١) في
الأهوال ، والبخاري ، والطبراني في « الأوسط » كما في المجمع (١٠ / ٣٥٢) ، والطبري (٧ /
١٢٠) ، والبيهقي كما في البدور السافرة (ص / ١٨٦) له طرق كثيرة بمجموعها في عداد
الحسن ، ويشهد له حديث أبي هريرة برقم (٨٤٣) .

819- سورة : الأنعام من الآية : ٥٧ .

* سورة : النور . الآية : ٤٠ .

٨٦٨- وذكر ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكر بن سودة أن أبا سالم الجيشاني حدثه أن ثابت بن طريف استأذن على أبي ذر فسمعه رافعاً صوته يقول : أما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك . قال ثابت : فدخلت فقلت : ما شأنك يا أبا ذر ؟ قال : هذه قلت : وما عليك إن رأيته تضر بها قال : « والذى نفسى بيده أو نفس محمد بيده لتسئلن الشاة فيما نطحت صاحبته وليسئلن الجماد فيما نكب أصبع الرجل » (820) .

٨٦٩- وروى عن شعبة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه عن أبي ذر قال : رأى رسول الله ﷺ شاتين تنتطحان ، فقال : « يا أبا ذر أتدرى فيم تنتطحان ؟ قلت : لا ، يا رسول الله ، قال : « لكن الله يدرى ويقضى بينهما يوم القيامة » أخرجه أبو داود الطيالسي فقال : حدثنا شعبة قال : أخبرني الأعمش ، قال : سمعت منذر الثوري يحدث عن أصحاب له عن أبي ذر بلفظه ومعناه .

٨٧٠- وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه : « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الجن والإنس والدواب والوحوش ، فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء (بنطحتها) ، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها : كوني تراباً فيراها الكافر فيقول : يا ليتنى كنت تراباً » .

٨٧١- وذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في (التجسير) له

(٨٦٨) ، (٨٦٩) حديث حسن . انظر السابق .

820- نكب أصبع الرجل : أى أدامه .

(٨٧٠) إسناده ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا (١٨٢) في الأهوال ، وابن جرير

(٣٠ / ١٧) في تفسيره من قول عبد الله بن عمرو .

في سنده أبو المغيرة القواس في عداد المجهولين .

فقال : فى خبر الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة: ليس هذا يوم سجود، هذا يوم الثواب والعقاب ، وتقول البهائم : هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله (تعالى) من بنى آدم ويقال إن الملائكة تقول للبهائم : لم يحشركم الله جل ثناؤه لثواب ولا لعقاب وإنما يحشركم تشهدون فضائح بنى آدم . ذكره القشيري فى اسمه المقسط الجامع . وهذا قول ثابت فتأمله .

٨٧٢- فصل : ظن بعض العلماء أن الصيام مختص بعامله موفراً له أجره ولا يؤخذ منه شيء مظلمة ظلمها متمسكا بقوله تعالى : « الصيام لى وأنا أجزى به » وأحاديث هذا الباب ترد قوله ، وأن الحقوق تؤخذ من سائر الأعمال صياماً كان أو غيره ، وقيل : إن الصوم إذا لم يكن معلوماً لأحد ولا مكتوباً فى الصحف هو الذى يستره الله ويخبؤه عليه ، حتى يكون له جنة من العذاب ، فيطرحون أولئك عليه سيئاتهم فيذهب عنهم وبقية الصوم فلا يضر أصحابها لزوالها عنهم ولا له لأن الصوم جنة . قال القاضى أبو بكر بن العربى فى (سراج المريدين) : وهو تأويل حسن إن شاء الله تعالى ولا تعارض والحمد لله .

باب منه

٨٧٣- أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبى ﷺ عن آبائهم دنية عن رسول الله ﷺ قال : « ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه (٨٧٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣ / ٣١) ، ومسلم (١١٥١) ، وأحمد (٢ / ٢٨١) ، وابن حبان (٥ / ١٧٩) ، وعبد الرزاق (٧٨٩١) ، والبيهقى (١٧١١) فى شرح السنة .

(٨٧٣) حديث حسن . أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) ، والبيهقى (٩ / ٢٠٩) فى سننه الكبرى ، وله شواهد كثيرة ، وانظر السلسلة الصحيحة (٤٤٥) ، والمشكاة (٤٠٤٧) بتحقيق الألبانى .

في حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» صححه أبو محمد عبد الحق .

باب في إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة

٨٧٤- روي في الأربعين وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب (حسن الظن بالله) تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه ، فقيل له : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : « رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي عز وجل فقال أحدهما : يا رب ، خذ لي مظلمتي من أخي ، فقال الله تعالى : أعط أخاك مظلمته ، فقال يا رب : ما بقي من حسناتي شيء ، فقال : يا رب : فليحمل من أوزاري ، وفاضت عينا رسول الله ﷺ ثم قال : إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلي أن تحمل عنهم أوزارهم ، ثم قال الله تعالى للطالب حقه ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال : لمن هذا يا رب ؟ فقال : لمن أعطاني ثمنه . قال : ومن يملك ثمن ذلك ؟ قال : أنت . قال : بم إذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك . قال : يا رب ، فإنني قد عفوت عنه ، قال : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله (تعالى) يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » .

٨٧٥- وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : يجيء المؤمن يوم القيامة قد أخذه صاحب الدين فيقول : ديني على هذا فيقول الله تعالى : أنا أحق من قضى عن عبدى قال : فيرضى هذا من دينه ويغفر لهذا .

(٨٧٤) حديث ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا (١١٨) في حسن الظن بالله بتحقيقى والحاكم (٤ / ٥٧٦) وصححه فتعقبه الذهبي بقوله : عباد ضعيف ، وشيخه لا يعرف ، وأخرجه أبو يعلى الموصلي ، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣ / ١٦١) .
(٨٧٥) إسناده ضعيف . أخرجه ابن أبي الدنيا (١١٧) في حسن الظن بالله وفيه الوليد بن مروان ، في عداد المجهولين

٨٧٦- وقال ابن أبي الدنيا ، وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل قال : بلغني أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي ، وما يكابدون في طلب مرضاتي أتراني أنسى لهم عملاً كيف وأنا أرحم الراحمين بخلقى ، لو كنت معاجلاً بالعقوبة أحداً أو كانت العقوبة من شأنى لعاجلت بها القانطين (821) من رحمتى ، ولو يرى عبادى المؤمنون كيف أستوهبهم ممن ظلموه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم فى جوارى إذا ما اتهموا فضلى وكرمى .

٨٧٧- فصل : قلت : وهذا لبعض الناس ممن أراد الله أن لا يعذبه بل يعفو عنه ويغفر له ويرضى عنه خصمه وقد يكون هذا فى الظالمين الأوابين وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ (822) والأواب : الذى ألقع عن الذنب فلم يعد إليه . كذا تأوله أبو حامد ، وهو تأويل حسن أو يكون ذلك فيمن يكون له خبيثة حسنة من عمل صالح يغفر الله له به ويرضى (عنه) خصماًؤه كما تقدم ، وظاهر حديث أنس الخصوص بذينك الرجلين لقوله : رجلا نلفظ التشية لا يقتضى الجمع إلا ما روى فى الحديث : « مثل المنافق كالشاة العابرة بين الغنمين » أخرجه مسلم وليس هذا موضعه ، ولو كان ذلك فى جميع الناس ما دخل أحد النار .

٨٧٨- وكذلك ما روى عن النبى ﷺ : « ينادى مناد من تحت العرش

(٨٧٦) الخبر من الإسرائيليات . أخرجه ابن أبي الدنيا (٩٠) فى حسن الظن بالله .

821- القانطين : اليائسين

(٨٧٧) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٧٨٤) ، وأحمد (٢ / ٣٢) ، والنسائى (٨ / ١٢٤) ، والدارمى (١ / ٩٣) ، والبغوى (١ / ٤٠٥) فى تفسيره والطبرى (٥ / ٢١٥) فى تفسيره .

822- سورة : الإسراء من الآية ٢٥ .

(٨٧٨) حديث موضوع . قال العراقى (٤٢٤٢) فى المغنى : رويناه فى سباعيات أبى الأسعد القشيرى من حديث أنس ، وفيه الحسين بن داود البلخى =

يوم القيامة يا أمة محمد ، أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى « ما دخل أحد النار وهذا واضح فتأمله .

باب أول من يحاسب أمة محمد ﷺ

٨٧٩- روى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال : أين الأمة الأمية ونبياها ؟ فنحن الآخرون الأولون ». وفي رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما : « فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فتمضى غراً محجلين من آثار الوضوء فتقول الأمم : كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها ». خرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده بمعناه وقد تقدم .

باب أول ما يحاسب عليه العبد من عمله : الصلاة وأول ما يقضى فيه بين الناس : الدماء ، وفجد أول من يدعى للخطومة

٨٨٠- مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » أخرجه البخارى أيضاً والنسائى والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . والنسائى أيضاً عنه أن

= قال الخطيب : ليس بثقة ، حديثه موضوع ، واتهمه الحاكم به .

انظر : إتحاف السادة (١٠ / ٥٦١) ، والميزان (١ / ٥٣٤) .

(٨٧٩) حديث حسن . سبق برقم (٧٨١) .

(٨٨٠) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٩ / ٣) ، ومسلم (١٦٧٨) ، وابن المبارك (٤٧٨) فى الزهد ، وأحمد (١ / ٣٨٨ ، ٤٤٢) ، وابن أبى شيبة (٩ / ٤٢٦) ، والنسائى (٧ / ٨٤) ، وابن ماجه (٢٦٥١) ، (٢٦١٧) ، وابن أبى الدنيا (١٨٧) فى الأحوال ، والبغوى (١٠ / ١٤٩) فى شرح السنة ، وأبو نعيم (٧ / ٨٧) فى الحلية ، والطبرانى (١٠ / ٢٣٤) فى الكبير ، والبيهقى (٨ / ٢١) فى سننه الكبرى .

رسول الله ﷺ قال : « أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء » .

٨٨١- وفي البخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه (أنه قال): «أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدى الرحمن للخصومة» يريد قصته فى مبارزته هو (وأصحابه) الثلاثة من كفار قریش قال أبو ذر : وفيهم نزلت : ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾* الآية ، والخبر بهذا مشهور صحيح خرجه البخارى ومسلم وغيرهما .

٨٨٢- وعن محمد بن كعب القرظى ، عن رجل من الأنصار ، عن أبى هريرة قال : حدثنا رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه : « فىكون أول ما يقضى بينهم فى الدماء ويأتى كل قتيل (قتل) فى سبيل الله فيأمر الله (تعالى) كل من قتل فيحمل رأسه وتشخب (823) أو داجه (824) دماً فيقول : يا رب سل هذا فيم قتلنى ؟ فيقول الله تعالى له - وهو أعلم - : فيم قتلته ؟ فيقول : رب قتلته لتكون العزة لك : فيقول الله تعالى : صدقت فيجعل الله تعالى وجهه مثل نور الشمس ثم تشيعه الملائكة إلى الجنان ، ثم يأتى كل من قتل يحمل رأسه وتشخب أو داجه دماً فيقول : يا رب ، سل هذا فيم قتلنى ؟ فيقول له ، وهو أعلم ، لم قتلته ؟ فيقول : رب قتلته لتكون العزة لى ، : فيقول

(٨٨١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٧٤٤) ، وعبد الرزاق (١٩٠٥) فى تفسيره ، والنسائى (٣٦٢) فى تفسيره ، والطبرى (١٧ / ٩٩) فى تفسيره .
* سورة : الحج من الآية ١٩ .

(٨٨٢) حديث ضعيف . سبق برقم (٥٦٧) .

823- يشخب : يخرج غزيراً .

824- أوداج : مفردا ودج ، وهو عرق يكون فى العنق .

الله تعالى : تعست ، ثم لا تبقى قتلة إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء رحمه . خرجه الغيلاني أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله البزار المعروف بالشافعي .

٨٨٣- حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ، حدثنا أبو عاصم الضحاك ، عن مخلد ، حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد ، عن محمد بن كعب وخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي من حديث نافع ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس قال : سمعت نبيكم ﷺ يقول : «يأتي المقتول معلقاً رأسه بإحدى يديه متلبياً» (825) قتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دماً حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه : هذا قتلني ، فيقول الله تعالى للقاتل : تعست ، ويذهب به إلى النار .

٨٨٤- وخرجه ابن المبارك موقوفاً على عبد الله بن مسعود قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله فذكره بمعناه .
٨٨٥- وخرجه الترمذي في جامعه قال : حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال : حدثنا شبابة قال : حدثنا ورقاء بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً يقول : يا رب ، قتلني هذا حتى يدنيه من

(٨٨٣) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١ / ٢٢٢ ، ٣٦٤) ، والترمذي (٣٠٢٩) ، والنسائي (٧ / ٨٥) ، وابن ماجه (٢٦٢١) ، وابن أبي الدنيا (١٨٨) في الأحوال ، والطبراني (١٠٧٤٢) في الكبير ، وانظر : الدر المنثور (٢ / ١٩٦) .

825- متلبياً : يقال تلبب الرجلان إذا أخذ كل واحد منهما بعنق الآخر .
(٨٨٤) خبر حسن . أخرجه ابن المبارك (٣٨٨) في زوائد الزهد ، وابن أبي الدنيا (٢٦١) في الأحوال ، والطبري (١٣ / ١٤٩) في تفسيره .
(٨٨٥) حديث صحيح . انظر رقم (٤٨٣) .

العرش» قال : هذا حديث حسن غريب .

٨٨٦- مالك عن يحيى بن سعيد قال : بلغني أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء: الصلاة ، فإن قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظر فى شيء من عمله .

قلت : وهذا الحديث وإن كان موقوفاً بلاغاً ، فقد رواه الترمذى والنسائى مرفوعاً بهذا المعنى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم : الصلاة . قال يقول ربنا عز وجل للملائكة : انظروا في صلاة عبدى أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئاً قال : انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » لفظ أبى داود وقال الترمذى : حديث (حسن) غريب وخرجه ابن ماجه أيضاً .

٨٨٧- فصل : قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك ، وأما من تعمد تركها أو شيئاً منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه والله أعلم .

(٨٨٦) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٢٩٠) ، وأبو داود (٨٦٤) ، والترمذى (٤١٣) ، والنسائى (١ / ٢٢٣) ، وابن ماجه (١٤٢٥) ، (١٤٢٦) ، وابن أبى الدنيا (١٩٦) من حديث أبى هريرة .

وفى الباب عن تميم الدارى عند أبى داود (٨٦٦) ، وابن ماجه (١٤٢٦) ، وعن ابن مسعود أخرجه النسائى (٧ / ٨٣) ، عن أنس ، وعبد الله بن قرط .

(٨٨٧) حديث صحيح . أخرجه الطبرانى (١٨ / ٢٢) فى الكبير ، وقال الهيثمى : رجاله ثقات ، انظر المجموع (١ / ٢٩١) ، والسلسلة الصحيحة (٢٣٥٠) .

وقد روى من حديث الشاميين في هذا الباب حديث منكر يرويه محمد بن حمير عن عمرو بن قيس السكوني ، عن عبد الله بن قرط ، عن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده وخشوعه زيد فيها من تسبيحاته حتى تتم » قال (أبو عمرو) : هذا لا يحفظ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه وليس بالقوى ، وإن كان صح كان معناه : (أنه) أخرج من صلاة قد أتمها عند نفسه وليس في الحكم بتامة (والله أعلم) .

٨٨٨- قلت : ينبغي للإنسان أن يحافظ على أداء فرضه فيصليه كما أمر من إتمام ركوع وسجود ، وحضور قلب . فإن غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك في نفيه ولا يتساهل فيه ولا في تركه ، ومن لا يحسن أن يصلى الفرض فأحرى أن لا يحسن النفل لا جرم بل تنفل الناس في أشد ما يكون من النقصان والخلل في التمام لخفة النفل عندهم وتهاونهم به ، ولعمري الله لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم بنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك (826) ، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون ، وإذا كان هذا فكيف يكمل بهذا النفل ما نقص من الفرض هيهات هيهات ! فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها في معنى قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ۝ ﴾ (827) وقال جماعة من العلماء : التضييع للصلاة هو : أن لا يقيم حدودها

826- نقر الديك : أى لا يطمئن في الركوع والسجود والقيام ، وإنما يؤدي صلاته متسرعاً وشأن هذا لا صلاة له .

827- سورة مريم : الآية : ٥٩ .

من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك وهو مع ذلك يصليها ، ولا يمتنع من القيام بها في وقتها وغير وقتها قالوا : فأما من تركها أصلاً ولم يصلها فهو كافر .

٨٨٩- وروى الترمذى عن أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود » وقال : حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود .

قال الشافعى وأحمد وإسحاق : من لم يقم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة لحديث النبى ﷺ : « لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود » .

٨٩٠- وروى البخارى عن زيد بن وهب عن حذيفة ، ورأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده ، فلما قضى صلاته قال له حذيفة : ما صليت ولو مت على غير سنة محمد ﷺ . وأخرجه النسائى أيضاً عنه عن حذيفة أنه رأى رجلاً يصلى فخفف فقال له حذيفة : منذ كم تصلى هذه الصلاة ؟ قال منذ أربعين عاماً قال : ما صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير فطرة [محمد صلى الله عليه وسلم] ثم قال : إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً قد أتينا عليها فى

(٨٨٩) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ١٢٢) ، وأبو داود (٨٥٥) ، والترمذى (٢٦٥) ، والنسائى (٢ / ١٨٣) ، وابن ماجه (٨٧٠) ، وابن أبى شيبه (١ / ٢٨٧) ، وعبد الرزاق (٣٧٣٦) ، وابن خزيمة (٦٦٦) ، وابن حبان (٣ / ١٨٤) ، والبيهقى (٦١٧) فى شرح السنة ، والبيهقى (٢ / ٨٨ ، ١١٧) فى سننه الكبرى .

(٨٩٠) خير صحيح . أخرجه البخارى (٧٩١) ، وعبد الرزاق (٣٧٣٢) ، وابن حبان (٣ / ١٨٤) ، والبيهقى (٦١٦) فى شرح السنة ، والبيهقى (٢ / ٣٨٦) فى سننه الكبرى .

غير هذا الباب وهى تبين لك المراد فى قوله تعالى : ﴿أضاعوا الصلاة﴾ (واتبعوا الشهوات) .

٨٩١- وروى النسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « أول ما يحاسب (به) العبد يوم القيامة (عن) صلاته ، فإن وجدت تامة ، كتبت تامة ، وإن كان انتقص منها شيئاً قال : انظروا ، هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه ؟ ثم سائر الأعمال تجرى على ذلك ، وهذا نص . وقال عمر رضى الله عنه : ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع .

٨٩٢- قلت : ولا اعتبار بقول من قال : إن الواجب من أركان الصلاة ومن الفصل بين أركانها أقل ما (ينطلق) عليه الاسم ، وهو أبو حنيفة ، وأشار إلى ذلك القاضى عبد الوهاب فى تلقينه ، وهو يروى عن ابن القاسم ، لأن من اقتصر على ذلك صدق عليه أنه نقر الصلاة ، فدخل فى الذم المترتب على ذلك بقوله عليه (الصلاة و) السلام : « تلك صلاة المنافقين يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » . رواه مالك فى موطنه ومسلم فى صحيحه .

٨٩٣- والأحاديث الثانية تقضى بفساد صلاته كما بيناه مع قوله عليه

(٨٩١) حديث صحيح . سبق برقم (٨٨٦) .

(٨٩٢) حديث صحيح . أخرجه مالك (٢٢٠) فى الموطأ ، ومسلم (٦٢٢) ، وأحمد (٣) / (١٤٩ ، ١٨٥) وأبو داود (٤١٣) ، الترمذى (١٦٠) ، والنسائى (١ / ٢٥٤) ، وأبو عوانة (١ / ٣٦٥) ، وعبد الرزاق (٢٠٨٠) ، وابن خزيمة (٣٣٣) ، وابن حبان (١ / ٢٣٩) ، والبغوى (٣٦٨) فى شرح السنة ، والبيهقى (١ / ٤٤٤) فى سننه .

(٨٩٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٤٧٩) ، وأحمد (١ / ٢١٩) ، وأبو داود (٨٧٦) ، والنسائى (٢ / ١٨٩ ، ١٩٠) ، والشافعى (٢٤١) ، وابن الجارود (٢٠٣) فى المنتقى ، وابن خزيمة (٦٠٢) ، (٦٠٣) ، وابن حبان (٣ / ١٨٥) ، والبغوى (٦٢٦) ، والبيهقى (٢ / ٨٨) فى سننه الكبرى .

(الصلاة و) السلام : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن⁽⁸²⁸⁾ أن يستجاب لكم » أخرجه مسلم .

٨٩٤- وفي موطأ مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن النعمان بن مرة الأنصاري ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما ترون في الشارب والشارق والزاني ؟ قال : وذلك قبل أن ينزل فيهم ، قالوا الله ورسوله أعلم . قال : هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقه الذي يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله ، وكيف يسرق صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها » .

٨٩٥- وروى أبو داود الطيالسي في مسنده قال : حدثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح ، عن الأحوص بن حكيم ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أحسن الرجل الصلاة فأتى ركوعها وسجودها ، قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتني فترفع ، وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني ، فتلف كما يلف الثوب الخلق⁽³²⁹⁾ فيضرب بها وجهه ، فمن لم يحافظ على أوقات الصلاة لم يحافظ على الصلاة ، كما أن من لم يحافظ

828- فقمن : أي فجدير وأحرى وأقرب لقبول الدعاء .

(٨٩٤) حديث صحيح لغيره . أخرجه مالك (١٦٧) ، وابن عبد البر (١ / ١٢٠) في جامع بيان العلم وفضله ، وهو مرسل .

وفي الباب عن أبي قتادة أخرجه أحمد (٥ / ٣١٠) ، والحاكم (١ / ٢٢٩) ، وصححه ، وأقره الذهبي ، والطبراني (٣٢٨٣) في الكبير .

ومن حديث أبي هريرة ، أخرجه ابن حبان (٣ / ١٨٢) ، والبيهقي (٢ / ٣٨٦) في سننه الكبرى عن الحاكم (١ / ٢٢٩) الذي صححه ، وأقره الذهبي .

ومن حديث أبي سعيد الخدري ، أخرجه أحمد (٣ / ٥٦) ، وابن أبي شيبة (١ / ٢٨٨) . (٨٩٥) حديث ضعيف . أخرجه الطيالسي (٥٨٥) وفي سننه الأحوص بن حكيم ، وهو أحد الضعفاء .

829- الثوب الخلق : الثوب الذي بلى وأوشك أن يتهتك .

على وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها ، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، كما أن من حافظ عليها حفظ دينه ولا دين لمن لا صلاة له .

باب منه

٨٩٦- ابن ماجه ، عن أبي سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله (عز وجل) ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول له : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره ، فإذا لقن الله عبداً حجته قال : يا رب ، رجوتك وفرقت من الناس .

٨٩٧- ورواه الفريابي قال : حدثنا سفيان عن زيد ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحقرن أحدكم نفسه ، إذا رأى أمر الله عليه فيه مقال فلا يقول فيه (فيقال) يوم القيامة : ما منعك إذا رأيت كذا وكذا أن تقول فيه ، فيقول له أى ربى ، خفت الناس ، فيقال : إياى كنت أحق أن تخاف » ، قال الوائلى أبو نصر ، ورواه أحمد بن عبد الله بن يونس (بن) عبد الله اليربوعى الكوفى ، قال : حدثنا زهير قال : حدثنا عمر (و) بن قيس عن (عمر) بن مرة المعنى واحد ، وهذا محفوظ من الطريقين عن (عمر) بن مرة ومخرجه من الكوفة .

(٨٩٦) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣ / ٢٩ ، ٧٧) ، وابن ماجه (٤٠١٧) ، وابن حبان (٩ / ٢٣٠) ، وراجع السلسلة الصحيحة (٩٢٦) .
(٨٩٧) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٨) ، وأحمد (٣ / ٣٠ ، ٤٧ ، ٩١) ، وأبو نعيم (٤ / ٣٨٤) فى الحلية ، والبيهقى (١٠ / ٩٠) فى سننه الكبرى ، وانظر السابق .

باب منه

٨٩٨- ذكر أبو نعيم الحافظ: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر من أصل كتابه ، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا حدثنا إسماعيل بن (عمر) ، حدثنا مندل عن أسد بن عطاء ، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « لا يقفن أحدكم على رجل يضرب ظمماً ، فإن اللعنة تنزل من السماء على من حضره إذا لم تدفعوا عنه » ، ولا يقفن أحدكم على رجل يقتل ظمماً ، فإن اللعنة تنزل من السماء على من حضره إذا لم تدفعوا عنه » هذا حديث غريب من حديث أسد وعكرمة لم يروه عنه فيما أعلم إلا مندل بن علي الغنوي .

باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق

عليهما وإقائهما الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (830) وقال (الله عز وجل): ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (831) وقال: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدن علينا﴾ (قالوا أنطقنا الله) (832) الآية .

٨٩٩- وذكر أبو بكر بن أبي شيبة من حديث معاوية بن حيدة

(٨٩٨) حديث ضعيف . أخرجه الطبراني (١١٦٧٥) في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية (٣ / ٣٤٥) في سننه مندل عن الضعفاء ، وأسد بن عطاء عن المجهولين ، وانظر المجموع (٦ / ٢٨٤) .
830- سورة : يس الآية : ٦٥ .
831- سورة : النور ، الآية : ٢٤ .
832- سورة : فصلت من الآية : ٢١ .
(٨٩٩) حديث صحيح . سبق تخريجه .

(القشيري) أن النبي ﷺ قال : « تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام⁽⁸³³⁾ وأول ما يتكلم من الإنسان فحذه وكفه » وقد تقدم .

٩٠٠- مسلم عن أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله ﷺ (فضحك) فقال : « هل تدرون [م]أضحك » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ، ألم تجرني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى قال : فيقول : فيأني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني قال : كفى بنفسك اليوم عليك [شهيداً] أو بالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيختم على فيه فيقال لأركانه : انطقي فتتطرق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام قال : فيقول : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل . »

٩٠١- الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً ، وسخرت لك الأنعام ، والحرث (وتركتك) ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟ فيقول : لا ، فيقول : اليوم أنساك كما نسيتني . » قال : هذا حديث (حسن) صحيح غريب ، أخرجه مسلم عن أبي هريرة بأطول من هذا وقد تقدم .

٩٠٢- البخاري عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً كنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك . » وأخرجه

833-الفدام : ما يوضع على الفم سداده .

(٩٠٠) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٦٩) ، وابن حبان (٩ / ٢٢٦) .

(٩٠١) حديث صحيح . سبق تخريجه .

(٩٠٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٨ / ١٣٩) ، وأحمد (٣ / ٢١٨) ، ومسلم

(٢٨٠٥) ، وابن أبي عاصم (١ / ٤٧) في السنة ، والبخاري (٤٤٠٣) في شرح السنة ،

والطبري (٣ / ٢٤٥) في تفسيره .

مسلم وقال بدل « قد كنت » : « كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك » .
 ٩٠٣- فصل : قوله عليه (الصلاة و) السلام « فأول ما يتكلم من
 الإنسان فخذ » يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون ذلك زيادة في الفضيحة والخزى على ما نطق به
 الكتاب في قوله : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ ⁽⁸³⁴⁾ لأنه كان في
 الدنيا يجاهر بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى فلا يفعل ما
 يفعل خائفاً مشفقاً فيجزيه الله بمجاهرته (والإشارة) بفحشه على رؤوس
 الأشهاد .

والوجه الآخر : أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به ،
 بل يجحد فيختم الله على فيه عند ذلك وتنطق منه الجوارح التي لم تكن
 ناطقة في الدنيا فتشهد على سيئاته ، وهذا أظهر الوجهين يدل عليه أنهم
 يقولون لجلودهم أى لفروجهم فى قول زيد بن أسلم . لم شهدتم علينا ؟
 فتمردوا فى الجحود فاستحقوا من الله الفضح والإخزاء ، نعوذ بالله منهما .
 ٩٠٤- فصل : قوله : (وتركتك رأساً وتربع) أى : ترأس على قومك
 بأن يكون رئيساً عليهم ويأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم والكسب ،
 وكانت عادتهم أن أمراءهم كانوا يأخذون من الغنائم الربع ويسمونهم :
 المرباع ، قال شاعرهم :

834- سورة الجاثية من الآية : ٢٩ .

لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول (835)
وقال آخر :

منا الذي ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يعد في الأحياء
يقال : ربع الجيش يربعه رباعة: إذا أخذ ربع الغنيمة. قال الأصمعي :
ربع في الجاهلية وخمس في الإسلام .
وقوله : اليوم أنساك كما نسيتهنى أى : اليوم أتركك في العذاب كما
تركت عبادتى ومعرفتى .

٩٠٥- فإن قيل : فهل يلقي الكافر ربه ويسأله ؟ قلنا : نعم بدليل ما
ذكرنا . وقد قال تعالى : ﴿ فلنسلن الذين أرسل إليهم ﴾ (836) فى أحد
التأويلين وقال : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾ (837) وقال : ﴿ أولئك
يعرضون على ربهم ﴾ (838) وقال : ﴿ وعرضوا على ربك صفا ﴾ (939)
الآيتين . وقال ﴿ إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ﴾ (840) وقال :

835- النشيطه : ما كان يغنمه الغزاة فى الطريق قبل بلوغهم موقع المعركة .

* الصفايا : ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل قسمتها .

836- سورة : الأعراف من الآية : ٦ .

837- سورة : الأنعام من الآية : ٣٠ .

838- سورة : هود من الآية : ١٨ .

839- سورة : الكهف من الآية : ٤٨ .

840- سورة : الغاشية الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ .

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ إلى قوله: ﴿وليسئلكم يوم القيامة عما كنتم تفترون﴾⁽⁸⁴¹⁾ والآية في هذا المعنى كثير .

٩٠٦- فإن قيل : قد قال الله تعالى : ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾⁽⁸⁴²⁾ وقال عليه (الصلاة و)السلام : « يخرج عنق من النار فيقول : وكلت بثلاث : بكل جبار عنيد وكل من جعل مع الله إلهاً آخر وبالمصورين » .

قلنا : هذا يحتمل أن يكون بعد الوزن والحساب وتطير الكتب في اليمين والشمال وتعظيم الخلق كما تقدم ويدل عليه قوله : وبالمصورين فإنهم وإن كانوا موحدين فلا بد لهم من سؤال وحساب وبعده يكونون أشد الناس عذاباً ، وإن كانوا كافرين مشركين فيكون ذكرهم تكراراً في الكلام ، على أنا نقول :

٩٠٧- قال بعض العلماء : ذكر الله تعالى الحساب جملة وجاءت الأخبار بذلك ، وفي بعضها ما يدل على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب ، فصار الناس إذاً ثلاث فرق : فرقة لا يحاسبون أصلاً ، وفرقة

841- سورة: العنكبوت الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

(٩٠٦) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٣٣٦) ، والترمذي (٢٧٠٠) من حديث أبي هريرة ، وعند ابن أبي شيبة (١٣ / ١٦٠) ، وأحمد (٣ / ٤٠) من حديث أبي سعيد ، وعند أحمد (٦ / ١١٠) عن عائشة ، وفي الباب عن ابن عباس .

842- سورة: الرحمن الآية : ٤١ .

تحاسب حساباً يسيراً ، وهما من المؤمنين ، وفرقة تحاسب حساباً شديداً يكون منها مسلم وكافر ، وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله ، فلا يبعد أن يكون من الكفار من هو أدنى إلى غضب الله ، فيدخله النار بغير حساب .

٩٠٨- وقد ذكر ابن المبارك في (رقائقه) عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن بعد أخذ النار هؤلاء ، تنشر الصحف وتوضع الموازين ، وتدعى الخلائق للحساب .

فإن قيل : فقد قال (الله) تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمُجْرِبُونَ ﴾ (843) وقال : ﴿ وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (844) وقال : ﴿ وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (845) وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار .

قلنا : القيامة مواطن : فمواطن يكون فيه سؤال وكلام ، ومواطن لا يكون فيه ذلك فلا يتناقض الآي ، والأخبار والله المستعان .

٩٠٩- قال عكرمة : القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها ، وقال ابن عباس : لا يسألون سؤال شفاء وراحة ، وإنما يسألون سؤال تقرير وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا ، والقاطع لهذا قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌكَ لِنَسَائِلِهِمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (846) .

845- سورة : البقرة من الآية : ١٧٤ .

(٩٠٨) خير صحيح . سبق تخريجه .

843- سورة : المطففين ، الآية : ١٥ .

844- سورة : القصص من الآية : ٧٨ .

(٩٠٩) انظر : تفسير عبد الرزاق (٥٩٠) ، (١٤٦٤) ، والطبري (١٤ / ٤٦) .

846- سورة : الحجر الآية : ٩٢

قال أهل التأويل عن لا إله إلا الله : وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذى كان طول العمر دثارهم⁽⁸⁴⁷⁾ وشعارهم وكل دالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها ، فإنهم يكتون عليها ويسألون عنها وعن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾⁽⁸⁴⁸⁾ والآى فى هذا المعنى كثيرة ومن تأمل آخر سورة المؤمنون : ﴿ فإذا نفخ فى الصور ﴾⁽⁸⁴⁹⁾ إلى آخرها تبين له الصواب فى ذلك والحمد لله على ذلك .

٩١٠- وذكر ابن المبارك ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : « إن بعد أخذ النار هؤلاء الثلاثة ، تنشر الصحف ، وتوضع الموازين ويدعى الخلائق للحساب » وشهر : ضعفه مسلم فى كتابه وغيره .
٩١١- فإن قيل : فقد ذكر اللالكائي فى سننه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لا يحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة » قالوا : ولأن الحساب

847- الدثار : الثوب الذى يكون فوق الشعار ، والشعار الثوب الداخلى .

848- سورة : العنكبوت الآيات : ١٢ ، ١٣ .

849- سورة : المؤمنون ، الآيات : ١٠١ - ١١٨ .

(٩١٠) خبر صحيح . سبق تخريجه .

(٩١١) إسناده ضعيف . أخرجه أحمد (٦ / ١٠٣) مرفوعاً ، من حديث عائشة ، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، والراوى عنه ليس من العبادة .

قال الهيثمى : فيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، المجمع (١٠ / ٣٥٠) .

إنما يراد للثواب والجزاء ولا حسنات للكافر فيجازى عليها بحسابه، ولأن المحاسب له هو الله تعالى ، وقد قال: ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ (850).

قلنا: ما روى عن عائشة قد خالفها غيرها في ذلك ، للآيات والأحاديث الواردة في ذلك وهو الصحيح ، ومعنى : « لا يكلمهم الله » أى بما يحبونه ، وقال الطبرى : وفى التنزيل : ﴿اخشئوا فيها ولا تكلمون﴾ (851) وقد قيل إن معنى قوله تعالى : ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ (852) ﴿لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ (853) سؤال (التعريف) لتمييز المؤمنين من الكافرين. أى : إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحدا يوم القيامة أن يقال : ما كان دينك ؟ وما كنت تصنع في الدنيا ؟ حتى يتبين لهم بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمناً أو كان كافراً ، ولكن المؤمنين يكونون ناضري الوجوه منشرحي الصدور ، ويكون المشركون سود الوجوه زرقاً مكروبين ، فهم إذا كلفوا سوق المجرمين إلى النار وتميزهم في الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم ، ومن قال هذا فيحتمل أن يقول إن الأمر يوم القيامة يكون بخلاف ما هو كائن قبله على ما وردت به الأخبار من سؤال الملكين الميت إذا دفن وانصرف الناس عنه فيسألونه عن ربه ودينه ونبيه ، أى إذا كان يوم القيامة لم تسأل الملائكة عند الحاجة إلى تمييز فريق عن هذا لاستغنائهم بمناظرهم عما وراءها ، ومن قاله يحتج بقوله تعالى : ﴿فوربك

850- سورة : البقرة من الآية : ١٧٤ .

851- سورة : المؤمنون من الآية : ١٠٨ .

852- سورة : القصص من الآية : ٧٨ .

853- سورة : الرحمن من الآية : ٣٩ .

لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون» (854) أخبر أنهم يسألهم عن أعمالهم وهذه الآية في الكافرين ، ومن قال يسألهم عن أصل كفرهم ثم عن تجريدهم إياه كل وقت باستهزائهم بآيات الله تعالى ورسله ، فقد سألهم عما كانوا يعملون ، وذلك هو المراد .

باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام
بما عمل فيها وعليها وفي شهادة المال على
صاحبه وقوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) (855)

٩١٢- الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (856) قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول : عمل يوم كذا كذا وكذا . (قال) : فهذه أخبارها » قال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

٩١٣- أبو نعيم ، عن معاوية بن قرة ، عن معقل بن يسار ، عن النبي ﷺ

854- سورة : الحجر الآيات : ٩٢ ، ٩٣ .

855- سورة : ق ، الآية : ٢١ .

(٩١٢) إسناده ضعيف . أخرجه أحمد (٢ / ٣٧٤) ، والترمذي (٢٤٣١) ، وابن حبان (٩ / ٢٢٧) ، والحاكم (٢ / ٢٥٦ ، ٥٣٢) ، والبغوي (٤٣٠٨) في شرح السنة ، وفي تفسيره (٤ / ٥١٥) ، والبيهقي (٧٢٩٦) ، (٧٢٩٧) في شعب الإيمان .

في سنده ابن أبي سليمان ، قال البخاري : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : ليس هو بالقوى .

856- سورة : الزلزلة ، الآية : ٤ .

(٩١٣) حديث ضعيف . أخرجه أبو نعيم (٢ / ٣٠٣ - ٣٠٤) في الحلية ، وفي سنده زيد

العمى ، وهو من الضعفاء .

قال : « ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادى فيه : يا ابن آدم ، أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غداً شهيد ، فاعمل في خيراً أشهد لك به غداً ، فإنني لو قد مضيت لم ترني أبداً . ويقول الليل مثل ذلك » . غريب من حديث معاوية تفرد عنه زيد العمى ، ولا أعلمه مرفوعاً عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد .

٩١٤- ابن المبارك ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : من سجد في موضع عن شجر أو حجر شهد له عند الله يوم القيامة .
٩١٥- قال : وأخبرني ابن أبي خالدة رضي الله عنه قال : سمعت أبا عيسى يحيى بن رافع يقول : سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ (٨٥٧) ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ (٨٥٨) قال : سائق يسوقها إلى أمر الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

٩١٦- وخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ

(٩١٤) إسناده ضعيف . أخرجه ابن المبارك (٣٨٤) كما في زوائد الزهد ، وفي سننه رشدين بن سعد ، وهو من الضعفاء .

وانظر : البدور السافرة (ص / ٢٠٩) .

(٩١٥) لا بأس به ، وأخرجه عبد الرزاق (٢٩٥٥) في تفسيره وابن المبارك .

(٣٦٥) كما في زوائد الزهد ، وابن جرير (٢٦ / ١٠١) في تفسيره ، والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦ / ١٠٥) في سننه يحيى بن رافع تابعي كبير ، روى عن عثمان وأبي هريرة ، وعنه ابن أبي خالدة كما في الجرح والتعديل (٩ / ١٤٣) وفي الباب عن قتادة والحسن .

857- سورة : ق من الآية : ١٩ .

858- سورة : ق ، الآية : ٢١ .

(٩١٦) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٢ / ١٥٠) ، ومسلم (٧ / ١٤١-١٤٢)

نوى) ، وأحمد (٣ / ٧ ، ٢١ ، ٩١) ، والنسائي (٥ / ٩١) ، وابن ماجه (٣٩٩٥) ، وابن =

وفيه : « وإن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل - أو كما قال رسول الله ﷺ - وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة ، وقد تقدم أنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر إلا شهد له يوم القيامة » . رواه أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ ورواه الأئمة مالك وغيره .

قال المؤلف (رضى الله عنه) : فتفكر يا أخى ، وإن كنت شاهداً عدلاً بأنك مشهود عليك فى كل أحوالك من فعلك ، ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذى لا تخفى عليه خافية عين ولا يغيب عنه زمان ولا أين (859) ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ (860) فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير . سبحانه لا إله إلا هو .

باب لا يشهد العبد على شهادة فى الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة

٩١٧- ابن المبارك قال : أخبرنا رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن سليمان بن راشد أنه بلغه أن امرأ لا يشهد على شهادة فى الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ،

= الأعرابى فى الزهد (٨١) بتحقيقى .

859- الأئمة : المكان وأصلها من أين : الظرف الذى يسأل به عن المكان .

860- سورة : يونس من الآية : ٦١ .

(٩١٧) إسناده ضعيف . أخرجه ابن المبارك (٣٩٧) كما فى زوائد الزهد وفيه رشدين بن

سعد من الضعفاء .

ولا يمتدح عبد أفي الدنيا إلا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد .
قلت : هذا صحيح ، يدل على صحته من الكتاب قول الحق :
﴿ ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ (861) . وقوله : ﴿ ما يلفظ من قول إلا
لديه رقيب عتيد ﴾ (862) والله أعلم .

باب ما جاء في سؤال [الله تعالى] الأنبياء وفى شهادة هذه الأمة للأنبياء على أهمهم

قال الله تعالى : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ (863) ، وقال ﴿ فوربك لنسألنهم
أجمعين ﴾ (864) فيبدأ بالأنبياء عليهم (الصلاة و) السلام : ﴿ فيقول ماذا
أجبتم ﴾ قيل في تفسيرها : كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت
أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظيم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا : ﴿ لا علم لنا إنك أنت
علام الغيوب ﴾ (865) ثم يقربهم (الله تعالى) فيدعى نوح عليه (الصلاة
(و) السلام ويقال : إن الهية تأخذ بمجامع قلوبهم ، فيذهلون عن الجواب . ثم إن الله
يثبتهم ويحدث لهم ذكراً فيشهدون بما أجابت به أهمهم ويقال : إنما قالوا ذلك تسليماً
كما فعل المسيح في قوله ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك

861- سورة : الزخرف من الآية : ١٩ .

862- سورة : ق الآية : ١٨ .

863- سورة : الأعراف الآية : ٦ ، ٧ .

864- سورة : الحجر ، الآية : ٩٢ .

865- سورة : المائدة من الآية : ١٠٩ .

إنك أنت علام الغيوب ﴿٨٦٦﴾ والأول أصبح لأن الرسل يتفاضلون ،
والمسيح من أجلهم لأنه كلمة الله وروحه ، قاله أبو حامد .
٩١٨- وخرج ابن ماجه ، حدثنا أبو كريب وأحمد بن سنان قالا :
حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول
الله ﷺ : « يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجيء النبي ومعه الرجلان
ويجيء النبي ومعه الثلاثة ، وأكثر من ذلك فيقال له : هل بلغت قومك ؟
فيقول : نعم فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم ؟ فيقولون لا فيقال : من يشهد
لك ؟ فيقول : محمد وأمته فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال : هل بلغ هذا ؟
فيقولون : نعم : فيقول : وما علمكم بذلك ؟ فيقولون : أخبرنا نبينا ﷺ
بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ وكذلك
جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا ﴾ ﴿٨٦٧﴾ .

٩١٩- وذكره البخاري أيضا (بمعناه) عن أبي سعيد الخدري قال : قال
رسول الله ﷺ : « يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب
يقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أئانا

866- سورة : المائدة من الآية : ١١٦ .

(٩١٨) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٣٩) ، (٧٣٤٩) ، وأحمد (٣ / ٩) ،
(٥٨ ، ١٢) ووکیع في نسخته عن الأعمش (٢٦) ، وعبد بن حميد (٩١٣) ، والترمذي
(٢٩٦١) ، وابن ماجه (٤٢٨٤) ، وابن أبي شيبه (١١ / ٤٥٤) ، والنسائي (٢٦) في
تفسيره ، وابن أبي الدنيا (١٥٣) في الأهوال ، وابن حبان (٨ / ٣٦) ، وابن جرير (٢ / ٦) ،
(٣ / ١٤٦) في تفسيره .

867- سورة : البقرة من الآية : ١٤٣ .

(٩١٩) حديث صحيح . انظر السابق .

من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ، فذلك قوله ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

٩٢٠- أخرجه ابن المبارك في (رقائقه) مرسلأ بطول من هذا فقال: أخبرني رشدين بن سعد قال: أخبرني ابن أنعم المعافري عن حبان بن أبي جبلة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول من يدعى إسرائفيل عليه السلام فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم، قد بلغت جبريل، فيدعى جبريل عليه (الصلاة والسلام) فيقول: هل بلغت إسرائفيل عهدي؟ فيقول: نعم يا رب قد بلغتني، فيخلى عن إسرائفيل، ويقال لجبريل: هل بلغت عهدي؟ يقول جبريل: نعم، قد بلغت الرسل فيدعى الرسل فيقول: هل بلغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم. فيخلى عن جبريل، ثم يقال للرسل: هل بلغتم عهدي؟ فيقولون: قد بلغنا آمناً، فتدعى الأمم فيقال لهم: هل بلغكم الرسل عهدي؟ فمنهم المصدق ومنهم المكذب، فتقول الرسل: إن لنا عليهم شهوداً يشهدون أن قد بلغنا مع شهادتك فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد فيقول: تشهدون أن رسلي هؤلاء قد بلغوا عهدي إلى من أرسلوا إليه؟ فيقولون: نعم، رب شهدنا أن قد بلغوا، فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟ فيقول لهم الرب: كيف تشهدون على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولاً، وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقصصك علينا أنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الرب: صدقوا،

(٩٢٠) إسناده ضعيف. أخرجه ابن المبارك (١٥٩٨) في الزهد، وعنه الطبري (٢) /

(٧) في تفسيره فيه ابن أنعم، وهو عبد الرحمن بن زياد من الضعفاء، وهو مرسل.

وقد أخرجه ابن أبي الدنيا (١٩٥) في الأحوال عن ابن المبارك.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ ، والوسط العدل ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ . قال ابن أنعم : فبلغني أنه يشهد يومئذ أمة محمد إلا من كان في قلبه حنة (868) على أخيه .

قلت : وذكر هذا الخبر أبو محمد في كتاب (العاقبة) له . فذكر بعد قوله : والوسط : العدل ، ثم يدعى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ثم ينادى كل إنسان باسمه واحداً واحداً ويسألون واحداً واحداً ، وتعرض أعمالهم على رب العزة جل جلاله قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها . ٩٢١- قال المؤلف (رضي الله عنه) : وذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة أن هذا يكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحش والطير ، ثم يقول لهم : كونوا تراباً فتسوى بهم الأرض وحينئذ ﴿يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾ (869) ويتمنى الكافر فيقول ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾ (870) ثم يخرج النداء من قبل الله تعالى : أين اللوح المحفوظ؟ فيؤتى به له هرج عظيم، فيقول الله تعالى: أين ماسطرت فيك من توراة وزبور وإنجيل وفرقان؟ فيقول: يا رب نقله مني الروح الأمين فيؤتى به يردد وتصلك (871) ركبته، فيقول الله تعالى: يا جبريل هذا اللوح المحفوظ يزعم أنك نقلت منه كلامي ووحىي أصدق؟ قال: نعم يا رب. قال: فما فعلت فيه؟ وقال: أنهيت التوراة إلى

868- الحنة : رقة القلب وحنانه .

(٩٢١) الخبر من الإسرائيليات .

869- سورة: النساء من الآية : ٤٢ .

870- سورة : النبأ من الآية : ٤٠ .

871- تصلك ركبته : تضطربان اضطراباً شديداً

موسى ، وأنهيت الزبور إلى داود وأنهيت الإنجيل إلى عيسى ، وأنهيت الفرقان إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنهيت إلى كل رسول رسالته وإلى أهل الصحف صحائفهم ، فإذا بالنداء يا نوح فيؤتى به يرد وتضطك فرائضه (872) فيقول : يا نوح زعم جبريل أنك من المرسلين . قال : صدق ، فقيل له : ما فعلت مع قومك ؟ قال : دعوتهم ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً ، فإذا بالنداء : يا قوم نوح فيؤتى بهم زمرة (873) واحدة فيقال : هذا أخوكم نوح يزعم أنه بلغكم الرسالة . فيقولون : يا ربنا كذب ما بلغنا من شيء وينكرون الرسالة ، فيقول الله (تعالى) : يا نوح ألك بينة ؟ فيقول : نعم يا رب بينتى عليهم محمد وأمته ، فيقولون : كيف ونحن أول الأمم وهم آخر الأمم ؟ فيؤتى بالنبي ﷺ فيقول يا محمد هذا نوح (يستشهدك) ، فيشهد له بتبليغ الرسالة فيقرأ ﷺ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ (874) إلى آخر السورة ، فيقول الجليل جل جلاله : قد وجب عليكم الحق وحقت كلمة العذاب على الكافرين فيؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار من غير وزن عمل ولا حساب ، ثم ينادى : أين هود ؟ فيفعل قوم هود مع هود ، كما فعل قوم نوح مع نوح ، فيستشهد عليهم بالنبي ﷺ وخيار أمته فيتلو : ﴿ كَذَبْتَ عاد المرسلين ﴾ (875) فيؤمر بهم إلى النار مثل أمة نوح ، ثم ينادى : يا صالح ويا ثمود فيأتون فيستشهد صالح عندما ينكرون فيتلو النبي ﷺ ﴿ كَذَبْتَ ثمود المرسلين ﴾ (876) إلى آخر القصة فيفعل

872- فرائضة : مفردا فريضة وهي لحمية بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع والخوف .

873- زمرة واحدة : جماعة واحدة .

874- سورة : نوح من الآية : ١ .

875- سورة : الشعراء ، الآية : ١٢٣ .

876- سورة : الشعراء الآية : ١٤١ .

بهم مثلهم، ولا يزال تخرج أمة بعد أمة قد أخبر عنهم القرآن بياناً، وذكرهم فيه إشارة كقوله تعالى: ﴿وقرونا بين ذلك كثيراً﴾⁽⁸⁷⁷⁾ وقوله ﴿ثم أرسلنا رسلنا تنزلاً﴾⁽⁸⁷⁸⁾ كلما جاء أمة رسولها (كذبوا) ﴿(879)﴾ وقوله: ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات﴾⁽⁸⁸⁰⁾ وفي ذلك تنبيه على أولئك القرون الطاغية كقوم (يارح) وتارح ودوحاً (وأشعرا) وما أشبه ذلك حتى ينتهي النداء إلى أصحاب الرس وتبع وقوم إبراهيم، وفي كل ذلك لا يرفع لهم ميزان ولا يوضع لهم حساب، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، والترجمان يكلمهم لأن الرب تعالى من نظر إليه، وكلمه لم يعذبه، ثم ينادى بموسى بن عمران، فيأتى وهو كأنه ورقة فى ريح عاصف قد اصفر لونه واصطكت ركبته فيقول له: يا ابن عمران، جبريل يزعم أنه بلغك الرسالة والتوراة فتشهد له بالبلاغ؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى منبرك واتل ما أوحى إليك من ربك فيرقى المنبر، ثم يقرأ فينصت له كل من فى الموقف، فيأتى بالتوراة غضة طرية على حسننها يوم أنزلت حتى تشوهم الأحبار أنهم ما عرفوها يوماً ثم ينادى: يا داود، فيأتى وهو يردد وكأنه ورقة فى ريح عاصف تصطك ركبته فيصفر لونه، فيقول الله جل ثناؤه: يا داود، زعم جبريل أنه بلغك الزبور فتشهد له بالبلاغ؟ فيقول: نعم يا رب. فيقال له: ارجع إلى منبرك واتل ما أوحى إليك. فيرقى ثم يقرأ وهو أحسن الناس صوتاً

877- سورة: الفرقان من الآية: ٣٨ .

878- تنزلاً: يجيئون واحداً بعد الآخر تنابع والمقصود .

879- سورة: المؤمنون من الآية: ٤٤ .

880- سورة: إبراهيم من الآية: ٩ .

وفى الصحيح أنه صاحب المزامير . ثم ينادى المنادى: أين عيسى بن مريم؟ فيؤتى به على باب المرسلين فيقول (له): (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) ﴿ ثم يحمد تحميداً ما شاء الله تعالى ويشنى عليه كثيراً ثم يعطف على نفسه بالدم والاحتقار ويقول: ﴿ سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلتة فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (881) فيضحك الله (سبحانه) ويقول: ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ (882) يا عيسى ارجع إلى منبرك واتل الإنجيل الذى بلغك جبريل ، فيقول: نعم ، ثم يرقى ويقرأ فتشخص إليه الرؤوس لحسن ترديده وترجيئه فإنه أحكم الناس به رواية ، فيأتى به غضباً طرياً (883) حتى يظن الرهبان أنهم ما علموا به قط ، ثم تنقسم (النصارى) فرقتين: المجرمون مع المجرمين ، والمؤمنون مع المؤمنين . ثم يخرج النداء: أين محمد؟ فيؤتى به ﷺ ، فيقول يا محمد هذا جبريل يزعم أنه بلغك القرآن ، فيقول: نعم يارب، فيقال له: ارجع إلى منبرك وقرأ ، فيتلو ﷺ القرآن فيأتى به غضباً طرياً له حلاوة وعليه طلاوة ويستبشر به المتقون، وإذا وجوههم ضاحكة مستبشرة، والمجرمون وجوههم مغبرة مقترة، فإذا تلا النبى ﷺ القرآن توهمت الأمة أنهم ما سمعوه قط .

881- سورة: المائدة من الآية: ١١٦ .

882- سورة: المائدة الآية: ١١٩ .

883- غضباً طرياً: الغض فى الأصل: الطرى من كل شىء ، والمراد طريقة خاصة فى

القراءة والأداء .

٩٢٢- وقد قيل للأصمعي : تزعم أنك أحفظهم لكتاب الله قال : يا ابن أخي يوم أسمعه من رسول الله ﷺ كأنني ما سمعته ، فإذا فرغت قراءة الكتب خرج النداء من قبل سرادقات الجلال : ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾⁽⁸⁸⁴⁾ فيرتج الموقف ويقوم فيه روع عظيم والملائكة قد امتزجت بالجن والجن بينى آدم ، والكل لجة⁽⁸⁸⁵⁾ واحدة ثم يخرج النداء : يا آدم ابعث بعث النار ، فيقول : كم يا رب ؟ فيقال له : من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة على ما يأتي بيانه ، فلا يزال يستخرج من سائر الملحدين والغافلين والفاسقين حتى لا يبقى إلا قدر حفنة⁽⁸⁸⁶⁾ الرب (تعالى) كما قال الصديق رضي الله عنه : نحن حفنات بحفنات الرب سبحانه وتعالى ، على ما يأتي إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء في الشهداء عند الحساب

٩٢٣- قال العلماء : وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم ، قال

884- سورة : يس ، الآية : ٥٩ .

885- لجة : الجماعة الكثيرة مثل لجة البحر وهي عظمه وسعته .

886- حفنة : الحفنة ملء كل الكف .

الله تعالى ﴿وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ (887) وقال:
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (888) ،
وشهيد كل أمة : نبيها . وقيل : إنهم كتبة الأعمال وهو الأظهر ، فتحضر الأمة
ورسولها . فيقال للقوم : ماذا أجبتكم المرسلين ؟ ويقال للرسول : ماذا أجبتكم ؟
فتقول الرسل : لا علم لنا على ما تقدم في الباب قبل ، ثم يدعى كل واحد
على الانفراد فالشاهد عليه صحيفة عمله وكاتبها ، فإنه قد أخبر في الدنيا أن
عليه ملكين يحفظان أعماله وينسخانها .

٩٢٤- وذكر أبو حامد في (كتاب كشف علم الآخرة) أن المنادى
ينادى من قبل الله لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ، فيستخرج لهم كتاب
عظيم يسد ما بين المشرق والمغرب فيه جميع أعمال الخلائق ، فما من صغيرة
أو كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ، وذلك
أن أعمال الخلائق تعرض على الله (تعالى) في كل يوم فيأمر الكرام البررة أن
ينسخوها في ذلك الكتاب العظيم وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ (889)
ما كنتم تعملون ﴿﴾ (890) ثم ينادى بهم فرداً فرداً فيحاسب كل واحد
منهم ، فإذا الأقدام تشهد واليدان . وهو قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (891) وقد جاء في الخبر أن

887- سورة : الزمر من الآية : ٦٩ .

888- سورة : النساء ، الآية : ٤١ .

889- نستنسخ : نكتب ما عملوه وندونه .

890- سورة : الجاثية من الآية : ٢٩

891- سورة : النور الآية : ٢٤

رجلاً منهم يوقف بين يدي الله تبارك وتعالى فيقول له : يا عبد السوء كنت مجرماً عاصياً ، فيقول : ما فعلت ؟ فيقال له : عليك بينة فيؤتى بحفظته فيقول : كذبوا على فتشهد جوارحه عليه فيؤمر به إلى النار ، فيجعل يلوم جوارحه ، فتقول له : ليس عن اختيارنا ﴿ أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ (892) وقد تقدم هذا المعنى مستوفى ، وتقدم أن الأرض والأيام والليالي والمال ممن يشهد ، وإذا قال الكافر لا أجز على نفسي إلا شاهداً مني ختم على فيه فتشهد أركانها كما تقدم .

باب ما جاء في شهادة النبي ﷺ على أمته

٩٢٥- ابن المبارك ، أخبرنا رجل من الأنصار ، عن المنهال (بن) عمرو ، حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : ليس من يوم إلا تعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية ، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيداً ﴾ (893) .

« فصل » قلت : قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله تعالى يوم الخميس ويوم الاثنين ، وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة ولا تعارض ، فإنه يحتمل أن يخص نبينا عليه الصلاة والسلام بالعرض كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء والله أعلم .

(٩٢٥) إسناده مرسل ، والخبر ضعيف . أخرجه ابن المبارك (١٦٦) في زوائد الزهد ، وانظر البدور السافرة (ص / ٢٠٤) .

في سنده جهالة أحد الرواة ، وإرسال ابن المسيب .

892- سورة : فصلت من الآية : ٢١

893- سورة النساء الآية : ٤١ .

باب ما جاء فجب عقوبة مانعي الزكاة وفضيحة الغادر والغال⁽⁸⁹⁴⁾ فجب الموقف وقت الحساب

٩٢٦- مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح⁽⁸⁹⁵⁾ من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى (الله) بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » . قيل : يا رسول الله ، فالإبل ؟ قال : « ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ، ومن حقها : حلبها يوم وردها (إلا) إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر⁽⁸⁹⁶⁾ أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها⁽⁸⁹⁷⁾ وتعضه بأفواهها كلما مر عليها أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل : يا رسول الله ، فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منه شيئاً ليس فيها عقصاء⁽⁸⁹⁸⁾ ولا جلهاء⁽⁸⁹⁹⁾ ولا عضباء⁽⁹⁰⁰⁾ تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلما مر عليه أو لاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى (الله) بين

894- الغال : أغل الرجل : خان في المغنم وغيره .

(٩٢٦) حديث صحيح . سبق تخريجه .

895- صفائح : جمع صفيحة ، وهي كل عريض من حجارة أو لوح ونحوهما .

896- القرقر : القرقر من الأرض : المنخفضة اللينة ، والقرقر من الأودية والقيعان جمع قاع ، وهو المكان المستوى الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء .

897- أخفافها : جمع خف والخف للبعير كالحافر للفرس .

868- عقصاء : التي التوى قرناها على أذنيها من خلفها .

899- الجلهاء : الجلهاء من الشاء والبقر بمنزلة الجماء وهي التي لا قرن لها .

900- العضباء : المكسورة القرن .

العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار» وذكر الحديث : أخرجه البخارى بمعناه .

٩٢٧- وروى مالك موقوفاً والنسائي والبخارى مرفوعاً عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان ⁽⁹⁰¹⁾ يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه، يعنى : شذقيه، ثم يقول : أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا ﴿ ولا تحسبن الذين ييخلون ﴾ ⁽⁹⁰²⁾ الآية .

٩٢٨- وذكر مسلم من حديث جابر قال : « ولا صاحب كنز لا يؤدى فيه حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه فإذا أناه فر منه فيناديه : خذ كنزك الذى خبأته فأنا عنه غنى فإذا رأى أن لا بدله منه، سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل » وذكر الحديث .

٩٢٩- وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره ثم قال : « لا ألفين أحدكم يجيء يوم

(٩٢٧) حديث صحيح . أخرجه مالك (٥٩٩)، والبخارى (١٤٠٣)، وأحمد (٢ / ٢٧٩، ٣١٦، ٣٥٥، ٤٨٩)، والنسائي (٣٩ / ٥)، وابن حبان (١٠٧، ١٠٥ / ٥)، والبيهقى (١٥٦١)، (١٥٦١)، (٨١ / ٤)، (٢ / ٧) فى سننه الكبرى .

901- زبيبتان : مفردا زبيبة، وهما نقطتان سوداوان فوق عيني الحيات وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه .

902- سورة : آل عمران من الآية : ١٨٠ .

(٩٢٨) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٨٨) والنسائي (٢٧ / ٥) وأحمد (٣ / ٣٢١) والدارمى (٣٨٠ / ١) فى سننه وابن حبان (١٠٥ / ٥) .

(٩٢٩) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٠ / ٩٠) برقم (١٤٠٢)، ومسلم (١٨٣١)، وابن أبى شيبه (١٢ / ٤٩٣)، وابن حبان (٧ / ١٦٨-١٦٩)، والبيهقى (٩ / ١٠١) فى سننه الكبرى .

القيامة على رقبته بعير له رغاء⁽⁹⁰³⁾ يقول يا رسول الله ، أغثنى فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحة ، يقول يا رسول الله ، أغثنى فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء⁽⁹⁰⁴⁾ يقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح ، فيقول يا رسول الله : أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك من (الله شيئاً) قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله ، أغثنى فأقول : لا أملك لك (من الله) شيئاً قد أبلغتك « أخرج به البخارى أيضاً .

٩٣٠- وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدره فلان ابن فلان » .

٩٣١- وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة » .

٩٣٢ - وذكر أبو داود الطيالسى قال : حدثنا قرة بن خالد ، عن

903- الرغاء : صوت الإبل ، ويطلق على غيره من الأصوات .

904- ثغاء : ثغت الشاة ثغاء : صاحت .

(٩٣٠) حديث صحيح . سبق تخريجه .

(٩٣١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٧٣٨) ، وابن ماجه (٢٨٧٣) ، وأحمد (٣) /

(٦٤ ، ٤٦ ، ٣٥) .

(٩٣٢) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٥ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٤٣٧) ، (٦ / ٣٩٤) ،

والطيالسى (١٢٨٥) ، (١٢٨٦) ، وابن ماجه (٢٦٨٨) ، (٢٦٨٩) ، والخرائطى (٢٩) فى

المكارم ، والبيهقى (٦ / ٤٨٢ ، ٤٨٣) فى الدلائل ، و (٩ / ١٤٢ ، ١٤٣) فى سننه الكبرى .

عبدالملك بن عمير ، عن رافع بن شداد ، عن عمرو بن الحمق الخزاعي أن النبي ﷺ قال « إذا آمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء غدر يوم القيامة » .

٩٣٣- فصل : قال علماؤنا رحمهم الله في قوله تعالى : ﴿ ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ (905) أن ذلك على الحقيقة كما بينه ﷺ أى : يأتى به حاملاً له على ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله ومرعوباً بصوته وموبخاً بإظهار خيائنه على رؤوس الأشهاد ، وكذلك مانع الزكاة كما فى صحيح الحديث .

قال أبو حامد : فمانع زكاة الإبل يحمل بغيراً على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ، ومانع زكاة البقر يحمل ثوراً على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم ، ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء، وثقل يعدل الجبل العظيم، والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف ، ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله أعدالاً قد ملئت من الجنس الذى كان ييخل به برأ كان أو شعيراً أثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والشبور ، ومانع زكاة المال يحمل شجاعاً أقرع له زيبتان وذنبه قد انساب فى منخرية واستدارت بجيده (906) وثقل على كاهله كأنه طوق بكل (رحى) فى الأرض وكل واحد ينادى مثل هذا فتقول الملائكة : هذا ما بخلتم به فى الدنيا رغبة فيه وشحا عليه وهو قوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ (907) .

905- سورة : آل عمران من الآية : ١٦١ .

906- الجيد : العنق وموضع القلادة من الرقبة .

907 - سورة : آل عمران من الآية : ١٨٠ .

قلت : وهذه الفضيحة التي أوقعها الله تعالى بالغال ومانعى الزكاة نظير الفضيحة التي يوقعها بالغادر ، وجعل الله هذه المعاقبات حسب ما يعهده البشر ويفهمونه ، ألا ترى إلى قول الشاعر :

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها في المجمع
فكانت العرب ترفع للغادر لواء في المحافل ومواسم الحج ، وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته ، وذهب بعض العلماء إلى أن ما يجيء به الغال يحمله ، عبارة عن وزر ذلك وشهرة الأمر ، أى : يأتى يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل بعيراً له رغاء أو فرساً له حمحة .

٩٣٤- قلت : وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه ، وقد أخبر النبي ﷺ بالحقيقة فهو أولى ، وقد روى أبو داود عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ إذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى فى الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسها ويقسمها ، فجاء رجل يوماً بعد النداء بزمان من شعر ، فقال : يا رسول الله ، هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة . قال : «أسمعت بلالاً ينادى ثلاثاً» ؟ قال : نعم قال : « فما منعك أن تجيء به ؟ » فاعتذر إليه فقال : « كلا ، أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك » .

٩٣٤م- فصل : وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الحجر ليزن بسبع خلفات فيلقى فى جهنم فيهوى فيها سبعين خريفاً ، ويؤتى بالغلول فيلقى معه ثم يكلف صاحبه أن يأتى به قال : فهو قول الله تعالى : ﴿ومن يغلول يأت بها

(٩٣٤) حديث حسن . أخرجه أبو داود (٢٧١٢) ، وابن حبان (٤٨٣٨) ، والحاكم (٢) / (١٢٧ ، ١٣٩) ، وصححه ، وأقره الذهبى ، والبيهقى (٦ / ٢٩٣) ، (٨ / ٣٢٢) ، (٩ / ١٠٢) فى سننه الكبرى .

(٩٣٤م) حديث ضعيف . أخرجه الطبرانى (١١٥٨) فى الكبير ، والبيهقى (٤٣٣٤) فى شعب الإيمان ، ابن أبي حاتم ، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٢ / ٩٢) فى سننه محمد بن أبان الجعفى ، ضعفه أبو داود وابن معين ، وقال البخارى ليس بالقوى .

غدا يوم القيامة ﴿٩٠٨﴾ ذكره على بن سليمان المرادي في الأربعين له .
وقوله : «يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة» دليل على أن في الآخرة للناس
ألوية فمنها ألوية خزي وفضيحة يعرف بها أهلها ، ومنها ألوية حمد وثناء
وتشريف وتكريم . قال رسول الله ﷺ : «لواء الحمد بيدي» وروى : لواء
الكرم وقد تقدم .

٩٣٥- وروى الزهري عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار، فعلى
هذا من كان إماماً ورأساً في أمر ما معروفاً به فله لواء يعرف به خيراً كان أو
شراً ، وقد يجوز أن يكون للصالحين والأولياء ألوية يعرفون بها تنويها بهم
وإكراماً لهم ، والله أعلم .

٩٣٥م- وإن كانوا غير معروفين ، قال النبي ﷺ «رب أشعث أغبر (٩٠٩)
مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»

٩٣٦- وقال : «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي» أخرجهما مسلم .

908- سورة : آل عمران من الآية : ١٦١

(٩٣٥) حديث ضعيف جداً . أخرجه أحمد (٢ / ٢٢٨) ، والبخارى تعليقاً في تاريخه
الكبير (٩ / ٢٠) ، ويحتمل (ص / ١٢٢) في تاريخ واسط ، وابن عدى (٧ / ٢٧٥٥) في
الكمال ، وابن حبان (٣ / ١٥٠) في المجروحين ، والخطيب ، وفي شرف أصحاب الحديث (ص
/ ١٠١) في سنده أبو الجهم ، قال أبو زرعة : واه ، وقال ابن حنبل : مجهول ، وقال ابن عدى :
لا نعرف له سوى هذا الحديث ، وهو منكر بهذا الإسناد .

(٩٣٥م) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٦٢٢) ، وابن حبان (٨ / ١٣٩) ، والبخارى
(٤٠٦٩) ، وأبو نعيم (١ / ٣٥٠) في الحلية ، والبيهقي (١٠٤٨٢) في شعب الإيمان ،
والخطيب (٣ / ٢٠٣ ، ٤٢١) في تاريخه ، وفي الباب عن أنس رضى الله عنه .

909- أشعث أغبر : الأشعث مفرق شعر الرأس منتشره والأغبر الذي عليه غبار .

(٩٣٦) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٦٥) ، وأحمد (١ / ١٦٨ ، ١٧٧) ،
والبخارى (٤٢٢٨) ، وأبو نعيم (١ / ٩٤ ، ٢٥) في الحلية ، والخطيب (١٢) في العزلة ،
والبيهقي (١٠٣٧٠) في شعب الإيمان .

٩٣٧- وقال أبو حامد في كتاب (كشف علم الآخرة) وفي الحديث الصحيح: «إن أول ما يقضى الله (تعالى) فيه الدماء، وأول من يعطى الله أجورهم الذين ذهب أبصارهم ينادى يوم القيامة بالمكفوفين فيقال لهم: أنتم أخرى وأحق من ينظر إلينا ثم يستحي الله تعالى منهم ، ويقول لهم : اذهبوا إلى ذات اليمين ، ويعقد لهم راية وتجعل بيد شعيب عليه (الصلاة و) السلام فيصير أمامهم ومعهم ملائكة النور مالا يحصى عددهم إلا الله تعالى يرفونهم كما ترف العروس ، فيمر بهم على الصراط كالبرق الخاطف ، وصفة أحدهم الصبر والحلم كابن عباس ومن ضاهاه من الأئمة ثم ينادى : أين أهل البلاء؟ ويريد المجذومين فيؤتى بهم فيحييهم الله بتحية طيبة بالغة فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء ، وتجعل بيد أيوب عليه (الصلاة و) السلام فيصير أمامهم ذات اليمين ، وصفة المبتلى صبر وحلم وعلم كعقيل ابن أبي طالب ومن ضاهاه من الأئمة ثم ينادى : أين الشباب المتعففون؟ فيؤتى بهم إلى الله فيرحب بهم نعماً ويقول ما شاء الله أن يقول . ثم يؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء ثم تجعل في يد يوسف عليه الصلاة والسلام ، ويصير أمامهم إلى ذات اليمين، وصفة الشباب صبر وعلم وحلم كراشد بن سليمان ومن ضاهاه من الأئمة، ثم يخرج النداء: أين المتحابون في الله؟ فيؤتى بهم إلى الله تعالى فيرحب بهم ويقول ما شاء الله أن يقول، ثم يؤمر بهم إلى ذات اليمين، وصفة (المتحابين) في الله صبر وعلم وحلم لا يسخط ولا يسيء من رضى الأحوال الدنيوية كأبي تراب أعنى: على بن أبي طالب رضى الله عنه ومن ضاهاه من الأئمة، ثم يخرج النداء: أين الباكون؟ فيؤتى بهم إلى الله تعالى فتوزن دموعهم ودم الشهداء ومداد العلماء،

(٩٣٧) حديث صحيح . سبق تخريجه مقتصراً على طرفه ، أما باقى الحديث ، فلا

أصل له.

فيرجع الدمع فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية ملونة لأنهم بكوا في أنواع مختلفة ، هذا بكى خوفاً ، وهذا بكى طمعاً ، وهذا بكى ندماً وتجعل بيد نوح عليه (الصلاة و) السلام ، فتهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون: علمنا بكاءهم ، فإذا النداء على رسلك يا نوح ، فتوقف الزمرة ثم يوزن مداد العلماء [ودم الشهداء] فيرجح دم الشهداء فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية مزعفرة⁽⁹¹⁰⁾ وتجعل في يد يحيى عليه (الصلاة و) السلام ، ثم ينطلق أمامهم ، فيهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون: عن علمنا قاتلوا فنحن أحق منهم بالتقدم ، فيضحك لهم الجليل جل جلاله ويقول لهم: أنتم عندى كأنبياي أشفعوا فيمن تشاءون ، فيشفع العالم في جيرانه وإخوانه ويأمر كل واحد منهم ملكاً ينادى في الناس: ألا إن فلاناً العالم قد أمر له أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمة حين جاع ، أو سقاه شربة ماء حين عطش ، فليقم إليه فإنه يشفع له .

٩٣٨- وفي الصحيح: « أول من يشفع المرسلون ، ثم النبيون ثم العلماء » ويعقد لهم راية بيضاء وتجعل بيد إبراهيم عليه (الصلاة و) السلام فإنه أشد المرسلين مكاشفة ثم ينادى: أين الفقراء؟ فيؤتى بهم إلى الله عز وجل

910- مزعفرة: أصل الزعفران صبغ معروف له رائحة مميزة ، وقد نهى الرسول ﷺ

الرجال عن التزعفر نظراً لونه الشديد .

(٩٣٨) حديث موضوع بهذا اللفظ .

ففي الحديث « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء » حديث موضوع ، انظر السلسلة الضعيفة (١٩٧٨) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣) ، وابن عبد البر (١ / ٣٠) في جامع بيان العلم ، والخطيب (١١ / ١٧٨) في تاريخه ، والآخري (ص / ٣٥٠) في الشريعة .

٢- وفي الحديث: فيقول الله شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين » حديث صحيح ، يغنى عن السابق .

أخرجه البخاري (٩ / ١٦٠) ، ومسلم (١٨٣) ، وأحمد (٣٠ / ٩٤) ، وبنحوه عند أحمد (٥ / ٤٣) .

فيقول لهم مرحباً بمن كانت الدنيا سجنهم ، ثم يؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية صفراء وتجعل في يد عيسى ابن مريم عليه (الصلاة و)السلام ويصير أمامهم إلى ذات اليمين ، ثم ينادى أين الأغنياء ؟ فيؤتى بهم إلى الله عز وجل فيعدد عليهم ما خولهم⁽⁹¹¹⁾ فيه خمسمائة عام ، ثم يؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية ملونة وتجعل بيد سليمان عليه (الصلاة و)السلام ويصير أمامهم في ذات اليمين » .

٩٣٩- وفي الحديث: «أن أربعة يستشهد عليهم بأربعة : ينادى بالأغنياء وأهل الغبطة فيقال لهم : ما شغلكم عن عبادة الله ؟ فيقولون : أعطانا الله ملكاً وغبطة شغلنا عن القيام بحقه في دار الدنيا فيقال لهم : من أعظم ملكاً : أنتم أم سليمان ؟ فيقولون : بل سليمان . فيقال : ما شغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب⁽⁹¹²⁾ في ذكره ، ثم يقال : أين أهل البلاء ؟ فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم : أى شيء شغلكم عن عبادة الله تعالى ؟ فيقولون : ابتلانا الله في دار الدنيا بأنواع من الآفات والعاهات شغلتنا عن ذكره والقيام بحقه فيقال لهم : من أشد بلاء : أنتم أم أيوب ؟ فيقولون : بل أيوب . فيقال لهم : ما شغله ذلك عن حقنا والدأب لذكرنا ثم ينادى : أين الشباب العطرة والمماليك ؟ فتقول الشباب : أعطانا الله جمالاً وحسناً فتنا به فكنا مشغولين عن القيام بحقه وكذلك المماليك فيقولون : شغلنا رق العبودية في الدنيا فيقال لهم : أنتم أكثر جمالاً أم يوسف عليه (الصلاة و)السلام . فلقد كان في رق العبودية ما شغله ذلك عن القيام بحقنا ولا الدأب لذكرنا ثم ينادى : أين

911- ما خولهم : أى ما أعطاهم من نعم ومتع في الحياة الدنيا .

(٩٣٩) خير ضعيف . أخرجه البيهقي (٩٩٩٩) في شعب الإيمان مقطوعاً من قول مجاهد وفي سنده ليث بن أبي سليم من الضعفاء .

912- الدأب : الدائمة والاستمرار .

الفقراء ؟ فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم : ما شغلكم عن عبادة الله تعالى ؟ فيقولون : ابتلانا الله في دار الدنيا بفقر شغلنا فيقال لهم : من اشد فقراً . أنتم أم عيسى عليه (الصلاة و) السلام ؟ فيقولون : بل عيسى فيقول لهم : ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا ، فمن بلى بشيء من هذه الأربع فليذكر صاحبه ..

٩٤٠- فصل : وقوله « هذه غدره فلان ابن فلان » دليل على أن الناس يدعون في الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقد تقدم هذا في غير موضع ، وفي هذا رد على من قال إنما يدعون بأسماء أمهاتهم لأن في ذلك سترًا على آبائهم ، وهذا الحديث خلاف قولهم ، خرج به البخاري ومسلم وحسبك .

٩٤١- فصل : وقوله : « فيكوى بها جنبه » الحديث ، إنما خص الجنب والجبهة والظهر بالكي لشهرته في الوجه وشناعته ، وفي الجنب والظهر لأنه ألم وأوجع ، وقيل خص الوجه لتقطيبه⁽⁹¹³⁾ في وجه السائل أولاً والجنب لازوراره⁽⁹¹⁴⁾ عن السائل ثانياً والظهر لانصرافه إذا زاد في السؤال وأكثر منه ، فرتب الله تعالى هذه العقوبات فسي هذه الأعضاء لأجل ذلك والله أعلم .

٩٤٢- وقالت الصوفية : لما طلبوا الجاه والمال شان الله وجوههم ولما طووا كشحاً عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم ، ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتماداً عليها كويت ظهورهم .

913- التقطيب : يقال : قطب فلان في وجه آخر : إذا عبس وكشر في وجهه .

914- لازوراره : الازورار : هو الميل والإعراض .

٩٤٣- فصل: وقوله: ﴿ففي يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (915)

قيل: معناه لو حاسب فيها غير الله تعالى، وإنما هو سبحانه وتعالى يفرغ منه في مقدار نصف نهار من أيام الدنيا. وقيل: قدر مواقفهم للحساب، عن الحسن وقال ابن اليمان: كل موقف منها ألف سنة.

٩٤٤- وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة» وقد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري.

٩٤٥- وذكر ابن المبارك قال: أنبأنا معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة قال: «يقصر يومئذ على المؤمن حتى يكون كوقت الصلاة».

٩٤٦- وفي الحديث: «لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في

(٩٤٣) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢ / ٢٥٣)، تفسير الطبري (٢٩ / ٤٤ - ٤٥)، الدر المنثور (٦ / ٢٦٤).

915- سورة: المعارج من الآية: ٤.

(٩٤٤) حديث ضعيف. سبق تخرجه.

(٩٤٥) إسناده صحيح موقوف. أخرجه ابن المبارك (٣٤٨) في زوائد الزهد، وأخرجه الحاكم (١ / ٨٤) من نفس الطريق، وأخرجه أيضاً مرفوعاً، وصححه، وقال الذهبي: على شرطهما، لكن رفعه سويد بن نصر عن ابن المبارك، وهو ثقة، ووقفه عبد الله عنه.

(٩٤٦) إسناده منقطع. وهو من أنواع الضعيف.

أخرجه ابن المبارك (١٣١٣) في الزهد، والحاكم (٢ / ٤٠٢)، وصححه، وأقره الذهبي، وفيه انقطاع، فإن أبا عبيدة الراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه، وأخرجه ابن جرير (٢٣ / ٤٢) بسنده عن السدي عن ابن مسعود وفيه انقطاع أيضاً وأخرجه (١٩ / ٤) عن ابن جريج عن ابن مسعود وفيه انقطاع، وانظر: البدور السافرة (ص / ٨٩).

الجنة وأهل النار في النار» ذكره ابن عزيز في (غريب القرآن) له . ويطح : ألقى على وجهه قاله بعض المفسرين . وقال أهل اللغة : البطح : وهو البسط كيفما كان غير الوجه أو على الوجه ، ومنه سميت بطحاء مكة لا نبساطها ، وبقاع قرقر : أى بموضع مستو واسع وأصل القاع : الموضع المنخفض الذى يستقر فيه الماء وجمعه قيعان ، والعقصاء : المتتوية القرن . والجلحاء : التى لا قرن لها ، والعضباء : المكسورة داخلة القرن يريد : إنها كلها ذوات قرون صحاح ويمكن بها النطح والطعن حتى يكون أشد لألمه وأبلغ فى عذابه ، والله أعلم .

باب منه وذكر الولاية

٩٤٧- ذكر الغيلاني أبو طالب قال : حدثنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا محمد بن غالب قال : حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا روح بن القاسم ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يفكه الله بعدله أو يوبقه » (916) بجرمه .

٩٤٨- وقال عمر لأبي ذر رضى الله عنهما : حدثني بحديث سمعته

(٩٤٧) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٤٣١) ، والدارمي (٢ / ٢٤٠) ، والحاكم (٤ / ٨٩) ، وصححه وأقره الذهبي ، والبخاري (١٠ / ٥٩) فى شرح السنة ، والبيهقي (٣ / ١٢٩) ، (١٠ / ٩٥) فى سننه الكبرى .

وفى الباب عن أبي أمامة ، وسعد بن عباد ، وعبادة بن الصامت وابن عباس ، تراجع فى الدينار (ص / ٣٧) للذهبي بتحقيقى .

916- يوبقه : يهلكه ويعذبه .

(٩٤٨) حديث ضعيف جداً . أخرجه ابن أبي شيبة (١٢ / ٢١٧) ، وابن أبي الدنيا (٢٤٧) ، (٢٤٨) فى الأهوال ، وأبو نعيم فى « معرفة الصحابة » ، والطبراني (١٢١٩) فى الكبير ، والبخاري ، وابن منده كما فى الإصابة (١ / ١٥٧) . =

من رسول الله ﷺ قال : سمعته يقول : « يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه ، فإن كان مطيعاً لله فى عمله مضى فيه ، وإن كان عاصياً لله عز وجل ، (انخرق) به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاماً » فقال عمر : من يطلب العمل بعد هذا يا أبا ذر ؟ قال : « من سلت الله أنفه وألصق خده بالتراب » ذكره أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله .

٩٤٩- وروى الأئمة ، عن أبي حميد الساعدي ، عن النبي ﷺ أنه استعمل رجلاً من بنى أسد يقال له : ابن اللبيرة على الصدقة فجاء فقال : هذا لكم وهذا أهدي لى ، فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول : هذا لكم وهذا أهدي لى أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟ لا يأتى أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بعيراً فله رغاء ، وإن كان بقرة فلهأ خوار⁽⁹¹⁷⁾ أو شاة تشغو ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه⁽⁹¹⁸⁾ ، ثم قال اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت ؟ .

٩٥٠- وروى أبو داود عن بريدة عن النبي ﷺ : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » .

= ويراجع الكلام عليه فى كتاب « ذم القضاء » للسيوطى برقم (١١٢) بتحقيقى .

(٩٤٩) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٩ / ٨٨) ، وأحمد (٥ / ٤٢٣) ، وأبو داود (٢٩٤٦) ، والشافعى (٦٤١) ، وابن خزيمة (٢٣٣٩) ، والدارمى (٢ / ٣٣٢) ، والبيهقى (١٥٦٨) ، (٤ / ١٥٨) ، (١٠ / ١٣٨) .

917- الخوار : صوت البقر ، والثغاء : صوت المعز والشيأه .

918- عفرتى إبطيه : الشعرأ النابتات تحت إبطه .

(٩٥٠) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (٢٩٤٣) ، والحاكم (١ / ٤٠٦) وصححه وأقره الذهبى ، وابن خزيمة (٢٣٦٩) والبيهقى (٦ / ٣٥٥) فى سننه الكبرى .

باب ما جاء في حوض النبي ﷺ فج الموقف وسعته وكثرة أوانيهِ وذكر أركانه ومن عليهما

٩٥١- ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ هو بعد الصراط ، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين : أحدهما : في الموقف قبل الصراط ، والثاني : في الجنة وكلاهما يسمى كوثرًا على ما يأتي ، والكوثر في كلام العرب : الخير الكثير ، واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر ، فقيل : الميزان قبل ، وقيل : الحوض ، قال أبو الحسن القابسي : والصحيح أن الحوض قبل .

قلت : والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم ، فيتقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم . وقال أبو حامد في كتاب (كشف [علم] الآخرة) ، وحكى بعض السلف من أهل التصنيف : أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله . قال المؤلف [رضى الله عنه] : هو كما قال .

٩٥٢- وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «بيننا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم : فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى النار والله قلت : ما شأنهم ؟ فقال : إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقري⁽⁹¹⁹⁾ ، ثم إذا زمرة

(٩٥١) وانظر : نهاية البداية والنهاية (ص / ٢٦٥) لابن كثير نقلاً عن المصنف ، ويراجع ترجيح ابن كثير رحمه الله .

وانظر : البدور السافرة (ص / ١٤٧) للسيوطي نقلاً عن المصنف .

(٩٥٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٨ / ١٥٠) برقم (٦٥٨٧) ، ومسلم (٢٣٠٤) بمعناه .

919- القهقري : الرجوع إلى الوراء ، والمراد : رجعوا إلى أمور الجاهلية ثانية .

أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم : هلم ، فقلت إلى أين ؟ قال إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل⁽⁹²⁰⁾ النعم » .

قلت : فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه ، فمن جازه سلم من النار على ما يأتي ، وكذا حياض الأنبياء عليهم (الصلاة و) السلام تكون أيضاً في الموقف على ما يأتي .

٩٥٣- وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي الله تعالى : هل فيه ماء ؟ قال : « إى والذي نفسى بيده إن فيه ماء ، وإن أولياء الله تعالى ليردون حياض الأنبياء ، ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء » .

٩٥٤- مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال : « والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ ، آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان⁽⁹²¹⁾ من الجنة من شرب منه لم يظمأ ،

920- الهمل : المتروك ليلاً ونهاراً دون رعاية وعناية ، ويعنى أنهم قليلون .

(٩٥٣) حديث ضعيف . أخرجه ابن مردويه في « تفسيره » بسنده ، وهو مسلسل بالمجاهيل ، وأورده ابن كثير (٢ / ١٢٥) في تفسيره ، وقال : حديث غريب ، وقال في نهاية البداية (ص / ٢٦٢) : حديث غريب ، وليس هو في شيء من الكتب الستة .
(٩٥٤) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٣٠٠) ، وأحمد (١٤٩ / ٥) ، والترمذى (٢٤٤٥) ، وابن أبي شيبة (١١ / ٤٤٢) ، وابن أبي عاصم (٧٢١) في السنة ، والآجرى (ص / ٣٥٥) في الشريعة .

921- ميزابان : قناة أو أنبوبة يصرف بها الماء من سطح بناء أو موضع عال .

عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل» .

٩٥٥- وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : « إني لبعقر حوضي أدود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال : من مقامى إلى عمان ، وسئل عن شرابه فقال : أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل ، يغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق . في غير كتاب مسلم يعب فيه ميزابان من الكوثر الحديث . وفي أخرى ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليه قدح .

٩٥٦- مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت على آتفا سورة فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شائنك⁽⁹²²⁾ هو الأبت⁽⁹²³⁾» ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم، فيختلج العبد فأقول: يا رب، إنه من أمتي فيقال: ما تدري ما أحدث بعدك». وفي رواية

(٩٥٥) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٣٠١) ، وأحمد (٥ / ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣) ، عبد الرزاق (٢٠٨٥٣) ، وابن أبي شيبه (١١ / ٤٤٣) ، وابن أبي عاصم (٧٠٨) ، (٧٠٩) ، (٧١٠) ، في السنة ، والبيهقي (٣٣٤٢) ، والآجري (ص / ٣٥٢) ، وابن منده (١٠٧٥) في الإيمان .

(٩٥٦) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٣٠٤) ، وأحمد (٣ / ١٠٢) ، وأبو داود (٤٧٤٧) ، وابن أبي شيبه (١١ / ٤٣٧) ، وابن أبي عاصم (٧٦٤) ، والبيهقي (٤ / ٥٣٣) في تفسيره .

922 - الشائى : المبغض الحاقداً ، الأبت⁽⁹²³⁾ : المقطوع الذى لا ولد له .

923 - سورة : الكوثر .

أخرى ما أحدث (بعدك) .

٩٥٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك ، كيزانه كنجوم السماء ، من ورد فشرب منه لم يظمأ بعده أبدا » أخرجه البخاري .

٩٥٨- وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أمامكم حوضاً كما بين جربا وأذرح فيه أباريق كنجوم السماء ، من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا » .

قال عبيد الله : فسألته فقال : قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث . أخرجه البخاري .

٩٥٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ، ولآتيته أكثر من عدد النجوم وإنني لأصد الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه » ، قالوا : يا رسول الله ، أتعرفنا يومئذ ؟ قال : « نعم ، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون عليّ غراً محجلين من أثر الوضوء » .

٩٦٠- ابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي

(٩٥٧) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٨ / ١٤٩) برقم (٦٥٧٩) ، ومسلم (٢٢٩٢) ، وابن أبي عاصم (٧٢٨) ، وابن حبان (٨ / ١٢٤) والبيهقي (٤٣٤٠) في شرح السنة .

(٩٥٨) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٧٧) ، ومسلم (٢٢٩٩) ، وأبو داود (٤٧٤٥) ، وأحمد (٢ / ٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٤) ، وابن أبي عاصم (٧٢٧) ، وابن حبان (٨ / ١٢٤) ، وابن منده (١٠٧٦) في الإيمان .

(٩٥٩) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٤٨) ، وابن ماجه (٤٣٠٦) ، وفي الباب عن حذيفة ، وأنس رضي الله عنهما .

(٩٦٠) إسناده ضعيف . أخرجه ابن ماجه (٤٣٠١) ، وابن أبي شيبة (١٣ / ١٤٦) في =

ﷺ قال : « إن لي حوضاً ما بين الكعبة ، وبين المقدس أبيض مثل اللبن ، أنيته عدد نجوم السماء ، وإنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » .

٩٦١- فصل : ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث

الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك ، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة . وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها . فيقول لأهل الشام ، ما بين أذرح وجربا ، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن ، وهكذا ، وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول : مسيرة شهر ، والمعنى المقصود : أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا ، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات ، فخطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها . والله أعلم .

ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مساميه هذه الأقطار أو في المواضع التي تكون بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ، ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم ، تطهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء ، ويغت : معناه يصب ، ويشخب : أي يسيل ، والعقر : مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردته ، وتسكن قافه وتضم فيقال : عقر وعقر كعسر وعسر قاله في الصحاح ، والهمل من النعم الضوال من الإبل ، واحداها هامل ، قاله الهروي والمعنى [أن] الناجي منهم قليل كهمل النعم ، ويقال : إن على أحد أركانه أبا بكر ، وعلى الثاني عمر ، وعلى الثالث عثمان ، وعلى الرابع علياً .

= مصنفه ، وابن أبي عاصم (٧٢٣) في سنده عطية العوفى ، وهو من الضعفاء .

٩٦٢- قلت : هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع ، وقد رفعه صاحب الغيلانيات من حديث حميد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن على حوضى أربعة أركان ، فأول ركن منها : فى يد أبى بكر ، والركن الثانى فى يد عمر ، والركن الثالث فى يد عثمان ، والركن الرابع : فى يد على رضى الله عنهم أجمعين .

فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ، ومن أحب عثمان وأبغض علياً ، لم يسقه عثمان ، ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه على . وذكر الحديث .

بَابُ مِنْهُ

٩٦٣- ذكر أبو داود الطيالسى : قال : حدثنا شعبة قال : أخبرنى عمرو بن مرة قال : سمعت أبا حمزة عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ قال : « ما أنتم بجزء من مائة ألف أو سبعين ألف جزء ممن يرد على الحوض ، وكانوا يومئذ ثمانمائة أو تسعمائة ، والله أعلم .

(٩٦٢) حديث ضعيف جداً . أخرجه أبو سعد فى « شرف النبوة » ، والغيلانى كما فى الإتحاف (٤١٦٩) ، وقال الزبيدى : إسناده واه . وأخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١ / ٢٥٣) الذى ضمنه الأحاديث الباطلة ، والموضوعة ، وقال ابن كثير (ص / ٢٦٦) فى نهاية البداية : لا يصح إسناده ضعيف . (٩٦٣) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢) ، وأبو داود (٤٧٤٦) ، وابن أبى شيبة (١١ / ٤٥٥) ، وابن أبى عاصم (٧٣٣) ، والحاكم (١ / ٧٦ - ٧٧) ، وصححه الطبرانى (٤٩٩٧) ، (٤٩٩٨) ، (٤٩٩٩) ، (٥٠٠٠) فى الكبير .

باب فقراء المهاجرين أول الناس وروداً

الحوض على النبي ﷺ

٩٦٤- ابن ماجه عن الصنابحي الأحمسي قال : قال رسول الله ﷺ: « ألا إني فرطكم على الحوض ، وإني مكاثركم بكم الأمم ، فلا تقتتلن بعدى » .

٩٦٥- وخرج عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : إن حوضي ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل أكاوييه (٩٢٤) كعدد نجوم السماء من شرب منه [شربة] لم يظماً بعدها أبداً ، وأول الناس من يرد على الحوض فقراء المهاجرين . الدنس ثيابا الشعث رؤوساً الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد قال : فبكي عمر حتى ابتلت لحيته فقال: لكنني نكحت (المنعمات) وفتحت لي أبواب السدد ، لا جرم أني لا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ ، ولا أدهن رأسي حتى تشعث . خروجه الترمذي .

عن أبي سلام الحبشي قال : بعث إلى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد ، قال : فلما دخل عليه ، قال يا أمير المؤمنين ، لقد شق مركبي البريد فقال : يا أبا سلام ، ما أردت أن أشق عليك ولكن بلغني عنك حديث تحدّثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به .

(٩٦٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ٣٤٩ ، ٣٥١) وابن ماجه (٣٩٤٤) ، وابن أبي عاصم (٧٣٩) في السنة ، والطبراني (٧٤١٤) ، (٧٤١٥) ، (٧٤١٦) من طرق عن ابن أبي خالد عن قيس عن الصنابحي به .

(٩٦٥) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٥ / ٢٧٥) ، والترمذي (٢٥٦٢) ، وابن ماجه (٤٣٠٣) ، وابن أبي عاصم (٧٤٧) ، (٧٤٩) ، والحاكم (٤ / ١٨٤) وصححه وأقره الذهبي ، وابن أبي الدنيا (٧) في الأولياء بتحقيق .

٩٢٤- أكاوييه : جمع كوب ، وهو الكوز الذي يشرب فيه ، وهو الذي لا عروة له .

قال أبو سلام: حدثني ثوبان عن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء مأؤه أشد...» فذكره بمعناه وقال: حديث غريب .
٩٦٦- وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «أول من يرد الحوض على رسول الله ﷺ الذابلون (925) الناحلون (926) السائحون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن» .

بَابُ ذِكْرِ مَنْ يَطُودُ عَنِ الْحَوْضِ

٩٦٧- البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: «ليردن على ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا (927) دوني فأقول: أصحابي، فيقال لي: لا تدري ما أحدثوا بعدك» .
٩٦٨- وعن أبي هريرة أنه كان (يحدث) أن رسول الله ﷺ قال: «يرد على الحوض رهط من أصحابي فيخلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري» .
٩٦٩- مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال

925- الذابلون: جمع ذابل وهو الضعيف .

926- الناحلون: جمع ناحل وهو من نحل جسمه أي نحيفاً هزلاً .

(٩٦٧) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٨٢) ، ومسلم (٢٣٠٤) ، وأحمد (٣ / ٢٨١) وفي الباب عن أبي هريرة وأبي بكر .

٩٢٧- اختلجوا دوني: جزبوا بعيداً عني وانتزعوا إلى النار .

(٩٦٨) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٨٥) ، (٦٥٨٦) ، ومسلم (٢٣٠٢) مختصراً ، وأحمد (٢ / ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤٥٤ ، ٤٦٧) ، وابن أبي عاصم (٧٦٩) .
(٩٦٩) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٩٣) ، ومسلم (٦٥٩٣) ، والبيهقي (١ / ٤٠٢) في تفسيره ، وابن عبد البر (٢٠ / ٣٠٨) في التمهيد .

رسول الله ﷺ : « إني على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يا رب منى ومن أمتى فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » . وفى حديث أنس فيختلج العبد فأقول : يا رب ، من أمتى ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » ، وقد تقدم .

وكذلك حديث البخارى : « إذا زمرة حتى إذا عرفتهم » تقدم أيضاً ، وفى (الموطأ) وغيره من حديث أبى هريرة فقالوا : كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك يا رسول الله ؟ الحديث . وفيه قال : « فإنهم يأتون غراً محجلين من أثر الوضوء » .

٩٧٠- فصل : قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباین ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون ، وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق ، وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع ، ثم البعد قد يكون فى حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل فى الأعمال ولم يكن فى العقائد ، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ، ثم يقال لهم سحقاً ، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر ، فيأخذهم بالظاهر . ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم : سحقاً سحقاً ولا يخلد فى النار إلا كافر جاحد مبطل ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .

(٩٧٠) انظر : البدور السافرة (ص / ١٧٨) نقلاً عن المصنف .

وقد يقال إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكباثر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش ، والله أعلم .

٩٧١- وروى الترمذي عن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله ﷺ « أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدى فمن غشى أبوابهم فصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى وليست منه ، ولا يرد على الحوض ، ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم فى كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه ، وسيرد على الحوض ، يا كعب ابن عجرة ، الصلاة برهان ، والصبر جنة حصينة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب وخرجه أيضاً فى كتاب (الفتن) وصححه .

٩٧٢- وخرج الأوزاعى أبو عمر فى مسنده قال : حدثنى عمرو بن سعد قال : حدثنى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك أنه سمع النبى ﷺ يقول : « حوضى ما بين أيلة إلى مكة ، أباريقه كنجوم السماء أو كعدد نجوم السماء ، له ميزابان من الجنة كلما نضب أمداه ، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، وسيأتيه قوم ذابلة شفاههم ، لا (يطعمون) منه قطرة واحدة ، من كذب به اليوم لم يصب منه الشرب يومئذ » .

(٩٧١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤ / ٤٣٤) ، والترمذى (٦٠٩) ، (٦١٠) ، و(٢٣٦٠) ، والنسائى (٧ / ١٦٠ - ١٦١) ، وابن أبى عاصم (٧٥٥) ، وابن حبان (٧ / ٤٣٦) ، والطبرانى (١٩ / ١٠٥ ، ١٤١) فى الكبير ، وفى الصغير (١ / ١٥٤) وفى الباب عن حذيفة ، وجابر بن عبد الله ، والنعمان بن بشير ، وخباب ، وأبى إسحاق السامى .
(٩٧٢) إسناده ضعيف . فيه يزيد الرقاشى من الضعفاء .

٩٧٣- وخرج الترمذى الحكيم (في نوادر الأصول) من حديث عثمان بن مظعون ، عن النبي ﷺ أنه قال في آخره : « يا عثمان ، لا ترغب عن سنتي ، فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة » . وقد ذكرناه بكماله في آخر كتاب (قمع الحرص بالزهد والقناعة) .

باب ما جاء أن لكل نبي حوضاً

٩٧٤- الترمذى عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً، وأنهم يتباهون أيهم أكثر وارده وإنى أرجو أن أكون أكثرهم وارده». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، رواه قتادة عن الحسن عن سمرة، وقد رواه الأشعث بن عبد الملك عن الحسين رضى الله عنه عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه غير سمرة. وقال البكرى المعروف بابن الواسطي: لكل نبي حوض إلا صالحاً فإن حوضه ضرع ناقته، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٩٧٣) حديث موضوع . أخرجه الحكيم الترمذى (ص / ٣٤٦) ، وابن الجوزى (ص / ٢١١ - ٢١٣) فى تلبس إبليس ، وأورده القرطبي (ص / ٢٠٢ - ٢٠٣) فى قمع الحرص بتحقيقى كلهم عن سعيد بن المسيب .
فى سنده القاسم بن عبد الله ، قال أحمد : ليس بشيء ، كان يكذب ، ويضع الحديث ، وفى سنده ابن جدهان من الضعفاء ، وفيه إرسال من ابن المسيب .
(٩٧٤) حديث حسن لغيره . أخرجه الترمذى (٢٥٦٠) ، وقال حسن غريب ، وابن أبي عاصم (٧٣٤) فى السنة ، والطبرانى (٦٨٨١) فى الكبير ، وفى مسند الشاميين (٢٦٤٥) .

وأخرجه ابن المبارك كما فى زوائد الزهد (٤٠٤) عن الحسن مرسلأ ، بسند صحيح .
وأورد شواهد ابن كثير فى نهاية البداية (ص / ٢٦٢ - ٢٦٣) ، وقال : قد أثنى شيخنا الحافظ المزى بصحة هذا الحديث بهذه الطرق .
ولتمام الفائدة يراجع السلسلة الصحيحة برقم (١٥٨٩) ، ومجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٣) .

باب ما جاء في الكوثر الذي أعطيه

[النبي ﷺ في الجنة]

٩٧٥- البخاري عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر في الجنة حافته قباب (928) الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طينه أو طينته مسك أذفر (929) » - شك هدية - أخرجه أبو عيسى الترمذي بمعناه وزاد « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً » .

٩٧٦- قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن وهب قال : أخبرني شبيب عن أبان عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال حين عرج به إلى السماء قال : « رأيت نهراً عجاجاً (930) مثل السهم يطرّد أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، حافته قباب من در مجوف ، فقلت : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : هذا نهر الكوثر الذي أعطاك ربك قال : فضربت بيدي إلى حماته (931) فإذا هو مسك أذفر ، ثم ضربت بيدي إلى رضوضه (932) فإذا هو در » .

(٩٧٥) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٨١) ، والترمذي (٣٣٦٠) ، وأحمد (٣) / (٢٠٧ ، ٢٣١) ، والنسائي (٧٢٦) في تفسيره ، والبغوي (٣٣٤٣) ، والطبري (٣٠) / (٢٠٩) في تفسيره .

928- حافته قباب الدر : أي شاطئاه من أصداف الدر .

929- طينته مسك أذفر : مخلوطة بالمسك الطيب الذكي الرائحة .

(٩٧٦) إسناده ضعيف جداً . في سنده شبيب بن سعيد ، لا بأس به ولكن حدث عنه ابن وهب بأحاديث منكّرة ، وفي سنده أبان بن أبي عياش ، وهو من المتروكين .

930- نهر عجاج : مملوء بالماء السريع الذي يسمع لمائه صوت .

931- حماته : طينته .

932- رضوضه : المحص الصغار في مجارى الماء .

٩٧٧- الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجره الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج ». هذا حديث حسن (صحيح) والله أعلم .

تم الجزء الأول
من كتاب (التذكيرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)
ويليه

الجزء الثانى حسب تقسيم النسخة المصورة .

تم التحقيق والتعليق على
الجزء الأول من كتاب
التذكيرة
والحمد لله أولاً وآخراً
ويليه الجزء الثانى .
أبو صريم

(٩٧٧) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢ / ٦٧ ، ١٥٨) ، والترمذى (٣٣٥٨) ، وابن ماجه (٤٣٣٤) ، والدارمى (٢ / ٣٣٧) ، والطبرى (٣٠ / ٢٠٧) في تفسيره ، والبغوى (٤٣٤١) فى شرح السنة ، والطبرانى (١٣٣٠٦) فى الكبير .

الصفحة	اسم الباب
٣	مقدمة الناشر.....
٦	مقدمة المحقق.....
٧	بين يدي الكتاب.....
١٢	الإيمان بالدار الآخرة عقيدة إسلامية.....
١٦	ترجمة المصنف.....
٢٢	أهمية الكتاب ومحتوياته.....
٣٥	خطبة الكتاب.....
٣٦	باب النهي عن تمنى الموت والدعاء به.....
٤١	باب جواز تمنى الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين.....
٤٤	باب ذكر الموت وفضله والاستعداد له.....
٥٢	باب ما يذكر الموت والآخرة ويزهد في الدنيا.....
٦٢	باب منه ، وما يقال عند دخول المقابر وجواز البكاء عندها.....
٦٥	باب المؤمن يموت بعرق الجبين.....
٦٧	باب ما جاء أن للموت سكرات.....
٨٣	باب الموت كفارة لكل مسلم.....
٨٧	باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى.....
٩٣	باب تلقين الميت لا إله إلا الله.....
٩٤	أقوال العلماء في تلقين الميت.....
٩٨	باب من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير، وكيف الدعاء للميت إذا مات وفي تغميضه.....
٩٩	باب منه وما يقال عند التغميض.....
١٠٠	باب ما جاء أن الشيطان يحضر الميت عند موته.....
١٠٥	باب ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم.....
١١١	باب ما جاء في رسل ملك الموت قبل الوفاة.....
١١٩	باب متى تنقطع معرفة العبد من الناس وفي التوبة وبيانها ، وفي التائب من هو.....
١٢٨	باب لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر حتى يبشر وأنه يصعد بها.....
١٤١	باب في شأن الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد.....
١٤٧	باب كيفية التوفى للموت واختلاف أحوالهم في ذلك.....

الصفحة	اسم الباب
١٥٤	باب ما جاء فى صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر
١٥٧	باب ما جاء أن ملك الموت هو القابض لأرواح الخلق
١٦٣	باب ما جاء فى سبب قبض ملك الموت لأرواح الخلق
١٦٤	باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر
١٦٥	باب ما جاء فى تزاور الأموات فى قبورهم واستحسان الكفن لذلك
١٦٧	باب الإسراع فى الجنائز وكلامها
١٦٩	باب بسط الثوب على القبر عند الدفن
١٧٠	باب ما جاء فى قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن وبعده
١٧١	حاشية فى تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾
١٨٢	بيان ما يلحق الميت بعد موته من الثواب
١٨٦	باب يدفن العبد فى الأرض التى خلق منها
١٨٨	باب ما جاء أن كل عبد يذر عليه من تراب حفرة وفى الرزق والأجل
١٩١	باب ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه
١٩٣	باب ما جاء فى هول المطلع
١٩٤	باب ما جاء أن القبر أول منازل الآخرة وفى البكاء عنده وفى حكمه والاستعداد له
٢٠١	باب ما جاء فى اختيار البقعة للدفن
٢٠١	فى فقء موسى عليه السلام عين ملك الموت
٢٠٢	فى فضل الموت فى المدينة المنورة
٢٠٣	فصل فى الرد على من أنكر ضرب موسى لملك الموت
٢٠٥	باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم
٢٠٧	باب ما جاء أن الموتى يتزاورون فى قبورهم واستحسان الكفن لذلك
٢٠٨	باب ما جاء فى كلام القبر كل يوم وكلامه للعبد إذا وضع فيه
٢١٢	باب ما جاء فى ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحاً
٢١٥	باب منه وما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه
٢١٨	باب ما ينبغى من ضغطة القبر وفتنته
٢١٨	باب ما يقال عند وضع الميت فى قبره وفى اللحد فى القبر
٢٢١	باب الوقوف عند القبر بعد الدفن والدعاء بالتثبيت

الصفحة	اسم الباب
٢٢٥	البراءة من الصالقة والخالقة والشاقة
٢٢٧	باب ما جاء فى تلقين الإنسان بعد موته شهادة الإخلاص
٢٣٠	باب فى نسيان أهل الميت ميتهم وفى الأمل والغفلة
٢٣١	باب ما جاء فى رحمة الله بعبده إذا أدخل فى قبره
٢٣٢	باب متى يرتفع ملك الموت عن العبد
٢٣٤	باب فى سؤال الملكين للعبد وفى التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار
٢٣٨	فصل فى أول ما يلقي الميت إذا دخل قبره
٢٤٢	باب ذكر حديث البراء المشهور الجامع لأحوال الموتى
٢٤٨	الرد على الملحدة
٢٥٨	باب ما جاء فى صفة الملكين وصفة سؤالهما
٢٦٢	باب اختلاف الآثار فى سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم
٢٦٣	باب ما جاء فى عذاب القبر وأنه حق
٢٦٧	باب منه فى عذاب الكافر فى قبره
٢٦٧	باب ما يكون منه عذاب القبر واختلاف أحوال العصاة فيه
٢٧٣	تنبيه على غلط
٢٧٤	باب منه « فى أسباب عذاب القبر »
٢٧٨	باب ما جاء فى بشرى المؤمن فى قبره
٢٧٩	باب ما جاء فى التعوذ من عذاب القبر وفتنته
٢٨٠	باب ما جاء أن البهائم تسمع عذاب القبر
٢٨٢	باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال
٢٨٣	باب قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ﴾
٢٨٥	فصل فى أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين
٢٨٧	باب ما ينجى المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه
٢٩٥	فصل فى بيان قوله ﷺ : « من مات مريضاً مات شهيداً »
٢٩٦	باب ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى
٢٩٨	باب ما جاء أن أرواح الشهداء فى الجنة دون أرواح غيرهم
٣٠٧	باب كم الشهداء ؟ ولم سمي شهيداً ؟ ومعنى الشهادة

الصفحة	اسم الباب
٣١٤	باب ما جاء أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب
٣١٥	باب لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء والشهداء وأنهم أحياء
	باب في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وكم بين النفختين وذكر البعث والنشر
٣١٩	والنار
٣٢١	باب في قول الله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ﴾
٣٢٩	باب يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده
٣٣٤	فصل في بيان ما أشكل من الحديث من ذكر اليد والأصابع
٣٣٤	فائدة نفيسة في الكلام على صفات الله تعالى (حاشية)
٣٤٠	باب البرزخ
٣٤١	باب ذكر النفخ الثاني للبعث في الصور وبيانه
٣٥٥	فصل في عدد النفخات
٣٥٨	باب منه في صفة البعث وما آية ذلك في الدنيا وأول ما يخلق من الإنسان رأسه
٣٥٩	باب يبعث كل عبد على ما مات عليه
٣٦٤	باب في بعث النبي ﷺ من قبره
٣٦٥	باب ما جاء في بعث الأيام والليالي ويوم الجمعة
٣٦٦	باب ما جاء أن العبد المؤمن إذا قام من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا وعمله
٣٦٧	باب أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات
٣٧٣	باب منه : أمور تكون قبل الساعة
٣٨٣	باب الحشر ومعناه الجمع
٣٩١	باب بيان الحشر إلى الموقف كيف هو ؟ وفي أي أرض المحشر ؟ وذكر الصخرة
٣٩٧	باب الجمع بين آيات وردت في الكتاب في الحشر ظاهرها التعارض
	باب ما جاء في حشر الناس إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلاً ، وفي أول من يكسى منهم
٤٠٢	وفي أول ما يتكلم من الإنسان
٤٠٦	فصل في الحكمة من تقديم إبراهيم عليه السلام في الكسوة
٤٠٧	باب منه : وبيان قوله تعالى : ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾
	باب قول النبي ﷺ « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾

الصفحة	اسم الباب
٤١٠	و... وذكر أسماء يوم القيامة
٤٥٥	باب ما يلقي الناس في الموقف من الأهوال العظام والأمور الجسام
٤٦٦	فصل في حر الشمس ، وعرق الناس في الموقف
٤٦٨	باب ما ينجي من أهوال يوم القيامة ومن كربها
٤٧٣	باب في الشفاعة العامة لبينا محمد ﷺ لأهل المحشر
٤٧٧	باب ما جاء أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود
٤٨٠	فصل في اختلاف الناس في المقام المحمود
٤٨٤	فصل في عصمة الأنبياء
٤٨٦	باب منه في الشفاعة
٤٨٧	باب من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة
٤٨٨	باب في العرض والكتب والحساب وكيفية وقوف الناس للحساب
٤٩٤	فصل في قوله تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾
٥٠٠	باب في قوله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾
٥٠١	باب في قوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾
٥٠٣	باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال
٥١٣	باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان
٥١٧	باب القصاص يوم القيامة من استطال في حقوق الناس وفي حبسه لهم حتى ينصفوا منه
٥٢٣	فصل في الحث على المسارعة في محاسبة النفس
٥٢٦	فائدة: في الكلام على كلام الله « رأى ابن تيمية حاشية »
٥٣٧	باب في إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة
٥٣٩	باب أول من يحاسب أمة محمد ﷺ
٥٣٩	باب أول ما يحاسب عليه العبد من عمله : الصلاة . وأول ما يقضى فيه بين الناس : الدماء ، وفي أول من يدعى للخصومة
٥٤٧	باب منه : في سؤال الله للعبد يوم القيامة
٥٤٨	باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما
	باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام بما عمل فيها وعليها ، وفي شهادة المال على

الصفحة	اسم الباب
٥٥٦	صاحبه
٥٥٨	باب لا يشهد العبد على شهادة فى الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة
٥٥٩	باب ما جاء فى سؤال الله تعالى الأنبياء وفى شهادة هذه الأمة للأنبياء على أمهم
٥٦٨	باب ما جاء فى شهادة النبى ﷺ على أمته
٥٦٩	باب ما جاء فى عقوبة مانعى الزكاة وفضيحة الغادر والغال فى الموقف وقت الحساب ...
٥٨٠	باب منه : وذكر الولاية.....
	باب ما جاء فى حوض النبى ﷺ فى الموقف وسعته وكثرة أوانيهِ وذكر أركانهِ ومن
٥٨٢	عليها
٥٨٨	باب فقراء المهاجرين أول الناس وروداً الحوض على النبى ﷺ
٥٨٩	باب ذكر من يطرد عن الحوض
٥٩٠	فصل فى أقوال العلماء فى المطرودين
٥٩٢	باب ما جاء أن لكل نبى حوضاً.....
٥٩٣	باب ما جاء فى الكوثر الذى أعطيه النبى ﷺ فى الجنة
٥٩٤	آخر الجزء الأول من كتاب التذكرة.....

رقم الإيداع : ٩٥٤٤ / ١٩٩٤ م

I . S . B . N : 977 - 272 - 229 - 1

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت: ٣٥٦٢٣٠ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٤٢٧٢١

ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

